

كتاب شرح نهج البلاغة

الجزء السادس

ابن أبي الحديد

هذا الكتاب

نشر إلكترونياً وأخرج فنياً برعاية وإشراف

شبكة الإمامين الحسنين (عليه السلام) للتراث والفكر الإسلامي

بانتظار أن يوفقنا الله تعالى لتصحيح نصه وتقديمه بصورة أفضل في فرصة أخرى قريبة إن شاء الله تعالى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على خير خلقه محمد و آله

الطاهرين

٦٦ و من كلام له ع في معنى الأنصار

قَالُوا : لَمَّا انْتَهَتْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع أَنْبَاءُ السَّقِيفَةِ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ص قَالَ ع مَا قَالَتْ
الْأَنْصَارُ قَالُوا قَالَتْ مِنَّا أَمِيرٌ وَ مِنْكُمْ أَمِيرٌ قَالَ ع فَهَلَّا اِحتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص وَصَّى
بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ وَ يُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ قَالُوا وَ مَا فِي هَذَا مِنْ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ ع لَوْ كَانَ
الْإِمَامَةُ [الْإِمَارَةُ] فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ ثُمَّ قَالَ ع فَمَاذَا قَالَتْ فُرَيْشٌ قَالُوا اِحتَجَّتْ بِأَنَّهَا
شَجَرَةُ الرَّسُولِ ص فَقَالَ ع

إِحْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَ أَضَاعُوا الثَّمَرََ قَد ذَكْرْنَا فِيمَا تَقْدَم طَرَفَا مِنْ أَخْبَار السَّقِيفَةِ فَأَمَّا هَذَا الْخَبَرِ الْوَارِد فِي الْوَصِيَّةِ بِالْأَنْصَارِ فَهُوَ خَيْرٌ صَحِيحٌ أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ وَ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ الْقَشِيرِيُّ فِي مَسْنَدَيْهِمَا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ مَرَّ أَبُو بَكْرٍ وَ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا بِمَجْلَسٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي مَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ هُم يَبْكُونَ فَقَالَا مَا يَبْكِيكُمْ قَالُوا ذَكْرْنَا مُحَاسِنَ رَسُولِ اللَّهِ ص فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ص وَ أَخْبَرَاهُ بِذَلِكَ فَخَرَجَ ص وَ قَدْ عَصَبَ عَلَى رَأْسِهِ حَاشِيَةً بَرَدَهُ فَصَعَدَ الْمَنْبَرَ وَ لَمْ يَصْعَدْهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمَ فَحَمَدَ اللَّهُ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ

ثُمَّ قَالَ أَوْصِيَكُمْ بِالْأَنْصَارِ فَإِنَّهُمْ كَرَّشِي وَ عَيْبَتِي وَ قَدْ قَضُوا الَّذِي عَلَيْهِمْ وَ بَقِيَ الَّذِي لَهُمْ فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَ تَجَاوَزُوا عَنْ مَسِيئَتِهِمْ. فَأَمَّا كَيْفِيَّةُ الْإِحْتِجَاجِ عَلَى الْأَنْصَارِ فَقَدْ ذَكَرَهَا عَلِيُّ ع وَ هِيَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ ص مِمَّنْ يُجْعَلُ الْإِمَامَةُ فِيهِمْ لَأَوْصَى إِلَيْهِمْ وَ لَمْ يُوصِ بِهِمْ. وَ إِلَى هَذَا نَظَرَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ بْنُ الْعَاصِ وَ هُوَ الْمُسَمَّى بِالْأَشْدَقِ فَإِنَّ أَبَاهُ لَمَّا مَاتَ خَلَفَهُ غُلَامًا فَدَخَلَ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ إِلَى مَنْ أَوْصَى بِكَ أَبُوكَ فَقَالَ إِنَّ أَبِي أَوْصَى إِلَيَّ وَ لَمْ يُوصِ بِي فَاسْتَحْسَنَ مُعَاوِيَةُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ إِنَّ هَذَا الْغُلَامَ لَأَشْدَقُ فَسَمِي الْأَشْدَقُ. فَأَمَّا قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَ أَضَاعُوا الثَّمَرََ فَكَلَامٌ قَدْ تَكَرَّرَ مِنْهُ

ع أمثاله ؛نحو قوله إذا احتج عليهم المهاجرون بالقرب من رسول الله ص كانت الحجة لنا على المهاجرين بذلك قائمة فإن فلجت حجتهم كانت لنا دونهم و إلا فالأنصار على دعوتهم.و نحو هذا المعنى قول العباس لأبي بكر و أما قولك نحن شجرة رسول الله ص فلإنكم جيرانها و نحن أغصانها

يوم السقيفة

و نحن نذكر خبر السقيفة روى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة قال أخبرني أحمد بن إسحاق قال حدثنا أحمد بن سيار قال حدثنا سعيد بن كثير بن عفير الأنصاري أن النبي ص لما قبض اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة فقالوا إن رسول الله ص قد قبض فقال سعد بن عباد لابنه قيس أو لبعض بنيه إني لا أستطيع أن أسمع الناس كلامي لمرضي و لكن تلق مني قولي فأسمعهم فكان سعد يتكلم و يستمع ابنه و يرفع به صوته لسمع قومه فكان من قوله بعد حمد الله و الثناء عليه أن قال إن لكم سابقة إلى الدين و فضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب أن رسول الله ص لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم إلى عبادة الرحمن و خلع الأوثان فما آمن به من قومه إلا قليل و الله ما كانوا يقدرُونَ أن يمنعوا رسول الله

و لا يعزوا دينه و لا يدفعوا عنه عداه حتى أراد الله بكم خير الفضيلة و ساق إليكم الكرامة و خصكم بدينه و رزقكم الإيمان به و برسوله و الإعزاز لدينه و الجهاد لأعدائه فكنتم أشد الناس على من تخلف عنه منكم و أثقله على عدوه من غيركم حتى استقاموا لأمر الله طوعا و كرها و أعطى البعيد المقادة صاغرا داخرا حتى أنجز الله لنبيكم الوعد و دانت لأسيافكم العرب ثم توفاه الله تعالى و هو عنكم راض و بكم قريب عين فشدوا يديكم بهذا الأمر فإنكم أحق الناس و أولاهم به. فأجابوا جميعا أن وفقنا في الرأي و أصبت في القول و لن نعدو ما أمرت نوليك هذا الأمر فأنت لنا مقنع و لصالح المؤمنين رضا. ثم إنهم ترادوا الكلام بينهم فقالوا إن أبت مهاجرة قريش فقالوا نحن المهاجرون و أصحاب رسول الله ص الأولون و نحن عشيرته و أولياؤه فعلام تنازعونا هذا الأمر من بعده فقالت طائفة منهم إذا نقول منا أمير و منكم أمير لن نرضى بدون هذا منهم أبدا لنا في الإيواء و النصر ما لهم في الهجرة و لنا في كتاب الله ما لهم فليسوا يعدون شيئا إلا و نعد مثله و ليس من رأينا الاستئثار عليهم فمننا أمير و منهم أمير. فقال سعد بن عبادة هذا أول الوهن. و أتى الخبر عمر فأتى منزل رسول الله ص فوجد أبا بكر في الدار و عليا في جهاز رسول الله ص و كان الذي أتاه بالخبر معن بن عدي فأخذ بيد عمر و قال قم فقال عمر إني عنك مشغول فقال إنه لا بد من قيام فقام معه فقال له إن هذا الحي من الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة معهم سعد بن عبادة يدورون حوله و يقولون أنت المرجى و نجلك المرجى و ثم أناس من

أشرفهم و قد خشيت الفتنة فانظر يا عمر ما ذا ترى و اذكر لإخوتك من المهاجرين و اختاروا لأنفسكم فياني انظر إلى باب فتنة قد فتح الساعة إلا أن يغلقه الله ففرع عمر أشد الفرع حتى أتى أبا بكر فأخذ بيده فقال قم فقال أبو بكر إني عنك مشغول فقال عمر لا بد من قيام و سنرجع إن شاء الله. فقام أبو بكر مع عمر فحدثه الحديث ففرع أبو بكر أشد الفرع و خرجا مسرعين إلى سقيفة بني ساعدة و فيها رجال من أشراف الأنصار و معهم سعد بن عباد و هو مريض بين أظهرهم فأراد عمر أن يتكلم و يمهد لأبي بكر و قال خشيت أن يقصر أبو بكر عن بعض الكلام فلما نبس عمر كفه أبو بكر و قال على رسلك فتلق الكلام ثم تكلم بعد كلامي بما بدا لك فتشهد أبو بكر ثم قال. إن الله جل ثناؤه بعث مُحَمَّدًا بالهدى و دين الحق فدعا إلى الإسلام فأخذ الله بقلوبنا و ناصينا إلى ما دعانا إليه و كنا معاشر المسلمين المهاجرين أول الناس إسلاما و الناس لنا في ذلك تبع و نحن عشيرة رسول الله ص و أوسط العرب أنسابا ليس من قبائل العرب إلا و لقريش فيها ولادة و أنتم أنصار الله و أنتم نصرتم رسول الله ص ثم أنتم وزراء رسول الله ص و إخواننا في كتاب الله و شركاؤنا في الدين و فيما كنا فيه من خير فأنتم أحب الناس إلينا و أكرمهم علينا و أحق الناس بالرضا بقضاء الله و التسليم لما ساق الله إلى إخوانكم من المهاجرين و أحق الناس ألا تحسدوهم فأنتم المؤثرون على أنفسهم حين الخصاصة و أحق الناس ألا يكون انتفاض هذا الدين و اختلاطه على أيديكم و أنا أدعوكم إلى أبي عبيدة و عمر فكلاهما قد رضيت لهذا الأمر و كلاهما أراه له أهلا.

فقال عمر و أبو عبيدة ما ينبغي لأحد من الناس أن يكون فوقك أنت صاحب الغار ثاني اثنين و أمرك رسول الله بالصلاة فأنت أحق الناس بهذا الأمر. فقال الأنصار و الله ما نحسدكم على خير ساقه الله إليكم و لا أحد أحب إلينا و لا أرضى عندنا منكم و لكننا نشفق فيما بعد هذا اليوم و نحذر أن يغلب على هذا الأمر من ليس منا و لا منكم فلو جعلتم اليوم رجلا منكم بايعنا و رضينا على أنه إذا هلك اخترنا واحدا من الأنصار فإذا هلك كان آخر من المهاجرين أبدا ما بقيت هذه الأمة كان ذلك أجدر أن نعدل في أمة محمد ص فيشفق الأنصاري أن يزيغ فيقبض عليه القرشي و يشفق القرشي أن يزيغ فيقبض عليه الأنصاري. فقام أبو بكر فقال إن رسول الله ص لما بعث عظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخالقوه و شاقوه و خص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه و الإيمان به و المواساة له و الصبر معه على شدة أذى قومه و لم يستوحشوا لكثرة عدوهم فهم أول من عبد الله في الأرض و هم أول من آمن برسول الله و هم أولياؤه و عترته و أحق الناس بالأمر بعده لا ينازعهم فيه إلا ظالم و ليس أحد بعد المهاجرين فضلا و قدما في الإسلام مثلكم فنحن الأمراء و أنتم الوزراء لا نمتاز دونكم بمشورة و لا نقضي دونكم الأمور. فقام الحباب بن المنذر بن الجموح فقال يا معشر الأنصار املكوا عليكم أيديكم إنما الناس في فيئكم و ظلكم و لن يجترئ مجترئ على خلافكم و لا يصدر الناس إلا عن أمركم أنتم أهل الإيواء و النصر و إليكم كانت الهجرة و أنتم أصحاب الدار و الإيمان و الله ما عبد الله علانية إلا عندكم و في بلادكم

و لا جمعت الصلاة إلا في مساجدكم و لا عرف الإيمان إلا من أسيافكم فاملكوا عليكم أمركم
فإن أبى هؤلاء فمننا أمير و منهم أمير. فقال عمر هيهات لا يجتمع سيفان في غمد إن العرب لا
ترضى أن تؤمركم و نبيا من غيركم و ليس تمتنع العرب أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم و أولو
الأمر منهم لنا بذلك الحجة الظاهرة على من خالفنا و السلطان المبين على من نازعنا من ذا
يخاصمنا في سلطان محمد و ميراثه و نحن أولياؤه و عشيرته إلا مدل بباطل أو متجائف لإثم أو
متورط في هلكة. فقام الحباب و قال يا معشر الأنصار لا تسمعوا مقالة هذا و أصحابه فيذهبوا
بنصيبكم من الأمر فإن أبوا عليكم ما أعطيتموهم فاجلوهم عن بلادكم و تولوا هذا الأمر عليهم
فأنتم أولى الناس بهذا الأمر إنه دان لهذا الأمر بأسيافكم من لم يكن يدين له أنا جديها المحكك و
عذيقها المرجب إن شئتم لنعيدنّها جذعة و الله لا يرد أحد علي ما أقول إلا حطمت أنفه
بالسيف. قال فلما رأى بشير بن سعد الخزرجي ما اجتمعت عليه الأنصار من تأمير سعد بن
عبادة و كان حاسدا له و كان من سادة الخزرج قام فقال أيها الأنصار إنا و إن كنا ذوي سابقة
فإننا لم نرد بجهادنا و إسلامنا إلا رضا ربنا و طاعة نبينا و لا ينبغي لنا أن نستطيل بذلك على
الناس و لا نبتغي به عوضا

من الدنيا إن مُجِّدا ص رجل من قريش و قومه أحق بميراث أمره و إيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر فانتقوا الله و لا تنازعوهم و لا تخالفوهم.فقام أبو بكر و قال هذا عمر و أبو عبيدة بايعوا أيهما شئتم فقالا و الله لا نتولى هذا الأمر عليك و أنت أفضل المهاجرين و ثاني اثنين و خليفة رسول الله ص على الصلاة و الصلاة أفضل الدين ابسط يدك نبايعك.فلما بسط يده و ذهب يبايعانه سبقهما بشير بن سعد فبايعه فناده الحباب بن المنذر يا بشير عكك عقاق و الله ما اضطرك إلى هذا الأمر إلا الحسد لابن عمك.و لما رأت الأوس أن رئيسا من رؤساء الخزرج قد بايع قام أسيد بن حضير و هو رئيس الأوس فبايع حسدا لسعد أيضا و منافسة له أن يلي الأمر فبايعت الأوس كلها لما بايع أسيد و حمل سعد بن عبادة و هو مريض فأدخل إلى منزله فامتنع من البيعة في ذلك اليوم و فيما بعده و أراد عمر أن يكرهه عليها فأشير عليه ألا يفعل و أنه لا يبايع حتى يقتل و أنه لا يقتل حتى يقتل أهله و لا يقتل أهله حتى يقتل الخزرج و إن حوربت الخزرج كانت الأوس معها.و فسد الأمر فتركوه فكان لا يصلي بصلاتهم و لا يجمع بجماعتهم و لا يقضي بقضائهم و لو وجد أعوانا لضاربهم فلم يزل كذلك حتى مات أبو بكر ثم لقي عمر في خلافته و هو على فرس و عمر على بعير فقال له عمر هيهات يا سعد فقال سعد هيهات يا عمر فقال أنت صاحب من أنت صاحبه قال نعم أنا ذاك ثم قال لعمر و الله ما جاورني أحد هو أبغض إلي جوارا منك قال عمر فإنه من كره جوارا رجل انتقل عنه فقال سعد إني لأرجو أن أخليها لك عاجلا إلى جوار من هو أحب إلي

جوارا منك و من أصحابك فلم يلبث سعد بعد ذلك إلا قليلا حتى خرج إلى الشام فمات بحوران و لم يبايع لأحد لا لأبي بكر و لا لعمر و لا لغيرهما. قال و كثر الناس على أبي بكر فبايعه معظم المسلمين في ذلك اليوم و اجتمعت بنو هاشم إلى بيت علي بن أبي طالب و معهم الزبير و كان يعد نفسه رجلا من بني هاشم كان علي يقول ما زال الزبير منا أهل البيت حتى نشأ بنوه فصرفوه عنا. و اجتمعت بنو أمية إلى عثمان بن عفان و اجتمعت بنو زهرة إلى سعد و عبد الرحمن فأقبل عمر إليهم و أبو عبيدة فقال ما لي أراكم ملتائين قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايع له الناس و بايعه الأنصار فقام عثمان و من معه و قام سعد و عبد الرحمن و من معهما فبايعوا أبا بكر. و ذهب عمر و معه عصابة إلى بيت فاطمة منهم أسيد بن حضير و سلمة بن أسلم فقال لهم انطلقوا فبايعوا فأبوا عليه و خرج إليهم الزبير بسيفه فقال عمر عليكم الكلب فوثب عليه سلمة بن أسلم فأخذ السيف من يده فضرب به الجدار ثم انطلقوا به و بعلي و معها بنو هاشم و علي يقول أنا عبد الله و أخو رسول الله ص حتى انتهوا به إلى أبي بكر فقبل له بايع فقال أنا أحق بهذا الأمر منكم لا أبايعكم و أنتم أولى بالبيعة لي أخذتم هذا الأمر من الأنصار و احتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله فأعطوكم المقادة و سلموا إليكم الإمارة و أنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار فأنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم و اعرفوا لنا من الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم و إلا فبوءوا بالظلم و أنتم تعلمون. فقال عمر إنك لست متروكا حتى تبايع فقال له علي احلب يا عمر حلبا لك شطره اشد له اليوم أمره ليرد عليك غدا ألا و الله لا أقبل قولك و لا أبايعه فقال له أبو بكر

فإن لم تباعني لم أكرهك فقال له أبو عبيدة يا أبا الحسن إنك حديث السن و هؤلاء مشيخة قريش قومك ليس لك مثل تجربتهم و معرفتهم بالأمر و لا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك و أشد احتمالا له و اضطلاعا به فسلم له هذا الأمر و ارض به فإنك إن تعش و يطل عمرك فأنت لهذا الأمر خليف و به حقيق في فضلك و قرابتك و سابقتك و جهادك.

فقال علي يا معشر المهاجرين الله الله لا تخرجوا سلطان محمد عن داره و بيته إلى بيوتكم و دوركم و لا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس و حقه فو الله يا معشر المهاجرين لنحن أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم أ ما كان منا القارئ لكتاب الله الفقيه في دين الله العالم بالسنة المضطلع بأمر الرعية و الله إنه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحق بعدا. فقال بشير بن سعد لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا علي قبل بيعتهم لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان و لكنهم قد بايعوا و انصرف علي إلى منزله و لم يبايع و لزم بيته حتى ماتت فاطمة فبايع. قلت هذا الحديث يدل على بطلان ما يدعى من النص على أمير المؤمنين و غيره لأنه لو كان هناك نص صريح لاحتج به و لم يجر للنص ذكر و إنما كان الاحتجاج منه و من أبي بكر و من الأنصار بالسوابق و الفضائل و القرب فلو كان هناك نص على أمير المؤمنين أو على أبي بكر لاحتج به أبو بكر أيضا على الأنصار و لاحتج به أمير المؤمنين على أبي بكر فإن هذا الخبر و غيره من الأخبار المستفيضة يدل على أنه قد كان كاشفهم و هتك القناع بينه و بينهم أ لا تراه كيف نسبهم إلى التعدي عليه و ظلمه و تمنع من طاعتهم

و أسمعهم من الكلام أشده و أغلظه فلو كان هناك نص لذكره أو ذكره بعض من كان من شيعته و حزبه لأنه لا عطر بعد عروس. و هذا أيضا يدل على أن الخبر المروي في أبي بكر في صحيح البخاري و مسلم غير صحيح

و هو ما روي من قوله ع لعائشة في مرضه ادعي لي أباك حتى أكتب لأبي بكر كتابا فإني أخاف أن يقول قائل أو يتمنى متمن و يأبى الله و المؤمنون إلا أبا بكر و هذا هو نص مذهب المعتزلة.

و قال أحمد بن عبد العزيز الجوهري أيضا حدثنا أحمد و قال حدثنا ابن عفير قال حدثنا أبو عوف عبد الله بن عبد الرحمن عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام ما أن عليا حمل فاطمة على حمار و سار بها ليلا إلى بيوت الأنصار يسألهم النصر و تسألهم فاطمة الانتصار له فكانوا يقولون يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل لو كان ابن عمك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به فقال علي أكنت أترك رسول الله ميتا في بيته لا أجهزه و أخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانه و قالت فاطمة ما صنع أبو حسن إلا ما كان ينبغي له و صنعوا هم ما الله حسبهم عليه

و قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز و حدثنا أحمد قال حدثني سعيد بن كثير قال حدثني ابن لهيعة أن رسول الله ص لما مات و أبو ذر غائب و قدم و قد ولي أبو بكر فقال أصبتم قناعه و تركتم قرابه لو جعلتم هذا الأمر في أهل بيت نبيكم لما اختلف عليكم اثنان

قال أبو بكر و أخبرنا أبو زيد عمر بن شبة قال حدثنا أبو قبيصة مُجَّد بن حرب قال لما توفي النبي ص و جرى في السقيفة ما جرى تمثل علي و أصبح أقوام يقولون ما اشتها و يطغون لما غال زيدا غوائله

قصيدة أبي القاسم المغربي و تعصبه للأنصار على قريش

و حدثني أبو جعفر يحيى بن مُجَّد بن زيد العلوي نقيب البصرة قال لما قدم أبو القاسم علي بن الحسين المغربي من مصر إلى بغداد استكتبه شرف الدولة أبو علي بن بويه و هو يومئذ سلطان الحضرة و أمير الأمراء بها و القادر خليفة ففسدت الحال بينه و بين القادر و اتفق لأبي القاسم المغربي أعداء سوء أوحشوا القادر منه و أوهموه أنه مع شرف الدولة في القبض عليه و خلعه من الخلافة فأطلق لسانه في ذكره بالقبيح و أوصل القول فيه و الشكوى منه و نسبه إلى الرفض و سب السلف و إلى كفران النعمة و أنه هرب من يد الحاكم صاحب مصر بعد إحسانه إليه. قال النقيب أبو جعفر عليه السلام تعالى فأما الرفض فنعم و أما إحسان الحاكم إليه فلا كان الحاكم قتل أباه و عمه و أخا من إخوته و أفلت منه أبو القاسم بخديعة الدين و لو ظفر به لألحقه بهم. قال أبو جعفر و كان أبو القاسم المغربي ينسب في الأزد و يتعصب لقحطان على عدنان و للأنصار على قريش و كان غالبا في ذلك مع تشيعه و كان أدبيا فاضلا شاعرا مترسلا و كثير الفنون عالما و انحدر مع شرف الدولة إلى واسط فاتفق أن حصل بيد القادر كتاب بخطه شبه مجموع قد جمعه من خطه و شعره و كلامه مسود أتحفه به بعض من كان يشنأ أبا القاسم و يريد كيده فوجد القادر في ذلك المجموع قصيدة من شعره فيها تعصب شديد للأنصار على المهاجرين حتى خرج إلى نوع من الإلحاد و الزندقة لإفراط غلوه

و فيها تصريح بالرفض مع ذلك فوجدها القادر ثمرة الغراب و أبرزها إلى ديوان الخلافة فقرئ
المجموع و القصيدة بمحضر من أعيان الناس من الأشراف و القضاة و المعدلين و الفقهاء و يشهد
أكثرهم أنه خطه و أنهم يعرفونه كما يعرفون وجهه و أمر بمكاتبة شرف الدولة بذلك فإلى أن وصل
الكتاب إلى شرف الدولة بما جرى اتصل الخبر بأبي القاسم قبل وصول الكتاب إلى شرف الدولة
فهرب ليلا و معه بعض غلمانته و جارية كان يهواها و يتحطاها و مضى إلى البطيحة ثم منها إلى
الموصل ثم إلى الشام و مات في طريقه فأوصى أن تحمل جثته إلى مشهد علي فحملت في تابوت
و معها خفراء العرب حتى دفن بالمشهد بالقرب منه ع. و كنت برهة أسأل النقيب أبا جعفر عن
القصيدة و هو يدافعي بها حتى أملاها علي بعد حين و قد أوردت هاهنا بعضها لأنني لم أستجز
و لم أستحل إيرادها على وجهها فمن جملتها و هو يذكر في أولها رسول الله ص و يقول إنه لو لا
الأنصار لم تستقم لدعوته دعامة و لا أرسى له قاعدة في آيات فاحشة كرهنا ذكرها

نحن الذين بنا استجار فلم يضع	فينا و أصبح في أعز جوار
بسيوفنا أمسست سخيئة بركا	في بدرها كنعائر الجزار
و لنحن في أحد سمحنا دونه	بنفوسنا للموت خوف العار
فنجلا بمهجته فلو لا ذنبنا	عنه تنشب في مخالف ضار
و حمية السعدين بل بحماية السدين	يوم الجحفل الجرار
في الخندق المشهور إذ ألقى بها	بيد و رام دفاعها بثمار
قالا معاذ الله إن هضميه	لم نعطها في سالف الأعصار

ما عندنا إلا السيوف و أقبلنا
و لنا يوم حنين آثار متى
لما تصدع جمعه فغدا بنا
عظفت عليه كماتنا فتحصنت
و فدته من أبناء قيلة عصبة
أ فنحن أولى بالخلافة بعده
ما الأمر إلا أمرنا و بسعدنا
لكنما حسد النفوس و شحها
أفضى إلى هرج و مرج فانبرت
و تداولتها أربع لو لا أبو
من عاجز ضرع و من ذي غلظة
ثم ارتدى المحروم فضل رداؤها
فتأكلت تلك الجذى و تلمظت
تالله لو ألقوا إليه زمامها
و لو أنها حلت بساحة مجده
هو كالنبي فضيلة لكن ذا
و الفضل ليس بنافع أربابه
ثم امتطاهها عبد شمس فاغتدت
و تنقلت في عصبة أموية

نحو الختوف بها بدار بدار
تذكر فهن كرائم الآثار
مستصرخا بعقيرة و جوار
من جموع هوازن بفرار
شروى النقيير و جنة البقار
أم عبد تميم حاملو الأوزار
زفت عروس الملك غير نوار
و تذكر الأذحال و الأوتار
عشواء خابطة بغير نهار
حسن لقلت لؤمت من إستار
جاف و من ذي لوثة خوار
فغلت مراجل إحنة و نفار
تلك الظبا و رقا أجيج النار
لمشى بهم سجحا بغير عثار
بادي بدا سكنت بدار قرار
من حظه كاس و هذا عار
إلا بمسعدة من الأقدار
هزوا و بدل ربحها بخسار
ليسوا بأطهار و لا أبرار

ما بين مأفون إلى متزندق و مداهن و مضاعف و حمار
فهذه الأبيات هي نظيف القصيدة التقطناها و حذفنا الفاحش و في الملتقط المذكور أيضا ما
لا يجوز و هو قوله نحن الذين بنا استجار و قوله ألقى بها بيد و قوله فنجا بمهجته البيت و قوله
عن أبي بكر عبد تيم و قوله لو لا علي لقلت في الأربعة أنهم إستار لؤم و ذكره الثلاثة
ﷺ م بما ذكرهم و نسبهم إليه و قوله إن عليا كالنبي في الفضيلة و قوله إن النبوة حظ أعطيه و
حرمه علي ع. فأما قوله في بني أمية ما بين مأفون البيت فمأخوذ من قول عبد الملك بن مروان و
قد خطب فذكر الخلفاء من بني أمية قبله فقال إني و الله لست بالخليفة المستضعف و لا بالخليفة
المداهن و لا بالخليفة المأفون عني بالمستضعف عثمان و بالمداهن معاوية و بالمأفون يزيد بن معاوية
فزاد هذا الشاعر فيهم اثنين و هما المتزندق و هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك و الحمار و هو
مروان بن محمد بن مروان

أمر المهاجرين و الأنصار بعد بيعة أبي بكر

و روى الزبير بن بكار في الموفقيات قال لما بايع بشير بن سعد أبا بكر و ازدحم الناس على
أبي بكر فبايعوه مر أبو سفيان بن حرب بالبيت الذي فيه علي بن أبي طالب ع فوقف و أنشد
بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم و لا سيما تيم بن مرة أو عدي
فما الأمر إلا فيكم و إليكم و ليس لها إلا أبو حسن علي

أبا حسن فاشدد بها كف حازم فإنك بالأمر الذي يرتجى ملي
و أي امرئ يرمي قصيا و رأيها منبع الحمى و الناس من غالب قصي
فقال علي لأبي سفيان إنك تريد أمرا لسنا من أصحابه و قد عهد إلي رسول الله ص عهدا
فأنا عليه فتركه أبو سفيان و عدل إلى العباس بن عبد المطلب في منزله فقال يا أبا الفضل أنت
أحق بميراث ابن أخيك امدد يدك لأبايعك فلا يختلف عليك الناس بعد بيعتي إياك فضحك
العباس و قال يا أبا سفيان يدفعها علي و يطلبها العباس فرجع أبو سفيان خائبا. قال الزبير و ذكر
محمد بن إسحاق أن الأوس تزعم أن أول من بايع أبا بكر بشير بن سعد و تزعم الخزرج أن أول من
بايع أسيد بن حضير. قلت بشير بن سعد خزرجي و أسيد بن حضير أوسي و إنما تدافع الفريقان
الروايتين تفاديا عن سعد بن عباد و كراهية كل حي منهما أن يكون نقض أمره جاء من جهة
صاحبه فالخزرج هم أهله و قرابته لا يقرون أن بشير بن سعد هو أول من بايع أبا بكر و أبطل أمر
سعد بن عباد و يحيلون بذلك على أسيد بن حضير لأنه من الأوس أعداء الخزرج و أما الأوس
فتركه أيضا أن ينسب أسيد إلى أنه أول من نقض أمر سعد بن عباد كي لا يرموه بالحسد
للخزرج لأن سعد بن عباد خزرجي فيحيلون بانتقاض أمره على قبيلته و هم الخزرج و يقولون إن
أول من بايع أبا بكر و نقض دعوة سعد بن عباد بشير بن سعد و كان بشير أعور. و الذي ثبت
عندي أن أول من بايعه عمر ثم بشير بن سعد ثم أسيد بن حضير ثم أبو عبيدة بن الجراح ثم سالم
مولى أبي حذيفة.

قال الزبير و قد كان مالاً أبا بكر و عمر على نقض أمر سعد و إفساد حاله رجلا من الأنصار ممن شهد بدرا و هما عويم بن ساعدة و معن بن عدي. قلت كان هذان الرجلان ذوي حب لأبي بكر في حياة رسول الله ص و اتفق مع ذلك بغض و شحناء كانت بينهما و بين سعد بن عباد و لها سبب مذكور في كتاب القبائل لأبي عبيدة معمر بن المثنى فليطلب من هناك. و عويم بن ساعدة هو القائل لما نصب الأنصار سعدا يا معشر الخزرج إن كان هذا الأمر فيكم دون قريش فعرفونا ذلك و برهنوا حتى نبايعكم عليه و إن كان لهم دونكم فسلموا إليهم فو الله ما هلك رسول الله ص حتى عرفنا أن أبا بكر خليفة حين أمره أن يصلي بالناس فشتمه الأنصار و أخرجه فانطلق مسرعا حتى التحق بأبي بكر فشحنه عزمه على طلب الخلافة. ذكر هذا بعينه الزبير بن بكار في الموفقيات. و ذكر المدائني و الواقدي أن معن بن عدي اتفق هو و عويم بن ساعدة على تحريض أبي بكر و عمر على طلب الأمر و صرفه عن الأنصار قالوا و كان معن بن عدي يشخصهما إشخاصا و يسوقهما سوقا عنيفا إلى السقيفة مبادرة إلى الأمر قبل فواته. قال الزبير بن بكار فلما بويع أبو بكر أقبلت الجماعة التي بايعته تزفه زفا إلى مسجد رسول الله ص فلما كان آخر النهار افترقوا إلى منازلهم فاجتمع قوم من الأنصار و قوم من المهاجرين فتعاتبوا فيما بينهم فقال عبد الرحمن بن عوف يا معشر الأنصار إنكم و إن كنتم أولي فضل و نصر و سابقة و لكن ليس فيكم مثل أبي بكر و لا عمر و لا علي و لا أي عبيدة فقال زيد بن أرقم إنا لا ننكر فضل من ذكرت

يا عبد الرحمن و إن منا لسيد الأنصار سعد بن عبادة و من أمر الله رسوله أن يقرئه السلام و أن يأخذ عنه القرآن أبي بن كعب و من يجيء يوم القيامة أمام العلماء معاذ بن جبل و من أمضى رسول الله ص شهادته بشهادة رجلين خزيمه بن ثابت و إنا لنعلم أن ممن سميت من قريش من لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد علي بن أبي طالب. قال الزبير فلما كان من الغد قام أبو بكر فخطب الناس و قال أيها الناس إني وليت أمركم و لست بخيركم فإذا أحسنت فأعينوني و إن أسأت فقوموني إن لي شيطاناً يعتريني فماذا يصنعكم و إياي إذا غضبت لا أؤثر في أشعاركم و أبشاركم الصدق أمانة و الكذب خيانة و الضعيف منكم قوي حتى أرد إليه حقه و القوي ضعيف حتى أخذ الحق منه إنه لا يدع قوم الجهاد إلا ضربهم الله بالذل و لا تشيع في قوم الفاحشة إلا عمهم البلاء أطيعوني ما أطعت الله فإذا عصيت فلا طاعة لي عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله. قال ابن أبي عبرة القرشي

شكرا لمن هو بالثناء حقيق	ذهب اللجاج و بويح الصديق
من بعد ما زلت بسعد نعله	و رجاء رجاء دونه العيقوق
حفت به الأنصار عاصب رأسه	فأتاهم الصديق و الفاروق
و أبو عبيدة و الذين إليهم	نفس المؤمن للقاء تتوق
كنا نقول لها علي و الرضا	عمر و أولاهم بذاك عتيق
فدعت قريش باسمه فأجابها	إن المنووه باسمه الموثقوق

قل لالألى طلبوا الخلافة زلة لم يخط مثل خطاهم مخلوق
إن الخلافة فى قرىش ما لكم فىها و رب مئجد معروق
و روى الزبير بن بكار قال روى مئجد بن إسحاق أن أبا بكر لما بوىع افتخرت تيم بن مرة قال و
كان عامة المهاجرين و جل الأنصار لا يشكون أن علفا هو صاأب الأمر بعد رسول الله ص
فقال الفضل بن العباس يا معشر قرىش و خصوصا يا بني تيم إنكم إنما أخذتم الخلافة بالنبوة و
نحن أهلها دونكم و لو طلبنا هذا الأمر الذى نحن أهلها لكانت كراهة الناس لنا أعظم من كراهم
لغيرنا حسدا منهم لنا و حقا علينا و إنا لنعلم أن عند صاأبنا عهدا هو ينتهى إلفه. و قال بعض
ولد أبى هب بن عبد المطلب بن هاشم شعرا

ما كنت أأاسب أن الأمر منصرف عن هاشم ثم منها عن أبى حسن
أ لفس أول من صلى لقبلكم و أعلم الناس بالقرآن و السنن
و أقرب الناس عهدا بالنبي و من جبرفل عون له فى الغسل و الكفن
ما فىه ما فىهم لا يمترون به و لفس فى القوم ما فىه من الحسن
ما ذا الذى ردهم عنه فنعلمه ها إن ذا غبننا من أعظم الغبن
قال الزبير فبعث إلفه على فناها و أمره ألا يعود، و قال سلامة الدين أأب إلنا من غيره.

قال الزبير و كان خالد بن الوليد شيعة لأبي بكر و من المنحرفين عن علي فقام خطيبا فقال أيها الناس إنا رمينا في بدء هذا الدين بأمر ثقل علينا و الله محمله و صعب علينا مرتقا و كنا كأنا فيه على أوتار ثم و الله ما لبثنا أن خف علينا ثقله و ذل لنا صعبه و عجبنا ممن شك فيه بعد عجبنا ممن آمن به حتى أمرنا بما كنا ننهى عنه و نهينا عما كنا نأمر به و لا و الله ما سبقنا إليه بالعقول و لكنه التوفيق ألا و إن الوحي لم ينقطع حتى أحكم و لم يذهب النبي ص فنستبدل بعده نبيا و لا بعد الوحي وحيا و نحن اليوم أكثر منا أمس و نحن أمس خير منا اليوم من دخل في هذا الدين كان ثوابه على حسب عمله و من تركه رددناه إليه و إنه و الله ما صاحب الأمر يعني أبا بكر بالمستفول عنه و لا المختلف فيه و لا الخفي الشخص و لا المغموز القناة. فعجب الناس من كلامه و مدحه حزن بن أبي وهب المخزومي و هو الذي سماه رسول الله ص سهلا و هو جد سعيد بن المسيب الفقيه و قال

و قامت رجال من قريش كثيره	فلم يك منهم في الرجال كخالد
ترقي فلم يزاق به صدر نعله	و كف فلم يعرض لتلك الأوابد
فجاء بها غراء كالقدر ضوءها	فسميتها في الحسن أم القلائد
أ خالد لا تعدم لؤي بن غالب	قيامك فيها عند قذف الجلامد
كساك الوليد بن المغيرة مجده	و علمك الأشياخ ضرب القماحد
تقارع في الإسلام عن صلب دينه	و في الشرك عن أحساب جد و والد

و كنت لمخزوم بن يقظة جنة يعدك فيها ماجدا و ابن ماجد
إذا ما سما في حربها ألف فارس عدلت بألف عند تلك الشدائد
و من يك في الحرب المثيرة واحدا فما أنت في الحرب العوان بواحد
إذا ناب أمر في قريش مخلص تشيب له رءوس العذارى النواهد
توليت منه ما يخاف و إن تغب يقولوا جميعا حظنا غير شاهد

قال الزبير و حدثنا محمد بن موسى الأنصاري المعروف بابن مخزومة قال حدثني إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري قال لما بويع أبو بكر و استقر أمره ندم قوم كثير من الأنصار على بيعته و لام بعضهم بعضا و ذكروا علي بن أبي طالب و هتفوا باسمه و إنه في داره لم يخرج إليهم و جزع لذلك المهاجرون و كثر في ذلك الكلام. و كان أشد قريش على الأنصار نفر فيهم و هم سهيل بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي و الحارث بن هشام و عكرمة بن أبي جهل المخزوميان و هؤلاء أشرف قريش الذين حاربوا النبي ص ثم دخلوا في الإسلام و كلهم موتور قد وتره الأنصار أما سهيل بن عمرو فأسره مالك بن الدخشم يوم بدر و أما الحارث بن هشام فضربه عروة بن عمرو فجرحه يوم بدر و هو فار عن أخيه و أما عكرمة بن أبي جهل فقتل أباه ابنا عفراء و سلبه درعه يوم بدر زياد بن لبيد و في أنفسهم ذلك. فلما اعتزلت الأنصار تجمع هؤلاء فقام سهيل بن عمرو فقال يا معشر قريش إن هؤلاء القوم قد سماهم الله الأنصار و أثنى عليهم في القرآن فلهم بذلك حظ عظيم و شأن غالب و قد دعوا إلى أنفسهم و إلى علي بن أبي طالب و علي

في بيته لو شاء لردهم فادعوهم إلى صاحبكم و إلى تحديد بيعته فإن أجابوكم و إلا قاتلوهم فو الله
إني لأرجو الله أن ينصركم عليهم كما نصرتم بهم. ثم قام الحارث بن هشام فقال إن تكن الأنصار
تبوأ الدار و الإيمان من قبل و نقلوا رسول الله ص إلى دورهم من دورنا فأووا و نصروا ثم ما
رضوا حتى قاسمونا الأموال و كفونا العمل فإنهم قد لهجوا بأمر إن ثبتوا عليه فإنهم قد خرجوا مما
وسموا به و ليس بيننا و بينهم معاتبة إلا السيف و إن نزعوا عنه فقد فعلوا الأولى بهم و المظنون
معه. ثم قام عكرمة بن أبي جهل فقال و الله لو لا

قول رسول الله ص الأئمة من قريش ما أنكرنا أمره الأنصار و لكانوا لها أهلا و لكنه قول لا
شك فيه و لا خيار و قد عجلت الأنصار علينا و الله ما قبضنا عليهم الأمر و لا أخرجناهم من
الشورى و إن الذي هم فيه من فلتات الأمور و نزغات الشيطان و ما لا يبلغه المنى و لا يحمله
الأمل أعذروا إلى القوم فإن أبوا فقاتلوهم فو الله لو لم يبق من قريش كلها إلا رجل واحد لصير الله
هذا الأمر فيه. قال و حضر أبو سفيان بن حرب فقال يا معشر قريش إنه ليس للأنصار أن
يتفضلوا على الناس حتى يقرؤا بفضلنا عليهم فإن تفضلوا فحسبنا حيث انتهى بها و إلا فحسبهم
حيث انتهى بهم و ايم الله لئن بطروا المعيشة و كفروا النعمة لنضربنهم على الإسلام كما ضربوا
عليه فأما علي بن أبي طالب فأهل و الله أن يسود على قريش و تطيعه الأنصار. فلما بلغ الأنصار
قول هؤلاء الرهط قام خطيبهم ثابت بن قيس بن شماس فقال يا معشر الأنصار إنما يكبر عليكم
هذا القول لو قاله أهل الدين من قريش فأما إذا كان من أهل الدنيا لا سيما من أقوام كلهم متونور
فلا يكبرن عليكم إنما الرأي

و القول مع الأخيار المهاجرين فإن تكلمت رجال قريش و الذين هم أهل الآخرة مثل كلام هؤلاء فعند ذلك قولوا ما أحببتهم و إلا فأمسكوا. و قال حسان بن ثابت يذكر ذلك

تنادي سهيل و ابن حرب و حارث	و عكرمة الشاني لنا ابن أبي جهل
قتلنا أباه و انتزعنا سلاحه	فأصبح بالبطحا أذل من النعل
فأما سهيل فاحتواه ابن دخشم	أسيرا ذليلا لا يمر و لا يحلي
و صخر بن حرب قد قتلنا رجاله	غداة لوا بدر فمرجله يغلي
و راکضنا تحت العجاجة حارث	على ظهر جرداء كباسقه النخل
يقبلها طورا و طورا يحثها	و يعدلها بالنفس و المال و الأهل
أولئك رهط من قريش تباعوا	على خطة ليست من الخطط الفضل
و أعجب منهم قابلو ذاك منهم	كانا اشتملنا من قريش على ذحل
و كلهم ثان عن الحق عطفه	يقول اقتلوا الأنصار يا بئس من فعل
نصرنا و آوينا النبي و لم نخف	صروف الليالي و البلاء على رجل
بذلنا لهم أنصاف مال أكفنا	كقسمة أيسار الجزور من الفضل
و من بعد ذاك المال أنصاف دورنا	و كنا أناسا لا نغير بالبخل
و نحمي دمار الحي فھر بن مالك	و نوقد نار الحرب بالحطب الجزل
فكان جزاء الفضل منا عليهم	جهالتهم حقاً و ما ذاك بالعدل

فبلغ شعر حسان قريشا فغضبوا و أمروا ابن أبي عزة شاعرهم أن يجيبه فقال

معشر الأنصار خافوا ربكم	و استجبروا الله من شر الفتن
إنني أرهب حربا لاقحا	يشرق المرضع فيها باللبن
جرها سعد و سعد فتنة	ليت سعد بن عباد لم يكن
خلف برهوت خفيا شخصه	بين بصرى ذي رعين و جدن

ليس ما قدر سعد كائنا ما جرى البحر و ما دام حضن
ليس بالقاطع منا شعرة كيف يرجى خير أمر لم يحن
ليس بالمدرک منها أبدا غير أضغاث أماني الوسن

قال الزبير لما اجتمع جمهور الناس لأبي بكر أكرمت قريش معن بن عدي و عويم بن ساعدة و كان لهما فضل قديم في الإسلام فاجتمعت الأنصار لهما في مجلس و دعوها فلما أحضرا أقبلت الأنصار عليهما فعيروهما بانطلاقيهما إلى المهاجرين و أكبروا فعلهما في ذلك فتكلم معن فقال يا معشر الأنصار إن الذي أراد الله بكم خير مما أردتم بأنفسكم و قد كان منكم أمر عظيم البلاء و صغرت العاقبة فلو كان لكم على قريش ما لقريش عليكم ثم أردتموهم لما أرادوكم به لم آمن عليهم منكم مثل من آمن عليكم منهم فإن تعرفوا الخطأ فقد خرجتم منه و إلا فأنتم فيه. قلت قوله و قد كان منكم أمر عظيم البلاء و صغرت العاقبة يعني عاقبة الكف و الإمساك يقول قد كان منكم أمر عظيم و هو دعوى الخلافة لأنفسكم و إنما جعل البلاء معظما له لأنه لو لم يتعقبه الإمساك لأحدث فتنة عظيمة و إنما صغره سكوتهم و رجوعهم إلى بيعة المهاجرين. و قوله و كان لكم على قريش إلى آخر الكلام معناه لو كان لكم الفضل على قريش كفضل قريش عليكم و ادعت قريش الخلافة لها ثم أردتم منهم الرجوع عن دعواهم و جرت بينكم و بينهم من المنازعة مثل هذه المنازعة التي جرت الآن بينكم لم آمن عليهم منكم أن تقتلوهم و تقدموا على سفك دمائهم و لم يحصل لي من سكون النفس إلى

حلمكم عنهم و صبركم عليهم مثل ما أنا آمن عليكم منهم فإنهم صبروا و حلموا و لم يقدموا على استباحة حربكم و الدخول في دمائكم. قال الزبير ثم تكلم عويم بن ساعدة فقال يا معشر الأنصار إن من نعم الله عليكم أنه تعالى لم يرد بكم ما أردتم بأنفسكم فاحمدوا الله على حسن البلاء و طول العافية و صرف هذه البلية عنكم و قد نظرت في أول فتنتكم و آخرها فوجدتها جاءت من الأماني و الحسد و اذروا النقم فوددت أن الله صير إليكم هذا الأمر بحقه فكنا نعيش فيه. فوثبت عليهما الأنصار فاغلظوا لهما و فحشوا عليهما و انبرى لهما فروة بن عمرو فقال أ نسيما قولكما لقريش إنا قد خلفنا وراءنا قوما قد حلت دماؤهم بفتنتهم هذا و الله ما لا يغفر و لا ينسى قد تصرف الحية عن وجهها و سمها في نابها فقال معن في ذلك

و قالت لي الأنصار إنك لم تصب	فقلت أ ما لي في الكلام نصيب
فقالوا بلى قل ما بدا لك راشدا	فقلت و مثلي بالجواب طيب
تـركتكم و الله لما رأيـتكم	تيوسا لها بالـحـرتين نيب
تنادون بالأمر الذي النجم دونه	ألا كل شيء ما سواه قريب
فقلت لكم قول الشفيق عليكم	و للقلب من خوف البلاء وجيب
دعوا الركض و اثنوا من أعنة بغيكم	و دبوا فسير القاصدين ديب
و خلوا قريشا و الأمور و بايعوا	لمن بايعوه ترشدوا و تصيبوا

أراكم أخذتم حَقَّكم بأَكْفَكَم
فلما أَيْتَمَ زَلَّتْ عَنْكُمْ إِلَيْهِمْ
فإن كان هذا الأمر ذَنْبِي إِلَيْكُمْ
فلا تَبْعَثُوا مِنِّي الْكَلَامَ فَإِنِّي
وَإِنِّي لَحُلُو تَعْتِرِينِي مَرَارَةً
لكل امرئ عِنْدِي الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ
و قال عويم بن ساعدة في ذلك

و قالت لي الأنصار أضعاف قولهم
فقلت دعوني لا أبا لأبِيكُمْ
أنا صاحب القول الذي تعرفونه
فإن تسكتوا أسكت و في الصمت راحة
و ما لمت نفسي في الخلاف عليكم
أريد بذاك الله لا شيء غيره
و ما لي رحم في قریش قريية
و لكنهم قوم علينا أئمة
و كان أحق الناس أن تقنعوا به
لأنني أخف الناس فيما يسركم

قال فروة بن عمر و كان ممن تخلف عن بيعة أبي بكر و كان ممن جاهد مع

رسول الله و قاد فرسين في سبيل الله و كان يتصدق من نخله بألف وسق في كل عام و كان سيدا و هو من أصحاب علي و ممن شهد معه يوم الجمل قال فذكر معنا و عويما و عاتبهما على قولهما خلفنا وراءنا قوما قد حلت دماؤهم بفتنتهم

ألا قل لمعن إذا جئته	و ذاك الذي شيخه ساعده
بأن المقال الذي قلتما	خفيف علينا سوى واحد
مقالكم إن من خلفنا	مراض قلوبهم فاسده
حلال الدماء على فتنة	فيا بئسما ربت الوالده
فلم تأخذا قدر أثمانها	و لم تستفيدا بها فائده
لقد كذب الله ما قلتما	و قد يكذب الرائد الواعده

قال الزبير ثم إن الأنصار أصلحوا بين هذين الرجلين و بين أصحابهما ثم اجتمعت جماعة من قريش يوما و فيهم ناس من الأنصار و أخلاط من المهاجرين و ذلك بعد انصراف الأنصار عن رأيها و سكون الفتنة فاتفق ذلك عند قدوم عمرو بن العاص من سفر كان فيه فجاء إليهم فأفاضوا في ذكر يوم السقيفة و سعد و دعواه الأمر فقال عمرو بن العاص و الله لقد دفع الله عنا من الأنصار عظيمة و لما دفع الله عنهم أعظم كادوا و الله أن يحلوا حبل الإسلام كما قاتلوا عليه و يخرجوا منه من أدخلوا فيه و الله لئن كانوا سمعوا

قول رسول الله ص الأئمة من قريش ثم ادعوها لقد هلكوا و أهلكوا و إن كانوا لم يسمعوها فما هم كالمهاجرين و لا كأبي بكر و لا المدينة

كمكة و لقد قاتلونا أمس فغلبونا على البدء و لو قاتلناهم اليوم لغلبناهم على العاقبة فلم يجبه
أحد و انصرف إلى منزله و قد ظفر فقال

ألا قلل لأوس إذا جئتهـا	و قل كلما جئت للخزج
تمنيتم الملك في يثرب	فأنزلت القدر لم تنضج
و أخذجتم الأمر قبل التمام	و أعجب بهذا المعجل المخدج
تريدون نتج الحيال العشار	و لم تلقحوه فلم ينتج
عجبت لسعد و أصحابه	و لو لم يهيجوه لم يهتج
رجا الخزرجي رجاء السراب	و قد يخلف المرء ما يرتجي
فكان كمنح على كفه	بكف يقطعها أهوج

فلما بلغ الأنصار مقالته و شعره بعثوا إليه لسانهم و شاعرهم النعمان بن العجلان و كان رجلا
أحمر قصيرا تزدرية العيون و كان سيدا فخما فأتى عمرا و هو في جماعة من قريش فقال و الله يا
عمرو ما كرهتم من حربنا إلا ما كرهنا من حربكم و ما كان الله ليخرجكم من الإسلام بمن
أدخلكم فيه

إن كان النبي ص قال الأئمة من قريش فقد قال لو سلك الناس شعبا و سلك الأنصار شعبا
لسلكت شعب الأنصار و الله ما أخرجناكم من الأمر إذ قلنا منا أمير و منكم أمير و أما من
ذكرت فأبو بكر لعمرى خير من سعد لكن سعدا في الأنصار أطوع من أبي بكر في قريش فأما
المهاجرون و الأنصار فلا فرق بينهم أبدا و لكنك يا ابن العاص وترت بني عبد مناف بمسيرك إلى
الحبشة لقتل جعفر و أصحابه و وترت بني مخزوم بإهلاك عمارة بن الوليد ثم انصرف فقال

فقل لقريش نحن أصحاب مكة
و أصحاب أحد و النضير و خيبر
و يوم بأرض الشام أدخل جعفر
و في كل يوم ينكر الكلب أهله
و نضرب في نقع العجاجة رؤسا
نصرنا و آويننا النبي و لم نخف
و قلنا لقوم هاجروا قبل مرحبا
نقاسمكم أموالنا و بيوتنا
و نكفيكم الأمر الذي تكرهونه
و قلتم حرام نصب سعد و نصبكم
و أهل أبو بكر لها خير قائم
و كان هوانا في علي و إنه
فذاك بعون الله يدعو إلى الهدى
وصي النبي المصطفى و ابن عمه
و هذا بحمد الله يهدي من العمى
نجي رسول الله في الغار وحده
فلو لا اتقاء الله لم تذهبوا بما
و لم نرض إلا بالرضا و لربما
فلما انتهى شعر النعمان و كلامه إلى قريش غضب كثير منها و ألفى ذلك قدوم خالد بن
سعيد بن العاص من اليمن و كان رسول الله استعمله عليها و كان له و لأخيه أثر قديم

عظيم في الإسلام و هما من أول من أسلم من قريش و لهما عبادة و فضل فغضب للأنصار و شتم عمرو بن العاص و قال يا معشر قريش إن عمرا دخل في الإسلام حين لم يجد بدا من الدخول فيه فلما لم يستطع أن يكيده بيده كاده بلسانه و إن من كيده الإسلام تفريقه و قطعه بين المهاجرين و الأنصار و الله ما حاربناهم للدين و لا للدنيا لقد بذلوا دماءهم لله تعالى فينا و ما بذلنا دماءنا لله فيهم و قاسمونا ديارهم و أموالهم و ما فعلنا مثل ذلك بهم و آثرونا على الفقر و حرمانهم على الغنى و لقد وصى رسول الله بهم و عزاهم عن جفوة السلطان فأعوذ بالله أن أكون و إياكم الخلف المضيع و السلطان الجاني. قلت هذا خالد بن سعيد بن العاص هو الذي امتنع من بيعة أبي بكر و قال لا أبايع إلا عليا و قد ذكرنا خبره فيما تقدم. و أما قوله في الأنصار و عزاهم عن جفوة السلطان فإشارة إلى

قول النبي ص ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تقدموا علي الحوض و هذا الخبر هو الذي يكفر كثير من أصحابنا معاوية بالاستهزاء به و ذلك أن النعمان بن بشير الأنصاري جاء في جماعة من الأنصار إلى معاوية فشكوا إليه فقرهم وقالوا لقد صدق رسول الله ص في قوله لنا ستلقون بعدي أثرة فقد لقيناها قال معاوية فما ذا قال لكم قالوا قال لنا فاصبروا حتى تردوا علي الحوض قال فافعلوا ما أمركم به عساكم تلاقونه غدا عند الحوض كما أخبركم و حرمتهم و لم يعطهم شيئا. قال الزبير و قال خالد بن سعيد بن العاص في ذلك

تفوه عمرو بالذي لا نريده و صرح للأنصار عن شنة البغض
فإن تكن الأنصار زلت فإننا نقيل و لا نجزيهم بالقرض

فلا تقطعن يا عمرو ما كان بيننا و لا تحملن يا عمرو بعضا على بعض
 أتتسى لهم يا عمرو ما كان منهم ليالي جئناهم من النفل و الفرض
 و قسمتنا الأموال كاللحم بالمدى و قسمتنا الأوطان كل به يقضي
 ليالي كل الناس بالكفر جهرة ثقال علينا مجمعون على البغض
 فساووا و آووا و انتهينا إلى المنى و قر قرارنا من الأمن و الخفض
 قال الزبير ثم إن رجالا من سفهاء قريش و مثيري الفتن منهم اجتمعوا إلى عمرو بن العاص
 فقالوا له إنك لسان قريش و رجلها في الجاهلية و الإسلام فلا تدع الأنصار و ما قالت و أكثروا
 عليه من ذلك فراح إلى المسجد و فيه ناس من قريش و غيرهم فتكلم و قال إن الأنصار ترى
 لنفسها ما ليس لها و ايم الله لوددت أن الله خلى عنا و عنهم و قضى فيهم و فينا بما أحب و
 لنحن الذين أفسدنا على أنفسنا أحرزناهم عن كل مكروه و قدمناهم إلى كل محبوب حتى أمنوا
 المخوف فلما جاز لهم ذلك صغروا حقنا و لم يراعوا ما أعظمنا من حقوقهم. ثم التفت فرأى الفضل
 بن العباس بن عبد المطلب و ندم على قوله للخثولة التي بين ولد عبد المطلب و بين الأنصار و
 لأن الأنصار كانت تعظم عليا و تهتف باسمه حينئذ فقال الفضل يا عمرو إنه ليس لنا أن نكتم ما
 سمعنا منك و ليس لنا أن نجيبك و أبو الحسن شاهد بالمدينة إلا أن يأمرنا فنفعل. ثم رجع الفضل
 إلى علي فحدثه فغضب و شتم عمرا و قال آذى الله و رسوله ثم قام فأتى المسجد فاجتمع إليه
 كثير من قريش و تكلم مغضبا
 فقال يا معشر قريش إن حب الأنصار إيمان و بغضهم نفاق و قد قضا ما عليهم

و بقي ما عليكم و اذكروا أن الله رغب لنبيكم عن مكة فنقله إلى المدينة و كره له قريشا فنقله إلى الأنصار ثم قدمنا عليهم دارهم فقاسمونا الأموال و كفونا العمل فصرنا منهم بين بذل الغني و إيثار الفقير ثم حاربنا الناس فوقونا بأنفسهم و قد أنزل الله تعالى فيهم آية من القرآن جمع لهم فيها بين خمس نعم فقال (وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). ألا و إن عمرو بن العاص قد قام مقاما آذى فيه الميت و الحي ساء به الواتر و سر به الموتور فاستحق من المستمع الجواب و من الغائب المقت و إنه من أحب الله و رسوله أحب الأنصار فليكفف عمرو عنا نفسه. قال الزبير فمشيت قريش عند ذلك إلى عمرو بن العاص فقالوا أيها الرجل أما إذا غضب علي فاكفف. و قال خزيمه بن ثابت الأنصاري يخاطب قريشا

أيا ل قريش أصلحوا ذات بيننا و بينكم قد طال حبل التماحك
فلا خير فيكم بعدنا فارقوا بنا و لا خير فينا بعد فهر بن مالك
كلانا على الأعداء كف طويلة إذا كان يوم فيه جب الحوارك
فلا تذكروا ما كان منا و منكم ففي ذكر ما قد كان مشي التساوك
قال الزبير و قال علي للفضل يا فضل انصر الأنصار بلسانك و يدك فإنهم منك و إنك منهم
فقال الفضل

قلت يا عمرو مقالا فاحشا إن تعد يا عمرو و الله فلک

إنما الأنصار سيف قاطع من تصبه ظبة السيف هلك
و سيوف قاطع مضربها و سهام الله في يوم الحلك
نصروا الدين و آووا أهله منزل رحب و رزق مشترك
و إذا الحرب تلظت نارها بركوا فيها إذا الموت برك
و دخل الفضل على علي فأسمعه شعره ففرح به و قال وريت بك زنادي يا فضل أنت شاعر
قريش و فتاها فأظهر شعرك و ابعث به إلى الأنصار فلما بلغ ذلك الأنصار قالت لا أحد يجيب
إلا حسان الحسام فبعثوا إلى حسان بن ثابت فعرضوا عليه شعر الفضل فقال كيف أصنع بجوابه
إن لم أتحر قوافيه فضحني فرويدا حتى أقفو أثره في القوافي فقال له خزيمة بن ثابت اذكر عليا و آله
يكفك عن كل شيء فقال

جزى الله عنا و الجزاء بكفه أبا حسن عنا و من كأبي حسن
سبقت قريشا بالذي أنت أهله فصدرك مشروح و قلبك ممتحن
تمنت رجال من قريش أعزة مكانك هيهات الهزال من السمن
و أنت من الإسلام في كل موطن بمنزلة الدلو البطين من الرسن
غضبت لنا إذ قام عمرو بخطبة أمات بها التقوى و أحيا بها الإحن
فكنت المرجى من لؤي بن غالب لما كان منهم و الذي كان لم يكن
حفظت رسول الله فينا و عهده إليك و من أولى به منك من و من
أ لست أخاه في الهدى و وصيه و أعلم منهم بالكتاب و بالسنن
فحقك ما دامت بنجد وشيجة عظيم علينا ثم بعد على اليمن

قال الزبير و بعث الأنصار بهذا الشعر إلى علي بن أبي طالب فخرج إلى المسجد

و قال لمن به من قريش و غيرهم يا معشر قريش إن الله جعل الأنصار أنصارا فأثنى عليهم في الكتاب فلا خير فيكم بعدهم إنه لا يزال سفيه من سفهاء قريش وتره الإسلام و دفعه عن الحق و أطفأ شرفه و فضل غيره عليه يقوم مقاماً فاحشاً فيذكر الأنصار فاتقوا الله و ارعوا حقهم فو الله لو زالوا لزلت معهم لأن رسول الله قال لهم أزول معكم حيثما زلتم فقال المسلمون جميعاً رحمك الله يا أبا الحسن قلت قولاً صادقاً قال الزبير و ترك عمرو بن العاص المدينة و خرج عنها حتى رضي عنه علي و المهاجرون قال الزبير ثم إن الوليد بن عقبة بن أبي معيط و كان يبغض الأنصار لأنهم أسروا أباه يوم بدر و ضربوا عنقه بين يدي رسول الله قام يشتم الأنصار و ذكرهم بالهجر فقال إن الأنصار لتري لها من الحق علينا ما لا نراه و الله لأن كانوا آووا لقد عزوا بنا و لأن كانوا آسوا لقد منوا علينا و الله ما نستطيع مودتهم لأنه لا يزال قائل منهم يذكر ذلنا بمكة و عزنا بالمدينة و لا ينفكون يعيرون موتانا و يغيظون أحياءنا فإن أجبناهم قالوا غضبت قريش على غاربها و لكن قد هون علي ذلك منهم حرصهم على الدين أمس و اعتذارهم من الذنب اليوم ثم قال

تباذخت الأنصار في الناس باسمها	و نسبتها في الأزد عمرو بن عامر
و قالوا لنا حق عظيم و منة	على كل باد من معد و حاضر
فإن يك للأنصار فضل فلم تنل	بحرمته الأنصار فضل المهاجر
و إن تكن الأنصار آوت و قاسمت	معايشها من جاء قسمة جازر
فقد أفسدت ما كان منها بمنها	و ما ذاك فعل الأكرمين الأكابر
إذا قال حسان و كعب قصيدة	بشتم قريش غنيت في المعاصر
و سار بها الركبان في كل وجهة	و أعمل فيها كل خف و حافر

فهذا لنا من كل صاحب خطبة يقوم بها منكم و من كل شاعر
و أهل بأن يهجو بكل قصيدة و أهل بأن يرموا بنبيل فواقر
قال ففشأ شعره في الناس فغضبت الأنصار و غضب لها من قريش قوم منهم ضرار بن
الخطاب الفهري و زيد بن الخطاب و يزيد بن أبي سفيان فبعثوا إلى الوليد فجاء. فتكلم زيد بن
الخطاب فقال يا ابن عقبة بن أبي معيط أما و الله لو كنت من الفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من
ديارهم و أموالهم يبتغون فضلا من الله و رضوانا لأحببت الأنصار و لكنك من الجفأة في الإسلام
البطاء عنه الذين دخلوا فيه بعد أن ظهر أمر الله و هم كارهون إنا نعلم أنا أتيناهم و نحن فقراء
فأغنونا ثم أصبنا الغنى فكفوا عنا و لم يرزونا شيئا فأما ذكرهم ذلة قريش بمكة و عزها بالمدينة
فكذلك كنا و كذلك قال الله تعالى (وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ
يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ) فنصرنا الله تعالى بهم و آوانا إلى مدينتهم. و أما غضبك لقريش فإننا لا ننصر
كافرا و لا نواد ملحدا و لا فاسقا و لقد قلت و قالوا فقطعك الخطيب و أجمك الشاعر. و أما
ذكرك الذي كان بالأمس فدع المهاجرين و الأنصار فإنك لست من ألسنتهم في الرضا و لا نحن
من أيديهم في الغضب. و تكلم يزيد بن أبي سفيان فقال يا ابن عقبة الأنصار أحق بالغضب
لقتلى أحد فكفف لسانك فإن من قتله الحق لا يغضب له. و تكلم ضرار بن الخطاب فقال أما و
الله لو لا أن رسول الله ص قال

الأئمة من قريش لقلنا الأئمة من الأنصار و لكن جاء أمر غلب الرأي فاقمع شرتك أيها الرجل و لا تكن امراً سوء فإن الله لم يفرق بين الأنصار و المهاجرين في الدنيا و كذلك الله لا يفرق بينهم في الآخرة. و أقبل حسان بن ثابت مغضبا من كلام الوليد بن عقبة و شعره فدخل المسجد و فيه قوم من قريش فقال يا معشر قريش إن أعظم ذنبنا إليكم قتلنا كفاركم و حمايتنا رسول الله ص و إن كنتم تنقمون منا منة كانت بالأمس فقد كفى الله شرها فما لنا و ما لكم و الله ما يمنعنا من قتالكم الجبن و لا من جوابكم العي إنا لحي فعال و مقال و لكننا قلنا إنها حرب أولها عار و آخرها ذل فأغضينا عليها عيوننا و سحبتنا ذيولنا حتى نرى و تروا فإن قلتم قلنا و إن سكتتم سكتنا فلم يجبه أحد من قريش ثم سكت كل من الفريقين عن صاحبه و رضي القوم أجمعون و قطعوا الخلاف و العصبية. انتهى ما ذكره الزبير بن بكار في الموفقيات و نعود الآن إلى ذكر ما أورده أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة. قال أبو بكر حدثني أبو يوسف يعقوب بن شيبه عن بحر بن آدم عن رجاله عن سالم بن عبيد قال لما توفي رسول الله و قالت الأنصار منا أمير و منكم أمير أخذ عمر بيد أبي بكر و قال سيفان في غمد واحد إذا لا يصلحان ثم قال من له هذه الثلاث (ثَانِيِ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ) من هما (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ) من صاحبه (إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) مع من ثم بسط يده إلى أبي بكر فبايعه فبايعه الناس أحسن بيعة و أجملها.

قال أبو بكر حدثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي عن أبي بكر بن عياش عن زيد بن عبد الله قال إن الله تعالى نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ع خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه و ابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب الأمم بعد قلبه فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون عن دينه فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن و ما رأى المسلمون سيئا فهو عند الله سيئ. قال أبو بكر بن عياش و قد رأى المسلمون أن يولوا أبا بكر بعد النبي ص فكانت ولايته حسنة. قال أبو بكر و حدثنا يعقوب بن شيبه قال لما قبض رسول الله ص و قال الأنصار منا أمير و منكم أمير قال عمر أيها الناس أيكم يطيب نفسا أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله ص في الصلاة رضيك الله لدينا أ فلا نرضاك لدينا قال أبو بكر و أخبرنا أبو زيد عمر بن شبة قال حدثني زيد بن يحيى الأنماطي قال حدثنا صخر بن جويرية عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال أخذ أبو بكر بيد عمر و يد رجل من المهاجرين يروونه أبا عبيدة حتى انطلقوا إلى الأنصار و قد اجتمعوا عند سعد في سقيفة بني ساعدة فقال عمر قلت لأبي بكر دعني أتكلم و خشيت جد أبي بكر و كان ذا جد فقال أبو بكر لا بل أنا أتكلم فما هو و الله إلا أن انتهينا إليهم فما كان في نفسي شيء أريد أن أقوله إلا أتى أبو بكر عليه فقال لهم يا معشر الأنصار ما ينكر حقكم مسلم إنا و الله ما أصبنا خيرا قط إلا شركتمونا

فيه لقد آويتم و نصرتم و آزرتم و واسيتم و لكن قد علمتم أن العرب لا تقر و لا تطيع إلا لامرئ من قريش هم رهط النبي ص أوسط العرب وشيخة رحم و أوسط الناس دارا و أعرب الناس ألسنا و أصبح الناس أوجهها و قد عرفتم بلاء ابن الخطاب في الإسلام و قدمه هلم فلنبايعه. قال عمر بل إياك نبايع قال عمر فكنت أول الناس مد يده إلى أبي بكر فبايعه إلا رجلا من الأنصار أدخل يده بين يدي و يد أبي بكر فبايعه قبلي و وطئ الناس فراش سعد فقتلتم سعدا فقال عمر قتل الله سعدا فوثب رجل من الأنصار فقال أنا جديها المحكك و عديقتها المرجب فأخذ و وطئ في بطنه و دسوا في فيه التراب. قال أبو بكر و حدثني يعقوب عن محمد بن جعفر عن محمد بن إسماعيل عن مختار اليمان عن عيسى بن زيد قال لما بويع أبو بكر جاء أبو سفيان إلى علي فقال أ غلبكم على هذا الأمر أذل بيت من قريش و أقلها أما و الله لئن شئت لأملأنها على أبي فضيل خيلا و رجلا و لأسدنها عليه من أقطارها فقال علي يا أبا سفيان طالما كدت الإسلام و أهله فما ضرهم شيئا أمسك عليك فإننا رأينا أبا بكر لها أهلا. قال أبو بكر و حدثنا يعقوب عن رجالة قال لما بويع أبو بكر تخلف علي فلم يبايع فقتل لأبي بكر إنه كره إمارتك فبعث إليه أكرهت إمارتي قال لا و لكن القرآن خشيت أن يزداد فيه فحلفت ألا أرتدي رداء حتى أجمعه اللهم إلا إلى صلاة الجمعة.

فقال أبو بكر لقد أحسنت قال فكتبه ع كما أنزل بناسخه و منسوخه. قال أبو بكر حدثنا يعقوب عن أبي النضر عن مُجَّد بن راشد عن مكحول أن رسول الله ص استعمل خالد بن سعيد بن العاص على عمل فقدم بعد ما قبض رسول الله ص و قد بايع الناس أبا بكر فدعاه إلى البيعة فأبى فقال عمر دعني و إياه فمنعه أبو بكر حتى مضت عليه سنة ثم مر به أبو بكر و هو جالس على باب فناداه خالد يا أبا بكر هل لك في البيعة قال نعم قال فادن فدنا منه فبايعه خالد و هو قاعد على بابه.

قال أبو بكر و حدثنا أبو يوسف يعقوب بن شيبه عن خالد بن مخلد عن يحيى بن عمر قال حدثني أبو جعفر الباقر قال جاء أعرابي إلى أبي بكر على عهد رسول الله ص و قال له أوصني فقال لا تأمر على اثنين ثم إن الأعرابي شخص إلى الربذة فبلغه بعد ذلك وفاة رسول الله ص فسأل عن أمر الناس من وليه فقبل أبو بكر فقدم الأعرابي إلى المدينة فقال لأبي بكر أ لست أمرتني ألا أتأمر على اثنين قال بلى قال فما بالك فقال أبو بكر لم أجد لها أحدا غيري أحق مني قال ثم رفع أبو جعفر الباقر يديه و خفضهما فقال صدق صدق. قال أبو بكر و قد روي هذا الخبر برواية أتم من هذه الرواية حدثنا يعقوب بن شيبه قال حدثنا يحيى بن حماد قال حدثنا أبو عوانة عن سليمان الأعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب عن رافع بن أبي رافع الطائي قال بعث رسول الله ص جيشا فأمر عليهم عمرو بن العاص و فيهم أبو بكر و عمر و أمرهم

أن يستنفروا من مروا به فمروا علينا فاستنفرونا فنفرنا معهم في غزاة ذات السلاسل و هي التي تفخر بها أهل الشام فيقولون استعمل رسول الله ص عمرو بن العاص على جيش فيه أبو بكر و عمر قال فقلت و الله لأختارن في هذه الغزاة لنفسى رجلا من أصحاب رسول الله ص أستهديه فإني لست أستطيع إتيان المدينة فاخترت أبا بكر و لم آل و كان له كساء فدكي يخله عليه إذا ركب و يلبسه إذا نزل و هو الذي عيرته به هوازن بعد النبي ص و قالوا لا نبايع ذا الخلخال قال فلما قضينا غزاتنا قلت له يا أبا بكر إني قد صحبتك و إن لي عليك حقا فعلمني شيئا أنتفع به فقال قد كنت أريد ذلك لو لم تقل لي تعبد الله لا تشرك به شيئا و تقيم الصلاة المكتوبة و تؤدي الزكاة المفروضة و تحج البيت و تصوم شهر رمضان و لا تتأمر على رجلين فقلت أما العبادات فقد عرفتُها أ رأيت نهيك لي عن الإمارة و هل يصيب الناس الخير و الشر إلا بالإمارة فقال إنك استجهدتني فجهدت لك إن الناس دخلوا في الإسلام طوعا و كرها فأجارهم الله من الظلم فهم جيران الله و عواد الله و في ذمة الله فمن يظلم منكم إنما يحقر ربه و الله إن أحدكم ليأخذ شويهة جاره أو بعيه فيظل عمله بأسا بجاره و الله من وراء جاره قال فلم يلبث إلا قليلا حتى أتتنا وفاة رسول الله ص فسألت من استخلف بعده قيل أبو بكر قلت أ صاحبي الذي كان ينهاني عن الإمارة فشددت على راحلتي فأتيت المدينة فجعلت أطلب خلوته حتى قدرت عليها فقلت أ تعرفني أنا فلان بن فلان أ تعرف وصية أوصيتني بها قال نعم إن رسول الله قبض و الناس حديثو عهد بالجاهلية فخشيت أن يفتتنوا و أن أصحابي حملونها فما زال يعتذر إلي حتى عذرت و صار من أمري بعد أن صرت عريفا.

قال أبو بكر و أخبرنا أبو زيد عمر بن شبة عن رجاله عن الشعبي قال قام الحسن بن علي ع إلى أبي بكر و هو يخطب على المنبر فقال له انزل عن منبر أبي فقال

أبو بكر صدقت و الله إنه لمنبر أبيك لا منبر أبي فبعث علي إلى أبي بكر إنه غلام حدث و إنا لم نأمره فقال أبو بكر صدقت إنا لم نتهمك. قال أبو بكر و روى أبو زيد عن حباب بن يزيد عن جرير عن المغيرة أن سلمان و الزبير و بعض الأنصار كان هواهم أن يبايعوا عليا بعد النبي ص فلما بويع أبو بكر قال سلمان للصحابة أصبتم الخير و لكن أخطأتم المعدن قال و في رواية أخرى أصبتم ذا السن منكم و لكنكم أخطأتم أهل بيت نبيكم أما لو جعلتموها فيهم ما اختلف منكم اثنان و لأكلتموها رغدا. قلت هذا الخبر هو الذي رواه المتكلمون في باب الإمامة عن سلمان أنه قال كرديد و نكرديد تفسره الشيعة فتقول أراد أسلمتم و ما أسلمتم و يفسره أصحابنا فيقولون معناه أخطأتم و أصبتم. قال أبو بكر و أخبرنا أبو زيد قال حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا غسان بن عبد الحميد قال لما أكثر في تخلف علي عن البيعة و اشتد أبو بكر و عمر في ذلك خرجت أم مسطح بن أثاثة فوقفت عند قبر النبي ص و نادته يا رسول الله

قد كان بعدك أنباء و هينمة لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها فاختل قومك فاشهدهم و لا تغب

قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز و سمعت أبا زيد عمر بن شبة يحدث رجلا بحديث لم أحفظ إسناداه قال مر المغيرة بن شعبة بأبي بكر و عمر و هما جالسان على باب النبي حين قبض فقال ما يقعدكما قالان نتظر هذا الرجل يخرج فنبايعه يعنيان عليا فقال أ تريدون أن تنظروا حبل الحبلية من أهل هذا البيت وسعوها في قريش تتسع.

قال فقاما إلى سقيفة بني ساعدة أو كلاما هذا معناه.

قال أبو بكر و أخبرنا أبو جعفر محمد بن عبد الملك الواسطي عن يزيد بن هارون عن سفيان بن حسين عن الزهري عن أنس بن مالك قال لما مرض رسول الله مرضه الذي مات فيه أتاه بلال يؤذنه بالصلاة فقال بعد مرتين يا بلال قد أبلغت فمن شاء فليصل بالناس و من شاء فليدع. قال و رفعت الستور عن رسول الله فنظرنا إليه كأنه ورقة بيضاء و عليه خميصة له فرجع إليه بلال فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس قال فما رأيناه بعد ذلك ع. و قال أبو بكر و حدثني أبو الحسن علي بن سليمان النوفلي قال سمعت أبي يقول ذكر سعد بن عبادة يوما عليا بعد يوم السقيفة فذكر أمرا من أمره نسيه أبو الحسن يوجب ولايته فقال له ابنه قيس بن سعد أنت سمعت رسول الله ص يقول هذا الكلام في علي بن أبي طالب ثم تطلب الخلافة و يقول أصحابك منا أمير و منكم أمير لا كلمتك و الله من رأسي بعد هذا كلمة أبدا.

قال أبو بكر و حدثني أبو الحسن علي بن سليمان النوفلي قال حدثني أبي قال حدثني شريك بن عبد الله عن إسماعيل بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده قال قال علي كنت مع الأنصار لرسول الله ص على السمع و الطاعة له في المحبوب و المكروه فلما عز الإسلام و كثر أهله قال يا علي زد فيها على أن تمنعوا رسول الله و أهل بيته مما تمنعون منه أنفسكم و ذراريكم قال فحملها على ظهور القوم فوفى بها من وفى و هلك من هلك. قلت هذا يطابق ما رواه أبو الفرج الأصفهاني في كتاب مقاتل الطالبين أن

جعفر بن مُجَدَّع وقف مستترا في خفية يشاهد المحامل التي حمل عليها عبد الله بن الحسن و أهله في القيود و الحديد من المدينة إلى العراق فلما مروا به بكى و قال ما وفيت الأنصار و لا أبناء الأنصار لرسول الله ص بايعهم على أن يمعنوا مُجَدَّعا و أبناءه و أهله و ذريته مما يمنعون منه أنفسهم و أبناءهم و أهلهم و ذراريهم فلم يفوا اللهم اشدد وطأتك على الأنصار

قال أبو بكر و حدثنا أبو سعيد عبد الرحمن بن مُجَدَّع قال حدثنا أحمد بن الحكم قال حدثنا عبد الله بن وهب عن ليث بن سعد قال تخلف علي عن بيعة أبي بكر فأخرج ملبيا يمضى به ركضا و هو يقول معاشر المسلمين علام تضرب عنق رجل من المسلمين لم يتخلف لخلاف و إنما تخلف لحاجة فما مر بمجلس من المجالس إلا يقال له انطلق فبايع

قال أبو بكر و حدثنا علي بن جرير الطائي قال حدثنا ابن فضل عن الأجلح عن حبيب بن ثعلبة بن يزيد قال سمعت عليا يقول أما و رب السماء و الأرض ثلاثا إنه لعهد النبي الأمي إلي لتغدرن بك الأمة من بعدي. قال أبو بكر و حدثنا أبو زيد عمر بن شبة بإسناد رفعه إلى ابن عباس قال إني لأماشي عمر في سكة من سكك المدينة يده في يدي فقال يا ابن عباس ما أظن صاحبك إلا مظلوما فقلت في نفسي و الله لا يسبقني بها فقلت يا أمير المؤمنين فاردد إليه ظلامته فانتزع يده من يدي ثم مر يهيمهم ساعة ثم وقف فلحقته فقال لي يا ابن عباس ما أظن القوم منعهم من صاحبك إلا أنهم استصغروه فقلت في نفسي هذه شر من الأولى فقلت و الله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر

ذكر أمر فاطمة مع أبي بكر

فأما ما رواه البخاري و مسلم في الصحيحين من كيفية المبايعة لأبي بكر بهذا اللفظ الذي أورده عليك

و لإسناد إلى عائشة أن فاطمة و العباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من النبي ص و هما حينئذ يطلبان أرضه من فذك و سهمه من خير فقال لهما أبو بكر إني سمعت رسول الله ص يقول إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة إنما يأكل آل محمد من هذا المال و إني و الله لا أدع أمرا رأيت رسول الله ص يصنعه إلا صنعته فهجرت فاطمة و لم تكلمه في ذلك حتى ماتت فدفنها علي ليلا و لم يؤذن بها أبا بكر و كان لعلي وجه من الناس في حياة فاطمة فلما توفيت فاطمة انصرفت وجوه الناس عن علي فمكثت فاطمة ستة أشهر ثم توفيت فقال رجل للزهري و هو الراوي لهذا الخبر عن عائشة فلم يبايعه على ستة أشهر قال و لا أحد من بني هاشم حتى يبايعه علي فلما رأى ذلك ضرع إلى مبايعة أبي بكر فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا و لا يأت معك أحد و كره أن يأتيه عمر لما عرف من شدته فقال عمر لا تأتكم وحدك فقال أبو بكر و الله لآتينهم وحدي و ما عسى أن يصنعوا بي فانطلق أبو بكر حتى دخل على علي و قد جمع بني هاشم عنده فقام علي فحمد الله و أثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد فإنه لم يمنعنا أن نبايعك يا أبا بكر إنكار لفضلك و لا منافسة لخير ساقه الله إليك و لكننا كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقا فاستبددتم به علينا و ذكر قرابته من رسول الله ص و حقه فلم يزل علي يذكر ذلك حتى بكى أبو بكر فلما صمت علي تشهد أبو بكر فحمد الله و أثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد

فو الله لقراة رسول الله ص أحب إلي أن أصلها من قرابتي و إني و الله ما ألوكم من هذه الأموال التي كانت بيني و بينكم إلا الخير

و لكني سمعت رسول الله ص يقول لا نورث ما تركناه صدقة و إنما يأكل آل محمد في هذا المال و إني و الله لا أترك أمرا صنعه رسول الله ص إلا صنعته إن شاء الله قال علي موعذك العشية للبيعة فلما صلى أبو بكر الظهر أقبل على الناس ثم عذر عليا ببعض ما اعتذر به ثم قام علي فعظم من حق أبي بكر و ذكر فضله و سابقته ثم مضى إلى أبي بكر فبايعه فأقبل الناس إلى علي فقالوا أصبت و أحسنت و كان علي قريبا إلى الناس حين قارب الأمر بالمعروف. و روى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز قال حدثني أبو زيد عمر بن شبة قال حدثني إبراهيم بن المنذر قال حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة عن أبي الأسود قال غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر بغير مشورة و غضب علي و الزبير فدخلوا بيت فاطمة معهما السلاح فجاء عمر في عصابة فيهم أسيد بن حضير و سلمة بن سلامة بن قريش و هما من بني عبد الأشهل فاقتحما الدار فصاحت فاطمة و ناشدتهما الله فأخذوا سيفيهما فضربوا بهما الحجر حتى كسروهما فأخرجهما عمر يسوقهما حتى بايعا. ثم قام أبو بكر فخطب الناس فاعتذر إليهم و قال إن بيعتي كانت فلتة وقي الله شرها و خشيت الفتنة و ايم الله ما حرصت عليها يوما قط و لا سألتها الله في سر و لا علانية قط و لقد قلدت أمرا عظيما ما لي به طاقة و لا يدان و لقد وددت أن أقوى الناس عليه مكاني.

فقبل المهاجرون و قال علي و الزبير ما غضبنا إلا في المشورة و إنا لنرى أبا بكر أحق الناس بها إنه لصاحب الغار و ثاني اثنين و إنا لنعرف له سنه و لقد أمره رسول الله ص بالصلاة و هو حي. قال أبو بكر و ذكر ابن شهاب بن ثابت أن قيس بن شماس أخا بني الحارث من الخزرج كان مع الجماعة الذين دخلوا بيت فاطمة. قال و روى سعد بن إبراهيم أن عبد الرحمن بن عوف كان مع عمر ذلك اليوم و أن محمد بن مسلمة كان معهم و أنه هو الذي كسر سيف الزبير. قال أبو بكر و حدثني أبو زيد عمر بن شبة عن رجاله قال جاء عمر إلى بيت فاطمة في رجال من الأنصار و نفر قليل من المهاجرين فقال و الذي نفسي بيده لتخرجن إلى البيعة أو لأحرقن البيت عليكم فخرج إليه الزبير مصلتا بالسيف فاعتنقه زياد بن ليلى الأنصاري و رجل آخر فندر السيف من يده فضرب به عمر الحجر فكسره ثم أخرجهم بتلايبهم يساقون سوقا عنيفا حتى بايعوا أبا بكر. قال أبو زيد و روى النضر بن شميل قال حمل سيف الزبير لما ندر من يده إلى أبي بكر و هو على المنبر يخطب فقال اضربوا به الحجر قال أبو عمرو بن حماس و لقد رأيت الحجر و فيه تلك الضربة و الناس يقولون هذا أثر ضربة سيف الزبير. قال أبو بكر و أخبرني أبو بكر الباهلي عن إسماعيل بن مجالد عن الشعبي قال قال أبو بكر يا عمر أين خالد بن الوليد قال هو هذا فقال انطلقا إليهما يعني عليا و الزبير فأتياني بهما فانطلقا فدخل عمر و وقف خالد على الباب من خارج فقال عمر للزبير ما هذا السيف قال أعددته لأبايع عليا قال و كان في البيت ناس كثير منهم المقداد بن الأسود و جمهور الهاشميين فاخترط عمر السيف فضرب به صخرة في البيت

فكسره ثم أخذ بيد الزبير فأقامه ثم دفعه فأخرجه و قال يا خالد دونك هذا فأمسكه خالد و كان خارج البيت مع خالد جمع كثير من الناس أرسلهم أبو بكر رداء لهما ثم دخل عمر فقال لعلي قم فبايع فتلكأ و احتبس فأخذ بيده و قال قم فأبى أن يقوم فحمله و دفعه كما دفع الزبير ثم أمسكهما خالد و ساقهما عمر و من معه سوقا عنيفا و اجتمع الناس ينظرون و امتلأت شوارع المدينة بالرجال

و رأت فاطمة ما صنع عمر فصرخت و ولولت و اجتمع معها نساء كثير من الهاشميات و غيرهن فخرجت إلى باب حجرتها و نادت يا أبا بكر ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله و الله لا أكلم عمر حتى ألقى الله. قال فلما بايع علي و الزبير و هدأت تلك الفورة مشى إليها أبو بكر بعد ذلك فشفع لعمر و طلب إليها فرضيت عنه. قال أبو بكر و حدثني المؤمل بن جعفر قال حدثني محمد بن ميمون قال حدثني داود بن المبارك قال أتينا عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ع و نحن راجعون من الحج في جماعة فسألناه عن مسائل و كنت أحد من سألته فسألته عن أبي بكر و عمر فقال أجيبك بما أجاب به جدي عبد الله بن الحسن فإنه سئل عنهما فقال كانت أمنا صديقة ابنة نبي مرسل و ماتت و هي غضبي على قوم فنحن غضاب لغضبها. قلت قد أخذ هذا المعنى بعض شعراء الطالبين من أهل الحجاز أنشدنيہ النقيب جلال الدين عبد الحميد بن محمد بن عبد الحميد العلوي قال أنشدني هذا الشاعر لنفسه و ذهب عني اسمه قال

يا أبا حفص الهويني و ما كنت مليا بذاك لو لا الحمام

أتموت البتول غضبي و نرضى ما كذا يصنع البنون الكرام
يخاطب عمر و يقول له مهلا و رويدا يا عمر أي ارفق و اتد و لا تعنف بنا و ما كنت مليا
أي و ما كنت أهلا لأن تخاطب بهذا و تستعطف و لا كنت قادرا على ولوج دار فاطمة على
ذلك الوجه الذي ولجتها عليه لو لا أن أباه الذي كان بيتها يحترم و يسان لأجله مات فطمع
فيها من لم يكن يطمع ثم قال أتموت أمنا و هي غضبي و نرضى نحن إذا لسنا بكرام فإن الولد
الكرام يرضى لرضا أبيه و أمه و يغضب لغضبهما. و الصحيح عندي أنها ماتت و هي واجدة
على أبي بكر و عمر و أنها أوصت ألا يصليا عليها و ذلك عند أصحابنا من الأمور المغفورة لهما
و كان الأولى بهما إكرامهما و احترام منزلها لكنهما خافا الفرقة و أشفقا من الفتنة ففعلا ما هو
الأصلح بحسب ظنهما و كانا من الدين و قوة اليقين بمكان مكين لا شك في ذلك و الأمور
الماضية يتعذر الوقوف على عللها و أسبابها و لا يعلم حقائقها إلا من قد شاهدها و لابسها بل
لعل الحاضرين المشاهدين لها يعلمون باطن الأمر فلا يجوز العدول عن حسن الاعتقاد فيهما بما
جرى و الله ولي المغفرة و العفو فإن هذا لو ثبت أنه خطأ لم يكن كبيرة بل كان من باب الصغائر
التي لا تقتضي التبرؤ و لا توجب زوال التولي. قال أبو بكر و أخبرنا أبو زيد عمر بن شبة قال
حدثنا محمد بن حاتم عن رجاله عن ابن عباس قال مر عمر بعلي و أنا معه بفناء داره فسلم عليه
فقال له علي أين تريد قال البقيع قال أ فلا تصل صاحبك و يقوم معك قال بلى فقال لي علي
قم معه فقممت فمشيت إلى جانبه فشبك أصابعه في أصابعي و مشينا قليلا حتى إذا خلفنا البقيع
قال لي يا ابن عباس أما و الله إن صاحبك هذا لأولى الناس بالأمر بعد رسول الله ص إلا أنا
خفناه على اثنين قال ابن عباس فجاء بكلام لم أجد بدا من

مسألته عنه فقلت ما هما يا أمير المؤمنين قال خفناه على حداثة سنه و حبه بني عبد المطلب. قال أبو بكر و حدثني أبو زيد قال حدثني مُجَدِّد بن عباد قال حدثني أخي سعيد بن عباد عن الليث بن سعد عن رجاله عن أبي بكر الصديق أنه قال ليتني لم أكشف بيت فاطمة و لو أعلن علي الحرب.

قال أبو بكر و حدثنا الحسن بن الربيع عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن علي بن عبد الله بن العباس عن أبيه قال لما حضرت رسول الله ص الوفاة و في البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال رسول الله ص ائتوني بدواة و صحيفة أكتب لكم كتابا لا تضلون بعدي فقال عمر كلمة معناها أن الوجد قد غلب على رسول الله ص ثم قال عندنا القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف من في البيت و اختصموا فمن قائل يقول القول ما قال رسول الله ص و من قائل يقول القول ما قال عمر فلما أكثروا اللغو و اللغو و الاختلاف غضب رسول الله

فقال قوموا إنه لا ينبغي لني أن يختلف عنده هكذا فقاموا فمات رسول الله ص في ذلك اليوم فكان ابن عباس يقول إن الرزية كل الرزية ما حال بيننا و بين كتاب رسول الله ص يعني الاختلاف و اللغو. قلت هذا الحديث قد خرجه الشيخان مُجَدِّد بن إسماعيل البخاري و مسلم بن الحجاج القشيري في صحيحيهما و اتفق المحدثون كافة على روايته.

قال أبو بكر و حدثنا أبو زيد عن رجاله عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله

ص إن تولوها أبا بكر تجدوه ضعيفا في بدنه قويا في أمر الله و إن تولوها عمر تجدوه قويا في بدنه قويا في أمر الله و إن تولوها عليا و ما أراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يحملكم على المحجة البيضاء و الصراط المستقيم

قال أبو بكر و حدثنا أحمد بن إسحاق بن صالح عن أحمد بن سيار عن سعيد بن كثير الأنصاري عن رجاله عن عبد الله بن عبد الرحمن أن رسول الله ص في مرض موته أمر أسامة بن زيد بن حارثة على جيش فيه جلة المهاجرين و الأنصار منهم أبو بكر و عمر و أبو عبيدة بن الجراح و عبد الرحمن بن عوف و طلحة و الزبير و أمره أن يغير على مؤتة حيث قتل أبوه زيد و أن يغزو وادي فلسطين فتناقل أسامة و تناقل الجيش بثناقله و جعل رسول الله ص في مرضه يتقل و يخف و يؤكد القول في تنفيذ ذلك البعث حتى قال له أسامة بأبي أنت و أمي أ تأذن لي أن أ أمكت أياما حتى يشفيك الله تعالى فقال اخرج و سر على بركة الله فقال يا رسول الله إن أنا خرجت و أنت على هذه الحال خرجت و في قلبي قرحة منك فقال سر على النصر و العافية فقال يا رسول الله إني أكره أن أسأل عنك الركبان فقال انفذ لما أمرتك به ثم أغمي على رسول الله ص و قام أسامة فتجهز للخروج فلما أفاق رسول الله ص سأل عن أسامة و البعث فأخبر أنهم يتجهزون فجعل يقول انفذوا بعث أسامة لعن الله من تخلف عنه و كرر ذلك فخرج أسامة و اللواء على رأسه و الصحابة بين يديه حتى إذا كان بالجرف نزل و معه أبو بكر و عمر و أكثر المهاجرين و من الأنصار أسيد بن حضير و بشير بن سعد و غيرهم من الوجوه فجاءه رسول أم أيمن يقول له ادخل فإن رسول الله يموت فقام من فوره فدخل المدينة و اللواء معه فجاء به حتى ركزه بباب رسول الله و رسول الله قد مات في تلك الساعة. قال فما كان أبو بكر و عمر يخاطبان أسامة إلى أن ماتا إلا بالأمير

٦٧ و من كلام له ع لما قلد مُجَّد بن أبي بكر مصر فملكه عليه و قتل
وَ قَدْ أَرَدْتُ تَوَلِيَّةَ مِصْرَ هَاشِمَ بْنَ عُثْبَةَ وَ لَوْ وَلَّيْتُهَ إِيَّاهَا لَمَّا خَلَّى لَهُمُ الْعَرْصَةَ وَ لَا أَنْهَرَهُمُ
الْفُرْصَةَ بِلَا ذِمٍّ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فَلَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيبًا وَ كَانَ لِي رَبِيبًا
ذكر مُجَّد بن أبي بكر و ذكر ولده

أم مُجَّد بن أبي بكر أسماء بنت عميس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة بن خثعم
كانت تحت جعفر بن أبي طالب و هاجرت معه إلى الحبشة فولدت له هناك عبد الله بن جعفر
الجواد ثم قتل عنها يوم مؤتة فخلف عليها أبو بكر الصديق فأولدها مُجَّدًا ثم مات عنها فخلف
عليها علي بن أبي طالب و كان مُجَّد ربيبه و خريجه و جاريًا عنده مجرى أولاده رضع الولاء و
التشيع منذ زمن الصبا فنشأ عليه فلم يكن يعرف له أبا غير علي و لا يعتقد لأحد فضيلة غيره
حتى

قال علي ع مُجَّد ابني من صلب أبي بكر و كان يكنى أبا القاسم في قول ابن قتيبة و قال غيره
بل كان يكنى أبا عبد الرحمن.

وكان مُحَمَّد من نساك قريش و كان ممن أعان على عثمان في يوم الدار و اختلف هل باشر
قتل عثمان أم لا و من ولد مُحَمَّد القاسم بن مُحَمَّد بن أبي بكر فقيه الحجاز و فاضلها و من ولد
القاسم عبد الرحمن بن القاسم بن مُحَمَّد كان من فضلاء قريش و يكنى أبا مُحَمَّد و من ولد القاسم
أيضا أم فروة تزوجها الباقر أبو جعفر مُحَمَّد بن علي فأولدها الصادق أبا عبد الله جعفر بن مُحَمَّد ع و
إلى أم فروة أشار الرضي أبو الحسن بقوله

يفأخرنا قوم بمن لم نلدهم	بتيم إذا عد السوابق أو عدي
و ينسون من لو قدموه لقدموا	عذار جواد في الجياد مقلد
فتى هاشم بعد النبي و باعها	لمرمي علا أو نيل مجد و سؤدد
و لو لا علي ما علوا سرواتها	و لا جعجعوا فيها بمرعى و مورد
أخذنا عليكم بالنبي و فاطم	طلاع المساعي من مقام و مقعد
و طلنا بسبطي أحمد و وصيه	رقاب الورى من متهمين و منجد
و حزنا عتيقا و هو غاية فخركم	بمولد بنت القاسم بن مُحَمَّد
فجد نبي ثم جد خليفة	فأكرم بجدينا عتيق و أحمد
و ما افتخرت بعد النبي بغيره	يد صفقت يوم البياع على يد

قوله

و لو لا علي ما علوا سرواتها
البيت ينظر فيه إلى قول المأمون في أبيات يمدح فيها عليا أولها
الأم على حي الوصي أبا الحسن و ذلك عندي من أعاجيب ذا الزمن
و البيت المنظور إليه منها قوله

و لولاه ما عدت لهاشم إمرة و كان مدى الأيام يعصى و يمتنهن

هاشم بن عتبة بن أبي وقاص و نسبه

و أما هاشم بن عتبة بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب فعمه سعد بن أبي وقاص أحد العشرة و أبوه عتبة بن أبي وقاص الذي كسر رباعية رسول الله ص يوم أحد و كلم شفثيه و شج وجهه فجعل يمسح الدم عن وجهه و يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم و هو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله عز و جل (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ). و قال حسان بن ثابت في ذلك اليوم

إذا الله حيا معشرا بفعالهم	و نصرهم الرحمن رب المشارق
فهدك ربي يا عتيب بن مالك	و لقاءك قبل الموت إحدى الصواعق
بسطت يميننا للنبي محمد	فدميت فاه قطعت بالبوراق
فهلا ذكرت الله و المنزل الذي	تصير إليه عند إحدى الصعائق
فمن عاذري من عبد عذرة بعد ما	هوى في دجوجي شديد المضايق

و أوث عارا في الحياة لأهله و في النار يوم البعث أم البوائق
و إنما قال عبد عذرة لأن عتبة بن أبي وقاص و إخوته و أقاربه في نسبهم كلام ذكر قوم من
أهل النسب أنهم من عذرة و أنهم أدياء في قريش و لهم خبر معروف و قصة مذكورة في كتب
النسب. و تنازع عبد الله بن مسعود و سعد بن أبي وقاص في أيام عثمان في أمر فاختصما فقال
سعد لعبد الله اسكت يا عبد هذيل فقال له عبد الله اسكت يا عبد عذرة. و هاشم بن عتبة هو
المرقال سمي المرقال لأنه كان يرقل في الحرب إرقالا و هو من شيعه علي و سنفصل مقتله إذا انتهينا
إلى فصل من كلامه يتضمن ذكر صفين. فأما قوله لما خلى لهم العرصة فيعني عرصة مصر و قد
كان محمد ﷺ تعالى لما ضاق عليه الأمر ترك لهم مصر و ظن أنه بالفرار ينجو بنفسه فلم ينج و
أخذ و قتل. و قوله و لا أهنهم الفرصة أي و لا جعلهم للفرصة منتهزين و الهمة للتعدية يقال
أهنرت الفرصة إذا أهنزتها غيري. و نحن نذكر في هذا الموضع ابتداء أمر الذين ولاهم علي ع مصر
إلى أن تنتهي إلى كيفية ملك معاوية لها و قتل محمد بن أبي بكر و نقل ذلك من كتاب إبراهيم بن
سعد بن هلال الثقفي و هو كتاب الغارات

ولاية قيس بن سعد على مصر ثم عزله

قال إبراهيم حدثنا محمد بن عبد الله بن عثمان الثقفي قال حدثني علي بن محمد بن أبي سيف عن الكلبي أن محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس هو الذي حرض المصريين على قتل عثمان و ندهم إليه و كان حينئذ بمصر فلما ساروا إلى عثمان و حصروه و ثب هو بمصر على عامل عثمان عليها و هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح أحد بني عامر بن لؤي فطرده عنها و صلى بالناس فخرج ابن أبي سرح من مصر و نزل على تخوم أرضها مما يلي فلسطين و انتظر ما يكون من أمر عثمان فطلع عليه راكب فقال له يا عبد الله ما وراءك ما خبر الناس بالمدينة قال قتل المسلمون عثمان فقال ابن أبي سرح إنا لله و إنا إليه راجعون ثم صنعوا ما ذا يا عبد الله قال بايعوا ابن عم رسول الله علي بن أبي طالب فقال ثانية إنا لله و إنا إليه راجعون فقال الرجل أرى أن ولاية علي عدلت عندك قتل عثمان قال أجل فنظر إليه متأملا له فعرفه فقال أظنك عبد الله بن سعد بن أبي سرح أمير مصر قال أجل قال إن كانت لك في الحياة حاجة فالنجاء النجاء فإن رأي علي فيك و في أصحابك إن ظفر بكم قتلكم أو نفاكم عن بلاد المسلمين و هذا أمير تقدم بعدي عليكم قال و من الأمير قال قيس بن سعد بن عبادة فقال ابن أبي سرح أبعد الله ابن أبي حذيفة فإنه بغى على ابن عمه و سعى عليه و قد كان كفله و رباه و أحسن إليه و أمن جواره فجهز الرجال إليه حتى قتل و وثب على عامله. و خرج ابن أبي سرح حتى قدم على معاوية بدمشق.

قال إبراهيم و كان قيس بن سعد بن عبادة من شيعة علي و مناصحيه فلما ولى الخلافة قال له سر إلى مصر فقد وليتها و اخرج إلى ظاهر المدينة و اجمع ثقاتك و من

أحببت أن يصحبك حتى تأتي مصر و معك جند فإن ذلك أرعب لعدوك و أعز لوليك فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن و اشتد على المريب و ارفق بالعامه و الخاصة فالرفق بمن. فقال قيس رحمك الله يا أمير المؤمنين قد فهمت ما ذكرت فأما الجند فإني أدعه لك فإذا احتجت إليهم كانوا قريباً منك و إن أردت بعثهم إلى وجه من وجوهك كان لك عدة و لكني أسير إلى مصر بنفسي و أهل بيتي و أما ما أوصيتني به من الرفق و الإحسان فالله تعالى هو المستعان على ذلك قال فخرج قيس في سبعة نفر من أهله حتى دخل مصر فصعد المنبر و أمر بكتاب معه يقرأ على الناس فيه من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي هذا من المسلمين سلام عليكم فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو أما بعد فإن الله بحسن صنعه و قدره و تديره اختار الإسلام ديناً لنفسه و ملائكته و رسله و بعث به أنبياءه إلى عباده فكان مما أكرم الله عز و جل به هذه الأمة و خصهم به من الفضل أن بعث مُجَدِّدَ ص إِلَيْهِمْ فَعَلِمَهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ السُّنَّةَ وَ الْفَرَائِضَ وَ أَدْبَهُمْ لَكَيْمًا يَهْتَدُوا وَ جَمَعَهُمْ لَكَيْلًا يَتَفَرَّقُوا وَ زَكَاهُمْ لَكَيْمًا يَتَطَهَّرُوا فَلَمَّا قَضَى مِنْ ذَلِكَ مَا عَلَيْهِ قَبْضُهُ اللَّهُ إِلَيْهِ فَعَلِيهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَ سَلَامُهُ وَ رَحْمَتُهُ وَ رِضْوَانُهُ ثُمَّ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ اسْتَخْلَفُوا أَمِيرِينَ مِنْهُمْ صَالِحِينَ فَعَمِلُوا بِالْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ وَ أَحْيَا السِّيْرَةَ وَ لَمْ يَعْدُوا السُّنَّةَ ثُمَّ تَوَفَّيَا رَحِمَهُمَا اللَّهُ فَوَلَّيَ بَعْدَهُمَا وَالَ أَحَدُثَ أَحْدَاثًا فَوَجَدَتِ الْأُمَّةُ عَلَيْهِ مَقَالًا فَقَالُوا ثُمَّ نَقَمُوا فغَيَّرُوا ثُمَّ جَاءُونِي فَبَايَعُونِي وَ أَنَا أَسْتَهْدِي اللَّهَ الْهَدَى وَ أَسْتَعِينُهُ عَلَى التَّقْوَى أَلَا وَ إِنَّ لَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَ سُنَّةِ رَسُولِهِ وَ الْقِيَامَ بِحَقِّهِ وَ النَّصْحَ لَكُمْ بِالْغَيْبِ وَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ وَ حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نَعْمَ الْوَكِيلُ

و قد بعثت لكم قيس بن سعد الأنصاري أميرا فوازيه و أعينوه على الحق و قد أمرته بالإحسان إلى محسنكم و الشدة على مريبكم و الرفق بعوامكم و خواصكم و هو ممن أرضى هديه و أرجو صلاحه و نصحه نسأل الله لنا و لكم عملا زاكيا و ثوابا جزيلا و رحمة واسعة و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته. و كتبه عبد الله بن أبي رافع في صفر سنة ست و ثلاثين. قال إبراهيم فلما فرغ من قراءة الكتاب قام قيس خطيبا فحمد الله و أثنى عليه و قال الحمد لله الذي جاء بالحق و أمات الباطل و كبث الظالمين أيها الناس إنا بايعنا خير من نعلم من بعد نبينا محمد ص فقوموا فبايعوا على كتاب الله و سنة رسوله فإن نحن لم نعمل بكتاب الله و سنة رسوله فلا بيعة لنا عليكم. فقام الناس فبايعوا و استقامت مصر و أعمالها لقيس و بعث عليها عماله إلا أن قرية منها قد أعظم أهلها قتل عثمان و بها رجل من بني كنانة يقال له يزيد بن الحارث فبعث إلى قيس إنا لا نأتيك فابعث عمالك فالأرض أرضك و لكن أقرنا على حالنا حتى ننظر إلى ما يصير أمر الناس. و وثب محمد بن مسلمة بن مخلد بن صامت الأنصاري فنعى عثمان و دعا إلى الطلب بدمه فأرسل إليه قيس ويحك أ علي تثب و الله ما أحب أن لي ملك الشام و مصر و أتي قتلتك فاحقن دمك فأرسل إليه مسلمة إني كاف عنك ما دمت أنت والي مصر. و كان قيس بن سعد ذا رأي و حزم فبعث إلى الذين اعتزلوا أني لا أكرهكم على البيعة و لكني أدعكم و أكف عنكم فهادتهم و هادن مسلمة بن مخلد و جى الخراج و ليس أحد ينازعه.

قال إبراهيم و خرج علي ع إلى الجمل و قيس على مصر و رجع من البصرة إلى الكوفة و هو
بمكانه فكان أثقل خلق الله على معاوية لقرب مصر و أعمالها من الشام و مخافة أن يقبل علي
بأهل العراق و يقبل إليه قيس بأهل مصر فيقع بينهما. فكتب معاوية إلى قيس و علي يومئذ
بالكوفة قبل أن يسير إلى صفين من معاوية بن أبي سفيان إلى قيس بن سعد سلام عليك فإني
أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد فإنكم إن كنتم نقمتم على عثمان في أثرة رأيتموها أو
ضربة سوط ضربها أو في شتمه رجلاً أو تعيينه واحداً أو في استعماله الفتيان من أهله فإنكم قد
علمتم إن كنتم تعلمون أن دمه لم يحل لكم بذلك فقد ركبتم عظيماً من الأمر و جئتم شيئاً إذا
فتب يا قيس إلى ربك إن كنت من المجلبين على عثمان إن كانت التوبة قبل الموت تغني شيئاً و
أما صاحبك فقد استيقنا أنه أغرى الناس بقتله و حملهم على قتله حتى قتلوه و أنه لم يسلم من
دمه عظم قومك فإن استطعت يا قيس أن تكون ممن يطلب بدم عثمان فافعل و تابعنا على علي
في أمرنا هذا و لك سلطان العراقيين إن أنا ظفرت ما بقيت و لمن أحببت من أهل بيتك سلطان
الحجاز ما دام لي سلطان و سلمي عن غير هذا مما تحب فإنك لا تسألني شيئاً إلا أنيته و اكتب
إلى رأيك فيما كتبت إليك. فلما جاء إليه كتاب معاوية أحب أن يدافعه و لا يبيدي له أمره و لا
يعجل له حربه فكتب إليه أما بعد فقد وصل إلي كتابك و فهمت الذي ذكرت من أمر عثمان و
ذلك أمر لم أقاربه و ذكرت أن صاحبي هو الذي أغرى الناس بعثمان و دسهم إليه حتى قتلوه و
هذا أمر لم أطلع عليه و ذكرت لي أن عظم عشيرتي لم تسلم من دم عثمان فلعمري إن أولى

الناس كان في أمره عشيرتي و أما ما سألتني من مبايعتك على الطلب بدمه و ما عرضته علي فقد فهمته و هذا أمر لي نظر فيه و فكر و ليس هذا مما يعجل إلى مثله و أنا كاف عنك و ليس يأتيك من قبلي شيء تكرهه حتى ترى و نرى إن شاء الله تعالى و السلام عليك و رحمة الله و بركاته. قال إبراهيم فلما قرأ معاوية كتابه لم يره إلا مقاربا مباعدا و لم يأمن أن يكون له في ذلك مخادعا مكايذا فكتب إليه أما بعد فقد قرأت كتابك فلم أرك تدنو فأعدك سلما و لم أرك تتباعد فأعدك حربا أراك كجبل الجرور و ليس مثلي يصانع بالخداع و لا يخدع بالمكاييد و معه عدد الرجال و أنة الخيل فإن قبلت الذي عرضت عليك فلك ما أعطيتك و إن أنت لم تفعل ملأت مصر عليك خيلا و رجلا و السلام. فلما قرأ قيس كتابه و علم أنه لا يقبل منه المدافعة و المطاولة أظهر له ما في نفسه فكتب إليه من قيس بن سعد إلى معاوية بن أبي سفيان أما بعد فالعجب من استسقاطك رأيي و الطمع في أن تسومني لا أبا لغيرك الخروج من طاعة أولى الناس بالأمر و أقولهم بالحق و أهداهم سبيلا و أقربهم من رسول الله وسيلة و تأمرني بالدخول في طاعتك و طاعة أبعد الناس من هذا الأمر و أقولهم بالزور و أضلهم سبيلا و أدناهم من رسول الله وسيلة و لديك قوم ضالون مضلون طواغيت من طواغيت إبليس و أما قولك إنك تملأ علي مصر خيلا و رجلا فلئن لم أشغلك عن ذلك حتى يكون منك إنك لذو جد و السلام. فلما أتى معاوية كتاب قيس أيس و ثقل مكانه عليه و كان أن يكون مكانه غيره أحب إليه لما يعلم من قوته و تأييه و نجده و اشتداد أمره على معاوية فأظهر للناس أن

قيسا قد بايعكم فادعوا الله له و قرأ عليهم كتابه الذي لان فيه و قاربه و اختلق كتابا نسيه إلى قيس فقرأه على أهل الشام. للأمير معاوية بن أبي سفيان من قيس بن سعد. أما بعد إن قتل عثمان كان حدثا في الإسلام عظيما و قد نظرت لنفسي و ديني فلم أر يسعني مظاهرة قوم قتلوا إمامهم مسلما محرما برا تقيا فنستغفر الله سبحانه لذنوبنا و نسأله العصمة لديننا ألا و إني قد ألقيت إليكم بالسلام و أجبتك إلى قتال قتلة إمام الهدى المظلوم فاطلب مني ما أحببت من الأموال و الرجال أعجله إليك إن شاء الله و السلام على الأمير و رحمة الله و بركاته. قال فشاع في الشام كلها أن قيسا صالح معاوية و أتت عيون علي بن أبي طالب إليه بذلك فأعظمه و أكبره و تعجب له و دعا ابنه حسنا و حسيننا و ابنه محمدنا و عبد الله بن جعفر فأعلمهم بذلك و قال ما رأيكم فقال عبد الله بن جعفر يا أمير المؤمنين دع ما يريبك إلى ما لا يريبك اعزل قيسا عن مصر قال علي و الله إني غير مصدق بهذا على قيس فقال عبد الله اعزله يا أمير المؤمنين فإن كان ما قد قيل حقا فلا يعتزل لك أن عزلته قال و إنهم لكذلك إذ جاءهم كتاب من قيس بن سعد فيه أما بعد فإني أخبر يا أمير المؤمنين أكرمك الله و أعزك إن قبلي رجلا معتزلين سألوني أن أكف عنهم و أدعهم على حالهم حتى يستقيم أمر الناس فنرى و يرون و قد رأيت أن أكف عنهم و لا أعجل بجرهم و أن أتألفهم فيما بين ذلك لعل الله أن يقبل بقلوبهم و يفرقهم عن ضاللتهم إن شاء الله و السلام. فقال عبد الله بن جعفر يا أمير المؤمنين إنك إن أطعته في تركهم و اعتزلهم استشرى الأمر و تفاقمت الفتنة و قعد عن بيعتك كثير ممن تريده على الدخول فيها و لكن مره بقتالهم فكتب إليه

أما بعد فسر إلى القوم الذين ذكرت فإن دخلوا فيما دخل فيه المسلمون و إلا فناجزهم و السلام قال فلما أتى هذا الكتاب قيسا فقرأه لم يتمالك أن كتب إلى علي أما بعد يا أمير المؤمنين تأمرني بقتال قوم كافين عنك و لم يمدوا يدا للفتنة و لا أرسدوا لها فأطعني يا أمير المؤمنين و كف عنهم فإن الرأي تركهم و السلام. فلما أتاه هذا الكتاب قال عبد الله بن جعفر يا أمير المؤمنين ابعث محمد بن أبي بكر إلى مصر يكفك أمرها و اعزل قيسا فو الله لبلغني أن قيسا يقول إن سلطانا لا يتم إلا بقتل مسلمة بن مخلد لسلطان سوء و الله ما أحب أن لي سلطان الشام مع سلطان مصر و أني قتلت ابن مخلد و كان عبد الله بن جعفر أخا محمد بن أبي بكر لأمه و كان يحب أن يكون له إمرة و سلطان فاستعمل علي ع محمد بن أبي بكر على مصر لمحبة له و لهوى عبد الله بن جعفر أخيه فيه و كتب معه كتابا إلى أهل مصر فسار حتى قدمها فقال له قيس ما بال أمير المؤمنين ما غيره أ دخل أحد بيبي و بينه قال لا و هذا السلطان سلطانك و كان بينهما نسب كان تحت قيس قريبة بنت أبي قحافة أخت أبي بكر الصديق فكان قيس زوج عمته فقال قيس لا و الله لا أقيم معك ساعة واحدة و غضب حين عزله علي عنها و خرج منها مقبلا إلى المدينة و لم يمض إلى علي بالكوفة. قال إبراهيم و كان قيس مع شجاعته و نجذته جوادا مفضالا فحدثني علي بن محمد بن أبي سيف عن هاشم عن عروة عن أبيه قال لما خرج قيس بن سعد من مصر فمر بأهل بيت من بلقين فنزل بمائهم فنحر له صاحب المنزل جزورا و أتاه بها فلما كان الغد نحر له أخرى ثم حبستهم السماء اليوم الثالث فنحر لهم ثالثة ثم إن السماء أفلعت

فلما أراد قيس أن يرتحل وضع عشرين ثوبا من ثياب مصر و أربعة آلاف درهم عند امرأة الرجل و قال لها إذا جاء صاحبك فادفعي هذه إليه ثم رحل فما أتت عليه إلا ساعة حتى لحقه الرجل صاحب المنزل على فرس و معه رمح و الثياب و الدراهم بين يديه فقال يا هؤلاء خذوا ثيابكم و دراهمكم فقال قيس انصرف أيها الرجل فإننا لم نكن لنأخذها قال و الله لتأخذنها فقال قيس لله أبوك أ لم تكرمنا و تحسن ضيافتنا فكافأناك فليس بهذا بأس فقال الرجل إنا لا نأخذ لقري الأضياف ثمننا و الله لا آخذها أبدا فقال قيس أما إذ أبي ألا يأخذها فخذوها فو الله ما فضلي رجل من العرب غيره. قال إبراهيم و قال أبو المنذر مر قيس في طريقه برجل من بلي يقال له الأسود بن فلان فأكرمه فلما أراد قيس أن يرتحل وضع عند امرأته ثيابا و دراهم فلما جاء الرجل دفعته إليه فلحقه فقال ما أنا بائع ضيافتي و الله لتأخذن هذا أو لأنفذن الرمح بين جنبيك فقال قيس ويحكم خذوه. قال إبراهيم ثم أقبل قيس حتى قدم المدينة فجاءه حسان بن ثابت شامتا به و كان عثمانيا فقال له نزعك علي بن أبي طالب و قد قتلت عثمان فبقي عليك الإثم و لم يحسن لك الشكر فزجره قيس و قال يا أعمى القلب يا أعمى البصر و الله لو لا ألقى بين رهطي و رهطك حربا لضربت عنقك ثم أخرجه من عنده. قال إبراهيم ثم إن قيسا و سهل بن حنيف خرجا حتى قدما على علي الكوفة فخبره قيس الخبر و ما كان بمصر فصدقه و شهد مع علي صفين هو و سهل بن حنيف قال إبراهيم و كان قيس طوالا أطول الناس و أمدهم قامة و كان سناطا أصلع شيخا شجاعا مجربا مناصحا لعلي و لولده و لم يزل على ذلك إلى أن مات.

قال إبراهيم حدثني أبو غسان قال أخبرني علي بن أبي سيف قال كان قيس بن سعد مع أبي بكر و عمر في سفر في حياة رسول الله ص فكان ينفق عليهما و على غيرهما و يفضل فقال له أبو بكر إن هذا لا يقوم به مال أهلك فأمسك يدك فلما قدموا من سفرهم قال سعد بن عبادة لأبي بكر أردت أن تبخل ابني إنا لقوم لا نستطيع البخل. قال و كان قيس بن سعد يقول في دعائه اللهم ارزقني حمدا و مجدا و شكرا فإنه لا حمد إلا بفعال و لا مجد إلا بمال اللهم وسع علي فإن القليل لا يسعني و لا أسعه

ولاية مُحَمَّد بن أبي بكر على مصر و أخبار مقتله

قال إبراهيم و كان عهد علي إلى مُحَمَّد بن أبي بكر الذي قرئ بمصر هذا ما عهد عبد الله علي أمير المؤمنين إلى مُحَمَّد بن أبي بكر حين ولاه مصر أمره بتقوى الله في السر و العلانية و خوف الله تعالى في المغيب و المشهد و أمره باللين على المسلم و الغلظ على الفاجر و بالعدل على أهل الذمة و بالإنصاف للمظلوم و بالشدة على الظالم و بالعفو عن الناس و بالإحسان ما استطاع و الله يجزي المحسنين و أمره أن يدعو من قبله إلى الطاعة و الجماعة فإن لهم في ذلك من العاقبة و عظم المثوبة ما لا يقدر قدره و لا يعرف كنهه و أمره أن يجبي خراج الأرض على ما كانت تجبي عليه من قبل و لا ينتقص و لا يبتدع ثم يقسمه بين أهله كما كانوا يقسمونه عليه من قبل و إن تكن لهم حاجة يواس بينهم في مجلسه و وجهه ليكون القريب و البعيد عنده على سواء و أمره أن يحكم بين الناس بالحق و أن يقوم بالقسط و لا يتبع الهوى و لا يخاف في الله لومة لائم فإن الله مع من اتقاها و آثر طاعته على من سواه

وكتبه عبد الله بن أبي رافع مولى رسول الله لغرة شهر رمضان سنة ست و ثلاثين. قال إبراهيم
ثم قام مُجَّد بن أبي بكر خطيبا فحمد الله و أثنى عليه و قال أما بعد فالحمد لله الذي هدانا و
إياكم لما اختلف فيه من الحق و بصرنا و إياكم كثيرا مما عمي عند الجاهلون ألا و إن أمير المؤمنين
ولاني أموركم و عهد إلي بما سمعتم و أوصاني بكثير منه مشافهة و لن آلوكم خيرا ما استطعت و ما
توفيقى إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب فإن يكن ما ترون آثاري و أعمالي طاعة لله و تقوى
فاحمدوا الله على ما كان من ذلك فإنه هو الهادي إليه فإن رأيتم من ذلك عملا بغير الحق فارفعوه
إلي و عاتبوني عليه فإنني بذلك أسعد و أنتم بذلك جديرون وفقنا الله و إياكم لصالح العمل.

قال إبراهيم و حدثني يحيى بن صالح عن مالك بن خالد الأسدي عن الحسن بن إبراهيم عن
عبد الله بن الحسن بن الحسن قال كتب علي ع إلى أهل مصر لما بعث مُجَّد بن أبي بكر إليهم
كتابا يخاطبهم به و يخاطب مُجَّد أيضا فيه أما بعد فإنني أوصيكم بتقوى الله في سر أمركم و
علانيته و على أي حال كنتم عليها و ليعلم المرء منكم أن الدنيا دار بلاء و فناء و الآخرة دار
جزاء و بقاء فمن استطاع أن يؤثر ما يبقى على ما يفنى فليفعل فإن الآخرة تبقى و الدنيا تفنى
رزقنا الله و إياكم بصرا لما بصرنا و فهما لما فهمنا حتى لا نقصر عما أمرنا و لا نتعدى إلى ما نهانا
و اعلم يا مُجَّد إنك و إن كنت محتاجا إلى نصيبك من الدنيا إلا أنك إلى نصيبك من الآخرة
أحوج فإن عرض لك أمران أحدهما للآخرة و الآخر للدنيا فابدأ بأمر الآخرة و لتعظم رغبتك في
الخير و لتحسن فيه نيتك فإن الله عز و جل يعطي العبد على قدر نيته و إذا أحب الخير و أهله
و لم يعمله كان إن شاء الله كمن عمله فإن رسول الله ص قال حين رجع من تبوك إن بالمدينة
لأقواما ما سرتهم من مسير و لا هبطتهم من واد إلا

كانوا معكم ما حبسهم إلا المرض يقول كانت لهم نية ثم اعلم يا مُجَدِّدُ إني قد وليتك أعظم أجنادي أهل مصر و وليتك ما وليتك من أمر الناس فأنت محقوق أن تخاف فيه على نفسك و تحذر فيه على دينك و لو كان ساعة من نهار فإن استطعت ألا تسخط ربك لرضا أحد من خلقه فافعل فإن في الله خلفا من غيره و ليس في شيء خلف منه فاشتد على الظالم و لن لأهل الخير و قربهم إليك و اجعلهم بطانتك و إخوانك و السلام

قال إبراهيم حدثني يحيى بن صالح عن مالك بن خالد عن الحسن بن إبراهيم عن عبد الله بن الحسن بن الحسن قال كتب علي إلى مُجَدِّدِ بن أبي بكر و أهل مصر أما بعد فيإني أوصيكم بتقوى الله و العمل بما أنتم عنه مسئولون فأنتم به رهن و إليه صائرون فإن الله عز و جل يقول (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) و قال (وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) و قال (قَوِّ رَبَّكَ لَنَسْتَلْتَنَّهُمَّ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) فاعلموا عباد الله أن الله سائلكم عن الصغير من أعمالكم و الكبير فإن يعذب فنحن الظالمون و إن يغفر و يرحم فهو أرحم الراحمين و اعلموا أن أقرب ما يكون العبد إلى الرحمة و المغفرة حينما يعمل بطاعة الله و مناصحته في التوبة فعليكم بتقوى الله عز و جل فإنها تجمع من الخير ما لا يجمع غيرها و يدرك بها من الخير ما لا يدرك غيرها خير الدنيا و خير الآخرة يقول الله سبحانه (وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ) و اعلموا عباد الله أن المؤمنين المتقين قد ذهبوا بعاجل الخير و آجله شركوا أهل الدنيا في دنياهم

و لم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم يقول الله عز و جل (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت و أكلوها بأفضل ما أكلت شاركوا أهل الدنيا في دنياهم فأكلوا من أفضل ما يأكلون و شربوا من أفضل ما يشربون و يلبسون من أفضل ما يلبسون و يسكنون من أفضل ما يسكنون أصابوا لذة أهل الدنيا مع أهل الدنيا مع أنهم غدا من جيران الله عز و جل يتمنون عليه لا يرد لهم دعوة و لا ينقص لهم لذة أما في هذا ما يشتاق إليه من كان له عقل و اعلموا عباد الله أنكم إذا اتقيتم ربكم و حفظتم نبيكم في أهل بيته فقد عبدتموه بأفضل ما عبد و ذكروهم بأفضل ما ذكر و شكرتموه بأفضل ما شكر و أخذتم بأفضل الصبر و جاهدتم بأفضل الجهاد و إن كان غيركم أطول صلاة منكم و أكثر صياما إذا كنتم أتقى الله و أنصح لأولياء الله من آل محمد ص و أخشع و احذروا عباد الله الموت و نزوله و خذوله فإنه يدخل بأمر عظيم خير لا يكون معه شر أبدا أو شر لا يكون معه خير أبدا و ليس أحد من الناس يفارق روحه جسده حتى يعلم إلى أي المنزلتين يصير إلى الجنة أم إلى النار أ عدو هو الله أم ولي له فإن كان وليا فتحت له أبواب الجنة و شرع له طريقها و نظر إلى ما أعد الله عز و جل لأوليائه فيها فرغ من كل شغل و وضع عنه كل ثقل و إن كان عدوا فتحت له أبواب النار و سهل له طريقها و نظر إلى ما أعد الله فيها لأهلها و استقبل كل مكروه و فارق كل سرور قال الله تعالى (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فَاَدْخُلُوا أَبْوََابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئِنْ لَمْ تَنْتَهِوا لَتَكْفُرُنَّ) و اعلموا عباد الله أن الموت ليس منه فوت فاحذروه و أعدوا له عدته فإنكم

طرداء للموت إن قمتم أخذكم و إن هربتم أدرككم و هو ألزم لكم من ظلكم معقود بنواصيكم و الدنيا تطوى من خلفكم فأكثرُوا ذكر الموت عند ما تنازعكم إليه أنفسكم من الشهوات فإنه كفى بالموت واعظاً قال رسول الله ص أكثرُوا ذكر الموت فإنه هادم اللذات و اعلّمُوا عباد الله أن ما بعد الموت أشد من الموت لمن لم يغفر الله له و يرحمه و احذروا القبر و ضمته و ضيقه و ظلمته فإنه الذي يتكلم كل يوم أنا بيت التراب و أنا بيت الغربة و أنا بيت الدود و القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار إن المسلم إذا مات قالت له الأرض مرحباً و أهلاً قد كنت ممن أحب أن تمشي على ظهري فإذا وليتكَ فستعلم كيف صنعي بك فيتسع له مد بصره و إذا دفن الكافر قالت له الأرض لا مرحباً و لا أهلاً قد كنت ممن أبغض أن تمشي على ظهري فإذا وليتكَ فستعلم كيف صنعي بك فتتنضم عليه حتى تلتقي أضلاعه و اعلّمُوا أن المعيشة الضنك التي قال سبحانه (فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً) هي عذاب القبر فإنه يسلط على الكافر في قبره حيات عظام تنهش لحمه حتى يبعث لو أن تنينا منها نفخ الأرض ما أنبت الزرع أبداً اعلّمُوا عباد الله أن أنفسكم و أجسادكم الرقيقة الناعمة التي يكفيها اليسير من العقاب ضعيفة عن هذا فإن استطعتم أن ترحموا أنفسكم و أجسادكم مما لا طاقة لكم به و لا صبر لكم عليه فتعملوا بما أحب الله سبحانه و تركوا ما كره فافعلوا و لا حول و لا قوة إلا بالله و اعلّمُوا عباد الله أن ما بعد القبر أشد من القبر يوم يشيب فيه الصغير و يسكر فيه

الكبير و تذهل كل مرضعة عما أرضعت و احذروا يوما عبوسا قمطريرا كان شره مستطيرا أما إن شر ذلك اليوم و فزعه استطار حتى فزعت منه الملائكة الذين ليست لهم ذنوب و السبع الشداد و الجبال الأوتاد و الأرضون المهاد و انشقت السماء فهي يومئذ واهية و تغيرت فكانت وردة كالدهان و كانت الجبال سرابا بعد ما كانت صما صلابا يقول الله سبحانه (**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ**) فكيف بمن يعصيه بالسمع و البصر و اللسان و اليد و الفرج و البطن إن لم يغفر الله و يرحم و اعلموا عباد الله أن ما بعد ذلك اليوم أشد و أدهى نار قعرها بعيد و حرها شديد و عذابها جديد و مقامعها حديد و شراها صديد لا يفتّر عذابها و لا يموت ساكنها دار ليست لله سبحانه فيها رحمة و لا يسمع فيها دعوة و مع هذا رحمة الله التي وسعت كل شيء لا تعجز عن العباد و جنة عرضها كعرض السماء و الأرض خير لا يكون بعده شر أبدا و شهوة لا تنفد أبدا و لذة لا تفنى أبدا و مجمع لا يتفرق أبدا قوم قد جاؤوا الرحمن و قام بين أيديهم الغلمان بصحاف من ذهب فيها الفاكهة و الريحان و إن أهل الجنة يزورون الجبار سبحانه في كل جمعة فيكون أقربهم منه على منابر من نور و الذين يلونهم على منابر من ياقوت و الذين يلونهم على منابر من مسك فبينما هم كذلك ينظرون الله ﷻ و ينظر الله في وجوههم إذ أقبلت سحابة تغشاهم فتمطر عليهم من النعمة و اللذة و السرور و البهجة ما لا يعلمه إلا الله سبحانه و مع هذا ما هو أفضل منه رضوان الله الأكبر أما إنا لو لم نخوف إلا ببعض ما خوفنا به لكننا محقوقين أن يشتد خوفنا مما لا طاقة

لنا به و لا صبر لقوتنا عليه و أن يشتد شوقنا إلى ما لا غنى لنا عنه و لا بد لنا منه فإن استطعتم عباد الله أن يشتد خوفكم من ربكم فافعلوا فإن العبد إنما تكون طاعته على قدر خوفه و إن أحسن الناس لله طاعة أشدهم له خوفا و انظر يا مُجِدِّ صَلَاتِكَ كيف تصلّيها فإنما أنت إمام ينبغي لك أن تتمها و أن تخففها و أن تصلّيها لوقتها فإنه ليس من إمام يصلّي بقوم فيكون في صلاته و صلاتهم نقص إلا كان إثم ذلك عليه و لا ينقص من صلاتهم شيئا و اعلم أن كل شيء من عملك يتبع صلاتك فمن ضيع الصلاة فهو لغيرها أشد تضييعا و وضوءك من تمام الصلاة فأت به على وجهه فالوضوء نصف الإيمان أسأل الله الذي يرى و لا يرى و هو بالمنظر الأعلى أن يجعلنا و إياك من المتقين الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون فإن استطعتم يا أهل مصر أن تصدق أقوالكم أفعالكم و أن يتوافق سرهم و علانيتكم و لا تخالف ألسنتكم قلوبكم فافعلوا عصمنا الله و إياكم بالهدى و سلك بنا و بكم المحجة الوسطى و إياكم و دعوة الكذاب ابن هند و تأملوا و اعلموا أنه لا سوى إمام الهدى و إمام الردى و وصي النبي و عدو النبي جعلنا الله و إياكم ممن يحب و يرضى و لقد سمعت رسول الله ص يقول إني لا أخاف على أمّتي مؤمنا و لا مشركا أما المؤمن فيمنعه الله بإيمانه و أما المشرك فيخزيه الله بشركه و لكني أخاف عليهم كل منافق اللسان يقول ما تعرفون و يفعل ما تنكرون و اعلم يا مُجِدِّ أَنْ أَفْضَلَ الْفَقْهِ الْوَرَعَ فِي دِينِ اللَّهِ وَ الْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ فَعَلَيْكَ بِالتَّقْوَى فِي سِرِّ أَمْرِكَ وَ عِلَانِيَتِهِ أَوْصِيكَ بِسَبْعِ هُنَّ جَوَامِعُ الْإِسْلَامِ اخش الله و لا تخش الناس في الله و خير القول ما صدقه العمل و لا تقض في أمر واحد بقضاءين مختلفين فيتناقض

أمرك و تزيع عن الحق و أحب لعامة رعيتك ما تحبه لنفسك و اكره لهم ما تكره لنفسك و أصلح
أحوال رعيتك و خض الغمرات إلى الحق و لا تخف لومة لائم و انصح لمن استشارك و اجعل
نفسك أسوة لقريب المسلمين و بعيدهم جعل الله خلتنا و ودنا خلة المتقين و ود المخلصين و جمع
بيننا و بينكم في دار الرضوان إخوانا على سرر متقابلين إن شاء الله. قال إبراهيم بن سعد الثقفي
فحدثني عبد الله بن محمد بن عثمان عن علي بن محمد بن أبي سيف عن أصحابه أن عليا لما كتب
إلى محمد بن أبي بكر هذا الكتاب كان ينظر فيه و يتأدب بأدبه فلما ظهر عليه عمرو بن العاص و
قتله أخذ كتبه أجمع فبعث بها إلى معاوية فكان معاوية ينظر في هذا الكتاب و يتعجب منه فقال
الوليد بن عقبة و هو عند معاوية و قد رأى إعجابه به مر بهذه الأحاديث أن تحرق فقال معاوية
مه لا رأي لك فقال الوليد أ فمن الرأي أن يعلم الناس أن أحاديث أبي تراب عندك تتعلم منها
قال معاوية ويحك أ تأمرني أن أحرق علما مثل هذا و الله ما سمعت بعلم هو أجمع منه و لا أحكم
فقال الوليد إن كنت تعجب من علمه و قضائه فعلام تقاتله فقال لو لا أن أبا تراب قتل عثمان
ثم أفتانا لأخذنا عنه ثم سكت هنيهة ثم نظر إلى جلسائه فقال إنا لا نقول إن هذه من كتب علي
بن أبي طالب و لكن نقول هذه من كتب أبي بكر الصديق كانت عند ابنه محمد فنحن ننظر فيها
و نأخذ منها. قال فلم تزل تلك الكتب في خزائن بني أمية حتى ولي عمر بن عبد العزيز فهو الذي
أظهر أنها من أحاديث علي بن أبي طالب ع. قلت الأليق أن يكون الكتاب الذي كان معاوية
ينظر فيه و يعجب منه

و يفتي به و يقضي بقضاياه و أحكامه هو عهد علي ع إلى الأشر فإنه نسيج وحده و منه تعلم الناس الآداب و القضايا و الأحكام و السياسة و هذا العهد صار إلى معاوية لما سم الأشر و مات قبل وصوله إلى مصر فكان ينظر فيه و يعجب منه و حقيق من مثله أن يقتنى في خزائن الملوك. قال إبراهيم فلما بلغ عليا ع أن ذلك الكتاب صار إلى معاوية اشتد عليه حزنا.

و حدثني بكر بن بكار عن قيس بن الربيع عن ميسرة بن حبيب عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة قال صلى بنا علي ع فلما انصرف قال

لقد عثرت عثرة لا أعتذر سوف أكيس بعدها و أستم

و أجمع الأمر الشتيت المنتشر

فقلنا ما بالك يا أمير المؤمنين فقال إني استعملت مُجَّد بن أبي بكر على مصر فكتب إلى أنه لا علم لي بالسنة فكتبت إليه كتابا فيه أدب و سنة فقتل و أخذ الكتاب قال إبراهيم فحدثني عبد الله مُجَّد عن ابن أبي سيف المدائني قال فلم يلبث مُجَّد بن أبي بكر شهرا كاملا حتى بعث إلى أولئك المعتزلين الذين كان قيس بن سعد موادعا لهم فقال يا هؤلاء أما أن تدخلوا في طاعتنا و أما أن تخرجوا من بلادنا فبعثوا إليه أنا لا نفعل فدعنا حتى ننظر إلى ما يصير إليه أمر الناس فلا تعجل علينا فأبى عليهم فامتنعوا منه و أخذوا حذرهم ثم كانت وقعة صفين و هم لمحمد هائبون فلما أتاهم خير معاوية و أهل الشام ثم صار الأمر إلى الحكومة و أن عليا و أهل العراق قد قفلوا عن معاوية و الشام إلى عراقهم اجتروا على مُجَّد بن أبي بكر و أظهروا المنابذة له فلما رأى مُجَّد ذلك بعث إليهم ابن جهمان البلوي و معه يزيد بن الحارث الكناني فقاتلهم

فقتلوهما ثم بعث إليهم رجلا من كلب فقتلوه أيضا و خرج معاوية بن حديج من السكاسك يدعو إلى الطلب بدم عثمان فأجابه القوم و ناس كثير آخرون و فسدت مصر على مُجَد بن أبي بكر فبلغ عليا توثبهم عليه فقال ما أرى لمصر إلا أحد الرجلين صاحبنا الذي عزلنا بالأمس يعني قيس بن سعد بن عبادة أو مالك بن الحارث الأشتر و كان علي حين رجع عن صفين رد الأشتر إلى عمله بالجزيرة و قال لقيس بن سعد أقم أنت معي على شرطتي حتى نفرغ من أمر هذه الحكومة ثم اخرج إلى أذربيجان فكان قيس مقيما على شرطته فلما أن انقضى أمر الحكومة

كتب علي إلى الأشتر و هو يومئذ بنصيبين أما بعد فإنك ممن أستظهر به على إقامة الدين و أقمع به نخوة الأئيم و أسد به الثغر المخوف و قد كنت وليت مُجَد بن أبي بكر مصر فخرجت عليه خوارج و هو غلام حدث السن ليس بذئب تجربة للحروب فاقدم علي للنظر فيما ينبغي و استخلف على عملك أهل الثقة و النصيحة من أصحابك و السلام. فأقبل الأشتر إلى علي و استخلف على عمله شبيب بن عامر الأزدي و هو جد الكرمانى الذي كان بخراسان صاحب نصر بن سيار فلما دخل الأشتر على علي حدثه حديث مصر و خبره خبر أهلها و قال له ليس لها غيرك فاخرج إليها رحمك الله فياني لا أوصيك اكتفاء برأيك و استعن بالله على ما أهمك و اخلط الشدة باللين و ارفق ما كان الرفق أبلغ و اعتزم على الشدة حين لا يغني عنك إلا الشدة. فخرج الأشتر من عنده فأتي برحله و أتت معاوية عيونته فأخبروه بولاية الأشتر مصر فعظم ذلك عليه و قد كان طمع في مصر فعلم أن الأشتر إن قدم عليها كان أشد عليه من مُجَد بن أبي بكر فبعث إلى رجل من أهل الخراج يثق به و قال له إن الأشتر قد ولي مصر فإن كفتينيه لم آخذ منك خراجا ما بقيت و بقيت فاحتل في هلاكه ما قدرت عليه.

فخرج الأشر حتى انتهى إلى القلزم حيث تركب السفن من مصر إلى الحجاز فأقام به فقال له ذلك الرجل و كان ذلك المكان مكانه أيها الأمير هذا منزل فيه طعام و علف و أنا رجل من أهل الخراج فأقم و استرح و أتاه بالطعام حتى إذ طعم سقاه شربة عسل قد جعل فيها سما فلما شربها مات.

قال إبراهيم و قد كان أمير المؤمنين كتب على يد الأشر كتابا إلى أهل مصر روى ذلك الشعبي عن صعصعة بن صوحان من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من بمصر من المسلمين سلام الله عليكم فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو أما بعد فإني قد بعثت إليكم عبدا من عباد الله لا ينام أيام الخوف و لا ينكل عن الأعداء حذار الدوائر لا نأكل من قدم و لا واه في عزم من أشد عباد الله بأسا و أكرمهم حسبا أضر على الفجار من حريق النار و أبعد الناس من دنس أو عار و هو مالك بن الحارث الأشر حسام صارم لا نابي الضريبة و لا كليلى الحد حليم في السلم رزين في الحرب ذو رأي أصيل و صبر جميل فاسمعوا له و أطيعوا أمره فإن أمركم بالنفر فانفروا و إن أمركم أن تقيموا فأقيموا فإنه لا يقدم و لا يحجم إلا بأمرى و قد آثرتمكم به على نفسى نصيحة لكم و شدة شكيمه على عدوكم عصمكم الله بالهدى و ثبتكم بالتقوى و وفقنا و إياكم لما يحب و يرضى و السلام عليكم و رحمة الله. قال إبراهيم و روى جابر عن الشعبي قال هلك الأشر حين أتى عقبة أفيق. قال إبراهيم و حدثنا وطبة بن العلاء بن المنهال الغنوي عن أبيه عن عاصم

بن كليب عن أبيه أن عليا لما بعث الأشر إلى مصر واليا عليها و بلغ معاوية خبره بعث رسولا يتبع الأشر إلى مصر و أمره باغتياله فحمل معه مزودين فيهما شراب و صحب الأشر فاستسقى الأشر يوما فسقاه من أحدهما ثم استسقى يوما آخر منه فسقاه من الآخر و فيه سم فشر به فمالت عنقه و طلب الرجل ففاتهم. قال إبراهيم و حدثنا محرز بن هشام عن جرير بن عبد الحميد عن مغيرة الضبي أن معاوية دس للأشر مولى لآل عمر فلم يزل المولى يذكر للأشر فضل علي و بني هاشم حتى اطمأن إليه و استأنس به فقدم الأشر يوما ثقله أو تقدم ثقله فاستسقى ماء فقال له مولى آل عمر و هل لك في شربة سويق فسقاه شربة سويق فيها سم فمات. و قد كان معاوية قال لأهل الشام لما دس إليه مولى آل عمر ادعوا على الأشر فدعوا عليه فلما بلغه موته قال أ لا ترون كيف استجيب لكم. قال إبراهيم قد روي من بعض الوجوه أن الأشر قتل بمصر بعد قتال شديد. و الصحيح أنه سقى سما فمات قبل أن يبلغ مصر. قال إبراهيم و حدثنا محمد بن عبد الله بن عثمان عن علي بن محمد بن أبي سيف المدائني أن معاوية أقبل يقول لأهل الشام أيها الناس إن عليا قد وجه الأشر إلى مصر فادعوا الله أن يكفيكموه فكانوا يدعون عليه في دبر كل صلاة و أقبل الذي سقاه السم إلى معاوية فأخبره بملاك الأشر فقام معاوية في الناس خطيبا فقال أما بعد فإنه كان لعلي بن أبي طالب يدان يمينان فقطعت إحداها يوم صفين و هو عمار بن ياسر و قد قطعت الأخرى اليوم و هو مالك الأشر.

قال إبراهيم فلما بلغ عليا موت الأشتر قال إنا لله و إنا إليه راجعون و الحمد لله رب العالمين اللهم إني أحاسبه عندك فإن موته من مصائب الدهر ثم قال رحم الله مالكا فلقد وفى بعهده و قضى نجه و لقي ربه مع أنا قد وطننا أنفسنا أن نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله ص فإنها من أعظم المصيبات. قال إبراهيم و حدثنا محمد بن هشام المرادي عن جرير بن عبد الحميد عن مغيرة الضبي قال لم يزل أمر علي شديدا حتى مات الأشتر و كان الأشتر بالكوفة أسود من الأحنف بالبصرة.

قال إبراهيم و حدثنا محمد بن عبد الله عن ابن أبي سيف المدائني عن جماعة من أشياخ النخع قالوا دخلنا على أمير المؤمنين حين بلغه موت الأشتر فوجدناه يتلهف و يتأسف عليه ثم قال الله در مالك و ما مالك لو كان من جبل لكان فندا و لو كان من حجر لكان صلدا أما و الله ليهدن موتك عالما و ليفرحن عالما على مثل مالك فلتبك البواكي و هل مرجو كمالك و هل موجود كمالك. قال علقمة بن قيس النخعي فما زال علي يتلهف و يتأسف حتى ظننا أنه المصاب به دوننا و عرف ذلك في وجهه أياما.

قال إبراهيم و حدثنا محمد بن عبد الله عن المدائني قال حدثنا مولى للأشتر قال لما هلك الأشتر أصيب في ثقله رسالة علي إلى أهل مصر من عبد الله أمير المؤمنين إلى نفر من المسلمين الذين غضبوا لله إذ عصي في الأرض و ضرب الجور برواقه على البر و الفاجر فلا حق يستراح إليه و لا منكر يتناهى عنه سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو

أما بعد فقد وجهت إليكم عبدا من عباد الله لا ينأى في الخوف و لا ينكل من الأعداء حذار الدوائر أشد على الكافرين من حريق النار و هو مالك بن الحارث الأشتر أخو مذحج فاسمعوا له و أطيعوا فإنه سيف من سيوف الله لا نابي الضريبة و لا كليل الحد فإن أمركم أن تقيموا فأقيموا و إن أمركم أن تنفروا فانفروا و إن أمركم أن تحجموا فأحجموا فإنه لا يقدم و لا يحجم إلا بأمرى و قد آثرتكم به على نفسي لنصيحتته و شدة شكيمة على عدوه عصمكم الله بالحق و ثبتكم بالتقوى و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

قال إبراهيم و حدثنا محمد بن عبد الله عن المدائني عن رجاله أن محمد بن أبي بكر لما بلغه أن عليا قد وجه الأشتر إلى مصر شق عليه فكتب ع إليه عند مهلك الأشتر أما بعد فقد بلغني موجدتك من تسريح الأشتر إلى عملك و لم أفعل ذلك استبطاء لك عن الجهاد و لا استزادة لك مني في الجد و لو نزع ما حوت يداك من سلطانك لوليتك ما هو أيسر مئونة عليك و أعجب ولاية إليك ألا إن الرجل الذي وليته مصر كان رجلا لنا مناصحا و هو على عدونا شديد فرحمة الله عليه فقد استكمل أيامه و لاقى حمامه و نحن عنه راضون ف عليه السلام و ضاعف له الثواب و أحسن له المآب فاصحر لعدوك و شمر للحرب و ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و أكثر ذكر الله و الاستعانة به و الخوف منه يكفك ما همك و يعنك على ما ولاك أعاننا الله و إياك على ما لا ينال إلا برحمته و السلام. قال فكتب محمد بن أبي بكر إليه جوابه

إلى عبد الله أمير المؤمنين من مُجَّد بن أبي بكر. سلام عليك فيإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فقد انتهى إلى كتاب أمير المؤمنين و فهمته و عرفت ما فيه و ليس أحد من الناس أشد على عدو أمير المؤمنين و لا أرأف و أرق لوليه مني و قد خرجت فعسكرت و أمنت الناس إلا من نصب لنا حربا و أظهر لنا خلافا و أنا أتبع أمر أمير المؤمنين و حافظ و لاجئ إليه و قائم به و الله المستعان على كل حال و السلام على أمير المؤمنين و رحمة الله و بركاته. قال إبراهيم فحدث مُجَّد بن عبد الله بن عثمان عن ابن سيف المدائني عن أبي جهضم الأزدي أن أهل الشام لما انصرفوا عن صفين كانوا ينتظرون ما يأتي به الحكماء فلما انصرفوا و تفرقا و بايع أهل الشام معاوية بالخلافة لم يزد معاوية إلا قوة و اختلف أهل العراق على علي بن أبي طالب فلم يكن هم معاوية إلا مصر و قد كان لأهلها هائبا لقرهم منه و شدتهم على من كان على رأي عثمان و قد كان علم أن بها قوما قد ساءهم قتل عثمان و خالفوا عليا مع أنه كان يرجو أن يكون له فيها معاونة إذا ظهر عليها على حرب علي لوفور خراجها فدعا معاوية من كان معه من قريش و هم عمرو بن العاص السهمي و حبيب بن مسلمة الفهري و بسر بن أبي أرتاة العامري و الضحاک بن قيس الفهري و عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي و دعا من غير قريش نحو شرحبيل بن السمط الحميري و أبي الأعور السلمي و حمزة بن مالك الهمداني فقال أ تدرون لما ذا دعوتكم قالوا لا قال فيإني دعوتكم لأمر هو لي مهم و أرجو أن يكون الله عز و جل قد أعان عليه فقال له القوم أو من قال له منهم إن الله لم يطلع على غيبه أحدا و لسنا ندري ما تريد فقال عمرو بن العاص أرى و الله أن أمر هذه البلاد المصرية لكثرة خراجها و عدد أهلها قد أهمك

فدعوتنا تسألنا عن رأينا في ذلك فإن كنت لذلك دعوتنا و له جمعتنا فاعزم و اصرم و نعم الرأي ما رأيت إن في افتتاحها عرك و عز أصحابك و ذل عدوك و كبت أهل الخلاف عليك. قال معاوية أهلك ما أهلك يا ابن العاص و ذلك أن عمرا كان بايع معاوية على قتال علي و أن مصر له طعمه ما بقي فأقبل معاوية على أصحابه و قال إن هذا يعني ابن العاص قد ظن و حقق ظنه قالوا و لكننا لا ندري و لعل أبا عبد الله قد أصاب فقال عمرو و أنا أبو عبد الله إن أفضل الظنون ما شابه اليقين. ثم إن معاوية حمد الله و أثنى عليه ثم قال أما بعد فقد رأيتم كيف صنع الله لكم في حربكم هذه على عدوكم و لقد جاءوكم و هم لا يشكون أنهم يستأصلون بيضتكم و يجوزون بلادكم ما كانوا يرون إلا أنكم في أيديهم فردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا و كفى الله المؤمنين القتال و كفاكم مئوتتهم. و حاكمتموهم إلى الله فحكم لكم عليهم ثم جمع كلمتنا و أصلح ذات بيننا و جعلهم أعداء متفرقين يشهد بعضهم على بعض بالكفر و يسفك بعضهم دم بعض و الله إني لأرجو أن يتم الله لنا هذا الأمر و قد رأيت أن أحاول حرب مصر فما ذا ترون. فقال عمرو بن العاص قد أخبرتك عما سألت و أشرت عليك بما سمعت. فقال معاوية ما ترون فقالوا نرى ما رأى عمرو بن العاص فقال معاوية إن عمرا قد عزم و صرم بما قال و لم يفسر كيف ينبغي أن نصنع. قال عمرو فإني مشير عليك بما تصنع أرى أن تبعث جيشا كثيفا عليهم رجل صارم تأمنه و تثق به فيأتي مصر فيدخلها فإنه سيأتينا من كان على مثل رأينا من أهلها فنظاهاهه على من كان من عدونا فإن اجتمع بها جندك و من كان بها من شيعتك على من بها من أهل حربك رجوت الله أن يعز نصرك و يظهر فلجك.

فقال معاوية هل عندك شيء غير هذا نعمله فيما بيننا و بينهم قبل هذا قال ما أعلمه.قال معاوية فإن رأيي غير هذا أرى أن نكتب من كان بها من شيعتنا و من كان بها من عدونا فأما شيعتنا فنأمرهم بالثبات على أمرهم و نمنّهم قدومنا عليهم و أما من كان بها من عدونا فندعوهم إلى صلحنا و نمنّهم شكرنا و نخوفهم حربنا فإن صلح لنا ما قبلهم من غير حرب و لا قتال فذلك ما أحببنا و إلا فحربهم من وراء ذلك.إنك يا ابن العاص لامرؤ بورك لك في العجلة و بورك لي في التؤدة.قال عمرو فاعمل بما أراك الله فو الله ما أرى أمرك و أمرهم يصير إلا إلى الحرب.قال فكتب معاوية عند ذلك إلى مسلمة بن مخلد الأنصاري و إلى معاوية بن حديج الكندي و كانا قد خالفا عليا أما بعد فإن الله عز و جل قد ابتعثكما لأمر عظيم أعظم به أجركما و رفع درجتكما و مرتبتكما في المسلمين طلبتما بدم الخليفة المظلوم و غضبتما لله إذ ترك حكم الكتاب و جاهدتما أهل الظلم و العدوان فأبشرا برضوان الله و عاجلا نصرة أولياء الله و المواساة لكما في دار الدنيا و سلطاننا حتى ينتهي ذلك إلى ما يرضيكما و يؤدي به حقكما فالزما أمركما و جاهدا عدوكما و ادعوا المدبرين منكما إلى هداكما فكان الجيش قد أظل عليكما فاندفع كل ما تكرهان و دام كل ما تهويان و السلام عليكما و رحمة الله.و بعث بالكتاب مع مولى له يقال له سبيع فخرج بكتابه حتى قدم به عليهما بمصر

۸۲

فخرج يسير و خرج معه معاوية يودعه فقال له معاوية عند وداعه إياه أوصيك بتقوى الله يا عمرو و بالرفق فإنه يمن و بالتؤدة فإن العجلة من الشيطان و بأن تقبل من أقبل و تغفو عمن أدبر أنظره فإن تاب و أناب قبلت منه و إن أبى فإن السطوة بعد المعرفة أبلغ في الحجة و أحسن في العاقبة و ادع الناس إلى الصلح و الجماعة فإن أنت ظفرت فليكن أنصارك أبر الناس عندك و كل الناس فأول حسنا. قال فسار عمرو في الجيش حتى دنا من مصر فاجتمعت إليه العثمانية فأقام و كتب إلى مُحَمَّد بن أبي بكر أما بعد ففتح عني بدمك يا ابن أبي بكر فيني لا أحب أن يصيبك مني ظفر و إن الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك و رفض أمرك و ندموا على اتباعك و هم مسلموك لو قد التقت حلقتا البطان فاخرج منها فيني لك من الناصحين و السلام. قال و بعث عمرو إلى مُحَمَّد مع هذا الكتاب كتاب معاوية إليه و هو أما بعد فإن غب الظلم و البغي عظيم الوبال و إن سفك الدم الحرام لا يسلم صاحبه من النقرة في الدنيا و التبعة الموققة في الآخرة و ما نعلم أحدا كان أعظم على عثمان بغيا و لا أسوأ له عيبا و لا أشد عليه خلافا منك سعت عليه في الساعين و ساعدت عليه مع المساعدين و سفكت دمه مع السافكين ثم تظن أني نائم عنك فتأتي بلده فتأمن فيها و جل أهلها أنصاري يرون رأيي و يرفضون قولك و يستصرخونني عليك و قد بعثت إليك قوما حناقا عليك يسفكون دمك و يتقربون إلى الله عز و جل بجهادك و قد أعطوا الله عهدا ليقتلنك و لو لم يكن منهم إليك ما قالوا لقتلك الله بأيديهم أو بأيدي غيرهم من أوليائه و أنا أحذرك و أنذرك فإن الله مقيد منك و مقتص لوليه و خليفته بظلمك له و بغيك عليه

و وقيعتك فيه و عداوتك يوم الدار عليه تطعن بمشاقصك فيما بين أحشائه و أوداجه و مع هذا فإني أكره قتلك و لا أحب أن أتولى ذلك منك و لن يسلمك الله من النعمة أين كنت أبدا فتنح و انج بنفسك و السلام. قال فطوى محمد بن أبي بكر كتابيهما و بعث بهما إلى علي ع و كتب إليه أما بعد يا أمير المؤمنين فإن العاصي ابن العاص قد نزل أداني مصر و اجتمع إليه من أهل البلد من كان يرى رأيهم و هو في جيش جرار و قد رأيت ممن قبلي بعض الفشل فإن كان لك في أرض مصر حاجة فامددي بالأموال و الرجال و السلام عليك و رحمة الله و بركاته.

قال فكتب إليه علي أما بعد فقد أتاني رسولك بكتابك تذكر أن ابن العاص قد نزل في جيش جرار و أن من كان على مثل رأيه قد خرج إليه و خروج من كان يرى رأيه خير لك من إقامته عندك و ذكرت أنك قد رأيت ممن قبلك فشلا فلا تفشل و إن فشلوا حصن قريتك و اضمم إليك شيعتك و أذك الحرس في عسكرك و اندب إلى القوم كنانة بن بشر المعروف بالنصيحة و التجربة و البأس و أنا نادب إليك الناس على الصعب و الذلول فاصبر لعدوك و امض على بصيرتك و قاتلهم على نيتك و جاهدهم محتسبا لله سبحانه و إن كانت فتتك أقل الفتتين فإن الله تعالى يعين القليل و يخذل الكثير و قد قرأت كتابي الفاجرين المتحابين على المعصية و المتلائمين على الضلالة و المرتشيين على الحكومة و المتكبرين على أهل الدين الذين استمتعوا بخلافهم كما استمتع الذين من

قبلهم بخلاقهم فلا يضرنك إرعاذهما و إبراقيهما و أجهما إن كنت لم تجبهما بما هما أهله فإنك تجد مقالا ما شئت و السلام قال فكتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية جواب كتابه أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر من أمر عثمان أمرا لا أعتذر إليك منه و تأمرني بالتنحي عنك كأنك لي ناصح و تخوفني بالحرب كأنك علي شفيق و أنا أرجو أن تكون الدائرة عليكم و أن يهلككم الله في الواقعة و أن ينزل بكم الذل و أن تولوا الدبر فإن يكن لكم الأمر في الدنيا فكم و كم لعمرى من ظالم قد نصرتم و كم من مؤمن قد قتلتم و مثلتم به و إلى الله المصير و إليه ترد الأمور و هو أرحم الراحمين و الله المستعان على ما تصفون. قال و كتب محمد بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص جواب كتابه أما بعد فهمت كتابك و علمت ما ذكرت زعمت أنك تكره أن يصيبني منك ظفر فأشهد بالله إنك لمن المبطلين و زعمت أنك ناصح لي و أقسم أنك عندي ظنين و قد زعمت أن أهل البلد قد رفضوني و ندموا على اتباعي فأولئك حزبك و حزب الشيطان الرجيم و حسبنا الله رب العالمين و نعم الوكيل و توكلت على الله العزيز الرحيم رب العرش العظيم. قال إبراهيم فحدثنا محمد بن عبد الله عن المدائني قال فأقبل عمرو بن العاص يقصد قصد مصر فقام محمد بن أبي بكر في الناس فحمد الله و أثنى عليه ثم قال أما بعد يا معشر المؤمنين فإن القوم الذين كانوا ينتهكون الحرمه و يغشون الضلالة و يستطيّلون بالجبرية قد نصبوا لكم العداوة و ساروا إليكم بالجنود فمن أراد الجنة و المغفرة فليخرج إلى هؤلاء القوم فليجاهدهم في الله انتدبوا رحمكم الله مع

كنانة بن بشر ثم ندب معه نحو ألفي رجل و تخلف مُجَّد في ألفين و استقبل عمرو بن العاص كنانة و هو على مقدمة مُجَّد فلما دنا عمرو من كنانة سرح إليه الكتائب كتيبة بعد كتيبة فلم تأت منه كتائب الشام كتيبة إلا شد عليها بمن معه فيضربها حتى يلحقها بعمرو ففعل ذلك مرارا فلما رأى عمرو ذلك بعث إلى معاوية بن حديج الكندي فأتاه في مثل الدهم فلما رأى كنانة ذلك الجيش نزل عن فرسه و نزل معه أصحابه فضاربهم بسيفه و هو يقول (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا) . فلم يزل يضاربهم بالسيف حتى استشهد ﷺ . قال إبراهيم حدثنا مُجَّد بن عبد الله عن المدائني عن مُجَّد بن يوسف أن عمرو بن العاص لما قتل كنانة أقبل نحو مُجَّد بن أبي بكر و قد تفرق عنه أصحابه فخرج مُجَّد متمهلا فمضى في طريقه حتى انتهى إلى خربة فأوى إليها و جاء عمرو بن العاص حتى دخل الفسطاط و خرج معاوية بن حديج في طلب مُجَّد حتى انتهى إلى علوج على قارعة الطريق فسألهم هل مر بهم أحد ينكرونه قالوا لا قال أحدهم إني دخلت تلك الخربة فإذا أنا برجل جالس قال ابن حديج هو هو و رب الكعبة فانطلقوا يركضون حتى دخلوا على مُجَّد فاستخرجوه و قد كاد يموت عطشا فأقبلوا به نحو الفسطاط . قال و وثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص و كان في جنده فقال لا و الله لا يقتل أخي صبرا ابعت إلى معاوية بن حديج فأنه فأرسل عمرو بن العاص أن اثني بمحمد فقال معاوية أقتلت كنانة بن بشر ابن عمي و أخلي عن مُجَّد .

هيهات (أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيِّكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ) فقال مُجَدَّ استقوني قطرة من الماء فقال له معاوية بن حديج لا سقاني الله إن سقيتك قطرة أبدا إنكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائما محرما فسقاه الله من الرحيق المختوم و الله لأقتلنك يا ابن أبي بكر و أنت ظمآن و يسقيك الله من الحميم و الغسلين فقال له مُجَدَّ يا ابن اليهودية النساجة ليس ذلك اليوم إليك و لا إلى عثمان إنما ذلك إلى الله يسقي أوليائه و يظمئ أعداءه و هم أنت و قرناؤك و من تولاك و توليته و الله لو كان سيفي في يدي ما بلغت مني ما بلغت فقال له معاوية بن حديج أ تدري ما أصنع بك أدخلك جوف هذا الحمار الميت ثم أحرقه عليك بالنار قال إن فعلتم ذاك بي فطالما فعلتم ذاك بأولياء الله و ايم الله إني لأرجو أن يجعل الله هذه النار التي تخوفني بها بردا و سلاما كما جعلها الله على إبراهيم خليله و أن يجعلها عليك و على أوليائك كما جعلها على نمرود و أوليائه و إني لأرجو أن يحرقك الله و إمامك معاوية و هذا و أشار إلى عمرو بن العاص بنار تلظى كلما خبت زادها الله عليكم سعيرا فقال له معاوية بن حديج إني لا أقتلك ظلما إنما أقتلك بعثمان بن عفان قال مُجَدَّ و ما أنت و عثمان رجل عمل بالجور و بدل حكم الله و القرآن و قد قال الله عز و جل (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) (فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) فنقمنا عليه أشياء عملها فأردنا أن يخلع من الخلافة علنا فلم يفعل فقتله من قتله من الناس.

فغضب معاوية بن حديج فقدمه فضرب عنقه ثم ألقاه في جوف حمار و أحرقه بالنار. فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعا شديدا و قنتت في دبر كل صلاة تدعو على معاوية بن أبي سفيان و عمرو بن العاص و معاوية بن حديج و قبضت عيال مُجَد أخيهما و ولده إليها فكان القاسم بن مُجَد من عيالها. قال و كان ابن حديج ملعونا خبيثا يسب علي بن أبي طالب ع.

قال إبراهيم و حدثني عمرو بن حماد بن طلحة القناد عن علي بن هاشم عن أبيه عن داود بن أبي عوف قال دخل معاوية بن حديج على الحسن بن علي في مسجد المدينة فقال له الحسن ويلك يا معاوية أنت الذي تسب أمير المؤمنين عليا ع أما و الله لئن رأيته يوم القيامة و ما أظنك تراه لترينه كاشفا عن ساق يضرب وجوه أمثالك عن الحوض ضرب غرائب الإبل قال إبراهيم و حدثني مُجَد بن عبد الله بن عثمان عن المدائني عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن شداد قال حلفت عائشة لا تأكل شواء أبدا بعد قتل مُجَد فلم تأكل شواء حتى لحقت بالله و ما عثرت قط إلا قالت تعس معاوية بن أبي سفيان و عمرو بن العاص و معاوية بن حديج. قال إبراهيم و قد روى هاشم أن أسماء بنت عميس لما جاءها نعي مُجَد ابنها و ما صنع به قامت إلى مسجدها و كظمت غيظها حتى تشخبت دما. قال إبراهيم و روى ابن عائشة التيمي عن رجاله عن كثير النواء أن أبا بكر خرج

في حياة رسول الله ص في غزاة فرأت أسماء بنت عميس و هي تحته كأن أبا بكر مخضب بالحناء رأسه و لحيته و عليه ثياب بيض فجاءت إلى عائشة فأخبرتها فقالت إن صدقت رؤياك فقد قتل أبو بكر إن خضابه الدم و إن ثيابه أكفانه ثم بكت فدخل النبي ص و هي كذلك فقال ما أبكاها فقالوا يا رسول الله ما أبكاها أحد و لكن أسماء ذكرت رؤيا رأتها لأبي بكر فأخبر النبي ص فقال ليس كما عبرت عائشة و لكن يرجع أبو بكر صالحا فيلقى أسماء فتحمل منه بسلام فتسميه مُحَمَّدًا يجعله الله غيظا على الكافرين و المنافقين. قال فكان كما أخبر ص. قال إبراهيم حدثنا مُحَمَّد بن عبد الله عن المدائني قال فكتب عمرو بن العاص إلى معاوية بن أبي سفيان عند قتل مُحَمَّد بن أبي بكر و كنانة بن بشر أما بعد فإننا لقينا مُحَمَّد بن أبي بكر و كنانة بن بشر في جموع من أهل مصر فدعوناهم إلى الكتاب و السنة فعصوا الحق فتهولوا في الضلال فجاهدناهم و استنصرنا الله جل و عز عليهم فضرب الله وجوههم و أدبارهم و منحنا أكتافهم فقتل مُحَمَّد بن أبي بكر و كنانة بن بشر و الحمد لله رب العالمين.

قال إبراهيم و حدثني مُحَمَّد بن عبد الله عن المدائني عن الحارث بن كعب بن عبد الله بن قعين عن حبيب بن عبد الله قال و الله إني لعند علي جالس إذ جاءه عبد الله بن معين و كعب بن عبد الله من قبل مُحَمَّد بن أبي بكر يستصرخانه قبل الوقعة فقام علي فنادى في الناس الصلاة جامعة فاجتمع الناس فصعد المنبر فحمد الله و أثنى

عليه و ذكر رسول الله ص فصلى عليه ثم قال أما بعد فهذا صريخ مُجَّد بن أبي بكر و إخوانكم من أهل مصر قد سار إليهم ابن النابغة عدو الله و عدو من والاه و ولي من عادى الله فلا يكون منكم على حَقكم فكأنكم بهم و قد بدءوكم و إخوانكم بالغزو فاعجلوا إليهم بالمواساة و النصر عباد الله إن مصر أعظم من الشام و خير أهلا فلا تغلبوا على مصر فإن بقاء مصر في أيديكم عز لكم و كبت لعدوكم اخرجوا إلى الجرعة قال و الجرعة بين الحيرة و الكوفة لتتوافى هناك كلنا غدا إن شاء الله. قال فلما كان الغد خرج يمشى فنزلها بكرة فأقام بها حتى انتصف النهار فلم يوافه مائة رجل فرجع فلما كان العشي بعث إلى الأشراف فجمعهم فدخلوا عليه القصر و هو كئيب حزين فقال الحمد لله على ما قضى من أمر و قدر من فعل و ابتلاني بكم أيها الفرقة التي لا تطيع إذا أمرتها و لا تجيب إذا دعوها لا أبا لغيركم ما ذا تنتظرون بنصركم و الجهاد على حَقكم الموت خير من الذل في هذه الدنيا لغير الحق و الله إن جاءني الموت و ليأتيني لتجدني لصحبتيكم جدا قال أ لا دين يجمعكم أ لا حمية تغضبكم أ لا تسمعون بعدوكم ينتقص بلادكم و يشن الغارة عليكم أ و ليس عجبا أن معاوية يدعو الجفأة الطغام الظلمة فيتبعونه على غير عطاء و لا معونة و يجيئون في السنة المرة و المرتين و الثلاث إلى أي وجه شاء ثم أنا أدعوكم و أنتم أولو النهى و بقية الناس تحتلفون و تفترقون عني و تعصوني و تحالفون علي

فقام إليه مالك بن كعب الأرحبي فقال يا أمير المؤمنين اندب الناس معي فإنه لا عطر بعد عروس و إن الأجر لا يأتي إلا بالكرة ثم التفّت إلى الناس و قال اتقوا الله و أجيئوا دعوة إمامكم و انصروا دعوته و قاتلوا عدوكم إنا نسير إليهم يا أمير المؤمنين فأمر علي سعدا مولاه أن ينادي ألا سيروا مع مالك بن كعب إلى مصر و كان وجهها مكروها فلم يجتمعوا إليه شهرا فلما اجتمع له منهم ما اجتمع خرج بهم مالك بن كعب فعسكر بظاهر الكوفة و خرج معه علي فنظر فإذا جميع من خرج نحو من ألفين فقال علي سيروا و الله ما أنتم ما إخالكم تدركون القوم حتى ينقضي أمرهم. فخرج مالك بهم و سار خمس ليال و قدم الحجاج بن غزية الأنصاري على علي و قدم عليه عبد الرحمن بن المسيب الفزاري من الشام فأما الفزاري فكان عينا لعلي ع لا ينام و أما الأنصاري فكان مع مُجَدِّ بن أبي بكر فحدثه الأنصاري بما عاين و شاهد و أخبره بهلاك مُجَدِّ و أخبره الفزاري أنه لم يخرج من الشام حتى قدمت البشري من قبل عمرو بن العاص يتبع بعضها بعضا بفتح مصر و قتل مُجَدِّ بن أبي بكر و حتى أذن معاوية بقتله على المنبر و قال يا أمير المؤمنين ما رأيت يوما قط سرورا مثل سرور رأيته بالشام حين أتاها قتل مُجَدِّ بن أبي بكر فقال علي أما إن حزننا على قتله على قدر سرورهم به لا بل يزيد أضعافا. قال فسرح علي عبد الرحمن بن شريح إلى مالك بن كعب فردّه من الطريق قال و حزن علي على مُجَدِّ بن أبي بكر حتى رئي ذلك فيه و تبين في وجهه و قام في الناس خطيبا فحمد الله و أثنى عليه ثم قال ألا و إن مصر قد افتتحها الفجرة

أولياء الجور و الظلم الذين صدوا عن سبيل الله و بغوا الإسلام عوجاً ألا و إن مُحَمَّد بن أبي بكر قد استشهد رحمة الله عليه و عند الله نحتسبه أما و الله لقد كان ما علمت ينتظر القضاء و يعمل للجزاء و يبغض شكل الفاجر و يحب سمت المؤمن إني و الله لا ألوم نفسي على تقصير و لا عجز و إني بمقاساة الحرب لجد بصير إني لأقدم على الحرب و أعرف وجه الحزم و أقوم بالرأي المصيب فأستصرخكم معلنا و أناذيكُم مستغيثا فلا تسمعون لي قولاً و لا تطيعون إلى أمرا حتى تصير الأمور إلى عواقب المساءة و أنتم القوم لا يدرك بكم الثأر و لا تنقض بكم الأوتار دعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع و خمسين ليلة فجرجرتُم علي جرجرة الجمل الأسر و ثقاقلتم إلى الأرض ثقاقل من لا نية له في الجهاد و لا رأي له في الاكتساب للأجر ثم خرج إلي منكم جنيد متذائب ضعيف كأنما يساقون إلى الموت و هم ينظرون فأف لكم ثم نزل فدخل رحله

قال إبراهيم فحدثنا مُحَمَّد بن عبد الله عن المدائني قال كتب علي إلى عبد الله بن عباس و هو على البصرة من عبد الله علي أمير المؤمنين ع إلى عبد الله بن عباس سلام عليك و رحمة الله و بركاته أما بعد فإن مصر قد افتتحت و قد استشهد مُحَمَّد بن أبي بكر فعند الله عز و جل تحتسبه و قد كنت كتبت إلى الناس و تقدمت إليهم في بدء الأمر و أمرتهم بإغاثته

قبل الوقعة و دعوتهم سرا و جهرا و عودا و بدءا فمنهم الآتي كارها و منهم المتعلل كاذبا و منهم القاعد خاذلا أسأل الله أن يجعل لي منهم فرجا و أن يريني منهم عاجلا فو الله لو لا طمعي عند لقاء عدوي في الشهادة و توطيني نفسي عند ذلك لأحببت ألا أبقى مع هؤلاء يوما واحدا عزم الله لنا و لك على تقواه و هداه إنه على كل شيء قدير و السلام عليك و رحمة الله و بركاته. قال فكتب إليه عبد الله بن عباس لعبد الله علي أمير المؤمنين من عبد الله بن عباس سلام على أمير المؤمنين و رحمة الله و بركاته. أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه افتتاح مصر و هلاك محمد بن أبي بكر و إنك سألت الله ربك أن يجعل لك من رعيته التي ابتليت بها فرجا و مخرجا و أنا أسأل الله أن يعلى كلمتك و أن يغشيك بالملائكة عاجلا و اعلم أن الله صانع لك و معز دعوتك و كابت عدوك و أخبرك يا أمير المؤمنين أن الناس ربما تباطؤوا ثم نشطوا فارفق بهم يا أمير المؤمنين و دارهم و منهم و استعن بالله عليهم كفاك الله الهم و السلام عليك و رحمة الله و بركاته. قال إبراهيم و روي عن المدائني أن عبد الله بن عباس قدم من البصرة على علي فعزاه عن محمد بن أبي بكر. و روى المدائني أن عليا قال رحم الله محمدًا كان غلاما حدثا لقد كنت أردت أن أولي المرقال هاشم بن عتبة مصر فإنه و الله لو وليها لما خلى لابن العاص و أعوانه العرصة و لا قتل إلا و سيفه في يده بلا ذم لمحمد فلقد أجهد نفسه ففضى ما عليه

قال المدائني و قيل لعلي ع لقد جزعت على مُحَمَّد بن أبي بكر يا أمير المؤمنين فقال و ما يمنعني أنه كان لي ربيبا و كان لبني أخا و كنت له والدا أعدده ولدا

خطبة للإمام علي بعد مقتل مُحَمَّد بن أبي بكر

و روى إبراهيم عن رجاله عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه قال خطب علي ع بعد فتح مصر و قتل مُحَمَّد بن أبي بكر فقال أما بعد فإن الله بعث مُحَمَّدًا نذيرا للعالمين و أمينا على التنزيل و شهيدا على هذه الأمة و أنتم معاشر العرب يومئذ على شر دين و في شر دار منيخون على حجارة خشن و حيات صم و شوك مبثوث في البلاد تشربون الماء الحبيث و تأكلون الطعام الحبيث تسفكون دماءكم و تقتلون أولادكم و تقطعون أرحامكم و تأكلون أموالكم بينكم بالباطل سبلكم خائفة و الأصنام فيكم منصوبة و لا يؤمن أكثرهم بالله إلا و هم مشركون. فمن الله عز و جل عليكم بمحمد فبعثه إليكم رسولا من أنفسكم فعلمكم الكتاب و الحكمة و الفرائض و السنن و أمركم بصلة أرحامكم و حقن دمائكم و صلاح ذات البين و أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها و أن توفوا بالعهد و لا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها و أن تعاطفوا و تباروا و تراحموا و نهاكم عن التناهب و التظالم و التحاسد و التباغي و التقاذف و عن شرب الخمر و بخس المكيال و نقص الميزان و تقدم إليكم فيما يتلى عليكم ألا تنزوا و لا تربوا و لا تأكلوا أموال

اليتامى ظلما و أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها و لا تعثوا في الأرض مفسدين و لا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين و كل خير يديني إلى الجنة و يباعد عن النار أمركم به و كل شر يديني إلى النار و يباعد عن الجنة نهاكم عنه فلما استكمل مدته توفاه الله إليه سعيدا حميدا فيا لها مصيبة خست الأقربين و عمت المسلمين ما أصيبوا قبلها بمثلها و لن يعاينوا بعدها أختها فلما مضى لسبيله ص تنازع المسلمون الأمر بعده فو الله ما كان يلقي في روعي و لا يخطر على بالي أن العرب تعدل هذا الأمر بعد محمد عن أهل بيته و لا أنهم منحوه عني من بعده فما راعني إلا انتيال الناس على أبي بكر و إجفاهم إليه لبياعوه فأمسكت يدي و رأيت أني أحق بمقام محمد ص في الناس ممن تولى الأمر من بعده فلبثت بذاك ما شاء الله حتى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين الله و ملة محمد ص فخشيت إن لم أنصر الإسلام و أهله أن أرى فيه ثلما و هدمما يكون المصاب بهما علي أعظم من فوات ولاية أموركم التي إنما هي متاع أيام قلائل ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب و كما يتقشع السحاب فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته و نهضت في تلك الأحداث حتى زاغ الباطل و زهق و كانت كلمة الله هي العليا و لو كره الكافرون فتولى أبو بكر تلك الأمور فيسر و سدد و قارب و اقتصد و صحبته مناصحا و أطعته فيما أطاع الله فيه جاهدا و ما طمعت أن لو حدث به حادث و أنا حي أن يرد إلي الأمر الذي نازعته فيه طمع مستيقن و لا يئست منه يأس من لا يرجوه و لو لا خاصة ما كان بينه و بين عمر لظننت أنه لا يدفعها عني فلما احتضر بعث إلى عمر فولاه فسمعنا و أطعنا و ناصحنا

و تولى عمر الأمر فكان مرضي السيرة ميمون النقيبة حتى إذا احتضر فقلت في نفسي لن يعدلها عني ليس يدافعها عني فجعلني سادس ستة فما كانوا لولاية أحد منهم أشد كراهة لولايتي عليهم كانوا يسمعون عند وفاة رسول الله ص لجاج أبي بكر و أقول يا معشر قريش إنا أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم ما كان فينا من يقرأ القرآن و يعرف السنة و يدين بدين الحق فخشي القوم إن أنا وليت عليهم ألا يكون لهم من الأمر نصيب ما بقوا فأجمعوا إجماعا واحدا فصرفوا الولاية إلى عثمان و أخرجوني منها رجاء أن ينالوها و يتداولوها إذ ينسوا أن ينالوا بها من قبلي ثم قالوا هلم فبايع و إلا جاهدناك فبايعت مستكرها و صبرت محتسبا فقال قائلهم يا ابن أبي طالب إنك على هذا الأمر لحريص فقلت أنتم أحرص مني و أبعد أينا أحرص أنا الذي طلبت ميراثي و حقي الذي جعلني الله و رسوله أولى به أم أنتم إذ تضربون وجهي دونه و تحولون بيني و بينه فبهتوا و الله لا يهدي القوم الظالمين اللهم إني أستعديك على قريش فإثم قطعوا رحمي و أضاعوا إياي و صغروا عظيم منزلتي و أجمعوا على منازعتي حقا كنت أولى به منهم فسلبونيه ثم قالوا ألا إن في الحق أن تأخذه و في الحق أن تمنعه فاصبر كمدا أو مت أسفا حنقا فنظرت فإذا ليس معي رافد و لا ذاب و لا ناصر و لا ساعد إلا أهل بيتي فضننت بهم عن المنية و أغضيت على القذى و تجرعت رقي على الشجا و صبرت من كظم الغيظ علي أمر من العلقم و ألم للقلب من حز الشفار حتى إذا نقمتم على عثمان أتيتموه فقتلتموه ثم جئتموني لتبايعوني فأبيت عليكم و أمسكت يدي فنازعتموني و دافعتموني و بسطتم يدي فكففتها و مددتموها فقبضتها و ازدحمت علي حتى ظننت أن بعضكم قاتل بعضكم أو أنكم قاتلي فقلت بايعنا لا نجد غيرك و لا نرضى إلا بك بايعنا

لا نفترق و لا تختلف كلمتنا فبايعتكم و دعوت الناس إلى بيعتي فمن بايع طوعا قبلته و من أبى لم أكرهه و تركته فبايعني فيمن بايعني طلحة و الزبير و لو أبيا ما أكرهتهما كما لم أكره غيرهما فما لبثا إلا يسيرا حتى بلغني أنهما خرجا من مكة متوجهين إلى البصرة في جيش ما منهم رجل إلا قد أعطاني الطاعة و سمح لي بالبيعة فقدمنا على عاملي و خزان بيت مالي و على أهل مصري الذين كلهم على بيعتي و في طاعتي فشتتوا كلمتهم و أفسدوا جماعتهم ثم وثبوا على شيعتي من المسلمين فقتلوا طائفة منهم غدرا و طائفة صبرا و منهم طائفة غضبوا لله و لي فشهبوا سيوفهم و ضربوا بها حتى لقوا الله عز و جل صادقين فو الله لو لم يصيبوا منهم إلا رجلا واحدا متعمدين لقتله لحل لي به قتل ذلك الجيش بأسره فدع ما أنهم قد قتلوا من المسلمين أكثر من العدة التي دخلوا بها عليهم و قد أدال الله منهم فبعدا للقوم الظالمين ثم إني نظرت في أمر أهل الشام فإذا أعراب أحزاب و أهل طمع جفاة طغاة يجتمعون من كل أوب من كان ينبغي أن يؤدب و أن يولى عليه و يؤخذ على يده ليسوا من الأنصار و لا المهاجرين و لا التابعين بإحسان فسرت إليهم فدعوتهم إلى الطاعة و الجماعة فأبوا إلا شقاقا و فراقا و نهضوا في وجوه المسلمين ينضحونهم بالنبل و يشجرونهم بالرماح فهناك نهدت إليهم بالمسلمين فقاتلتهم فلما عضهم السلاح و وجدوا ألم الجراح رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها فأنبأتكم أنهم ليسوا بأهل دين و لا قرآن و أنهم رفعوها مكيدة و خديعة و وهنا و ضعفا فامضوا على حقكم و قتالكم فأبيتهم علي و قلتهم اقبل منهم فإن أجابوا إلى ما في الكتاب جامعونا على ما نحن عليه من

الحق و إن أبوا كان أعظم لحجتنا عليهم فقبلت منهم و كففت عنهم إذ ونيتهم و أبيتهم فكان الصلح بينكم و بينهم على رجلين يحييان ما أحيا القرآن و يميتان ما أمات القرآن فاختلف رأيهما و تفرق حكمهما و نبذا ما في القرآن و خالفا ما في الكتاب فجنبهما الله السداد و دلاهما في الضلالة فانحرفت فرقة منا فتركناهم ما تركونا حتى إذا عثوا في الأرض يقتلون و يفسدون أتيناهم فقلنا ادفعوا إلينا قتلة إخواننا ثم كتاب الله بيننا و بينكم قالوا كلنا قتلهم و كلنا استحل دماءهم و شدت علينا خيلهم و رجالهم فصرعهم الله مصارع الظالمين فلما كان ذلك من شأنهم أمرتكم أن تمضوا من فوركم ذلك إلى عدوكم فقلتم كلت سيوفنا و نفدت نبالنا و نصلت أسنة رماحنا و عاد أكثرها قصدا فارجع بنا إلى مصرنا لنستعد بأحسن عدتنا فإذا رجعت زدت في مقاتلتنا عدة من هلك منا و فارقنا فإن ذلك أقوى لنا على عدونا فأقبلت بكم حتى إذا أطللتم على الكوفة أمرتكم أن تنزلوا بالنخيلة و أن تلتزموا معسكركم و أن تضموا قواصيكم و أن توطنوا على الجهاد أنفسكم و لا تكثرُوا زيارة أبنائكم و نسائكم فإن أهل الحرب المصابروها و أهل التشمير فيها الذين لا ينقادون من سهر ليلهم و لا ظمأ نهارهم و لا خمص بطونهم و لا نصب أبدانهم فنزلت طائفة منكم معي معذرة و دخلت طائفة منكم المصر عاصية فلا من بقي منكم صبر و ثبت و لا من دخل المصر عاد و رجع فنظرت إلى معسكري و ليس فيه خمسون رجلا فلما رأيت ما أتيتم دخلت إليكم فلم أقدر على أن تخرجوا معي إلى يومنا هذا فما تنتظرون أ ما ترون أطرافكم قد انتقصت و إلى مصر قد فتحت و إلى شيعتي بها قد قتلت و إلى مسالحكم تعرى و إلى بلادكم تغزى و أنتم ذوو عدد كثير

و شوكة و بأس شديد فما بالكم بالله أنتم من أين تؤتون و ما لكم تؤفكون و أنى تسحرون و لو أنكم عزمتم و أجمعتم لم تراموا إلا أن القوم تراجعوا و تناشبا و تناصحوا و أنتم قد ونيتم و تغاشستم و افترقتم ما إن أنتم إن ألمتم عندي على هذا بسعداء فانتهاوا بأجمعكم و أجمعوا على حقكم و تجردوا لحرب عدوكم و قد أبدت الرغبة عن الصريح و بين الصبح لذي عينين إنما تقتاتلون الطلقاء و أبناء الطلقاء و أولي الجفاء و من أسلم كرها و كان لرسول الله ص أنف الإسلام كله حربا أعداء الله و السنة و القرآن و أهل البدع و الأحداث و من كان بوائقه تتقى و كان عن الإسلام منحرفا أكلة الرشا و عبدة الدنيا لقد أنهى إلي أن ابن النابغة لم يبايع معاوية حتى أعطاه و شرط له أن يؤتیه ما هي أعظم مما في يده من سلطانه ألا صفر يد هذا البائع دينه بالدنيا و خزيت أمانة هذا المشتري نصرة فاسق غادر بأموال المسلمين و إن فيهم من قد شرب فيكم الخمر و جلد الحد يعرف بالفساد في الدين و الفعل السيئ و إن فيهم من لم يسلم حتى رضى له رضىه فهؤلاء قادة القوم و من تركت ذكر مساوئه من قادتهم مثل من ذكرت منهم بل هو شر و يود هؤلاء الذين ذكرت لو ولوا عليكم فأظهروا فيكم الكفر و الفساد و الفجور و التسلط بجزيرة و اتبعوا الهوى و حكموا بغير الحق و لأنتم على ما كان فيكم من تواكل و تخاذل خير منهم و أهدي سبيلا فيكم العلماء و الفقهاء و النجباء و الحكماء و حملة الكتاب و المتعبدون بالأسفار و عمار المساجد بتلاوة القرآن أ فلا تسخطون و تهتمون أن ينازعكم الولاية عليكم سفهاؤكم و الأشرار الأراذل منكم

فاسمعوا قولي و أطيعوا أمري فو الله لئن أطعتموني لا تغوون و إن عصيتموني لا ترشدون خذوا للحرب أهبتها و أعدوا لها عدتها فقد شبت نارها و علا سناتها و تجرد لكم فيها الفاسقون كي يعذبوا عباد الله و يطفئوا نور الله ألا إنه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع و المكر و الجفاء بأولى في الجد في غيهم و ضلالتهم من أهل البر و الزهادة و الإخبات في حقهم و طاعة ربهم إني و الله لو لقيتهم فردا و هم ملأ الأرض ما باليت و لا استوحشت و إني من ضلالتهم التي هم فيها و الهدى الذي نحن عليه لعلی ثقة و بينة و يقين و بصيرة و إني إلى لقاء ربي لمشتاق و لحسن ثوابه المنتظر و لكن أسفا يعتريني و حزنا يخامرني أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها و فجارها فيتخذوا مال الله دولا و عباده خولا و الفاسقين حزبا و ايم الله لو لا ذلك لما أكثرت تأنيبكم و تحريضكم و لترككم إذ ونيتم و أبيتم حتى ألقاهم بنفسي متى حم لي لقاءهم فو الله إني لعلی الحق و إني للشهادة لمحب فانفروا خفافا و ثقالا و جاهدوا بأموالكم و أنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون و لا تشاقلوا إلى الأرض فتقروا بالخسف و تبوءوا بالذل و يكن نصيبكم الخسران إن أخا الحرب اليقظان و من ضعف أودى و من ترك الجهاد كان كالمغبون المهين اللهم اجمعنا و إياهم على الهدى و زهدنا و إياهم في الدنيا و اجعل الآخرة خيرا لنا و لهم من الأولى

خبر مقتل محمد بن أبي حذيفة

قال إبراهيم و حدثني محمد بن عبد الله بن عثمان عن المدائني أن محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس أصيب لما فتح عمرو بن العاص مصر فبعث به

إلى معاوية بن أبي سفيان و هو يومئذ بفلسطين فحبسه معاوية في سجن له فمكث فيه غير كثير
ثم هرب و كان ابن خال معاوية فأرى معاوية الناس أنه كره انفلاته من السجن و كان يحب أن
ينجو فقال لأهل الشام من يطلبه فقال رجل من خثعم يقال له عبيد الله بن عمرو بن ظلام و
كان شجاعا و كان عثمانيا أنا أطلبه فخرج في خيل فلحقه بحوارين.و قد دخل بغار هناك
فجاءت حمر فدخلته فلما رأت الرجل في الغار فزعت و نفرت فقال حمارون كانوا قريبا من الغار
إن لهذه الحمر لشأنا ما نفرها من هذا الغار إلا أمر فذهبوا ينظرون فإذا هم به فخرجوا به فوافاهم
عبد الله بن عمرو بن ظلام فسألهم و وصفه لهم فقالوا ها هو هذا فجاء حتى استخرجه و كره أن
يصير به إلى معاوية فيخلي سبيله فضرب عنقه ﷺ تعالى

٦٨ و من كلام له ع في ذم أصحابه

كَمْ أَدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى الْبَكَارُ الْعِمْدَةُ وَ الْثِيَابُ الْمُتَدَاعِيَةُ كُلَّمَا حِيصَتْ مِنْ جَانِبٍ تَهْتَكَتْ
مِنْ آخَرَ كُلَّمَا أَطْلَّ عَلَيْكُمْ مِنْسَرٌّ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ وَ انْجَحَرَ انْجَحَارَ
الضَّبَّةِ فِي جُحْرِهَا وَ الضَّبُعِ فِي وَجَارِهَا الدَّلِيلُ وَ اللَّهُ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ وَ مَنْ زُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ زُمِيَ بِأَفْوَقَ
نَاصِلٍ إِنَّكُمْ وَ اللَّهُ لَكَثِيرٌ فِي الْبَاحَاتِ قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّايَاتِ وَ إِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ وَ يُقِيمُ أَوْدَكُمْ وَ
لَكِنِّي وَ اللَّهُ لَا أَرَى إِصْلَاحَكُمْ بِإِفْسَادِ [فَسَادِي] نَفْسِي أَضَرَعَ اللَّهُ حُدُودَكُمْ وَ أَنْعَسَ جُدُودَكُمْ
لَا تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْبَاطِلَ وَ لَا تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كِإِبْطَالِكُمُ الْحَقَّ الْبَكَارُ جَمْعُ بَكَرٍ وَ هُوَ الْفَقِي
مِنَ الْإِبِلِ وَ الْعِمْدَةُ الَّتِي قَدْ انْشَدَخَتْ أَسْنَمَتُهَا مِنْ دَاخِلٍ وَ ظَاهِرُهَا صَحِيحٌ وَ ذَلِكَ لِكَثْرَةِ
رُكُوبِهَا. وَ الثِّيَابُ الْمُتَدَاعِيَةُ الْأَسْمَالُ الَّتِي قَدْ أَخْلَقَتْ وَ إِنَّمَا سَمِيَتْ مُتَدَاعِيَةً لِأَنَّ بَعْضَهَا يَتَخَرَّقُ فَيَدْعُو
بَعْضُهَا إِلَى مِثْلِ حَالِهِ. وَ حِيصَتْ خِيْطَتْ وَ الْحَوْصُ الْخِيَاطَةُ وَ تَهْتَكُ تَخْرُقُ

و أطل عليكم أي أشرف و روي أطل بالطاء المعجمة و المعنى واحد. و منسر قطعة من الجيش
تمر قدام الجيش الكثير و الأفصح منسر بكسر الميم و فتح السين و يجوز منسر بفتح الميم و كسر
السين. و انجحر استتر في بيته أجحرت الضب إذا ألجأته إلى جحره فانجحر. و الضبة أنثى الضباب
و إنما أوقع التشبيه على الضبة مبالغة في وصفهم بالجبن و الفرار لأن الأنثى أجبن و أذل من
الذكر و الوجار بيت الضبيع. و السهم الأفوق الناصل المكسور الفوق المنزوع النصل و الفوق
موضع الوتر من السهم يقال نصل السهم إذا خرج منه النصل فهو ناصل و هذا مثل يضرب لمن
استنجد بمن لا ينجده. و الباحات جمع باحة و هي ساحة الدار و الأود العوج أود الشيء بكسر
الواو يأود أودا أي أعوج و تأود أي تعوج و أضرع الله خدودكم أذل وجوهكم. ضرع الرجل ذل و
أضرعه غيره و منه المثل الحمى أضرعته لك. و أتعس جدودكم أي أحال حظوظكم و سعودكم و
أهلكها فجعلها إدبارا و نحسا. و التعس الهلاك و أصله الكب و هو ضد الانتعاش تعس الرجل
بفتح العين يتعس تعسا يقول كم أداريكم كما يداري راكب البعير بعيره المنفضخ السنام و كما
يداري لابس الثوب السمل ثوبه المتداعي الذي كلما خيط منه جانب تمزق جانب. ثم ذكر خبثهم
و ذلهم و قلة انتصار من ينتصر بهم و أنهم كثير في الصورة قليل في المعنى ثم قال إني عالم بما
يصلحكم يقول إنما يصلحكم في السياسة السيف و صدق فإن كثيرا لا يصلح إلا عليه كما فعل
الحجاج بالجيش الذي تقاعد بالمهلب

فإنه نادى مناديه من وجدناه بعد ثلاثة لم يلتحق بالمهلب فقد حل لنا دمه ثم قتل عمير بن ضابئ
و غيره فخرج الناس يهرعون إلى المهلب. و أمير المؤمنين لم يكن ليستحل من دماء أصحابه ما
يستحله من يريد الدنيا و سياسة الملك و انتظام الدولة

قال ع لکني لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي أي بإفساد ديني عند الله تعالى. فإن قلت أ
ليست نصرة الإمام واجبة عليهم فلم لا يقتلهم إذ أدخلوا بهذا الواجب قلت ليس كل إخلال
بواجب يكون عقوبته القتل كمن أخل بالحج و أيضا فإنه كان يعلم أن عاقبة القتل فسادهم عليه
و اضطرابهم فلو أسرع في قتلهم لشغبوا عليه شغبا يفضي إلى أن يقتلوه و يقتلوا أولاده أو يسلموه
و يسلموهم إلى معاوية و متى علم هذا أو غلب على ظنه لم يجز له أن يسوسهم بالقتل الذي
يفضي إلى هذه المفسدة فلو ساسهم بالقتل و الحال هذه لكان آثما عند الله تعالى و موقعا للقبیح
و في ذلك إفساد دينه كما قال لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل إلى آخر الفصل فكأنه قال لا
تعتقدون الصواب و الحق كما تعتقدون الخطأ و الباطل أي اعتقادكم الحق قليل و اعتقادكم
الباطل كثير فعبّر عن الاعتقاد العام بالمعرفة الخاصة و هي نوع تحت جنسه مجازا. ثم قال و لا
تسرعون في نقض الباطل سرعتكم في نقض الحق و هدمه

طائفة من الأشعار الواردة في ذم الجبن

و اعلم أن الهجاء بالجبن و الذل الفرق كثير جدا و نظير قوله إنكم لكثير في الباحات قليل
تحت الرايات قول معدان الطائي

فأما الذي يحصيهم فمكثر و أما الذي يطريهم فمقلل

و نحو قول قراد بن حنش و هو من شعر الحماسة

و أنتم سماء يعجب الناس رزها بأبدة تنحي شديد وئيدها
تقطع أطناب البيوت بحاصب و أكذب شيء برفها و رعوها
فويلمها خيلا بهاء و شارة إذا لاقت الأعداء لو لا صدودها

و من شعر الحماسة في هذا المعنى

لقد كان فيكم لو وفيتم بماركم لحى و رقاب عردة و مناخر
من الصهب أثناء و جذعا كأنها عذارى عليها شارة و معاجر
و من الهجاء بالجبين و الفرار قول بعض بني طيء يهجو حاتما و هو من شعر الحماسة أيضا
لعمري و ما عمري على بهين لبئس الفتى المدعو بالليل حاتم
غداة أتى كالثور أخرج فاتقى بجهته أقتاله و هو قائم
كأن بصحراء المريط نعامه تبادرها جناح الظلام نعائم
أعارتك رجليها و هائي لبها و قد جردت بيض المتون صوارم

و نظير المعنى الأول أيضا قول بعضهم من شعر الحماسة
كأثر بسعد إن سعدة كثيرة و لا ترج من سعد وفاء و لا نصرا
يروعك من سعد بن عمرو جسومها و تزهدها حين تقتلها خيرا
و منه قول عوف القوافي
و ما أمكم تحت الخوافق و القنا بشكلى و لا زهراء من نسوة زهر
ألستم أقل الناس عند لوائهم و أكثرهم عند الذبيحة و القدر
و ممن حسن الجبن و الفرار بعض الشعراء في قوله
أضحت تشجني هند و قد علمت أن الشجاعة مقرون بها العطب
لا و الذي حجت الأنصار كعبته ما يشتهي الموت عندي من له أرب
للحرب قوم أضل الله سعيهم إذا دعيتهم إلى حوماتها و ثبوا
و لست منهم و لا أهوى فعالهم لا القتل يعجبني منها و لا السلب
و من هذا قول أيمن بن خريم الأسدي
إن للفتنة ميطا بيننا و وريد الميط منها يعتدل
فإذا كان عطاء فابتدر و إذا كان قتال فاعتزل
إنما يسرعا جهالها حطب النار فدعها تشتعل
و ممن عرف بالجبن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد عيره عبد الملك بن مروان فقال

إذا صوت العصفور طار فؤاده و ليث حديد الناب عند الثرائد
و قال آخر
يطير فؤاده من نبح كلب و يكفيه من الزجر الصفير
و قال آخر
و لو أنها عصفورة لحسبتها مسومة تدعو عبيدا و أزمتها

أخبار الجبناء و ذكر نوادرهم

و من أخبار الجبناء ما رواه ابن قتيبة في كتاب عيون الأخبار قال رأى عمرو بن العاص معاوية يوما فضحك و قال مم تضحك يا أمير المؤمنين أضحك الله سنك قال أضحك من حضور ذهنك عند إبدائك سوءتك يوم ابن أبي طالب و الله لقد وجدته منانا كريما و لو شاء أن يقتلك لقتلك فقال عمرو يا أمير المؤمنين أما و الله إني لعن يمينك حين دعاك إلى البراز فأحولت عيناك و انفتح سحرك و بدا منك ما أكره ذكره لك فمن نفسك فاضحك أو فدع قال ابن قتيبة و قدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك و عليه درع و عمامة سوداء و قوس عربية و كنانة فبعثت أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان إلى الوليد و هي تحته يومئذ من هذا الأعرابي المستلثم في الصلاح عندك على خلوة و أنت في غلالة

فأرسل إليها الوليد أنه الحجاج فأعادت عليه الرسول و الله لأن يخلو بك ملك الموت أحب إلي من أن يخلو بك الحجاج فضحك و أخبر الحجاج بقولها و هو يمازحه فقال الحجاج يا أمير المؤمنين دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فإنما المرأة ريحانة و ليست بقهرمانة فلا تطلعها على شرك و مكايده عدوك. فلما انصرف الحجاج و دخل الوليد على امرأته أخبرها بمقالة الحجاج فقالت يا أمير المؤمنين حاجتي إليك اليوم أن تأمره غدا أن يأتيني مستلقما ففعل ذلك و أتاها الحجاج فحجبتة ثم أدخلته و لم تأذن له في القعود فلم يزل قائما ثم قالت إيه يا حجاج أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتلك ابن الزبير و ابن الأشعث أما و الله لو لا أن الله علم أنك شر خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة الحرام و لا بقتل ابن ذات النطاقين أول مولود في الإسلام و أما نهيك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء و بلوغ لذاته و أوطاره فإن كن ينفرجن عن مثلك فما أحقه بالقبول منك و إن كن ينفرجن عن مثله فهو غير قابل لقولك أما و الله لو نفص نساء أمير المؤمنين الطيب من غدائهن فبعنه في أعطية أهل الشام حين كنت في أضيق من القرن قد أظلتك الرماح و أثخنك الكفاح و حين كان أمير المؤمنين أحب إليهم من آبائهم و أبنائهم فأنجاك الله من عدو أمير المؤمنين بحبهم إياه قاتل الله القاتل حين ينظر إليك و سنان غزالة بين كتفيك

أسد علي و في الحروب نعامة ربداء تنفر من صفيير الصافر
هلا برزت إلى غزالة في الوغى أم كان قلبك في جناحي طائر
ثم قالت لجواربها أخرجنه فاخرج.

و من طريف حكايات الجبناء ما ذكره ابن قتيبة أيضا في الكتاب المذكور قال كان بالبصرة شيخ من بني نھشل بن دارم يقال له عروة بن مرثد و يكنى أبا الأعز ينزل في بني أخت له من الأزدي في سكة بني مازن فخرج رجالهم إلى ضياعهم في شهر رمضان و خرج النساء يصلين في مسجدهم و لم يبق في الدار إلا إماء فدخل كلب يتعسس فرأى بيتا مفتوحا فدخله و انصفق الباب عليه فسمع بعض الإماء الحركة فظنوا أنه لص دخل الدار فذهبت إحداهن إلى أبي الأعز فأخبرته فقال أبو الأعز إلام يتغني اللص عندنا و أخذ عصاه و جاء حتى وقف بباب البيت و قال إيه يا فلان أما و الله إني بك لعارف فهل أنت من لصوص بني مازن شربت حامضا خبيثا حتى إذا دارت في رأسك منتك نفسك الأماني و قلت أطرق دور بني عمرو و الرجال خلوف و النساء يصلين في مسجدهن فأسرقهن سوءة لك و الله ما يفعل هذا ولد الأحرار و ايم الله لتخرجن أو لأهتفن هتفة مشئومة يلتقي فيها الحيان عمرو و حنظلة و تحيء سعد عدد الحصى و تسيل عليك الرجال من هنا و هنا و لئن فعلت لتكونن أشأم مولود. فلما رأى أنه لا يجيبه أخذه باللين فقال اخرج بأبي أنت مستورا و الله ما أراك تعرفني و لو عرفني لقنعت بقولي و اطمأنت إلى ابن أختي البار الوصول أنا فديتك أبو الأعز النهشلي و أنا خال القوم و جلدة بين أعينهم لا يعصوني و لا تضار الليلة و أنت في ذمتي و عندي قوصرتان أهداهما إلى ابن أختي البار الوصول فخذ إحداها فانبذها حلالا من الله و رسوله. و كان الكلب إذا سمع الكلام أطرق و إذا سكث أبو الأعز وثب يريد المخرج فتهانف أبو الأعز ثم تضاحك و قال يا ألام الناس و أوضعهم أ لا أراني لك منذ الليلة

في واد و أنت لي في واد آخر أقبلت السوداء و البيضاء فتصيح و تطرق فإذا سكنت عنك و ثبتت تريد الخروج و الله لتخرجن أو لألجن عليك البيت. فلما طال وقوفه جاءت إحدى الإماء فقالت أعرابي مجنون و الله ما أرى في البيت شيئاً فدفعت الباب فخرج الكلب شاردا و حاد عنه أبو الأعز ساقطا على قفاه شائلة رجلاه و قال تالله ما رأيت كالليلة هذه ما أراه إلا كلبا و لو علمت بحاله لولجت عليه. و نظير هذه الحكاية حكاية أبي حية النميري و كان جبانا قليل كان لأبي حية سيف ليس بينه و بين الخشب فرق كان يسميه لعاب المنية فحكى عنه بعض جيرانه أنه قال أشرفت عليه ليلة و قد انتضاه و هو واقف بباب بيت في داره و قد سمع فيه حسا و هو يقول أيها المغتر بنا المجترئ علينا بئس و الله ما اخترت لنفسك خير قليل و سيف صقيل لعاب المنية الذي سمعت به مشهورة صولته و لا تخاف نبوته اخرج بالعفو عنك لا أدخل بالعقوبة عليك إني و الله إن أدع قيسا تملأ الفضاء عليك خيلا و رجلا سبحان الله ما أكثرها و أطيبها و الله ما أنت ببعيد من تابعها و الرسوب في تيار لجتها. و قال وهبت ريح ففتحت الباب فخرج كلب يشتد فلبط بأبي حية و أربد و شغل برجليه و تبادرت إليه نساء الحي فقلن يا أبا حية لتفرخ روعتك إنما هو كلب فجلس و هو يقول الحمد لله الذي مسخك كلبا و كفاني حربا. و خرج مغيرة بن سعيد العجلي في ثلاثين رجلا ظهر الكوفة فعطعوا و خالد بن عبد الله القسري أمير العراق يخطب على المنبر فعرق و اضطرب و تحير و جعل يقول أطعموني ماء فهجاه ابن نوفل فقال

أخالد لا جزاك الله خيرا و أيري في حرامك من أمير
تروم الفخر في أعراب قسر كأنك من سرة بني جرير
جرير من ذوي يمن أصيل كريم الأصل ذو خطر كبير
و أمك علجة و أبوك وغد و ما الأذنان عدل للصدور
و كنت لدى المغيرة عبد سوء تبول من المخافة للزئير
لأعلاج ثمانية و شيخ كبير السن ليس بذي ضرير
صرخت من المخافة أطعموني شرابا ثم بلت على السرير
و قال آخر يعيره بذلك

بل المنابر من خوف و من دهش و استطعم الماء لما جد في الهرب
و من كلام ابن المقفع في ذم الجبن الجبن مقتلة و الحرص محرمة فانظر فيما رأيت و سمعت من
قتل في الحرب مقبلا أكثر أم من قتل مدبرا و انظر من يطلب إليك بالإجمال و التكرم أحق أن
تسخو نفسك له بالعطية أم من يطلب ذلك بالشره و الحرص

٦٩ و قال ع في سحرة اليوم الذي ضرب فيه

مَلَكْتَنِي عَيْنِي وَ أَنَا جَالِسٌ فَسَنَحَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ص فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاذَا لَقِيتُ مِنْ أَمَّتِكَ
مِنَ الْأَوْدِ وَ اللَّدِّ فَقَالَ أَدْعُ عَلَيْهِمْ فَقُلْتُ أَبْدَلْنِي اللَّهُ بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَ أَبْدَلَهُمْ بِي شَرًّا لَهُمْ مِنِّي قَالَ
الرضي عنه يعني بالأود الاعوجاج و بالدد الخصام و هذا من أفصح الكلام قوله ملكتني عيني من
فصيح الكلام يريد غلبي النوم قوله فسنع لي رسول الله ص يريد مر بي كما تسنع الأطباء و الطير
يمر بك و يعترض لك. و ذا هاهنا بمعنى الذي كقوله تعالى (**مَاذَا تَرَى**) أي ما الذي ترى يقول
قلت له ما الذي لقيت من أمتك و ما هاهنا استفهامية كأى و يقال ذلك فيما يستعظم أمره
كقوله سبحانه (**الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ**) و شرا هاهنا لا يدل على أن فيه شرا كقوله (**قُلْ أَذِلَّكَ**
خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ) لا يدل على أن في النار خيرا

خبر مقتل الإمام علي كرم الله وجهه

و يجب أن نذكر في هذا الموضع مقتله ع و أصح ما ورد في ذلك ما ذكره أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في كتاب مقاتل الطالبين. قال أبو الفرج علي بن الحسين بعد أسانيد ذكرها مختلفة متفرقة تجتمع على معنى واحد نحن ذاكروه إن نفرا من الخوارج اجتمعوا بمكة فتذاكروا أمر المسلمين فعابوهم و عابوا أعمالهم عليهم و ذكروا أهل النهروان فترحموا عليهم و قال بعضهم لبعض لو أنا شربنا أنفسنا لله عز و جل فأتينا أئمة الضلال و طلبنا غرتهم و أرحنا منهم العباد و البلاد و ثأرنا بإخواننا الشهداء بالنهروان. فتعاقدوا عند انقضاء الحج فقال عبد الرحمن بن ملجم أنا أكفيكم عليا و قال واحد أنا أكفيكم معاوية و قال الثالث أنا أكفيكم عمرو بن العاص فتعاقدوا و توثقوا على الوفاء و ألا ينكل أحد منهم عن صاحبه الذي يتوجه إليه و لا عن قتله و اتعدوا لشهر رمضان في الليلة التي قتل فيها ابن ملجم عليا. قال أبو الفرج قال أبو مخنف قال أبو زهير العبسي الرجلان الآخران البرك بن عبد الله التميمي و هو صاحب معاوية و عمرو بن بكر التميمي و هو صاحب عمرو بن العاص. قال فأما صاحب معاوية فإنه قصده فلما وقعت عينه عليه ضربه فوقعت ضربته على أليته و أخذ فجاء الطبيب إليه فنظر إلى الضربة فقال إن السيف مسموم فاختر إما أن أحمي لك حديدة فأجعلها في الضربة فتبرأ و إما أن أسقيك دواء فتبرأ و ينقطع نسلك فقال أما النار فلا أطيقها و أما النسل ففي يزيد و عبد الله ما تقرر عيني و حسبي بهما. فسقاه الدواء فعوفي و عالج جرحه حتى التأم و لم يولد له بعد ذلك.

و قال له البرك بن عبد الله إن لك عندي بشارة قال و ما هي فأخبره خبر صاحبه و قال له إن عليا قتل في هذه الليلة فاحتبسني عندك فإن قتل فأنت ولي ما تراه في أمري و إن لم يقتل أعطيتك العهود و الموائيق أن أمضي إليه فأقتله ثم أعود إليك فأضع يدي في يدك حتى تحكم في بما ترى فحبسه عنده فلما أتى الخبر أن عليا قتل في تلك الليلة خلى سبيله. هذه رواية إسماعيل بن راشد و قال غيره من الرواة بل قتله من وقته. و أما صاحب عمرو بن العاص فإنه وافاه في تلك الليلة و قد وجد علة فأخذ دواء و استخلف رجلا يصلي بالناس يقال له خارجة بن أبي حبيبة أحد بني عامر بن لؤي فخرج للصلاة فشد عمرو بن بكر فضربه بالسيف فأثبتته و أخذ الرجل فأتي به عمرو بن العاص فقتله و دخل من غد إلى خارجة و هو يجود بنفسه فقال أما و الله يا أبا عبد الله ما أراد غيرك قال عمرو و لكن الله أراد خارجة. و أما ابن ملجم فإنه قتل عليا تلك الليلة. قال أبو الفرج و حدثني محمد بن الحسن الأشنانداني و غيره قال أخبرني علي بن المنذر الطريقي قال حدثنا ابن فضيل قال حدثنا فطر عن أبي الطفيل قال جمع علي ع الناس للبيعة فجاء عبد الرحمن بن ملجم فردده علي مرتين أو ثلاثا ثم مد يده فبايعه فقال له علي ما يحبس أشقاها فو الذي نفسي بيده لتخضبن هذه من هذه ثم أنشد

اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لافيكا
و لا تجزع من الموت إذا حبل بواديكا

قال أبو الفرج

و قد روي لنا من طرق غير هذه أن عليا أعطى الناس فلما بلغ ابن ملجم أعطاه و قال له
أريد حياته و يريد قتلتي عذيرك من خليلك من مراد
قال أبو الفرج و حدثني أحمد بن عيسى العجلي بإسناد ذكره في الكتاب إلى أبي زهير العبسي
قال كان ابن ملجم من مراد و عداؤه في كندة فأقبل حتى قدم الكوفة فلقي بها أصحابه و كتّمهم
أمره و طوى عنهم ما تعاقد هو و أصحابه عليه بمكة من قتل أمراء المسلمين مخافة أن ينتشر و زار
رجلا من أصحابه ذات يوم من بني تيم الرباب فصادف عنده قطام بنت الأخضر من بني تيم
الرباب و كان علي قتل أخاها و أباه بالنهروان و كانت من أجمل نساء أهل زمانها فلما رآها
شغف بها و اشتد إعجابه فخطبها فقالت له ما الذي تسمي لي من الصداق فقال احتكمي ما
بدا لك فقالت أحتكم عليك ثلاثة آلاف درهم و وصيفا و خادما و أن تقتل علي بن أبي
طالب. فقال لها لك جميع ما سألت و أما قتل علي فأني لي بذلك قالت تلتمس غرته فإن أنت
قتلته شفيت نفسي و هنأك العيش معي و إن قتلت فما عند الله خير لك من الدنيا فقال لها أما
و الله ما أقدمني هذا المصير و قد كنت هاربا منه لآمن أهله إلا ما سألتني من قتل علي. قالت له
فأنا طالبة لك بعض من يساعدك على هذا و يقويك ثم بعثت إلى وردان بن مجالد أحد بني تيم
الرباب فخبّره الخبر و سأله معاونة ابن ملجم فتحمل لها ذلك و خرج ابن ملجم فأتى رجلا من
أشجع يقال له شبيب بن بجرة و قال له يا شبيب هل لك في شرف الدنيا و الآخرة قال و ما
ذاك قال تساعدني على قتل علي و كان شبيب على رأي الخوارج فقال له هبلك الهبول لقد
جئت شيئا إذا و كيف تقدر ويحك على ذلك قال ابن ملجم نكمن له في المسجد الأعظم

فإذا خرج لصلاة الفجر فتكنا به و شفيينا أنفسنا منه و أدركنا ثأرنا فلم يزل به حتى أجابه. فأقبل به حتى دخلا على قطام و هي معتكفة في المسجد الأعظم قد ضربت لها قبة فقالا لها قد أجمع رأينا على قتل هذا الرجل قالت لهما فإذا أردتما ذلك فالقياني في هذا الموضع فانصرفا من عندها فلبثا أياما ثم أتياها و معهما وردان بن مجالد الذي كلفته مساعدة ابن ملجم و ذلك في ليلة الجمعة لتسع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربعين. قال أبو الفرج هكذا في رواية أبي مخنف و في رواية أبي عبد الرحمن السلمي أنها كانت ليلة سبع عشرة من شهر رمضان فقال لها ابن ملجم هذه الليلة هي التي وعدت فيها صاحبي و وعداني أن يقتل كل واحد منا صاحبه الذي يتوجه إليه. قلت إنما تواعدوا بمكة عبد الرحمن و البرك و عمرو على هذه الليلة لأنهم يعتقدون أن قتل ولاية الجور قريبة إلى الله و أخرى القربات ما تقرب به في الأوقات الشريفة المباركة. و لما كانت ليلة الجمعة التاسعة عشرة من شهر رمضان ليلة شريفة يرجى أن تكون ليلة القدر عيئوها لفعل ما يعتقدونه قريبة إلى الله فليعجب المتعجب من العقائد كيف تسري في القلوب و تغلب على العقول حتى يرتكب الناس عظام الأمور و أهوال الخطوب لأجلها قال أبو الفرج فدعت لهم بحريز فعصبت به صدورهم و تقلدوا سيوفهم و مضوا فجلسوا مقابل السدة التي كان يخرج منها علي ع إلى الصلاة.

قال أبو الفرج و قد كان ابن ملجم أتى الأشعث بن قيس في هذه الليلة فخلا به في بعض نواحي المسجد و مر بهما حجر بن عدي فسمع الأشعث و هو يقول لابن ملجم النجاء النجاء بحاجتك فقد فضحك الصبح قال له حجر قتلتني يا أعور و خرج مبادرا إلى علي و قد سبقه ابن ملجم فضربه فأقبل حجر و الناس يقولون قتل أمير المؤمنين. قال أبو الفرج و للأشعث بن قيس في انحرافه عن أمير المؤمنين أخبار يطول شرحها

منها حديث حدثني محمد بن الحسين الأشنادباني قال حدثني إسماعيل بن موسى قال حدثنا علي بن مسهر عن الأجلح عن موسى بن أبي النعمان قال جاء الأشعث إلى علي يستأذن عليه فردده قنبر فأدمى الأشعث أنفه فخرج علي و هو يقول ما لي و لك يا أشعث أما و الله لو بعبد ثقيف تمرست لأقشعرت شعيراتك قيل يا أمير المؤمنين و من عبد ثقيف قال غلام لهم لا يبقى أهل بيت من العرب إلا أدخلهم ذلا قيل يا أمير المؤمنين كم يلي أو كم يمكث قال عشرين إن بلغها

قال أبو الفرج و حدثني محمد بن الحسين أيضا بإسناد ذكره أن الأشعث دخل على علي فكلمه فأغلظ علي له فعرض له الأشعث أنه سيفتك به فقال له علي أ بالموت تخوفني أو تهددني فو الله ما أبالي وقعت على الموت أو وقع الموت علي. قال أبو الفرج قال أبو مخنف فحدثني أبي عن عبد الله بن محمد الأزدي قال إني لأصلي تلك الليلة في المسجد الأعظم مع رجال من أهل المصر كانوا يصلون في ذلك الشهر من أول الليل إلى آخره إذ نظرت إلى رجال يصلون قريبا من السدة قياما و قعودا و ركوعا و سجودا ما يسأمون إذ خرج عليهم علي بن أبي طالب الفجر فأقبل ينادي الصلاة الصلاة فرأيت بريق السيف و سمعت قائلا يقول الحكم لله يا علي لا لك

ثم رأيت بريق سيف آخر و سمعت صوت علي ع يقول لا يفوتنكم الرجل. قال أبو الفرج فأما بريق السيف الأول فإنه كان شبيب بن بجرة ضربه فأخطأه و وقعت ضربته في الطاق و أما بريق السيف الثاني فإنه ابن ملجم ضربه فأثبت الضربة في وسط رأسه و شد الناس عليهما من كل ناحية حتى أخذوهما. قال أبو مخنف فهمدان تذكر أن رجلا منهم يكنى أبا أدماء أخذ ابن ملجم. و قال غيرهم بل أخذه المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب طرح عليه قطيفة ثم صرعه و أخذ السيف من يده و جاء به. قال و أما شبيب بن بجرة فإنه خرج هاربا فأخذه رجل فصرعه و جلس على صدره و أخذ السيف من يده ليقتله فرأى الناس يقصدون نحوه فخشي أن يعجلوا عليه فوثب عن صدره و خلاه و طرح السيف عن يده و أما شبيب بن بجرة ففاته فخرج هاربا حتى دخل منزله فدخل عليه ابن عم له فرآه يحل الحرير عن صدره فقال له ما هذا لعلك قتلت أمير المؤمنين فأراد أن يقول لا فقال نعم فمضى ابن عمه فاشتمل على سيفه ثم دخل عليه فضربه حتى قتله.

قال أبو مخنف فحدثني أبي عن عبد الله بن محمد الأزدي قال أدخل ابن ملجم على علي ع و دخلت عليه فيمن دخل فسمعت عليا يقول النفس بالنفس إن أنا مت فاقتلوه كما قتلني و إن سلمت رأيت فيه رأيي فقال ابن ملجم و لقد اشتريته بألف يعني السيف و سممته بألف فإن خانني فأبعده الله قال فنادته أم كلثوم يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين قال إنما قتلت أباك قالت يا عدو الله إني لأرجو

ألا يكون عليه بأس قال فأراك إنما تبكين عليا إذا و الله لقد ضربته ضربة لو قسمت بين أهل الأرض لأهلكتهم. قال أبو الفرج و أخرج ابن ملجم من بين يديه و هو يقول
نحن ضربنا يا بنة الخير إذ طغى أبا حسن مأمومة فتفطرا
و نحن حللنا ملكه من نظامه بضربة سيف إذ علا و تجبرا
و نحن كرام في الصباح أعزة إذا المرء بالموت ارتدى و تأزرا
قال و انصرف الناس من صلاة الصبح فأحدقوا بابن ملجم ينهشون لحمه بأسنانهم كأنهم السباع و يقولون يا عدو الله ما ذا صنعت أهلكت أمة محمد و قتلت خير الناس و إنه لصامت ما ينطق.

قال أبو الفرج و روى أبو مخنف عن أبي الطفيل أن صعصعة بن صوحان استأذن على علي ع و قد أتاه عائدا لما ضربه ابن ملجم فلم يكن عليه إذن فقال صعصعة للآذن قل له يرحمك الله يا أمير المؤمنين حيا و ميتا فلقد كان الله في صدرك عظما و لقد كنت بذات الله عليما فأبلغه الآذن مقالته فقال قل له و أنت يرحمك الله فلقد كنت خفيف المئونة كثير المعونة. قال أبو الفرج ثم جمع له أطباء الكوفة فلم يكن منهم أحد أعلم بجرحه من أثير بن عمرو بن هانئ السكوني و كان متطببا صاحب كرسي يعالج الجراحات و كان من الأربعين غلاما الذين كان خالد بن الوليد أصابهم في عين التمر فسباهم فلما نظر أثير إلى جرح أمير المؤمنين دعا برئة شاة حارة فاستخرج منها عرقا و أدخله في الجرح ثم نفخه ثم

استخرجه و إذا عليه بياض الدماغ فقال يا أمير المؤمنين اعهد عهدك فإن عدو الله قد وصلت
ضربته إلى أم رأسك فدعا علي ع عند ذلك بدواة و صحيفة و كتب وصيته: هذا ما أوصى به
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أوصى بأنه يشهد أن لا إله إلا الله و أن مُحَمَّدًا عبده و رسوله
أرسله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون صلوات الله و بركاته عليه إن
صلاحي و نسكي و محياي و مماتي لله رب العالمين لا شريك له و بذلك أمرت و أنا أول المسلمين
أوصيك يا حسن و جميع ولدي و أهل بيتي و من بلغه كتابي هذا بتقوى الله ربنا و ربكم و لا
تموتن إلا و أنتم مسلمون و اعتصموا بحبل الله جميعا و لا تفرقوا فإني سمعت رسول الله يقول
صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة و الصيام و إن المبيرة حالقة الدين إفساد ذات البين و
لا قوة إلا بالله العلي العظيم انظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوها بهون الله عليكم الحساب و الله الله
في الأيتام فلا تغيرن أفواههم بجفوتكم و الله الله في جيرانكم فإنها وصية رسول الله ص فما زال
يوصينا بهم حتى ظننا أنه سيورثهم الله و الله الله في القرآن فلا يسبقنكم بالعمل به غيركم و الله الله
في الصلاة فإنها عماد دينكم و الله الله في صيام شهر رمضان فإنه جنة من النار و الله الله في
الجهاد بأموالكم و أنفسكم و الله الله في زكاة أموالكم فإنها تطفئ غضب ربكم و الله الله في أهل
بيت نبيكم فلا يظلمن بين أظهركم و الله الله في أصحاب نبيكم فإن رسول الله ص أوصى بهم و
الله الله في الفقراء و المساكين فأشركوهم في معاشكم و الله الله فيما ملكت أيما نكم فإنه كانت
آخر وصية رسول الله ص إذ قال أوصيكم بالضعيفين فيما ملكت أيما نكم ثم الصلاة الصلاة لا
تخافوا في الله لومة لائم يكفكم من بغى عليكم و من أرادكم بسوء قولوا للناس حسنا كما أمركم
الله به و لا تتركوا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فيتولى ذلك غيركم و تدعون فلا يستجاب
لكم عليكم بالتواضع و التبادل و التبار و إياكم و التقاطع و التفرق

و التدابر تعاونوا على البر و التقوى و لا تعاونوا على الإثم و العدوان و اتقوا الله إن الله شديد العقاب حفظكم الله من أهل بيت و حفظ فيكم نبيه أستودعكم الله خير مستودع و عليكم سلام الله و رحمته.قلت قوله و الله الله في الأيتام فلا تغيرن أفواههم بجفوتكم يحتمل تفسيرين أحدهما لا تجيعوهم فإن الجائع يخلف فمه و تتغير نكهته و الثاني لا تحوجوهم إلى تكرار الطلب و السؤال فإن السائل ينضب ريقه و تنشف لهواته و يتغير ريح فمه.و قوله حكاية عن رسول الله ص أوصيكم بالضعيفين فيما ملكت أيمانكم يعني به الحيوان الناطق و الحيوان الأعجم.

قال أبو الفرج و حدثني أبو جعفر محمد بن جرير الطبري بإسناد ذكره في الكتاب عن أبي عبد الرحمن السلمي قال قال لي الحسن بن علي ع خرجت و أبي يصلي في المسجد فقال لي يا بني إني بت الليلة أوقظ أهلي لأنها ليلة الجمعة صبيحة يوم بدر لتسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان فملكنتي عيناي فسنح لي رسول الله ص فقلت يا رسول الله ما ذا لقيت من أمتك من الأود و اللدد فقال لي ادع عليهم فقلت اللهم أبدلني بهم خيرا منهم و أبدلهم بي من هو شر مني قال الحسن ع و جاء ابن أبي الساج فأذنه بالصلاة فخرج فخرجت خلفه فاعتوره الرجلان فأما أحدهما فوقعت ضربته في الطاق و أما الآخر فأثبتتها في رأسه.قال أبو الفرج قال حدثني أحمد بن عيسى قال حدثنا الحسين بن نصر قال

حدثنا زيد بن المعدل عن يحيى بن شعيب عن أبي مخنف عن فضيل بن خديج عن الأسود الكندي و الأجلح قالوا توفي علي ع و هو ابن أربع و ستين سنة في عام أربعين من الهجرة ليلة لإحدى و عشرين ليلة الأحد مضت من شهر رمضان و ولي غسله ابنه الحسن و عبد الله بن العباس و كفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص و صلى عليه ابنه الحسن فكبر عليه خمس تكبيرات و دفن بالرحبة مما يلي أبواب كندة عند صلاة الصبح. هذه رواية أبي مخنف.

قال أبو الفرج و حدثني أحمد بن سعيد قال حدثنا يحيى بن الحسن العلوي قال حدثنا يعقوب بن زيد عن ابن أبي عمير عن الحسن بن علي الخلال عن جده قال قلت للحسين بن علي ع أين دفنتم أمير المؤمنين ع قال خرجنا به ليلاً من منزله حتى مررنا به على منزل الأشعث بن قيس ثم خرجنا به إلى الظهر بجنب الغري. قلت و هذه الرواية هي الحق و عليها العمل و قد قلنا فيما تقدم إن أبناء الناس أعرف بقبور آبائهم من غيرهم من الأجانب و هذا القبر الذي بالغري هو الذي كان بنو علي يزورونه قديماً و حديثاً و يقولون هذا قبر أبينا لا يشك أحد في ذلك من الشيعة و لا من غيرهم أعني بني علي من ظهر الحسن و الحسين و غيرهما من سلالة المتقدمين منهم و المتأخرين ما زاروا و لا وقفوا إلا على هذا القبر بعينه. و قد روى أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في تاريخه المعروف بالمنتظم وفاة

أبي الغنائم مُجَّد بن علي بن ميمون النرسي المعروف بأبي لجوده قراءته قال توفي أبو الغنائم هذا في سنة عشر و خمسمائة و كان محدثا من أهل الكوفة ثقة حافظا و كان من قوام الليل و من أهل السنة و كان يقول ما بالكوفة من هو على مذهب أهل السنة و أصحاب الحديث غيري و كان يقول مات بالكوفة ثلاثمائة صحابي ليس قبر أحد منهم معروفا إلا قبر أمير المؤمنين و هو هذا القبر الذي يزوره الناس الآن جاء جعفر بن مُجَّد ع و أبوه مُجَّد بن علي بن الحسين ع إليه فزاراه و لم يكن إذ ذاك قبرا معروفا ظاهرا و إنما كان به سرح عضاه حتى جاء مُجَّد بن زيد الداعي صاحب الديلم فأظهر القبر. و سألت بعض من أثق به من عقلاء شيوخ أهل الكوفة عما ذكره الخطيب أبو بكر في تاريخه أن قوما يقولون إن هذا القبر الذي تزوره الشيعة إلى جانب الغري هو قبر المغيرة بن شعبة فقال غلطوا في ذلك قبر المغيرة و قبر زياد بالثوبة من أرض الكوفة و نحن نعرفهما و ننقل ذلك عن آبائنا و أجدادنا و أنشدني قول الشاعر يرثي زيادا و قد ذكره أبو تمام في الحماسة

صلى الإله على قبر و طهره	عند الثوبة يسفي فوقه المور
زفت إليه قريش نعش سيدها	فالعلم و الجود فيه اليوم مقبور
أبا المغيرة و الدنيا مفجعة	و إن من غرت الدنيا لمغرور

قد كان عندك للمعروف معرفة و كان عندك للمنكور تنكير
و كنت تغشى و تعطى المال من سعة فاليوم قبرك أضحي و هو مهجور
و الناس بعدك قد خفت حلومهم كأنما نفخت فيه الأعاصير
و سألت قطب الدين نقيب الطالبين أبا عبد الله الحسين بن الأقساسي رحمته الله تعالى عن ذلك
فقال صدق من أخبرك نحن و أهلها كافة نعرف مقابر ثقيف إلى الثوبة و هي إلى اليوم معروفة و
قبر المغيرة فيها إلا أنها لا تعرف و قد ابتلعها السبخ و زيد الأرض و فورانها فطمست و اختلط
بعضها ببعض. ثم قال إن شئت أن تتحقق أن قبر المغيرة في مقابر ثقيف فانظر إلى كتاب الأغاني
لأبي الفرج علي بن الحسين و المح ما قاله في ترجمة المغيرة و أنه مدفون في مقابر ثقيف و يكفيك
قول أبي الفرج فإنه الناقد البصير و الطبيب الخبير فتصفحت ترجمة المغيرة في الكتاب المذكور
فوجدت الأمر كما قاله النقيب. قال أبو الفرج كان مصقلة بن هبيرة الشيباني قد لاحى المغيرة في
شيء كان بينهما منازعة فضرع له المغيرة و تواضع في كلامه حتى طمع فيه مصقلة فاستعلى عليه
و شتمه و قال إني لأعرف شبهي في عروة ابنك فأشهد المغيرة على قوله هذا شهودا ثم قدمه إلى
شريح القاضي فأقام عليه البينة فضربه شريح الحد و آلى مصقلة ألا يقيم ببلدة فيها المغيرة فلم
يدخل الكوفة حتى مات المغيرة فدخلها فتلقاه قومه فسلموا عليه فما فرغ من السلام حتى سألهم
عن مقابر ثقيف فأرشدوه إليها فجعل قوم من مواليه

يلتقطون الحجارة فقال لهم ما هذا فقالوا نظن أنك تريد أن ترجم قبر المغيرة فقال ألقوا ما في أيديكم فانطلق حتى وقف على قبره ثم قال و الله لقد كنت ما علمت نافعا لصديقك ضارا لعدوك و ما مثلك إلا كما قال مهلهل في كليب أخيه

إن تحت الأحجار حزما و عزما و خصيما ألد ذا معلاق
حياة في الوجار أريد لا ينفع منه السليم نفثة راق
قال أبو الفرج فأما ابن ملجم فإن الحسن بن علي بعد دفنه أمير المؤمنين دعا به و أمر بضرب عنقه فقال له إن رأيت أن تأخذ علي العهود أن أرجع إليك حتى أضع يدي في يدك بعد أن أمضي إلى الشام فأنظر ما صنع صاحبي بمعاوية فإن كان قتله و إلا قتلته ثم عدت إليك حتى تحكم في حكمك فقال هيهات و الله لا تشرب الماء البارد حتى تلحق روحك بالنار ثم ضرب عنقه و استوهبت أم الهيثم بنت الأسود النخعية جثته منه فوهبها لها فأحرقتها بالنار. و قال ابن أبي مياس الفزاري و هو من الخوارج

فلم أر مهرا ساقه ذو سماعة	كمهر قطام من غني و معدم
ثلاثة آلاف و عبد و قينة	و ضرب علي بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من علي و إن غلا	و لا فتك إلا دون فتك ابن ملجم
و قال عبد الله بن العباس بن عبد المطلب	
و هز علي بالعراقين لحية	مصيبتها جلت على كل مسلم
و قال سيأتيها من الله نازل	و يخضبها أشقى البرية بالدم
فعاجله بالسيف شلت يمينه	لشؤم قطام عند ذاك ابن ملجم

فيا ضربة من خاسر ضل سعيه تبوأ منها مقعدا في جهنم
فهاز أمير المؤمنين بحظه وإن طرقت إحدى الليالي بمعظم
ألا إنما الدنيا بلاء وفتنة حالوتها شبيت بصاب وعلقم
قال أبو الفرج و أنشدني عمي الحسن بن مُجَدَّ قال أنشدني مُجَدَّ بن سعد لبعض بني عبد
المطلب يرثي عليا و لم يذكر اسمه

يا قبر سيدنا المجن سماحة صلى الإله عليك يا قبر
ما ضر قبرا أنت ساكنه ألا يحل بأرضه القطر
فليندين سماح كفك بالثرى و ليورقن بجنبك الصخر
و الله لو بك لم أجد أحدا إلا قتلت لفاتني الوتر

٧٠ و من كلام له ع في ذم أهل العراق

أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ حَمَلْتُ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ وَ مَاتَ قَبِيئُهَا وَ طَالَ تَأْيِمُهَا وَ وَرِثَهَا أَبْعَدُهَا. أَمَّا وَ اللَّهِ مَا أَتَيْتُكُمْ إِحْتِيَارًا وَ لَكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ [أَتَيْتُكُمْ] سَوْقًا وَ لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ عَلَيَّ يَكْذِبُ فَاتَّكَلُّمُ اللَّهَ تَعَالَى فَعَلَى مَنْ أَكْذَبُ أَعَلَى اللَّهِ فَإِنَّا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ أُمٌّ عَلَى نَبِيِّهِ فَإِنَّا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَ بِهِ كَلًّا وَ اللَّهُ لَكِنَّهَا هُجَّةٌ غَبِثُ عَنْهَا وَ لَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا وَ يُلَمُّهُ كَيْلًا بِغَيْرِ ثَمَنِ لَوْ كَانَ لَهُ وَعَاءٌ وَ لَتَعْلَمَنَّ نَبَأُهُ بَعْدَ حِينٍ أَمْلَصَتْ الْحَامِلُ أَلْقَتْ وَلَدَهَا سَقَاطًا وَ قِيمَهَا بَعْلُهَا وَ تَأْيِمُهَا خُلُوهَا عَنْ الْأَزْوَاجِ يَقُولُ مَا شَارَفْتُمْ اسْتِئْصَالَ أَهْلِ الشَّامِ وَ ظَهَرَتْ أُمَارَاتُ الظَّفَرِ لَكُمْ وَ دَلَائِلُ الْفَتْحِ نَكَصْتُمْ وَ جَنَحْتُمْ إِلَى السَّلَمِ وَ الْإِجَابَةِ إِلَى التَّحْكِيمِ عِنْدَ رَفْعِ الْمَصَاحِفِ فَكُنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ مَا أَتَمَّتْ أَشْهَرَ حَمْلِهَا أَلْقَتْ وَلَدَهَا إِلقاءً غَيْرَ طَبِيعِي نَحْوُ أَنْ تَلْقِيَهُ لِسَقْطَةٍ أَوْ ضَرْبَةٍ أَوْ عَارِضٍ يَقْتَضِي أَنْ تَلْقِيَهُ هَالِكًا. ثُمَّ لَمْ يَكْتَفِ لَهُمْ بِذَلِكَ حَتَّى قَالَ وَ مَاتَ بَعْلُهَا وَ طَالَ تَأْيِمُهَا وَ وَرِثَهَا أَبْعَدُهَا أَيُّ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ وَ هُوَ أَقْرَبُ الْمُخْلَفِينَ إِلَى الْمَيِّتِ وَ لَمْ يَكُنْ لَهَا بَعْلٌ فَوَرِثَهَا الْأَبَاعِدُ عَنْهَا

كالسافلين من بني عم و كالمولاة تموت من غير ولد و لا من يجري مجراه فيرثها مولاها و لا نسب بينها و بينه. ثم أقسم أنه لم يأثم اختيارا و لكن المقادير ساقته إليهم سوقا يعني اضطرارا. و صدق ع لأنه لو لا يوم الجمل لم يحتج إلى الخروج من المدينة إلى العراق و إنما استنجد بأهل الكوفة على أهل البصرة اضطرارا إليهم لأنه لم يكن جيشه الحجازي وافيًا بأهل البصرة الذين أصفقوا على حربه و نكث بيعته و لم يكن خروجه عن المدينة و هي دار الهجرة و مفارقتة لقبر رسول الله ص و قبر فاطمة عن إثار و محبة و لكن الأحوال تحكم و تسوق الناس إلى ما لا يختارونه ابتداء. و قد روي هذا الكلام على وجه آخر ما أتيتكم اختيارا و لا جئت إليكم شوقا بالشين المعجمة. ثم قال بلغني أنكم تقولون يكذب و كان كثيرا ما يخبر عن الملاحم و الكائنات و يومئ إلى أمور أخبره بها رسول الله ص فيقول المنافقون من أصحابه يكذب كما كان المنافقون الأولون في حياة رسول الله ص يقولون عنه يكذب.

و روى صاحب كتاب الغارات عن الأعمش عن رجاله قال خطب علي ع فقال و الله لو أمرتكم فجمعتم من خياركم مائة ثم لو شئت لحدثتكم من غدوة إلى أن تغيب الشمس لا أخبرتكم إلا حقا ثم لتخرجن فلتزعمن أنني أكذب الناس و أفجرهم و قد روى صاحب هذا الكتاب و غيره من الرواة أنه قال إن أمرنا صعب مستصعب لا يحمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قبله للإيمان.

و هذا الكلام منه كلام عارف عالم بأن في الناس من لا يصدقهم فيما يقول و هذا أمر مركوز في الجبلية البشرية و هو استبعاد الأمور الغريبة و تكذيب الأخبار بها و إذا تأملت أحواله في خلافته كلها وجدتها هي مختصرة من أحوال رسول الله ص في حياته كأنها نسخة منتسخة منها في حربه و سلمه و سيرته و أخلاقه و كثرة شكايته من المنافقين من أصحابه و المخالفين لأمره و إذا أردت أن تعلم ذلك علما واضحا فاقرأ سورة براءة ففيها الجم الغفير من المعنى الذي أشرنا إليه

ذكر مطاعن النظام على الإمام علي و الرد عليه

و اعلم أن النظام لما تكلم في كتاب النكت و انتصر لكون الإجماع ليس بحجة اضطر إلى ذكر عيوب الصحابة فذكر لكل منهم عيبا و وجه إلى كل واحد منهم طعنا و قال في علي إنه لما حارب الخوارج يوم النهروان كان يرفع رأسه إلى السماء تارة ينظر إليها ثم يطرق إلى الأرض فينظر إليها تارة أخرى يومهم أصحابه أنه يوحى إليه ثم يقول ما كذبت و لا كذبت فلما فرغ من قتالهم و أدبيل عليهم و وضعت الحرب أوزارها

قال الحسن ابنه يا أمير المؤمنين أكان رسول الله ص تقدم إليك في أمر هؤلاء بشيء فقال لا و لكن رسول الله ص أمرني بكل حق و من الحق أن أقاتل الناكثين و القاسطين و المارقين. قال النظام و قوله ما كذبت و لا كذبت و رفعه رأسه أحيانا إلى السماء و أطرقه إلى الأرض إيهام أما لنزول الوحي عليه أو لأنه قد أوصى من قبل في شأن الخوارج بأمر ثم هو يقول ما أوصى فيهم على خصوصيتهم بأمر و إنما أوصى بكل الحق و قتالهم من الحق.

و هذا عجيب طريف. فنقول إن النظام أخطأ عندنا في تعريضه بهذا الرجل خطأ قبيحا و قال
قولا منكرا نستغفر الله له من عقابه و نسأله عفوه عنه و ليست الرواية التي رواها عن الحسن و
سؤاله لأبيه و جوابه له بصحيحة و لا معروفة و المشهور المعروف المنقول نقلا يكاد يبلغ درجة
المتواتر من الأخبار ما روي عن رسول الله ص في معنى الخوارج بأعيانهم و ذكرهم بصفاتهم
و قوله ص لعلي ع إنك مقاتلهم و قاتلهم و إن المخدج ذا الندية منهم و إنك ستقاتل بعدي
الناكثين و القاسطين و المارقين فجعلهم أصنافا ثلاثة حسب ما وقعت الحال عليه و هذا من
معجزات الرسول ص و إخباره عن الغيوب المفصلة فما أعلم من أي كتاب نقل النظام هذه الرواية
و لا عن أي محدث رواها و لقد كان ﷺ تعالى بعيدا عن معرفة الأخبار و السير منصبا فكره
مجهدا نفسه في الأمور النظرية الدقيقة كمسألة الجزء و مداخله الأجسام و غيرها و لم يكن
الحديث و السير من فنونه و لا من علومه و لا ريب أنه سمعها ممن لا يوثق بقوله فنقلها كما
سمعها. فأما كونه ع كان ينظر تارة إلى السماء و تارة إلى الأرض و قوله ما كذبت و لا كذبت
فصحيح و موثوق بنقله لاستقامته و شهرته و كثرة رواته و الوجه في ذلك أنه استبطأ وجود
المخدج حيث طلبه في جملة القتلى فلما طال الزمان و أشفق من دخول شبهة على أصحابه لما
كان قدمه إليهم من الأخبار قلق و اهتم و جعل يكرر قوله ما كذبت و لا كذبت أي ما كذبت
على رسول الله ص و لا كذبتني رسول الله ص فيما أخبرني به. فأما رفعه رأسه إلى السماء تارة و
أطرقه إلى الأرض أخرى فإنه حيث كان يرفع

رأسه كان يدعو و يتضرع إلى الله في تعجيل الظفر بالمخدج و حيث يطرق كان يغلبه الهم و الفكر فيطرق. ثم حين يقول ما كذبت و لا كذبت كيف ينتظر نزول الوحي فإن من نزل عليه الوحي لا يحتاج أن يسند الخبر إلى غيره و يقول ما كذبت فيما أخبرتكم به عن رسول الله ص. و مما طعن به النظام عليه

أنه ع قال إذا حدثتكم عن رسول الله ص فهو كما حدثتكم فو الله لأن آخر من السماء أحب إلي من أن أكذب على رسول الله ص و إذا سمعتموني أحدثكم فيما بيني و بينكم فإنما الحرب خدعة. قال النظام هذا يجري مجرى التدليس في الحديث و لو لم يحدثهم عن رسول الله ص بالمعارض و على طريق الإيهام لما اعتذر من ذلك. فنقول في الجواب إن النظام قد وهم و انعكس عليه مقصد أمير المؤمنين و ذلك أنه ع لشدة ورعه أراد أن يفصل للسامعين بين ما يخبر به عن نفسه و بين ما يرويه عن رسول الله ص و ذلك لأن الضرورة ربما تدعوه إلى استعماله المعارض لا سيما في الحرب المبينة على الخديعة و الرأي فقال لهم كلما أقول لكم قال لي رسول الله ص فاعلموا أنه سليم من المعارض خال من الرمز و الكناية لأني لا أستجيز و لا أستحل أن أعمي أو ألغز في حديث رسول الله ص. و ما حدثتكم به عن نفسي فربما أستعمل فيه المعارض لأن الحرب خدعة.

و هذا كلام رجل قد استعمل التقوى و الورع في جميع أموره و بلغ من تعظيم أمر الرسول عليه أفضل الصلاة و السلام و إجلال قدره و احترام حديثه ألا يرويه إلا بألفاظه لا بمعانيه و لا بأمر يقتضي فيه إلباسا و تعمية و لو كان مضطرا إلى ذلك ترجيحاً للجانب الذي على جانب مصلحته في خاص نفسه فأما إذا هو قال كلاما يبتدئ به من نفسه فإنه قد يستعمل فيه المعارض إذا اقتضت الحكمة و التدبير ذلك فقد كان رسول الله ص باتفاق الرواة كافة إذا أراد أن يغزو وجهها ورى عنه بغيره و لما خرج ع من المدينة لفتح مكة قال لأصحابه كلاما يقتضي أنه يقصد بني بكر بن عبد مناة من كنانة فلم يعلموا حقيقة حاله حتى شارف مكة و قال حين هاجر و صحبه أبو بكر الصديق لأعرابي لقيهما من أين أنت و ممن أنت فلما انتسب لهما قال له الأعرابي أما أنا فقد اطلعتكما طلع أمري فممن أنت فقال من ماء لم يزد على ذلك فجعل الأعرابي يفكر و يقول من أي ماء من ماء بني فلان من ماء بني فلان فتركه و لم يفسر له و إنما أراد ع أنه مخلوق من نطفة. فأما قول النظام لو لم يحدث عن رسول الله ص بالمعارض لما اعتذر من ذلك فليس في كلامه اعتذار و لكنه نفي أن يدخل المعارض في روايته و أجازها فيما يبتدئ به عن نفسه و ليس يتضمن هذا اعتذارا و قوله لأن آخر من السماء يدل على أنه ما فعل ذلك و لا يفعله. ثم قال على من أكذب يقول كيف أكذب على الله و أنا أول المؤمنين به و كيف أكذب على رسول الله و أنا أول المصدقين به أخرجه مخرج الاستبعاد لدعواهم و زعمهم. فإن قلت كيف يمكن أن يكون المكلف الذي هو من أتباع الرسول كاذبا على الله إلا بواسطة إخباره عن الرسول لأنه لا وصلة و لا واسطة بينه و بين الله تعالى إلا الرسول.

و إذا لم يمكن كذبه على الله إلا بكذبه على الرسول لم يبق لتقسيم الكذب و قوله أ فأنا أكذب على الله أو على رسوله معنى.قلت يمكن أن يكذب الكاذب على الله دون أن يكون كاذبا على الرسول و إن كان من أتباع الرسول نحو أن يقول كنت مع الرسول ص ليلة في مقبرة فأحيا الله تعالى فلانا الميت فقام و قال كذا أو يقول كنت معه يوم كذا فسمعت مناديا يناديه من السماء افعل كذا أو نحو ذلك من الأخبار بأمور لا تستند إلى حديث الرسول.ثم قال ع كلا و الله أي لا و الله و قيل إن كلا بمعنى حقا و إنه إثبات.قال و لكنها لهجة غبتم عنها اللهجة بفتح الجيم و هي آلة النطق يقال له هو فصيح اللهجة و صادق اللهجة و يمكن أن يعنى بها لهجة رسول الله ص فيقول شهدت و غبتم و يمكن أن يعنى بها لهجته هو فيقول إنها لهجة غبتم عن منافعها و أعدمتم أنفسكم ثمن مناصحتها.ثم قال ويلمه الضمير راجع إلى ما دل عليه معنى الكلام من العلم لأنه لما ذكر اللهجة و شهوده إياها و غيبوتهم عنها دل ذلك على علم له خصه به الرسول ع فقال ويلمه و هذه كلمة تقال للتعجب و الاستعظام يقال ويلمه فارسا و تكتب موصولة كما هي بهذه الصورة و أصله ويل أمه مرادهم التعظيم و المدح و إن كان اللفظ موضوعا لضع ذلك كقوله ع فاظفر بذات الدين تربت يداك و كقولهم للرجل يصفونه و يقرظونه لا أبا له.و قال الحسن البصري و هو يذكر عليا ع و يصف كونه على الحق

في جميع أموره حتى قال فلما شارف الظفر وافق على التحكيم و ما لك في التحكيم و الحق في
يديك لا أبا لك. قال أبو العباس المبرد هي كلمة فيها جفاء و خشونة كانت الأعراب تستعملها
فيمن يستعظمون أمره قال و لما أنشد سليمان بن عبد الملك قول بعض الأعراب
رب العباد مالنا و مالكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا
أنزل علينا الغيث لا أبا لكا

قال أشهد أنه لا أب له و لا صاحبة و لا ولد فأخرجها أحسن مخرج. ثم قال ع كيلا بغير ثمن
لو كان له وعاء انتصب كيلا لأنه مصدر في موضع الحال و يمكن أن ينتصب على التمييز كقولهم
لله دره فارسا يقول أنا أكيل لكم العلم و الحكمة كيلا و لا أطلب لذلك ثمنا لو وجدت وعاء أي
حاملا للعلم

و هذا مثل قوله ع ها إن بين جنبي علما جما لو أجد له حملة. ثم ختم الفصل بقوله تعالى (وَلِتَعْلَمَنَّ نَبَأُ بَعْدَ حِينٍ) و هو أحسن ما ختم هذا الكلام به

خطبة الإمام علي بعد يوم النهروان

و روى المدائني في كتاب صفين قال خطب علي ع بعد انقضاء أمر النهروان فذكر طرفا من
الملاحم قال إذا كثرت فيكم الأخلاط و استولت الأنباط دنا خراب العراق ذاك إذا بنيت مدينة
ذات أثل و أنهار فإذا غلت فيها الأسعار و شيد فيها البنيان و حكم فيها الفساد و اشتد البلاء
و تفاخر الغوغاء دنا خسوف البيداء و طاب الهرب و الجلاء و ستكون قبل الجلاء أمور يشيب
منها الصغير و يعطب الكبير و يجرس الفصيح

و يبهت اللبيب يعاجلون بالسيف صلتا و قد كانوا قبل ذلك في غضارة من عيشهم يمرحون فيا لها مصيبة حينئذ من البلاء العقيم و البكاء الطويل و الويل و العويل و شدة الصرخ في ذلك أمر الله و هو كائن وقتا يريج فيا بن حرة الإمام متى تنتظر أبشر بنصر قريب من رب رحيم ألا فويل للمتكبرين عند حصاد الحاصدين و قتل الفاسقين عصاه ذي العرش العظيم فبأي و أمي من عدة قليلة أسماؤهم في الأرض مجهولة قد دنا حينئذ ظهورهم و لو شئت لأخبرتكم بما يأتي و يكون من حوادث دهركم و نوائب زمانكم و بلايا أيامكم و غمرات ساعاتكم و لكنه أفضيه إلى من أفضيه إليه مخافة عليكم و نظرا لكم علما مني بما هو كائن و ما يكون من البلاء الشامل ذلك عند تورد الأشرار و طاعة أولي الخسار ذاك أوان الحتف و الدمار ذاك أدبار أمركم و انقطاع أصلكم و تشتت ألفتكم و إنما يكون ذلك عند ظهور العصيان و انتشار الفسوق حيث يكون الضرب بالسيف أهون على المؤمنين من اكتساب درهم حلال حين لا تنال المعيشة إلا بمعصية الله في سمائه حين تسكرون من غير شراب و تحلفون من غير اضطرار و تظلمون من غير منفعة و تكذبون من غير إحراج تتفكهون بالفسوق و تبادرون بالمعصية قولكم البهتان و حديثكم الزور و أعمالكم الغرور فعند ذلك لا تأمنون البيات فيا له من بيات ما أشد ظلمته و من صائح ما أفضع صوته ذلك بيات لا ينمي صاحبه فعند ذلك تقتلون و بأنواع البلاء تضربون و بالسيف تحصدون و إلى النار تصيرون و بعضكم البلاء كما يعض الغارب القتب يا عجا كل العجب بين جمادى و رجب من جمع أشتات و حصد نبات و من أصوات بعدها أصوات ثم قال سبق القضاء سبق القضاء

قال رجل من أهل البصرة لرجل من أهل الكوفة إلى جانبه أشهد أنه كاذب على الله و رسوله
قال الكوفي و ما يدريك قال فو الله ما نزل علي من المنبر حتى فليح الرجل فحمل إلى منزله في شق
محمل فمات من ليلته

من خطب الإمام علي أيضا

و روى المدائني أيضا قال خطب علي ع فقال لو كسرت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة
بتوراتهم و بين أهل الإنجيل بإنجيلهم و بين أهل الفرقان بفرقائهم و ما من آية في كتاب الله أنزلت
في سهل أو جبل إلا و أنا عالم متى أنزلت و فيمن أنزلت فقال رجل من القعود تحت منبره يا لله و
للدعوى الكاذبة و قال آخر إلى جانبه أشهد أنك أنت الله رب العالمين قال المدائني فانظر إلى
هذا التناقض و التباين فيه

و روى المدائني أيضا قال خطب علي ع فذكر الملاحم فقال سلوني قبل أن تفقدوني أما و الله
لتشغرن الفتنة الصماء برجلها و تطأ في خطامها يا لها من فتنة شبت نارها بالخطب الجزل مقبلة
من شرق الأرض رافعة ذيلها داعية ويلها بدجلة أو حولها ذاك إذا استدار الفلك و قلت م مات أو
هلك بأي واد سلك فقال قوم تحت منبره لله أبوه ما أفصحته كاذبا

و روى صاحب كتاب الغارات عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث

قال سمعت عليا يقول على المنبر ما أحد جرت عليه المواشي إلا و قد أنزل الله فيه قرآنا فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين فما أنزل الله تعالى فيك قال يريد تكذيبه فقام الناس إليه يلکرونه في صدره و جنبه فقال دعوه أقرأت سورة هود قال نعم قال أ قرأت قوله سبحانه (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) قال نعم قال صاحب البينة مُحَمَّد و التالي الشاهد أنا

٧١ و من خطبة له ع علم فيها الناس الصلاة على النبي ص

اللَّهُمَّ دَاحِي الْمَدْحُوتِ وَ دَاعِمَ الْمَسْمُوكَاتِ وَ جَابِلَ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا شَقِيهَا وَ سَعِيدِهَا
اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَ نَوَامِي بَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَ رَسُولِكَ الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَ الْفَاتِحِ لِمَا
انْغَلَقَ وَ الْمُعْلِنِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ وَ الدَّافِعِ جَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ وَ الدَّامِغِ صَوْلَاتِ الْأَضَالِيلِ كَمَا حُمِّلَ
فَاضْطَلَعَ قَائِمًا بِأَمْرِكَ مُسْتَوْفِرًا فِي مَرْضَاتِكَ غَيْرَ نَاكِيلٍ عَنْ قُدْمٍ وَ لَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ وَاعِيًا لَوْحِيكَ
حَافِظًا لِعَهْدِكَ مَاضِيًا عَلَى نَفَازِ أَمْرِكَ حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ الْقَائِسِ وَ أَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْحَابِطِ وَ هَدَيْتَ
بِهِ الْقُلُوبَ بَعْدَ حَوَاضَاتِ الْفِتَنِ وَ الْأَثَامِ وَ أَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الْأَغْلَامِ وَ نَيِّرَاتِ الْأَحْكَامِ فَهُوَ أَمِينُكَ
الْمَأْمُونُ وَ حَازِنُ عِلْمِكَ الْمَحْزُونِ وَ شَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وَ بَعِثْتَكَ بِالْحَقِّ وَ رَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ اللَّهُمَّ
إِفْسَحْ لَهُ مَفْسَحًا فِي ظِلِّكَ وَ اجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ اللَّهُمَّ وَ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ
بِنَاءَهُ وَ أَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ وَ أَتِمِّمْ لَهُ نُورَهُ وَ اجْزِهِ مِنْ إِبْتِعَائِكَ لَهُ مَقْبُولِ الشَّهَادَةِ مَرْضِي الْمَقَالَةِ دَا
مَنْطِقِ عَدْلِ وَ حُطْبَةِ فَضْلِ اللَّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُ فِي بَرْدِ الْعَيْشِ وَ فَرَارِ النِّعْمَةِ وَ مُتَى الشَّهَوَاتِ وَ
أَهْوَاءِ اللَّذَاتِ وَ رَخَاءِ الدَّعَةِ وَ مُنْتَهَى الطُّمَأْنِينَةِ وَ نُحْفِ الْكَرَامَةِ

دحوت الرغيف دحوا بسطته و المدحوات هنا الأرضون.فإن قلت قد ثبت أن الأرض كرية فكيف تكون بسيطة و البسيط هو المسطح و الكري لا يكون مسطحاً.قلت الأرض بجملتها شكل كرة و ذلك لا يمنع أن تكون كل قطعة منها مبسوطة تصلح لأن تكون مستقراً و مجالاً للبشر و غيرهم من الحيوان فإن المراد بانبساطها هاهنا ليس هو السطح الحقيقي الذي لا يوجد في الكرة بل كون كل قطعة منها صالحة لأن يتصرف عليها الحيوان لا يعني به غير ذلك.و داحي المدحوات ينتصب لأنه منادى مضاف تقديره يا باسط الأرضين المبسوطات قوله و داعم المسموكات أي حافظ السموات المرفوعات دعمت الشيء إذا حفظته من الهوى بدعامة و المسموك المرفوع قال

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز و أطول و يجوز أن يكون عنى بكونها مسموكة كونها ثخينة و سمك الجسم هو البعد الذي يعبر عنه المتكلمون بالعمق و هو قسيم الطول و العرض و لا شيء أعظم ثخنا من الأفلاك.فإن قلت كيف قال إنه تعالى دعم السموات و هي بغير عمد.قلت إذا كان حافظاً لها من الهوى بقدرته و قوته فقد صدق عليه كونه داعماً لها لأن قوته الحافظة تجري مجرى الدعامة.قوله و جابل القلوب أي خالقها و الجبل الخلق و جبلة الإنسان خلقتة و فطرتها بكسر الفاء و فتح الطاء جمع فطرة و يجوز كسر الطاء كما قالوا في سدرة سدرات و سدرات و الفطرة الحالة التي يفطر الله عليها الإنسان أي يخلقه عليها خالياً من الآراء

و الديانات و العقائد و الأهوية و هي ما يقتضيه محض العقل و إنما يختار الإنسان بسوء نظره ما يفضي به إلى الشقوة و هذا معنى

قول النبي ص كل مولود يولد على الفطرة فإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه قوله شقيها و سعيدها بدل من القلوب و تقدير الكلام و جابل الشقي من القلوب و السعيد على ما فطرت عليه. و النوامي الزوائد و الخاتم لما سبق أي لما سبق من الملل و الفاتح لما انغلق من أمر الجاهلية و المعلن الحق بالحق أي المظهر للحق الذي هو خلاف الباطل بالحق أي بالحرب و الخصومة يقال حاق فلان فلانا فحقه أي خاصمه فخصمه و يقال ما فيه حق أي خصومة. قوله و الدافع جيشات الأباطيل جمع جيشة من جاشت القدر إذا ارتفع غليانها. و الأباطيل جمع باطل على غير قياس و المراد أنه قامع ما نجم من الباطل. و الدامغ المهلك من دمغه أي شجه حتى بلغ الدماغ و مع ذلك يكون الهلاك. و الصولات جمع صولة و هي السطوة و الأضاليل جمع ضلال على غير قياس. قوله كما حمل أي لأجل أنه يحمل و العرب تستعمل هذه الكاف بمعنى التعليل قال الشاعر

فقلت له أبا الملحاء خذها كما أوسعتنا بغيا و عدوا

أي هذه الضربة لبغيك علينا و تعديك. و قوله كما حمل يعني حمل أعباء الرسالة فاضطلع أي نهض بها قويا فرس ضليع أي قوي و هي الضلاعة أي القوة. مستوفزا أي غير بطيء بل يحث نفسه و يجهدا في رضا الله سبحانه و الوفاء العجلة و المستوفز المستعجل.

غير ناكل عن قدم أي غير جبان و لا متأخر عن إقدام و المقدام المتقدم يقال مضى قدما أي تقدم و سار و لم يعرج. قوله و لا واه في عزم وهي أي ضعف و الواهي الضعيف. واعيا لوحيك أي فاهما وعيت الحديث أي فهمته و عقلته. ماضيا على نفاذ أمرك في الكلام حذف تقديره ماضيا مصرا على نفاذ أمرك كقوله تعالى (**فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ**) و لم يقل مرسلا لأن الكلام يدل بعضه على بعض. و قوله حتى أوري قبس القابس يقال وري الزند يري أي خرج ناره و أوريته أنا و القبس شعله من النار و المراد بالقبس هاهنا نور الحق و القابس الذي يطلب النار يقال قبست منه نارا و أقبسي نارا أي أعطانيها. و قال الراوندي أقبست الرجل علما و قبسته نارا أعطيته فإن كنت طلبتها له قلت أقبسته نارا. و قال الكسائي أقبسته نارا و علما سواء قال و يجوز قبسته بغير همزة فيهما. قوله و أضاء الطريق للخابط أي جعل الطريق للخابط مضئية و الخابط الذي يسير ليلا على غير جادة واضحة. و هذه الألفاظ كلها استعارات و مجازات. و خوضات الفتن جمع خوضة و هي المرة الواحدة من خضت الماء و الوحل أخوضهما و تقدير الكلام و هديت به القلوب إلى الأعلام الموضحة بعد أن خاضت في الفتن أطوارا و الأعلام جمع علم و هو ما يستدل به على الطريق كالمنازة و نحوها. و الموضحة التي توضح للناس الأمور و تكشفها و النيرات ذوات النور. قوله فهو أمينك المأمون أي أمينك على وحيك و المأمون من ألقاب رسول الله ص قال كعب بن زهير

سقاك أبو بكر بكأس روية و اهلك المأمون منها و علكا
و خازن علمك المخزون بالجر صفة علمك و العلم الإلهي المخزون هو ما اطلع الله تعالى عليه
و رسوله من الأمور الخفية التي لا تتعلق بالأحكام الشرعية كالملاحم و أحكام الآخرة و غير ذلك
لأن الأمور الشرعية لا يجوز أن تكون مخزونة عن المكلفين. و قوله و شهيدك يوم الدين أي
شاهدك قال سبحانه (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا). و
البعيث المبعوث فعيل بمعنى مفعول كقتيل و جريح و صريع و مفسحا مصدر أي وسع له
مفسحا. و قوله في ظلك يمكن أن يكون مجازا كقولهم فلان يشملني بظله أي بإحسانه و بره و
يمكن أن يكون حقيقة و يعني به الظل الممدود الذي ذكره الله تعالى فقال (وَ ظِلٌّ مَمْدُودٍ وَ مَاءٍ
مَسْكُوبٍ). و قوله و أعل على بناء البانين بناء أي اجعل منزلته في دار الثواب أعلى المنازل. و
أتم له نوره من قوله تعالى (رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا) و قد روي أنه تطفأ سائر الأنوار إلا نور مُحَمَّد
ص ثم يعطى المخلصون من أصحابه أنوارا يسيرة يبصرون بها مواطن الأقدام فيدعون إلى الله تعالى
بزيادة تلك الأنوار و إتمامها ثم إن الله تعالى يتم نور مُحَمَّد ص فيستطيل حتى يملأ الآفاق فذلك هو
إتمام نوره ص. قوله من ابتعائك له أي في الآخرة. مقبول الشهادة أي مصدقا فيما يشهد به على
أمته و على غيرها من الأمم.

و قوله ذا منطق عدل أي عادل و هو مصدر أقيم مقام اسم الفاعل كقولك رجل فطر و صوم أي مفطر و صائم. و قوله و خطبة فصل أي يخطب خطبة فاصلة يوم القيامة كقوله تعالى (إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ وَمَا هُوَ إِلَّا هَزْلٌ) أي فاصل يفصل بين الحق و الباطل و هذا هو المقام المحمود الذي ذكره الله تعالى في الكتاب فقال (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً) و هو الذي يشار إليه في الدعوات في قولهم اللهم آت مُجِدّاً الوسيلة و الفضيلة و الدرجة الرفيعة و ابعته المقام المحمود. قوله في برد العيش تقول العرب عيش بارد و معيشة باردة أي لا حرب فيها و لا نزاع لأن البرد و السكون متلازمان كتلازم الحر و الحركة. و قرار النعمة أي مستقرها يقال هذا قرار السيل أي مستقره و من أمثالهم لكل سائلة قرار. و منى الشهوات ما تتعلق به الشهوات من الأمانى و أهواء اللذات ما تهواه النفوس و تستلذه و الرخاء المصدر من قولك رجل رخی البال فهو بين الرخاء أي واسع الحال. و الدعة السكون و الطمأنينة و أصلها الواو. و منتهى الطمأنينة غايتها التي ليس بعدها غاية. و التحف جمع تحفة و هي ما يكرم به الإنسان من البر و اللطف و يجوز فتح الحاء

معنى الصلاة على النبي و الخلاف في جواز الصلاة على غيره

فإن قلت ما معنى الصلاة على الرسول ص التي قال الله تعالى فيها

(إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا). قلت الصلاة من الله تعالى هي الإكرام و التبجيل و رفع المنزلة و الصلاة منا على النبي ص هي الدعاء له بذلك فقوله سبحانه (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ) أي هو الذي يرفع منازلكم في الآخرة و قوله (وَمَلَائِكَتُهُ) أي يدعون لكم بذلك. و قيل جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كأهم فاعلون التعظيم للمؤمن و رفع المنزلة و نظيره قوله حياك الله أي أحياك الله و أبقاك و حيثك أي دعوت لك بأن يحياك لأنك لاعتمادك على إجابة دعوتك و وثوقك بذلك كأنك تحببه و تبقيه على الحقيقة و هكذا القول في قوله سبحانه (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ). و قد اختلف في الصلاة على النبي ص هل هي واجبة أم لا. فمن الناس من لم يقل بوجوبها و جعل الأمر في هذه الآية للندب و منهم من قال إنها واجبة. و اختلفوا في حال وجوبها فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره

و في الحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي دخل النار و أبعد الله و منهم من قال تجب في كل مجلس مرة واحدة و إن تكرر ذكره و منهم من أوجبها في العمر مرة واحدة و كذلك قال في إظهار الشهادتين. و اختلف أيضا في وجوبها في الصلاة المفروضة فأبو حنيفة و أصحابه لا يوجبونها فيها و روي عن إبراهيم النخعي أنهم كانوا يكتفون يعني الصحابة عنها بالتشهد و هو السلام عليك أيها النبي و رحمة الله و بركاته و أوجبها الشافعي و أصحابه و اختلف أصحابه في وجوب الصلاة على آل محمد ص فالأكثر على أنها واجبة و أنها شرط في صحة الصلاة.

فإن قلت فما تقول في الصلاة على الصحابة و الصالحين من المسلمين.قلت القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله تعالى (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ) و قوله (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) و قوله (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ) و لكن العلماء قالوا إذا ذكر أحد من المسلمين تبعاً للنبي ع فلا كلام في جواز ذلك و أما إذا أفردوا أو ذكر أحد منهم فأكثر الناس كرهوا الصلاة عليه لأن ذلك شعار رسول الله فلا يشركه فيه غيره.و أما أصحابنا من البغداديين فلهم اصطلاح آخر و هو أنهم يكرهون إذا ذكروا علياً ع أن يقولوا صلى الله عليه و لا يكرهون أن يقولوا صلوات الله عليه و جعلوا اللفظة الأولى مختصة بالرسول ص و جعلوا اللفظة الثانية مشتركة فيها بينهما ع و لم يطلقوا لفظ الصلاة على أحد من المسلمين إلا على علي وحده

٧٢ و من كلام له ع قاله مروان بن الحكم بالبصرة

قَالُوا : أَخَذَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ أَسِيرًا يَوْمَ الْجَمَلِ فَاسْتَشْفَعَ الْحَسَنَ وَ الْحُسَيْنَ ع إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع فَكَلَّمَاهُ فِيهِ فَخَلَّى سَبِيلَهُ فَقَالَ لَهُ يُبَايِعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ ع أَوْ لَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ إِنَّهَا كَفَّ يَهُودِيَّةً لَوْ بَايَعَنِي بِيَدِهِ لَعَدَرْتُ بِسَبْتِهِ أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلْعَقَةَ الْكَلْبِ أَنْفَهُ وَ هُوَ أَبُو الْأَكْبَشِ الْأَرْبَعَةِ وَ سَتَلْقَى الْأُمَّةَ مِنْهُ وَ مِنْ وَلَدِهِ يَوْمًا [مَوْتًا] أَحْمَرُ قَدْ رَوَى هَذَا الْخَبْرَ مِنْ طَرُقٍ كَثِيرَةٍ وَ رُوِيَ فِيهِ زِيَادَةٌ لَمْ يَذْكُرْهَا صَاحِبُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

و هي قوله ع في مروان يحمل راية ضلالة بعد ما يشيب صدغاه و إن له إمرة إلى آخر الكلام. و قوله فاستشفع الحسن و الحسين إلى أمير المؤمنين ع هو الوجه يقال استشفعت فلانا إلى فلان أي سألته أن يشفع لي إليه و تشفعت إلى فلان في فلان فشفعني فيه تشفيعا و قول الناس استشفعت بفلان إلى فلان بالباء ليس بذلك الجيد. و قول أمير المؤمنين ع أ و لم يبايعني بعد قتل عثمان أي و قد غدر و هكذا لو يبايعني الآن.

و معنى قوله إنها كف يهودية أي غادرة و اليهود تنسب إلى الغدر و الخبث و قال تعالى
(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ). و السبة الاست بفتح السين سبه يسبه أي
طعنه في الموضوع و معنى الكلام محمول على وجهين. أحدهما أن يكون ذكر السبة إهانة له و غلظة
عليه و العرب تسلك مثل ذلك في خطبها و كلامها قال المتوكل لأبي العيناء إلى متى تمدح الناس
و تذمهم فقال ما أحسنوا و أساءوا ثم قال يا أمير المؤمنين إن الله تعالى رضي عن واحد فمدحه و
سخط على آخر فهجاه و هجا أمه قال (نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) و قال (عُتِلَّ بَعْدَ ذَلِكَ
رَزِيمٌ) و الزنيم ولد الزنا. الوجه الثاني أن يريد بالكلام حقيقة لا مجازا و ذلك لأن الغادر من
العرب كان إذا عزم على الغدر بعد عهد قد عاهده أو عقد قد عقده حبق استهزاء بما كان قد
أظهره من اليمين و العهد و سخرية و تحكما. و الإمرة الولاية بكسر الهمزة و قوله كلعقة الكلب
أنفه يريد قصر المدة و كذلك كانت مدة خلافة مروان فإنه ولي تسعة أشهر. و الأكبش الأربعة بنو
عبد الملك الوليد و سليمان و يزيد و هشام و لم يل الخلافة من بني أمية و لا من غيرهم أربعة
إخوة إلا هؤلاء. و كل الناس فسروا الأكبش الأربعة بمن ذكرناه و عندي أنه يجوز أن يعني به

بني مروان لصلبه و هم عبد الملك و عبد العزيز و بشر و مُجَدَّ و كانوا كباشا أبطالا أنجادا أما عبد الملك فولي الخلافة و أما بشر فولي العراق و أما مُجَدَّ فولي الجزيرة و أما عبد العزيز فولي مصر و لكل منهم آثار مشهورة و هذا التفسير أولى لأن الوليد و إخوته أبناء ابنه و هؤلاء بنوه لصلبه. و يقال لليوم الشديد يوم أحمر و للسنّة ذات الجذب سنّة حمراء. و كل ما أخبر به أمير المؤمنين ع في هذا الكلام وقع كما أخبر به و كذلك قوله يحمل راية ضلالة بعد ما يشيب صدغاه فإنه ولي الخلافة و هو ابن خمسة و ستين في أعدل الروايات

مروان بن الحكم و نسبه و أخباره

و نحن ذاكرون في هذا الموضع نسبه و جملا من أمره و ولايته للخلافة و وفاته على سبيل الاختصار. هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف و أمه أمنة بنت علقمة بن صفوان بن أمية الكناني يكنى أبا عبد الملك ولد على عهد رسول الله ص منذ سنة اثنتين من الهجرة و قيل عام الخندق و قيل يوم أحد و قيل غير ذلك و قال قوم بل ولد بمكة و قيل ولد بالطائف ذكر ذلك كله أبو عمر بن عبد البر في كتاب الإستيعاب. قال أبو عمر و ممن قال بولادته يوم أحد مالك بن أنس و على قوله يكون

رسول الله ص قد توفي و عمره ثمان سنين أو نحوها. و قيل إنه لما نفى مع أبيه إلى الطائف كان طفلا لا يعقل و إنه لم ير رسول الله ص و كان الحكم أبوه قد طرده رسول الله عن المدينة و سيره إلى الطائف فلم يزل بها حتى ولي عثمان فرده إلى المدينة فقدمها هو و ولده في خلافة عثمان و توفي فاستكتبه عثمان و ضمه إليه فاستولى عليه إلى أن قتل. و الحكم بن أبي العاص هو عم عثمان بن عفان كان من مسلمة الفتح و من المؤلفة قلوبهم و توفي الحكم في خلافة عثمان قبل قتله بشهور. و اختلف في السبب الموجب لنفي رسول الله ص فقيل إنه كان يتحيل و يستخفي و يتسمع ما يسره رسول الله ص إلى أكابر الصحابة في مشركي قريش و سائر الكفار و المنافقين و يفشي ذلك عنه حتى ظهر ذلك عنه. و قيل كان يتجسس على رسول الله ص و هو عند نسائه و يسترق السمع و يصغي إلى ما يجري هناك مما لا يجوز الاطلاع عليه ثم يحدث به المنافقين على طريق الاستهزاء. و قيل كان يحكيه في بعض مشيته و بعض حركاته فقد قيل إن النبي ص كان إذا مشى يتكفأ و كان الحكم بن أبي العاص يحكيه و كان شائئا له مبغضا حاسدا فالتفت رسول الله ص يوما فرآه يمشي خلفه يحكيه في مشيته

فقال له كذلك فلتكن يا حكم فكان الحكم مختلجا يرتعش من يومئذ فذكر ذلك عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فقال لعبد الرحمن بن الحكم يهجو

إن اللعين أبوك فارم عظامه إن ترم ترم مخلجا مجنونا
يمشي خميص البطن من عمل التقى و يظل من عمل الخبيث بطينا
قال صاحب الاستيعاب أما قول عبد الرحمن بن حسان إن اللعين أبوك فإنه روي عن عائشة من طرق ذكرها ابن أبي خيثمة و غيره أنها قالت لمروان إذ قال في أخيها عبد الرحمن إنه أنزل فيه
(وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْفُرُونَ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا
يَسْتَفْغِيَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) أما أنت يا مروان
فأشهد أن رسول الله ص لعن أباك و أنت في صلبه.

و روى صاحب كتاب الاستيعاب بإسناد ذكره عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله
ص قال يدخل عليكم رجل لعين قال عبد الله و كنت قد رأيت أبي يلبس ثيابه ليقبل إلى رسول
الله ص فلم أزل مشفقا أن يكون أول من يدخل فدخل الحكم بن أبي العاص
قال صاحب الاستيعاب و نظر علي ع يوما إلى مروان فقال له ويل لك و ويل لأمة محمد منك
و من بنيك إذا شاب صدغاك و كان مروان يدعى

خيـط باطل قـيل لأنـه كان طويـلا مضطربا. و ضرب يوم الدار على قفاه فخر لفيه فلما بويـع له بالخـلافة قال فيه أخوه عبد الرحمن بن الحكم و كان ماجنا شاعرا محسنا و كان لا يرى رأي مروان فـو الله ما أدري و إني لسائل حـليلة مضرب القفا كيف تصنع لـحـا الله قوما أمروا خيـط باطل عـلى الناس يعطي ما يشاء و يمنع و قيل إنما قال له أخوه عبد الرحمن ذلك حين ولاه معاوية إمرة المدينة و كان كثيرا ما يهجوـه و من شعره فيه

وهبت نصيبي منك يا مرو كله لعمرو و مروان الطويل و خالد
و رب ابن أم زائد غير ناقص و أنت ابن أم ناقص غير زائد
و قال مالك بن الريب يهجو مروان بن الحكم
لعمرك ما مروان يقضي أمورنا و لكن ما يقضي لنا بنت جعفر
فيا ليتها كانت علينا أميره و ليتك يا مروان أمسيت ذاحر
و من شعر أخيه عبد الرحمن فيه

ألا من يبلغن مروان عني رسولا و الرسول من البيان
بأنك لن ترى طردا لحر كالصاق به بعض الهوان
و هل حدثت قبلي عن كريم معين في الحوادث أو معان
يقيم بدار مضیعة إذا لم يكن حيران أو خفق الجنان

فلا تقذف بي الرجـوين إني أقل القوم من يغني مكاني
سأكفيك الذي استكفيت مني بأمر لا تخالجه اليـدان
فلو أنا بمنزلة جرینا جريت و أنت مضطرب العنان
ولو لا أن أم أيـك أمي و أن من قد هجاك فقد هجاني
لقد جاهرت بالبغضاء إني إلى أمر الجهارة و العلان
و لما صار أمر الخلافة إلى معاوية ولى مروان المدينة ثم جمع له إلى المدينة مكة و الطائف ثم
عزله و ولى سعيد بن العاص فلما مات يزيد بن معاوية و ولي ابنه أبو ليلى معاوية بن يزيد في سنة
أربع و ستين عاش في الخلافة أربعين يوما و مات فقالت له أمه أم خالد بنت أبي هاشم بن عتبة
بن ربيعة بن عبد شمس اجعل الخلافة من بعدك لأخيك فأبى و قال لا يكون لي مرها و لكم
حلوها فوثب مروان عليها و أنشد

إني أرى فتنة تغلي مراجلها و الملك بعد أبي ليلى لمن غلبا
و ذكر أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في كتاب الأغاني أن معاوية لما عزل مروان بن
الحكم عن إمرة المدينة و الحجاز و ولى مكانه سعيد بن العاص وجه مروان أخاه عبد الرحمن بن
الحكم أمامه إلى معاوية و قال له ألقه قبلي فعاتبه لي و استصلحه. قال أبو الفرج و قد روي أن
عبد الرحمن كان بدمشق يومئذ فلما بلغه خبر عزل مروان و قدومه إلى الشام خرج و تلقاه و قال
له أقم حتى أدخل إلى أخيك فإن كان عزلك عن موحدة دخلت إليه منفردا و إن كان عن غير
موحدة دخلت إليه مع الناس

فأقام مروان و مضى عبد الرحمن فلما قدم على معاوية دخل إليه و هو يعشي الناس فأنشده
أتتك العيس تنفخ في براهها تكشف عن مناكبها القطوع
بأبيض من أمية مضرحي كأن جبينه سيف صنيع
فقال له معاوية أ زائرا جئت أم مفاخرا مكابرا فقال أي ذلك شئت فقال ما أشاء من ذلك
شيئا و أراد معاوية أن يقطعه عن كلامه الذي عن له فقال له على أي ظهر جئتنا فقال على فرس
قال ما صفته قال أجش هزيم يعرض بقول النجاشي في معاوية يوم صفين
و نجا ابن حرب سابع ذو علالة أجش هزيم و الرماح دوان
إذا قلت أطراف الرماح تناله مرتته له الساقان و القدمان
فغضب معاوية و قال إلا أنه لا يركبه صاحبه في الظلم إلى الريب و لا هو ممن يتصور على
جاراته و لا يتوثب بعد هجعة الناس على كئائه و كان عبد الرحمن يتهم بذلك في امرأة أخيه
فخجل عبد الرحمن و قال يا أمير المؤمنين ما حملك على عزل ابن عمك الخيانة أوجبت ذلك أم
لرأي رأيته و تدبير استصلحته قال بل لتدبير استصلحته قال فلا بأس بذلك فخرج من عنده فلقى
أخاه مروان فأخبره بما دار بينه و بين معاوية فاستشاط غيظا و قال لعبد الرحمن قبحك الله ما
أضعفك عرضت للرجل بما أغضبه حتى إذا انتصر

منك أحجمت عنه ثم لبس حلتته و ركب فرسه و تقلد سيفه و دخل على معاوية فقال له حين رآه و تبين الغضب في وجهه مرحبا بأبي عبد الملك لقد زرتنا عند اشتياق منا إليك فقال لا ها الله ما زرتك لذلك و لا قدمت عليك فألفيتك إلا عاقا قاطعا و الله ما أنصفتنا و لا جزيتنا جزاءنا لقد كانت السابقة من بني عبد شمس لآل أبي العاص و الصهر عن رسول الله ص لهم و الخلافة منهم فوصلوكم يا بني حرب و شرفوكم و ولوكم فما عزلوكم و لا آثروا عليكم حتى إذا وليتم و أفضى الأمر إليكم أبيتم إلا أثرة و سوء صنعة و قبح قطيعة فرويدا رويدا فقد بلغ بنو الحكم و بنو بنيهم نيفا و عشرين و إنما هي أيام قلائل حتى يكملوا أربعين ثم يعلم امرؤ ما يكون منهم حينئذ ثم هم للجزء بالحسنى و السوء بالمرصاد. قال أبو الفرج هذا رمز إلى

قول رسول الله ص إذا بلغ بنو أبي العاص أربعين رجلا اتخذوا مال الله دولا و عباد الله خولا فكان بنو أبي العاص يذكرون أنهم سيلون أمر الأمة إذا بلغوا هذه العدة. قال أبو الفرج فقال له معاوية مهلا أبا عبد الملك إني لم أعزلك عن خيانة و إنما عزلتك لثلاثة لو لم يكن منهن إلا واحدة لأوجبت عزلك إحداهن أني أمرتك على عبد الله بن عامر و بينكما ما بينكما فلن تستطيع أن تشتفي منه و الثانية كراهيتك لإمرة زياد و الثالثة أن ابنتي رملة استعدتك على زوجها عمرو بن عثمان فلم تعدها فقال مروان أما ابن عامر فياني لا أنتصر منه في سلطاني و لكن إذا تساوت الأقدام علم أين موقعه و أما كراهيتي لإمرة زياد فإن سائر بني أمية كرهوه و جعل الله لنا في ذلك الكره خيرا كثيرا و أما استعداد رملة على عمرو فو الله إنه ليأتي علي سنة أو أكثر

و عندي بنت عثمان فما أكشف لها ثوبا يعرض بأن رملة إنما تستعدي على عمرو بن عثمان طلب النكاح فغضب معاوية فقال يا ابن الوزغ لست هناك فقال مروان هو ما قلت لك و إني الآن لأبو عشرة و أخو عشرة و عم عشرة و قد كاد ولد أبي أن يكملوا العدة يعني أربعين و لو قد بلغوها لعلمت أين تقع مني فانخزل معاوية و قال

فإن أك في شراركم قليلا فإني في خيياركم كثير

بغات الطير أكثرها فراخا و أم الصقر مقالات نزور

ثم استخذى معاوية في يد مروان و خضع و قال لك العتي و أنا رادك إلى عملك فوثب مروان و قال كلا و عيشك لا رأييني عائدا و خرج. فقال الأحنف لمعاوية ما رأيت قط لك سقطة مثلها ما هذا الخضوع لمروان و أي شيء يكون منه و من بني أبيه إذا بلغوا أربعين و ما الذي تخشاه منهم فقال ادن مني أخبرك ذلك فدنا الأحنف منه فقال له إن الحكم بن أبي العاص كان أحد من قدم مع أختي أم حبيبة لما زفت إلى رسول الله ص و هو يتولى نقلها إليه فجعل رسول الله ص يحذ النظر إليه فلما خرج من عنده قيل يا رسول الله لقد أهدت النظر إلى الحكم فقال ابن المخزومية ذاك رجل إذا بلغ بنو أبيه ثلاثين أو أربعين ملكوا الأمر من بعدي فو الله لقد تلقاها مروان من عين صافية فقال الأحنف رويدا يا أمير المؤمنين لا يسمع هذا منك أحد فإنك تضع من قدرك و قدر ولدك بعدك و إن يقض الله أمرا يكن فقال

معاوية اكنمها يا أبا بحر علي إذا فقد لعمر ك صدقت و نصحت.و ذكر شيخنا أبو عثمان
الجاحظ في كتاب مفاخرة هاشم و عبد شمس أن مروان كان يضعف و أنه كان ينشد يوم مرج
راهط و الرؤوس تندر عن كواهلها

و ما ضرهم غير حين النفوس أي غلامي قريش غلب
قال و هذا حمق شديد و ضعف عظيم قال و إنما ساد مروان و ذكر بابنه عبد الملك كما ساد
بنوه و لم يكن في نفسه هناك.فأما خلافة مروان فذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في التاريخ
أن عبد الله بن الزبير لما أخرج بني أمية عن الحجاز إلى الشام في خلافة يزيد بن معاوية خرجوا و
فيهم مروان و ابنه عبد الملك و لم تطل مدة يزيد فتوفي و مات ابنه بعده بأيام يسيرة و كان من
رأي مروان أن يدخل إلى ابن الزبير بمكة فيبايعه بالخلافة فقدم عبيد الله بن زياد و قد أخرجه أهل
البصرة عنها بعد وفاة يزيد فاجتمع هو و بنو أمية و أخبروه بما قد أجمع عليه مروان فجاء إليه و
قال استجبت لك يا أبا عبد الملك فما يريد أنت كبير قريش و سيدها تصنع ما تصنع و تشخص
إلى أبي خبيب فتبايعه بالخلافة فقال مروان ما فات شيء بعد فقام مروان و اجتمع إليه بنو أمية و
مواليهم و عبيد الله بن زياد و كثير من أهل اليمن و كثير من كلب فقدم دمشق و عليها الضحاك
بن قيس الفهري قد بايعه الناس على أن يصلي بهم و يقيم لهم أمرهم حتى يجتمع

الناس على إمام و كان هوى الضحاك مع ابن الزبير إلا أنه لم يبايع له بعد و كان زفر بن الحارث الكلابي بقمسين يخطب لابن الزبير و النعمان بن بشير الأنصاري بمص يخطب لابن الزبير و كان حسان بن مالك بن بحدل الكلبي بفلسطين يهوى هوى بني أمية ثم من بينهم بني حرب لأنه كان عاملا لمعاوية ثم ليزيد بن معاوية من بعده و كان حسان بن مالك مطاعا في قومه عظيما عندهم فخرج عن فلسطين يريد الأردن و استخلف على فلسطين روح بن زباع الجذامي فوثب عليه بعد شخوص حسان بن مالك و ناتل بن قيس الجذامي أيضا فأخرجه عن فلسطين و خطب لابن الزبير و كان له فيه هوى فاستوثقت الشام كلها لابن الزبير ما عدا الأردن فإن حسان بن مالك الكلبي كان يهوى هوى بني أمية و يدعو إليهم فقام في أهل الأردن فخطبهم و قال لهم ما شهادتكم على ابن الزبير و قتلى المدينة بالحرّة قالوا نشهد أن ابن الزبير كان منافقا و أن قتلى أهل المدينة بالحرّة في النار قال فما شهادتكم على يزيد بن معاوية و قتلكم بالحرّة قالوا نشهد أن يزيد بن معاوية كان مؤمنا و كان قتلانا بالحرّة في الجنة قال و أنا أشهد أنه إن كان دين يزيد بن معاوية و هو حي حقا إنه اليوم لعلى حق هو و شيعته و إن كان ابن الزبير يومئذ هو و شيعته على باطل إنه اليوم و شيعته على باطل قالوا صدقت نحن نبايعك على أن نقاتل معك من خالفك من الناس و أطاع ابن الزبير على أن تجنبا ولاية هذين الغلامين ابني يزيد بن معاوية و هما خالد و عبد الله فإخما حديثا أسناهما و نحن نكره أن يأتينا الناس بشيخ و نأتيهم بصبي. قال و قد كان الضحاك بن قيس يوالي ابن الزبير باطنا و يهوى هواه و يمنعه إظهار ذلك بدمشق و البيعة له أن بني أمية و كلبا كانوا بحضرته و كلب أخوال يزيد

بن معاوية و بنيه و يطلبون الإمرة لهم فكان الضحاك يعمل في ذلك سرا و بلغ حسان بن مالك بن بحدل ما أجمع عليه الضحاك فكتب إليه كتابا يعظم فيه حق بني أمية و يذكر الطاعة و الجماعة و حسن بلاء بني أمية عنده و صنيعهم إليه و يدعوهم إلى بيعتهم و طاعتهم و يذكر ابن الزبير و يقع فيه و يشتمه و يذكر أن منافق قد خلع خليفتين و أمره أن يقرأ كتابه على الناس ثم دعا رجلا من كلب يقال له ناغضة فسرّج بالكتاب معه إلى الضحاك بن قيس و كتب حسان نسخة ذلك الكتاب و دفعه إلى ناغضة و قال له إن قرأ الضحاك كتابي على الناس و إلا فقم أنت و اقرأ هذا الكتاب عليهم و كتب حسان إلى بني أمية يأمرهم أن يحضروا ذلك فقدم ناغضة بالكتاب على الضحاك فدفعه إليه و دفع كتاب بني أمية إليهم سرا. فلما كان يوم الجمعة و صعد الضحاك على المنبر و قدم إليه ناغضة فقال أصلح الله الأمير ادع بكتاب حسان فاقرأه على الناس فقال له الضحاك اجلس فجلس ثم قام ثانية فتكلم مثل ذلك فقال له اجلس فجلس ثم قام الثالثة و كان كالثانية و الأولى فلما رآه ناغضة لا يقرأ الكتاب أخرج الكتاب الذي معه فقرأه على الناس فقام الوليد بن عتبة بن أبي سفيان فصدق حسان و كذب ابن الزبير و شتمه و قام يزيد بن أبي النمير الغساني فصدق مقالة حسان و كتابه و شتم ابن الزبير و قام سفيان بن أبرد الكلبي فصدق مقالة حسان و شتم ابن الزبير و قام عمر بن يزيد الحكمي فشتّم حسان و أثنى على ابن الزبير فاضطرب الناس و نزل الضحاك بن قيس فأمر بالوليد بن عتبة و سفيان بن الأبرد و يزيد بن أبي النمير الذين كانوا صدقوا حسان و شتموا ابن الزبير فحبسوا و جال الناس بعضهم في بعض و وثبت كلب على عمر بن يزيد الحكمي فضربوه و خرقوا ثيابه و قد كان قام خالد بن يزيد بن معاوية فصعد مرقأتين من المنبر و هو يومئذ غلام. و الضحاك بن قيس فوق المنبر فتكلم بكلام أوجز فيه لم يسمع بمثله ثم نزل.

فلما دخل الضحاك بن قيس داره جاءت كلب إلى السجن فأخرجوا سفيان بن أبرد الكلبي و جاءت غسان فأخرجوا يزيد بن أبي النمير و قال الوليد بن عتبة لو كنت من كلب أو غسان لأخرجت فجاء ابنا يزيد بن معاوية خالد و عبد الله و معهما أخوالهما من كلب فأخرجوه من السجن. ثم إن الضحاك بن قيس خرج إلى مسجد دمشق فجلس فيه و ذكر يزيد بن معاوية فوقع فيه فقام إليه سنان من كلب و معه عصا فضربه بها و الناس جلوس حلقا متقلدي السيوف فقام بعضهم إلى بعض في المسجد فاقتتلوا فكانت قيس عيلان قاطبة تدعو إلى ابن الزبير و معهما الضحاك و كلب تدعو إلى بني أمية ثم إلى خالد بن يزيد فيتعصبون له فدخل الضحاك دار الإمارة و أصبح الناس فلم يخرج الضحاك إلى صلاة الفجر. فلما ارتفع النهار بعث إلى بني أمية فدخلوا عليه فاعتذر إليهم و ذكر حسن بلائهم عنده و أنه ليس يهوى شيئا يكرهونه ثم قال تكتبون إلى حسان و نكتب و يسير حسان من الأردن حتى ينزل الجابية و نسير نحن و أنتم حتى نوافيه بها فيجتمع رأي الناس على رجل منكم فرضيت بذلك بنو أمية و كتبوا إلى حسان و هو بالأردن و كتب إليه الضحاك يأمره بالموافاة في الجابية و أخذ الناس في الجهاز للرحيل. و خرج الضحاك بن قيس من دمشق و خرج الناس و خرجت بنو أمية و توجهت الرايات يريدون الجابية فجاء ثور بن معن يزيد بن الأخنس السلمي إلى الضحاك فقال دعوتنا إلى طاعة ابن الزبير فبايعناك على ذلك ثم أنت الآن تسير إلى هذا الأعرابي من كلب لتستخلف ابن أخته خالد بن يزيد بن معاوية فقال الضحاك فما الرأي قال الرأي أن

نظهر ما كنا نسر و ندعو إلى طاعة ابن الزبير و نقاتل عليها فمال الضحاك بمن معه من الناس و انخل من بني أمية و من معهم من قبائل اليمن فنزل مرج راهط. قال أبو جعفر و اختلف في أي وقت كانت الوقعة بمرج راهط فقال الواقدي كانت في سنة خمس و ستين و قال غيره في سنة أربع و ستين. قال أبو جعفر و سارت بنو أمية و لفيها حتى وافوا حسان بالجابية فصلى بهم أربعين يوما و الناس يتشاورون و كتب الضحاك بن قيس من مرج راهط إلى النعمان بن بشير الأنصاري و هو على حمص يستنجده و إلى زفر بن الحارث و هو في قنسرين و إلى نائل بن قيس و هو على فلسطين ليستمدهم و كلهم على طاعة ابن الزبير فأمدوه فاجتمعت الأجناد إليه بمرج راهط و أما الذين بالجابية فكانت أهواؤهم مختلفة فأما مالك بن هبيرة السكوني فكان يهوى هوى يزيد بن معاوية و يحب أن تكون الخلافة في ولده و أما حصين بن غمير السكوني فكان يهوى هوى بني أمية و يحب أن تكون الخلافة لمروان بن الحكم فقال مالك بن هبيرة للحصين بن غمير هلم فلنباع لهذا الغلام الذي نحن ولدنا أباه و هو ابن أختنا فقد عرفت منزلتنا التي كانت من أبيه إنك إن تابيعه يملك غدا على رقاب العرب يعني خالد بن يزيد فقال الحصين لا لعمر الله لا يأتينا العرب بشيخ و نأتيها بصبي فقال مالك أظن هواك في مروان و الله إن استخلفت مروان ليحسدنك على سوطك و شراك نعلك و ظل شجرة تستظل بها إن مروان أبو عشرة و أخو عشرة و عم عشرة فإن بايعتموه كنتم عبيدا لهم و لكن عليكم بآبن أختكم خالد بن يزيد فقال الحصين إني رأيت في المنام قنديلا معلقا من السماء و إنه جاء كل من يمد عنقه إلى الخلافة ليتناوله فلم يصل إليه و جاء مروان فتناوله و الله لنستخلفنه.

فلما اجتمع رأيهم على بيعته و استمالوا حسان بن بحدل إليها قام روح بن زنباع الجذامي فحمد الله و أثنى عليه فقال أيها الناس إنكم تذكرون لهذا الأمر عبد الله بن عمر بن الخطاب و تذكرون صحبته لرسول الله ص و قدمه في الإسلام و هو كما تذكرون لكنه رجل ضعيف و ليس صاحب أمة مُحَمَّد بالضعيف و أما عبد الله بن الزبير و ما يذكر الناس من أمره و أن أباه حواري رسول الله ص و أمه أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين فهو لعمرى كما تذكرون و لكنه منافق قد خلع خليفتين يزيد و أباه معاوية و سفك الدماء و شق عصا المسلمين و ليس صاحب أمة مُحَمَّد ص بالمنافق و أما مروان بن الحكم فو الله ما كان في الإسلام صدع قط إلا كان مروان ممن يشعب ذلك الصدع و هو الذي قاتل عن عثمان بن عفان يوم الدار و الذي قاتل علي بن أبي طالب يوم الجمل و إنا نرى للناس أن يبايعوا الكبير و يستشبهوا الصغير يعني بالكبير مروان و بالصغير خالد بن يزيد. فاجتمع رأي الناس على البيعة لمروان ثم لخالد بن يزيد من بعده ثم لعمر بن سعيد بن العاص بعدهما على أن تكون في أيام خلافة مروان إمرة دمشق لعمر بن سعيد و إمرة حمص لخالد بن يزيد فلما استقر الأمر على ذلك دعا حسان بن بحدل خالد بن يزيد فقال يا ابن أختي إن الناس قد أبوك لحدائنة سنك و إني و الله ما أريد هذا الأمر إلا لك و لأهل بيتك و ما أبايع مروان إلا نظرا لكم فقال خالد بل عجزت عنا فقال لا و الله لم أعجز عنك و لكن الرأي لك ما رأيت. ثم إن حسان دعا مروان بن الحكم فقال له يا مروان إن الناس كلهم لا يرضون

بك فما ترى فقال مروان إن يرد الله أن يعطينيها لم يمنعها أحد من خلقه و إن يرد أن يمنعنيها لا يعطينيها أحد من خلقه فقال حسان صدقت. ثم صعد حسان المنبر فقال أيها الناس إني مستخلف في غد أحدكم إن شاء الله فاجتمع الناس بكرة الغد ينتظرون فصعد حسان المنبر و بايع لمروان و بايع الناس و سار من الجابية حتى نزل بمرج راهط حيث الضحاك بن قيس نازل فجعل مروان على ميمنته عمرو بن سعيد بن العاص و على ميسرته عبيد الله بن زياد و جعل الضحاك على ميمنته زياد بن عمرو بن معاوية العتكي و على ميسرته ثور بن معن السلمي و كان يزيد بن أبي النميس الغساني بدمشق لم يشهد الجابية و كان مريضا فلما حصل الضحاك بمرج راهط ثار بأهل دمشق في عبيده و أهله فغلب عليها و أخرج عامل الضحاك منها و غلب على الخزائن و بيت المال و بايع لمروان و أمده من دمشق بالرجال و المال و السلاح فكان ذلك أول فتح فتح لمروان. ثم وقعت الحرب بين مروان و الضحاك فاقتتلوا بمرج راهط عشرين ليلة فهزم أصحاب الضحاك و قتلوا و قتل أشراف الناس من أهل الشام و قتلت قيس مقتلة لم تقتل مثلها في موطن قط و قتل ثور بن معن السلمي الذي رد الضحاك عن رأيه. قال أبو جعفر و روي أن بشير بن مروان كان صاحب الراية ذلك اليوم و أنه كان ينشد

إن على الرئيس حقا حقا أن يخضب الصعدة أو يندقا

و صرع ذلك اليوم عبد العزيز بن مروان ثم استنقذ. قال و مر مروان برجل من محارب و هو في نفر يسير من أصحاب مروان فقال له

لو انضمت إلى أصحابك رحمك الله فيلاني أراك في قلة فقال إن معنا يا أمير المؤمنين من
الملائكة مددا أضعاف من تأمرنا بالانضمام إليهم قال فضحك مروان و سر بذلك و قال للناس
ممن كان حوله أ لا تستمعون قال أبو جعفر و كان قاتل الضحاك رجلا من كلب يقال له زحنة
بن عبد الله فلما قتله و أحضر الرأس إلى مروان ظهرت عليه كآبة و قال الآن حين كبرت سني و
دق عظمي و صرت في مثل ظمء الحمار أقبلت أضرب الكنائب بعضها ببعض. قال أبو جعفر و
روي أن مروان أنشد لما بويع و دعا إلى نفسه

لما رأيت الأمر أمرا نخبيا سيرت غسان لهم و كلبا
و السكسكين رجالا غلبا و طيئا تأباه إلا ضربا
و القين تمشي في الحديد نكبا و من تنوخ مشمخرا صعبا
لا يملكون الملك إلا غصبا و إن دنت قيس فقل لا قربا
قال أبو جعفر و خرج الناس منهزمين بعد قتل الضحاك فأنتهى أهل حمص إلى حمص و عليها
النعمان بن بشير فلما عرف الخبر خرج هاربا و معه ثقله و ولده و تحير ليلته كلها و أصبح و هو
بباب مدينة حمص فرآه أهل حمص فقتلوه و خرج زفر بن الحارث الكلبي من قنسرين هاربا فلحق
بقرقيسياء و عليها عياض بن أسلم الجرشي فلم يمكنه من دخولها فحلف له زفر بالطلاق و العتاق
أنه إذا دخل حمامها خرج منها و قال له إن لي حاجة إلى دخول الحمام فلما دخلها لم يدخل
حمامها و أقام بها و أخرج عياضا

منها و تحصن فيها و ثابت إليه قيس عيلان و خرج ناتل بن قيس الجذامي من فلسطين هاربا
فالتحق بابن الزبير بمكة و أطبق أهل الشام على مروان و استوثقوا له و استعمل عليهم عماله ففي
ذلك يقول زفر بن الحارث

أرى الحرب لا تزداد إلا تماديا	أريني سلاحي لا أبا لك إنني
مريق دمي أو قاطع من لسانيا	أتاني عن مروان بالغيب أنه
إذا نحن رفعنا لهن المبانيا	و في العيس منجاة و في الأرض مهرب
و تبقى حزازات النفوس كما هيا	فقد ينبت المرعى على دمن الثرى
و تترك قتلى راهط هي ما هيا	أ تذهب كلب لم تنلها رماحنا
لحسان صدعا بينا متنائيا	لعمري لقد أبقت وقعة راهط
و مقتل همام أمني الأمانيا	أ بعد ابن عمرو و ابن معن تتايعا
فراري و تركي صاحي ورائيا	و لم تر مني نبوة قبل هذه
بصالح أيامي و حسن بلائيا	أ يذهب يوم واحد إن أسأته
و تتأر من نسوان كلب نسائيا	فلا صلح حتى تنحط الخيل بالقنا

و قال زفر بن الحارث أيضا و هو من شعر الحماسة

فيحيا و أما ابن الزبير فيقتل	أ في الله أما بحدل و ابن بحدل
و لما يكن يوم أغر محجل	كذبتهم و بيت الله لا تقتلوننه

و لما يكن للمشرفية فوقكم شعاع كقرن الشمس حين ترجل
و أما وفاة مروان و السبب فيها أنه كان قد استقر الأمر بعده لخالد بن يزيد بن معاوية على
ما قدمنا ذكره فلما استوثق له الأمر أحب أن يبايع لعبد الملك و عبد العزيز ابنيه فاستشار في
ذلك فأشير عليه أن يتزوج أم خالد بن يزيد و هي ابنة أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة ليصغر شأنه
فلا يرشح للخلافة فتزوجها ثم قال لخالد يوما في كلام دار بينهما و المجلس غاص بأهله اسكت يا
ابن الرطبة فقال خالد أنت لعمري مؤتمن و خبير. ثم قام باكيا من مجلسه و كان غلاما حينئذ
فدخل على أمه فأخبرها فقالت له لا يعرفن ذلك فيك و اسكت فأنا أكفيك أمره فلما دخل
عليها مروان قال لها ما قال لك خالد قالت و ما عساه يقول قال أ لم يشكني إليك قالت إن
خالدا أشد إعظاما لك من أن يشتكيك فصدقها ثم مكثت أياما فنام عندها و قد واعدت
جواربها و قمن إليه فجعلن الوسائد و البراذع عليه و جلسن عليه حتى خنقه و ذلك بدمشق في
شهر رمضان. و هو ابن ثلاث و ستين سنة في قول الواقدي. و أما هشام بن محمد الكلبي فقال ابن
إحدى و ثمانين سنة و قال كان ابن إحدى و ثمانين عاش في الخلافة تسعة أشهر و قيل عشرة
أشهر و كان في أيام كتابته لعثمان بن عفان أكثر حكما و أشد تلطفا و تسلطا منه في أيام
خلافته و كان ذلك من أعظم الأسباب الداعية إلى خلع عثمان و قتله. و قد قال قوم إن
الضحاك بن قيس لما نزل مرج راهط لم يدع إلى ابن الزبير و إنما دعا إلى نفسه و بويع بالخلافة و
كان قرشيا و الأكثر الأشهر أنه كان يدعو إلى ابن الزبير

٧٣ و من كلام له ع لما عزموا على بيعه عثمان

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي وَ وَاللَّهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمْتَ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَ لَمْ يَكُنْ فِيهَا
جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً الْيَمَاسَ لِأَجْرِ ذَلِكَ وَ فَضْلِهِ وَ زُهْدًا فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَ زِبْرَجِهِ
نافست في الشيء منافسة و نفاسا إذا رغبت فيه على وجه المباراة في الكرم و تنافسوا فيه أي
رغبوا. و الزخرف الذهب ثم شبه به كل موه مزور قال تعالى (حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا)
و المزخرف المزين. و الزبرج الزينة من وشي أو جوهر و نحو ذلك و يقال الزبرج الذهب أيضا. يقول
لأهل الشورى إنكم تعلمون أنني أحق بالخلافة من غيري و تعدلون عني ثم أقسم ليسلمن و ليتركن
المخالفة لهم إذا كان في تسليمه و نزوله عن حقه سلامة أمور المسلمين و لم يكن الجور و الحيف
إلا عليه خاصة و هذا كلام مثله ع لأنه إذا علم أو غلب على ظنه أنه أن نازع و حارب دخل
على الإسلام وهن و ثلم لم يختار له المنازعة و إن كان

يطلب بالمنازعة ما هو حق و إن علم أو غلب على ظنه بالإمساك عن طلب حقه إنما يدخل الثلم و الوهن عليه خاصة و يسلم الإسلام من الفتنة و جب عليه أن يغضي و يصبر على ما أتوا إليه من أخذ حقه و كف يده حراسة للإسلام من الفتنة. فإن قلت فهلا سلم إلى معاوية و إلى أصحاب الجمل و أغضى على اغتصاب حقه حفظا للإسلام من الفتنة. قلت إن الجور الداخل عليه من أصحاب الجمل و من معاوية و أهل الشام لم يكن مقصورا عليه خاصة بل كان يعم الإسلام و المسلمين جميعا لأنهم لم يكونوا عنده ممن يصلح لرئاسة الأمة و تحمل أعباء الخلافة فلم يكن الشرط الذي اشترطه متحققا و هو قوله و لم يكن فيه جور إلا علي خاصة. و هذا الكلام يدل على أنه ع لم يكن يذهب إلى أن خلافة عثمان كانت تتضمن جورا على المسلمين و الإسلام و إنما كانت تتضمن جورا عليه خاصة و أنها وقعت على جهة مخالفة الأولى لا على جهة الفساد الكلي و البطلان الأصلي و هذا محض مذهب أصحابنا

كلام لعلي قبل المبايعة لعثمان

و نحن نذكر في هذا الموضع ما استفاض في الروايات من مناشدته أصحاب الشورى و تعديده فضائله و خصائصه التي بان بها منهم و من غيرهم قد روى الناس ذلك فأكثرُوا و الذي صح عندنا أنه لم يكن الأمر كما روي من تلك التعديلات الطويلة و لكنه قال لهم بعد أن بايع عبد الرحمن و الحاضرون عثمان و تلكا هو ع عن البيعة إن لنا حقا إن نعطه نأخذه و إن نمنعه نركب أعجاز الإبل و إن طال السرى في كلام قد ذكره أهل السيرة و قد أوردنا بعضه فيما تقدم ثم قال لهم أنشدكم الله أ فيكم أحد آخى رسول الله ص بينه و بين نفسه حيث آخى بين بعض المسلمين و بعض غيري

فقالوا لا فقال أ فيكم أحد قال له رسول الله ص من كنت مولاه فهذا مولاه غيري فقالوا لا فقال أ فيكم أحد قال له رسول الله ص أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي غيري قالوا لا قال أ فيكم من أوثمن على سورة براءة و قال له رسول الله ص إنه لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني غيري قالوا لا قال أ لا تعلمون أن أصحاب رسول الله ص فروا عنه في ماقط الحرب في غير موطن و ما فررت قط قالوا بلى قال أ لا تعلمون أني أول الناس إسلاما قالوا بلى قال فأينا أقرب إلى رسول الله ص نسبا قالوا أنت فقطع عليه عبد الرحمن بن عوف كلامه و قال يا علي قد أبى الناس إلا على عثمان فلا تجعل على نفسك سبيلا ثم قال يا أبا طلحة ما الذي أمرك به عمر قال أن أقتل من شق عصا الجماعة فقال عبد الرحمن لعلي بايع اذن و إلا كنت متبعا غير سبيل المؤمنين و أنفذنا فيك ما أمرنا به فقال لقد علمتم أني أحق بها من غيري و الله لأسلمن الفصل إلى آخره ثم مد يده فبايع

٧٤ و من كلام له ع لما بلغه اتهام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان
أَ وَ لَمْ يَنْهَ بَنِي أُمَيَّةَ عِلْمُهَا بِي عَنْ قَرْنِي أَوْ مَا وَزَعَ الْجُهَّالَ سَابِقِي عَنْ تُهْمَتِي وَ لَمَّا وَعَظَهُمُ اللَّهُ
بِهِ أُبْلِغُ مِنْ لِسَانِي أَنَا حَجِيجُ الْمَارِقِينَ وَ خَصِيمُ النَّاكِثِينَ الْمُرْتَابِينَ وَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تُعْرَضُ
الْأَمْثَالُ وَ بَمَا فِي الصُّدُورِ تُجَازَى الْعِبَادُ الْقِرْفُ الْعِيبُ قَرَفْتَهُ بِكَذَا أَيِ عِبْتَهُ وَ وَزَعَ كَفَ وَ رَدَعَ وَ مِنْهُ
قَوْلُهُ لَا بَدَ لِلنَّاسِ مِنْ وَزَعَةٍ جَمَعَ وَازَعَ أَيِ مِنْ رُؤْسَاءِ وَ أَمْرَاءِ وَ التَّهْمَةُ بَفَتْحِ الْهَاءِ هِيَ اللَّغَةُ
الْفَصِيحَةُ وَ أَصْلُ التَّاءِ فِيهِ وَاو.و الْحَجِيجُ كَالْخَصِيمِ ذُو الْحِجَاجِ وَ الْخُصُومَةُ يَقُولُ عَ أ مَا كَانَ فِي
عِلْمِ بَنِي أُمَيَّةَ بِحَالِي مَا يَنْهَاهَا عَنْ قَرْنِي بَدَمِ عُثْمَانَ وَ حَالِهِ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا وَ ذَكَرَ أَنَّ عِلْمَهُمْ بِهَا
يَقْتَضِي أَلَّا يَقْرَفُوهُ بِذَلِكَ هِيَ مَنْزِلَتُهُ فِي الدِّينِ الَّتِي لَا مَنْزِلَةَ أَعْلَى مِنْهَا وَ مَا نَطَقَ بِهِ الْكِتَابُ
الصَّادِقُ مِنْ طَهَارَتِهِ وَ طَهَارَةِ بَنِيهِ وَ زَوْجَتِهِ فِي قَوْلِهِ (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)

و قول النبي ص أنت مني بمنزلة هارون من موسى و ذلك يقتضي عصمته عن الدم الحرام

كما أن هارون معصوم عن مثل ذلك و ترادف الأقوال و الأفعال من رسول الله ص في أمره التي يضطر معها الحاضرون لها و المشاهدون إياها إلى أن مثله لا يجوز أن يسعى في إراقة دم أمير مسلم لم يحدث حدثا يستوجب به إحلال دمه. و هذا الكلام صحيح معقول و ذاك أنا نرى من يظهر ناموس الدين و يواظب على نوافل العبادات و نشاهد من ورعه و تقواه ما يتقرر معه في نفوسنا استشعاره الدين و اعتقاده إياه فيصرفنا ذلك عن قرفه بالعيوب الفاحشة و نستبعد مع ذلك طعن من يطعن فيه و ننكره و ناباه و نكذبه فكيف ساغ لأعداء أمير المؤمنين ع مع علمهم بمنزلته العالية في الدين التي لم يصل إليها أحد من المسلمين أن يطلقوا ألسنتهم فيه و ينسبوه إلى قتل عثمان أو الممالة عليه لا سيما و قد اتصل بهم و ثبت عندهم أنه كان من أنصاره لا من المجلبين عليه و أنه كان أحسن الجماعة فيه قولاً و فعلاً. ثم قال أ لم تزغ الجهال و تردعهم سابقتي عن همتي و هذا الكلام تأكيد للقول الأول. ثم قال إن الذي وعظهم الله تعالى به في القرآن من تحريم الغيبة و القذف و تشبيه ذلك بأكل لحم الميت أبلغ من وعظي لهم لأنه لا عظة أبلغ من عظة القرآن. ثم قال أنا حجيج المارقين و خصيم المرتابين يعني يوم القيامة؛ روي عنه ع أنه قال أنا أول من يجثو للحكومة بين يدي الله تعالى، و قد روي عن النبي ص مثل ذلك مرفوعاً في قوله تعالى (هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ) و أنه ص سئل عنها فقال علي و حمزة و عبيدة و عتبة و شيبه و الوليد و كانت حادثتهم أول حادثة وقعت فيها مبارزة أهل الإيمان لأهل الشرك و كان المقتول الأول بالمبارزة الوليد بن عتبة قتله علي ع ضربه على رأسه فبدرت عيناه على وجنته

فقال النبي ص فيه و في أصحابه ما قال و كان علي ع يكثر من قوله أنا حجيج المارقين و يشير إلى هذا المعنى. ثم أشار إلى ذلك بقوله على كتاب الله تعرض الأمثال يريد قوله تعالى (هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ). ثم قال و بما في الصدور تجازى العباد إن كنت قتلت عثمان أو مألأت عليه فإن الله تعالى سيجازيني بذلك و إلا فسوف يجازي بالعقوبة و العذاب من اتهمني به و نسبه إلي. و هذا الكلام يدل على ما يقوله أصحابنا من تبرؤ أمير المؤمنين ع من دم عثمان و فيه رد و إبطال لما يزعمه الإمامية من كونه رضي به و أباحه و ليس يقول أصحابنا أنه ع لم يكن ساخطا أفعال عثمان و لكنهم يقولون إنه و إن سخطها و كرهها و أنكرها لم يكن مبيحا لدمه و لا ممالئا على قتله و لا يلزم من إنكار أفعال الإنسان إحلال دمه فقد لا يبلغ الفعل في القبح إلى أن يستحل به الدم كما في كثير من المناهي

٧٥ و من خطبة له ع

رَحِمَ اللَّهُ إِمْرًا [عَبْدًا] سَمِعَ حُكْمًا فَوَعَى وَ دُعِيَ إِلَى رَشَادٍ فَدَنَا وَ أَخَذَ بِحُجْرَةِ هَادٍ فَتَجَا رَاقِبَ رَبِّهِ وَ خَافَ ذَنْبَهُ قَدَمَ خَالِصًا وَ عَمِلَ صَالِحًا [نَاصِحًا] اِكْتَسَبَ مَذْخُورًا وَ اجْتَنَبَ مَخْذُورًا رَمَى غَرَضًا وَ أَحْزَرَ عَوْضًا كَابَرَ هَوَاهُ وَ كَذَّبَ مُنَاهُ جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ وَ التَّقْوَى عُدَّةً وَفَاتِهِ رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَاءَ لَزِمَ الْمَحَجَّةَ الْبَيْضَاءَ اِعْتَنَمَ الْمَهْلَ وَ بَادَرَ الْأَجَلَ وَ تَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ الْحَكَمِ هَاهُنَا الْحِكْمَةَ قَالَ سُبْحَانَهُ (وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) وَ وعى حفظ وعيت الحديث أعيه وعيا و أذن واعية أي حافظة و دنا قرب و الحجرة معقد الإزار و أخذ فلان بحجرة فلان إذا اعتصم به و لجأ إليه. ثم حذف ع الواو في اللفظات الآخر فلم يقل و راقب ربه و لا و قدم خالصا و كذلك إلى آخر اللفظات و هذا نوع من الفصاحة كثير في استعمالهم. و اكتسب بمعنى كسب يقال كسبت الشيء و اكتسبته بمعنى. و الغرض ما يرمى بالسهم يقول رحم الله امرأ رمى غرضا أي قصد الحق كمن يرمى غرضا يقصده لا من يرمى في عمياء لا يقصد شيئا بعينه.

و العوض المحرز هاهنا هو الثواب. و قوله كابر هو اه أي غالبه و روي كافر بالثناء المنقوطة
بالثلاث أي غالب هو اه بكثرة عقله يقال كاثرتاهم فكثرتاهم أي غلبناهم بالكثرة. و قوله و كذب
مناه أي أمنيته و الطريقة الغراء البيضاء و المهل النظر و التؤدة

٧٦ و من كلام له ع

إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَيَفُوقُونِي ثَرَاتُ مُحَمَّدٍ ص تَفْويقاً وَ اللَّهُ لَعَنَ بَقِيَّتُ هُمْ لَأَنْفُضَنَّاهُمْ نَقْضَ اللَّحَامِ
الْوِذَامِ الثَّرْبَةَ قَالَ الرضِي ﷺ وَ يروى التراب الوزمة و هو على القلب. و قوله ع ليفوقوني أي
يعطوني من المال قليلا كفواق الناقة و هو الحلبة الواحدة من لبنها. و الوزام التربة جمع وزمة و هي
الحزة من الكرش أو الكبد تقع في التراب فتنفض اعلم أن أصل هذا الخبر قد رواه أبو الفرج علي
بن الحسين الأصفهاني في كتاب الأغاني بإسناد رفعه إلى الحارث بن حبيش قال بعثني سعيد بن
العاص و هو يومئذ أمير الكوفة من قبل عثمان بهدايا إلى المدينة و بعث معي هدية إلى علي ع و
كتب إليه أني لم أبعث إلى أحد أكثر مما بعثت به إليك إلا إلى أمير المؤمنين فلما أتيت عليا ع و
قرأ كتابه

قال لشد ما يحظر علي بنو أمية تراث محمد ص أما و الله لعن وليتها لأنفضنها نقض القصاب
التراب الوزمة.

قال أبو الفرج و هذا خطأ إنما هو الودام التربة. قال و قد حدثني بذلك أحمد بن عبد العزيز
الجوهري عن أبي زيد عمر بن شبة بإسناد ذكره في الكتاب أن سعيد بن العاص حيث كان أمير
الكوفة بعث مع ابن أبي عائشة مولاه إلى علي بن أبي طالب ع بصلة
فقال علي ع و الله لا يزال غلام من غلمان بني أمية يبعث إلينا مما أفاء الله على رسوله بمثل
قوت الأرملة و الله لئن بقيت لأنفضنها نفص القصاب الودام التربة

٧٧ و من كلمات كان ع يدعو بها

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا وَأَيْتُ مِنْ
نَفْسِي وَ لَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلِسَانِي ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ
لِي رَمَزَاتِ الْأَلْحَاطِ وَ سَقَطَاتِ الْأَلْفَاطِ وَ سَهَوَاتِ الْجَنَانِ وَ هَفَوَاتِ اللِّسَانِ وَأَيْتُ أَي وَعَدت و
الوأي الوعد و رمزات الألحاط الإشارة بها و الألحاط جمع لحظ بفتح اللام و هو مؤخر العين و
سقطات الألفاظ لغوها و سهوات الجنان غفلاته و الجنان القلب و هفوات اللسان زلاته. و في
هذا الموضع يقال ما فائدة الدعاء عندكم و القديم تعالى إنما يغفر الصغائر لأنها تقع مكفرة فلا
حاجة إلى الدعاء بغفرانها و لا يؤثر الدعاء أيضا في أفعال الباري سبحانه لأنه إنما يفعل بحسب
المصالح و يرزق المال و الولد و غير ذلك و يصرف المرض و الجذب و غيرها بحسب ما يعلمه من
المصلحة فلا تأثير للدعاء في شيء من ذلك. و الجواب أنه لا يمتنع أن يحسن الدعاء بما يعلم أن
القديم يفعله لا محالة و يكون وجه حسنه صدوره عن المكلف على سبيل الانقطاع إلى الخالق
سبحانه.

و يجوز أيضا أن يكون في الدعاء نفسه مصلحة و لطف للمكلف لقد حسن منا الاستغفار للمؤمنين و الصلاة على الأنبياء و الملائكة. و أيضا فليس كل أفعال البارئ سبحانه واجبة عليه بل معظمها ما يصدر على وجه الإحسان و التفضل فيجوز أن يفعله و يجوز ألا يفعله. فإن قلت فهل يسمى فعل الواجب الذي لا بد لتقديم تعالى من فعله إجابة لدعاء المكلف. قلت لا و إنما يسمى إجابة إذا فعل سبحانه ما يجوز أن يفعله و يجوز ألا يفعله كالتفضل و أيضا فإن اللطف و المصلحة قد يكون لطفًا و مصلحة في كل حال و قد يكون لطفًا عند الدعاء و لو لا الدعاء لم يكن لطفًا و ليس بممتنع في القسم الثاني أن يسمى إجابة للدعاء لأن للدعاء على كل حال تأثيرًا في فعله. فإن قيل أ يجوز أن يدعو النبي ص بدعاء فلا يستجاب له. قيل إن من شرط حسن الدعاء أن يعلم الداعي حسن ما طلبه بالدعاء و إنما يعلم حسنه بألا يكون فيه وجه قبح ظاهر و ما غاب عنه من وجوه القبح نحو كونه مفسدة يجب أن يشترطه في دعائه و يطلب ما يطلبه بشرط ألا يكون مفسدة و إن لم يظهر هذا الشرط في دعائه وجب أن يضممه في نفسه فمتى سأل النبي ربه تعالى أمرًا فلم يفعله لم يجوز أن يقال إنه ما أجيب دعوته لأنه يكون قد سأل بشرط ألا يكون مفسدة فإذا لم يقع ما يطلبه فالأن المطلوب قد علم الله فيه من المفسدة ما لم يعلمه النبي ص فلا يقال إنه ما أجيب دعاؤه لأن دعاءه كان مشروطًا و إنما يصدق قولنا ما أجيب دعاؤه على من طلب أمرًا طلبًا مطلقًا غير مشروط فلم يقع و النبي ص لا يتحقق ذلك في حقه

من أدعية رسول الله المأثورة

و نحن نذكر في هذا الموضع جملة من الأدعية المأثورة طلبا لبركتها و لينتفع قارئ الكتاب بها
كان من دعاء رسول الله ص إذا أصبح أن يقول أصبحنا و أصبح الملك و الكبرياء و العظمة
و الجلال و الخلق و الأمر و الليل و النهار و ما يسكن فيهما الله عز و جل وحده لا شريك له
اللهم اجعل أول يومي هذا صلاحاً و أوسطه فلاحاً و آخره نجاحاً اللهم إني أسألك خير الدنيا و
الآخرة يا أرحم الراحمين اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا و بين معاصيك و من طاعتنا ما
تبلغنا به رحمتك و من اليقين ما تهون به علينا مصيبات الدنيا اللهم متعنا بأسماعنا و أبصارنا و
اجعلهما الوارث منا و انصرنا على من ظلمنا و لا تجعل مصيبتنا في ديننا و لا تجعل الدنيا أكبر
همنا و لا مبلغ علمنا و لا تسلط علينا من لا يرحمنا

من أدعية الصحيفة

و من دعاء أمير المؤمنين ع و كان يدعو به زين العابدين علي بن الحسين ع و هو من أدعية
الصحيفة يا من يرحم من لا يرحمه العباد و يا من يقبل من لا تقبله البلاد و يا من لا يحتقر أهل
الحاجة إليه يا من لا يجبه بالرد أهل الإلحاح إليه يا من لا يخفى عليه صغير ما يتحف به و لا
يضيع يسير ما يعمل له يا من يشكر على القليل و يجازي بالجليل يا من يدنو إلى من دنا منه يا
من يدعو إلى نفسه من أدبر عنه يا من لا يغير النعمة و لا يبادر بالنقمة يا من يثمر الحسنة حتى
ينميها و يتجاوز عن السيئة حتى يعفيها انصرفت

دون مدى كرمك الحاجات و امتلأت ببعض جودك أوعية الطلبات و تفسخت دون بلوغ نعتك
الصفات فلك العلو الأعلى فوق كل عال و الجلال الأجد فوق كل جلال كل جليل عندك حقير
و كل شريف في جنب شرفك صغير خاب الوافدون على غيرك و خسر المتعرضون إلا لك و
ضاع الملمون إلا بك و أجذب المنتجعون إلا من انتجع فضلك لأنك ذو غاية قريبة من الراغبين
و ذو مجد مباح للسائلين لا يخيب لديك الآملون و لا يخفق من عطائك المتعرضون و لا يشقى
بنقمتك المستغفرون رزقك مبسوط لمن عصاك و حلمك معرض لمن ناواك و عادتك الإحسان إلى
المسيئين و سنتك الإبقاء على المعتدين حتى لقد غرهم أناتك عن النزوع و صدهم إمهالك عن
الرجوع و إنما تأنيت بهم ليفيئوا إلى أمرك و أمهلتهم ثقة بدوام ملكك فمن كان من أهل السعادة
ختمت له بها و من كان من أهل الشقاوة خذلتها. كلهم صائر إلى رحمتك و أمورهم آتلة إلى
أمرك لم يهن على طول مدتهم سلطانك و لم تدحض لترك معاجلتهم حججك حجتك قائمة و
سلطانك ثابت فالويل الدائم لمن جنح عنك و الخيبة الخاذلة لمن خاب أمله منك و الشقاء
الأشقى لمن اغتر بك ما أكثر تقلبه في عذابك و ما أعظم تردده في عقابك و ما أبعد غايته من
الفرج و ما أثبطه من سهولة المخرج عدلا من قضائك لا تجور فيه و إنصافا من حكمك لا تحيف
عليه قد ظاهرت الحجاج و أزلت الأعذار و تقدمت بالوعيد و تلطفت في الترغيب و ضربت
الأمثال و أطلت الإمهال و أخرت و أنت تستطيع المعاجلة و تأنيت و أنت مليء بالمبادرة لم تك
أناتك عجزا و لا حلمك وهنا و لا إمساكك لعة و لا انتظارك لمداواة بل لتكون حجتك الأبلغ
و كرمك الأكمل و إحسانك الأوفى و نعمتك الأتم

كل ذلك كان و لم يزل و هو كائن لا يزول نعمتك أجل من أن توصف بكلها و مجدك أرفع من أن يحد بكنهه و إحسانك أكبر من أن يشكر على أقله فقد أقصرت ساكتا عن تحميدك و تهيت ممسكا عن تمجيدك لا رغبة يا إلهي عنك بل عجزا و لا زهدا فيما عندك بل تقصيرا و ها أنا ذا يا إلهي أومل بالوفادة و أسألك حسن الرفادة فاسمع ندائي و استجب دعائي و لا تحتم عملي بخييتي و لا تجبني بالرد في مسألتي و أكرم من عندك منصرفي إنك غير ضائق عما تريد و لا عاجز عما تشاء و أنت على كل شيء قدير

و من أدعيته ع و هو من أدعية الصحيفة أيضا: اللهم يا من برحمته يستغيث المذنبون و يا من إلى إحسانه يفرح المضطرون و يا من لحيفته ينتحب الخاطئون يا أنس كل مستوحش غريب يا فرج كل مكروب حريب يا عون كل مخذول فريد يا عائذ كل محتاج طريد أنت الذي وسعت كل شيء رحمة و علما و أنت الذي جعلت لكل مخلوق في نعمتك سهما و أنت الذي عفوه أعلى من عقابه و أنت الذي رحمته أمام غضبه و أنت الذي إعطاؤه أكبر من منعه و أنت الذي وسع الخلائق كلهم بعفوه و أنت الذي لا يرغب في غنى من أعطاه و أنت الذي لا يفرط في عقاب من عصاه. و أنا يا سيدي عبدك الذي أمرته بالدعاء فقال لبيك و سعديك و أنا يا سيدي عبدك الذي أوقرت الخطايا ظهره و أنا الذي أفنت الذنوب عمره و أنا الذي بجهله عصاك و لم يكن أهلا منه لذلك فهل أنت يا مولاي راحم من دعاك فاجتهد في الدعاء أم أنت غافر لمن بكى لك فأسرع في البكاء أم أنت متجاوز عمن عفر لك وجهه متذللا أم أنت مغن من شكك إليك فقره متوكلا

اللهم فلا تخيب من لا يجد معطيا غيرك و لا تخذل من لا يستغني عنك بأحد دونك اللهم لا تعرض عني و قد أقبلت عليك و لا تحرمني و قد رغبت إليك و لا تجهني بالرد و قد انتصبت بين يديك أنت الذي وصفت نفسك بالرحمة و أنت الذي سميت نفسك بالعفو فارحمني و اعف عني فقد ترى يا سيدي فيض دموعي من خيفتك و وجيب قلبي من خشيتك و انتفاض جوارحي من هيبتك كل ذلك حياء منك بسوء عملي و خجلا منك لكثرة ذنوبي قد كل لساني عن مناجاتك و حمد صوتي عن الدعاء إليك يا إلهي فكم من عيب سترته علي فلم تفضحني و كم من ذنب غطيت عليه فلم تشهر بي و كم من عائبة أملت بها فلم تهتك عني سترها و لم تقلدني مكروها شاربها و لم تبد علي محرمات سواها فمن يلتمس معايي من جيرتي و حسدة نعمتك عندي ثم لم ينهي ذلك حتى صرت إلى أسوأ ما عهدت مني فمن أجهل مني يا سيدي برشدك و من أغفل مني عن حظه منك و من أبعد مني من استصلاح نفسه حين أنفقت ما أجريت علي من رزقك فيما نهيتني عنه من معصيتك و من أبعد غورا في الباطل و أشد إقداما على السوء مني حين أقف بين دعوتك و دعوة الشيطان فأتبع دعوته على غير عمي عن المعرفة به و لا نسيان من حفظي له و أنا حينئذ موقن أن منتهى دعوتك الجنة و منتهى دعوته النار سبحانه فما أعجب ما أشهد به على نفسي و أعدده من مكنون أمري و أعجب من ذلك أناتك عني و إبطاؤك عن معاجلتي و ليس ذلك من كرمي عليك بل تأتيا منك بي و تفضلا منك علي لأن أرتدع عن خطئي و لأن عفوك أحب إليك من عقوبي بل أنا يا إلهي أكثر ذنوبا و أقبح آثارا و أشنع أفعالا و أشد في الباطل تمورا و أضعف عند طاعتك تيقظا و أغفل لوعيدك انتباها من أن أحصي لك عيوبي و أقدر على تعديد

ذنوبي و إنما أوبخ بهذا نفسي طمعا في رأفتك التي بها إصلاح أمر المذنبين و رجاء لعصمتك التي بها فكاك رقاب الخاطئين اللهم و هذه رقبتى قد أرقتها الذنوب فأعتقها بعفوك و قد أثقلتها الخطايا فخفف عنها بمنك اللهم إني لو بكيت حتى تسقط أشفار عيني و انتحبت حتى ينقطع صوتي و قمت لك حتى تنتشر قدمي و ركعت لك حتى ينجذع صليبي و سجدت لك حتى تتفقا حدقتاي و أكلت التراب طول عمري و شربت ماء الرماد آخر دهري و ذكرتكَ في خلال ذلك حتى يكل لساني ثم لم أرفع طرفي إلى آفاق السماء استحياء منك لما استوجبت بذلك محو سيئة واحدة من سيئاتي فإن كنت تغفر لي حين أستوجب مغفرتك و تعفو عني حين أستحق عفوك فإن ذلك غير واجب لي بالاستحقاق و لا أنا أهل له على الاستيجاب إذ كان جزائي منك من أول ما عصيتك النار فإن تعذبني فإنك غير ظالم إلهي فإن تغمدتني بسترِكَ فلم تفضحني و أمهلني بكرمك فلم تعاجلني و حلمت عني بتفضلك فلم تغير نعمك علي و لم تكدر معروفك عندي فارحم طول تضرعي و شدة مسكنتي و سوء موقعي اللهم صل على مُحَمَّد و آل مُحَمَّد و أنقذني من المعاصي و استعملني بالطاعة و ارزقني حسن الإنابة و طهرني بالتوبة و أيدني بالعصمة و استصلحني بالعافية و ارزقني حلاوة المغفرة و اجعلني طليق عفوك و اكتب لي أمانا من سخطك و بشرني بذلك في العاجل دون الآجل بشرى أعرفها و عرفني له علامة أتبينها أن ذلك لا يضيق عليك في وجدك و لا يتكأءك في قدرتك و أنت على كل شيء قدير
و من أدعيته ع و هو من أدعية الصحيفة

اللهم يا ذا الملك المتأبد بالخلود و السلطان الممتنع بغير جنود و المعز الباقي على مر الدهور
عز سلطانك عزا لا حد له و لا منتهى لآخره و استعلى ملكك علوا سقطت الأشياء دون بلوغ
أمده و لا يبلغ أدنى ما استأثرت به من ذلك نعوت أقصى نعت الناعتين ضلت فيك الصفات و
تفسخت دونك النعوت و حارت في كبريائك لطائف الأوهام كذلك أنت الله في أوليتك و على
ذلك أنت دائم لا تزول و كذلك أنت الله في آخريتك و كذلك أنت ثابت لا تحول و أنا العبد
الضعيف عملا الجسيم أملا خرجت من يدي أسباب الوصلات إلى رحمتك و تقطعت عني عصم
الآمال إلا ما أنا معتصم به من عفوك قل عندي ما أعتد به من طاعتك و كثر عندي ما أبوء به
من معصيتك و لن يفوتك عفو عن عبدك و إن أساء فاعف عني اللهم قد أشرف على كل
خطايا الأعمال علمك و انكشف كل مستور عند خبرك فلا ينطوي عنك دقائق الأمور و لا
يعزب عنك خفايا السرائر و قد هربت إليك من صغائر ذنوب موبقة و كبائر أعمال مردية فلا
شفيع يشفع لي إليك و لا خفير يؤمنني منك و لا حصن يحجيني عنك و لا ملاذ ألبأ إليه غيرك
هذا مقام العائذ بك و محل المعترف لك فلا يضيعني عني فضلك و لا يقصرن دوني عفوك و لا
أكون أخيب عبادك التائبين و لا أقنط وفودك الآملين و اغفر لي إنك خير الغافرين اللهم إنك
أمرتني فغفلت و نهيتهني فركبت و هذا مقام من استحيا لنفسه منك و سخط عليها و رضي عنك
و تلقاك بنفس خاشعة و عين خاضعة و ظهر مثقل من الخطايا واقفا بين الرغبة إليك و الرهبة
منك و أنت أولى من رجاه و أحق من خشيه و اتقاه

فأعطني يا رب ما رجوت و أمني ما حذرت و عد علي بفضلك و رحمتك إنك أكرم المسؤولين اللهم و إذ سترتني بعفوك و تغمدتني بفضلك في دار الفناء فأجرتني من فضيحات دار البقاء عند مواقف الأشهاد من الملائكة المقربين و الرسل المكرمين و الشهداء الصالحين من جبار كنت أكاتمته سيئاتي و من ذي رحم كنت أحتشم منه لسرياتي لم أثق بهم في الستر علي و وثقت بك في المغفرة لي و أنت أولى من وثق به و أعطى من رغب إليه و أرأف من استرحم فارحمي اللهم إني أعوذ بك من نار تغلظت بها على من عصاك و أوعدت بها من ضارك و ناوك و صدف عن رضاك و من نار نورها ظلمة و هينها صعب و قريبها بعيد و من نار يأكل بعضها بعضا و يصول بعضها على بعض و من نار تذر العظام رميما و تسقي أهلها حميما و من نار لا تبقى على من تضرع و لا ترحم من استعطفها و لا تقدر على التخفيف عمن خشع لها و استبتل إليها تلقى سكانها بأحر ما لديها من أليم النكال و شديد الوبال اللهم بك أعوذ من عقاربها الفاغرة أفواهاها و حياتها الناهشة بأنبيائها و شرايها الذي يقطع الأمعاء و يذيب الأحشاء و أستهديك لما باعد عنها و أنقذ منها فأجرتني بفضل رحمتك و أفلني عثرتي بحسن إقالتك و لا تخذلني يا خير المجيرين اللهم صل على محمد و آل محمد إذا ذكر الأبرار و صل على محمد و آل محمد ما اختلف الليل و النهار صلاة لا ينقطع مددها و لا يحصى عددها صلاة تشحن الهواء و تملأ الأرض و السماء صل اللهم عليه و عليهم حتى ترضى و صل عليه و عليهم بعد الرضا صلاة لا حد لها و لا منتهى يا أرحم الراحمين

و من دعائه ع و هو من أدعية الصحيفة اللهم إني أعوذ بك من هيجان الحرص و سورة
الغضب و غلبة الحسد و ضعف الصبر و قلة القناعة و شكاسة الخلق و إلحاح الشهوة و ملكة
الحمية و متابعة الهوى و مخالفة الهدى و سنة الغفلة و تعاطي الكلفة و إثثار الباطل على الحق و
الإصرار على المآثم و الاستكثار من المعصية و الإقلال من الطاعة و مباحات المكثرين و الإزراء
على المقلين و سوء الولاية على من تحت أيدينا و ترك الشكر لمن اصطنع العارفة عندنا و أن
نعضد ظالما أو نخذل ملهوفاً أو نروم ما ليس لنا بحق أو نقول بغير علم و نعوذ بك أن ننطوي
على غش لأحد و أن نعجب بأموالنا و أعمالنا و أن نمد في آمالنا و نعوذ بك من سوء السرية و
احتقار الصغيرة و أن يستحوذ علينا الشيطان أو يشتد لنا الزمان أو يتهمضنا السلطان و نعوذ
بك من حب الإسراف و فقدان الكفاف و من شماتة الأعداء و الفقر إلى الأصدقاء و من عيشة
في شدة أو موت على غير عدة و نعوذ اللهم بك من الحسرة العظمى و المصيبة الكبرى و من
سوء المآب و حرمان الثواب و حلول العقاب اللهم أعذنا من كل ذلك برحمتك و منك و جودك
إنك على كل شيء قدير

و من دعائه ع و تحميده و ذكره النبي ص و هو من أدعية الصحيفة أيضا الحمد لله بكل ما
حمده أدنى ملائكته إليه و أكرم خلقه عليه و أرضى حامديه لديه حمدا يفضل سائر الحمد كفضل
ربنا ﷻ على جميع خلقه ثم له الحمد مكان كل نعمة له علينا و على جميع عباده الماضين و
الباقيين عدد ما أحاط به علمه و من جميع الأشياء أضعافا مضاعفة أبدا سرمداً إلى يوم القيامة و
إلى ما لا نهاية له

من بعد القيامة حمدا لا غاية لحدّه و لا حساب لعدّه و لا مبلغ لأعداده و لا انقطاع لآماده حمدا يكون وصلة إلى طاعته و سببا إلى رضوانه و ذريعة إلى مغفرته و طريقا إلى جنته و خفيرا من نقمته و أمنا من غضبه و ظهيرا على طاعته و حاجزا عن معصيته و عونا على تأدية حقه و وظائفه حمدا نسعد به في السعداء من أوليائه و ننظم به في نظام الشهداء بسيوف أعدائه و الحمد لله الذي من علينا بنبيه مُحَمَّد ص دون الأمم الماضية و القرون السالفة لقدرته التي لا تعجز عن شيء و إن عظم و لا يفوتها شيء و إن لطف اللهم فصل على مُحَمَّد أمينك على وحيك و نجيك من خلقك و صفيك من عبادك إمام الرحمة و قائد الخير و مفتاح البركة كما نصب لأمرك نفسه و عرض فيك للمكروه بدنه و كاشف في الدعاء إليك حاسته و حارب في رضاك أسرته و قطع في نصرة دينك رحمه و أقصى الأذنين على عنودهم عنك و قرب الأقصين على استجابتهم لك و والى فيك الأبعدين و عاند فيك الأقربين و أدأب نفسه في تبليغ رسالتك و أتعبها في الدعاء إلى ملتك و شغلها بالنصح لأهل دعوتك و هاجر إلى بلاد الغربة و محل النأي عن موطن رحله و موضع رحله و مسقط رأسه و مأنس نفسه إرادة منه لإعزاز دينك و استنصارا على أهل الكفر بك حتى استتب له ما حاول في أعدائك و استتم له ما دبر في أوليائك فنهد إلى المشركين بك مستفتحا بعونك و متقويا على ضعفه بنصرك فغزاهم في عقر ديارهم و هجم عليهم في بجوحة قرارهم حتى ظهر أمرك و علت كلمتك و قد كره المشركون اللهم فارفعه بما كدح فيك إلى الدرجة العليا من جنتك حتى لا يساوى في منزلة و لا يكافأ في مرتبة و لا يوازيه لديك ملك مقرب و لا نبي مرسل و عرفه في أمته من

حسن الشفاعة أجل ما وعدته يا نافذ العدة يا وافي القول يا مبدل السيئات بأضعافها من
الحسنات إنك ذو الفضل العظيم

من الأدعية الماثورة عن عيسى ع

و من الأدعية المروية عن عيسى ابن مريم ع اللهم أنت إله من في السماء و إله من في الأرض
لا إله فيهما غيرك و أنت حكيم من في السماء و حكيم من في الأرض لا حكيم فيهما غيرك و
أنت ملك من في السماء و ملك من في الأرض لا ملك فيهما غيرك قدرتك في السماء كقدرتك
في الأرض و سلطانك في السماء كسلطانك في الأرض أسألك باسمك الكريم و وجهك المنير و
ملكك القديم أن تفعل بي كذا و كذا

من الأدعية الماثورة عن بعض الصالحين

و كان بعض الصالحين يدعو فيقول اللهم لا تدخلنا النار بعد أن أسكنت قلوبنا توحيدك و
إني لأرجو ألا تفعل و إن فعلت لتجمعن بيننا و بين قوم عاديناك فيك و من دعاء بعضهم اللهم
إنك لم تشرك في خلقنا غيرك فلا تشرك في الإحسان إلينا غيرك اللهم لا رب لنا غيرك فلا تجعل
حاجتنا عند غيرك اللهم إنا لا نعبد غيرك فلا تسلط علينا غيرك قام أعرابي على قبر رسول الله ص
فقال

بأبي أنت و أمي يا رسول الله قلت فقبلنا و تلوت فوعينا ثم ظلمنا أنفسنا و قرأنا فيما أتيتنا به
عن ربنا (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ
تَوَّابًا رَحِيمًا) اللهم إنا قد جئنا رسولك و نحن نستغفرك و نسأل رسولك أن يستغفر لنا خطايانا
فاغفر لنا و تب علينا. فيقال إن إنسانا حضر ذلك الدعاء فرأى تلك الليلة رسول الله ص في
منامه يقول له أبلغ الأعرابي أن الله قد غفر له. و من أدعية بعض الصالحين اللهم إني لم آتكم بعمل
صالح قدمته و لا شفاعة مخلوق رجوته أتيتك مقرا بالظلم و الإساءة على نفسي أتيتك بلا حجة
أتيتك أرجو عظيم عفوك الذي عدت به على الخاطئين ثم لم يمنعك عكوفهم على عظيم الجرم أن
جدت لهم بالمغفرة فيا صاحب العفو العظيم اغفر الذنب العظيم برحمتك يا أرحم الراحمين
و روي أن عليا ع اعتمر فرأى رجلا متعلقا بأستار الكعبة و هو يقول يا من لا يشغله سمع
عن سمع يا من لا تقلقه المسائل و لا يرمه إلحاح الملحين أذقني برد عفوك و حلاوة مغفرتك و
عذوبة عافيتك و الفوز بالجنة و النجاة من النار فقال علي ع و الذي نفسي بيده إن قالها و عليه
مثل السموات و الأرض من الذنوب قولاً مخلصاً ليغفرن له. و دعا أعرابي عند الملتزم فقال اللهم إن
لك علي حقوقاً فتصدق بها علي و إن للناس قبلي تبعات فتحملها عني و قد أوجبت لكل
ضيف قرى و أنا ضيفك الليلة فاجعل قراي الجنة.

و دعا بعض الأعراب أيضا و قد خرج حاجا فقال اللهم إليك خرجت و ما عندك طلبت فلا تحرمني خير ما عندك لشر ما عندي اللهم إن كنت لم ترحم تعبي و نصبي فإنها لمصيبة أصبت بها فلا تحرمني أجر المصاب على المصيبة. و دعا بعضهم فقال اللهم إنك ستتر علينا في الدنيا ذنوبا كثيرة و نحن إلى سترها في الآخرة أحوج فاغفر لنا. و من دعاء بعضهم اللهم اجعل الموت خيرا غائب نتظره و اجعل القبر خيرا بيت نعمه و اجعل ما بعده خيرا لنا منه اللهم إليك عجت الأصوات بصنوف اللغات تسألك الحاجات و حاجتي إليك أن تذكرني عند طول البلى إذا نسيت أهل الدنيا. و قال بعضهم كنت أدعو الله بعد وفاة مالك بن دينار أن أراه في منامي فرأيت بعد سنة فقلت يا أبا يحيى علمني كيف أدعو فقال قل اللهم يسر الجواز و سهل المجاز. و قال الشعبي حسدت عبد الملك بن مروان على دعاء كان يدعو به على المنبر يقول اللهم إن ذنوبي كثيرة جلست أن توصف و هي صغيرة في جنب عفوك فاعف عني. و من دعاء بعض الزهاد اللهم إني أعوذ بك من أهل يلهيني و من هوى يرديني و من عمل يخزيني و من صاحب يغويني و من جار يؤذيني و من غنى يطغيني و من فقر ينسيني اللهم اجعلنا نستحييك و نتقيك و نخافك و نخشاك و نرجوك و نطيعك في السر و العلانية اللهم استرنا بالمعافاة و الغنى أستعين الله على أموري و أستغفر الله لذنوبي و أعوذ بك من شر نفسي.

و يروى أن رجلا أعمى جاء إلى رسول الله ص فشكا إليه ذهاب بصره فقال ص له قل يا سبوح يا قدوس يا نور الأنوار يا نور السموات و الأرض يا أول الأولين و يا آخر الآخرين و يا أرحم الراحمين أسألك

أن تغفر لي الذنوب التي تغير النعم و الذنوب التي تنزل النقم و الذنوب التي تهتك العصم و الذنوب التي توجب البلاء و الذنوب التي تقطع الرجاء و الذنوب التي تحبس الدعاء و الذنوب التي تكشف الغطاء و الذنوب التي تعجل الفناء و الذنوب التي تظلم الهواء و أسألك باسمك العظيم و وجهك الكريم أن ترد علي بصري فدعا بذلك فرد عليه بصره و من الآثار المنقولة أن الله تعالى غضب على أمة فأنزل عليهم العذاب و كان فيهم ثلاثة صالحون فخرجوا و ابتهلوا إلى الله سبحانه فقام أحدهم فقال اللهم إنك أمرتنا أن نعتق أرقاءنا و نحن أرقاؤك فاعتقنا ثم جلس و قام الثاني فقال اللهم إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا و قد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا ثم جلس و قام الثالث فقال اللهم أنا على ثقة أنك لم تخلق خلقا أوسع من مغفرتك فاجعل لنا في سعتها نصيبا فرفع عنهم العذاب.

قيل لسفيان بن عيينة ما حديث رويته عن رسول الله ص أفضل دعاء أعطيته أنا و النبيون قبلي أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك و له الحمد يحيي و يميت و هو حي لا يموت بيده الخير و هو على كل شيء قدير كأنهم لم يروه دعاء فقال ما تنكرون من هذا ثم روي لهم قول رسول الله ص من تشاغل بالشئ على الله أعطاه الله فوق رغبة السائلين ثم قال هذا أمية بن أبي الصلت يقول لابن جدعان

أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرضه الشناء
و قال هذا مخلوق يقول لمخلوق فما ظنكم برب العالمين.

و من دعائه ص اللهم إني أعوذ بك من الفقر إلا إليك و من الذل إلا لك
و من دعائه ع اللهم ارزقني عينين هطالتين تسقيان القلوب مذروف الدموع قبل أن يكون
الدمع دما و قرع الضرس ندما
و من دعائه ع اللهم طهر لساني من الكذب و قلبي من النفاق و عملي من الرياء و بصري
من الخيانة فإنك تعلم خائنة الأعين و ما تخفي الصدور
و مما رواه أنس بن مالك لا تعجزوا عن الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد
و من رواية جابر بن عبد الله لقد بارك الله للرجل في الحاجة بكثرة الدعاء فيها أعطيتها أو
منعها

أبو هريرة يرفعه اللهم أصلح لي في ديني الذي هو عصمة أمري و أصلح لي دنياي التي فيها
معاشي و أصلح لي آخري التي إليها معادي و اجعل الحياة زيادة لي في كل خير و الموت راحة لي
من كل شر. قيل لأعرابي أ تحسن أن تدعو ربك فقال نعم ثم دعا فقال اللهم إنك مننت علينا
بالإسلام من غير أن نسألك فلا تحرمنا الجنة و نحن نسألك سمعت أعرابية تقول في دعائها يا
عريض الجفنة يا أبا المكارم يا أبيض الوجه فزجرها رجل فقالت دعوني أصف ربي بما يستحقه.
و كان موسى بن جعفر ع يقول في سجوده آخر الليل إلهي عظم الذنب من عبدك فليحسن
العفو من عندك. ذكر عند بعض الصالحين رجل قد أصابه بلاء عظيم و هو يدعو فتبسط عنه
الإجابة فقال بلغني أن الله تعالى يقول كيف أرحم المبتلى من شيء أرحمه به

قال طاوس إني لفي الحجر ليلة إذ دخل علي بن الحسين ع فقلت رجل صالح من أهل بيت صالح لأسمعن دعاءه فسمعتة يقول في أثناء دعائه عبدك بفنائك سائلك بفنائك مسكينك بفنائك فما دعوت بهن في كرب إلا و فرج عني عمر بن ذر اللهم إن كنا عصيناك فقد تركنا من معاصيك أبغضها إليك و هو الإشراك و إن كنا قصرنا عن بعض طاعتك فقد تمسكنا منها بأحبها إليك و هو شهادة أن لا إله إلا أنت و أن رسلك جاءت بالحق من عندك. أعرابي اللهم إنا نبات نعمتك فلا تجعلنا حصائد نقتلك. بعضهم اللهم إن كنت قد بلغت أحدا من عبادك الصالحين درجة ببلاء فبلغنيها بالعافية. حج أعرابي فكان لا يستغفر إذا صلى كما يستغفر الناس فقل له فقال كما أن تركي الاستغفار مع ما أعلم من عفو الله و رحمته ضعف فكذلك استغفاري مع ما أعلم من إصراري لؤم. لما صاف قتيبة بن مسلم الترك و هاله أمرهم سأل عن محمد بن واسع فقل هو في أقصى الميمنة جانحا على سية قوسه مبصبصا بإصبعه نحو السماء فقال قتيبة لتلك الإصبع القارورة أحب إلي من مائة ألف سيف شهير و رمح طرير. سمع مطرف بن الشخير صيحة الناس بالدعاء فقال لقد هممت أن أحلف أن الله غفر لهم ثم ذكرت أني فيهم فكففت. كان المأمون إذا رفعت المائدة من بين يديه يقول الحمد لله الذي جعل أرزاقنا أكثر من أقواتنا. الحسن البصري من دخل المقبرة فقال اللهم رب الأرواح العالية و الأجساد البالية

و العظام النخرة التي خرجت من الدنيا و هي مؤمنة بك أدخل عليهم روحا منك و سلاما مني
كتب الله له بعدد من ولد منذ زمن آدم إلى أن تقوم الساعة حسنات.
علي ع الدعاء سلاح المؤمن و عماد الدين و نور السموات و الأرض. قيل إن فيما أنزله الله
تعالى من الكتب القديمة أن الله يبتلي العبد و هو يحبه ليسمع دعاءه و تضرعه. أبو هريرة اطلبوا
الخير دهركم كله و تعرضوا لنفحات من رحمة الله تعالى فإن الله تعالى نفحات من رحمته يصيب بها
من يشاء من عباده و اسألوا الله أن يستر عوراتكم و يؤمن روعاتكم. صلى رجل إلى جنب عبد الله
بن المبارك فلما سلم الإمام سلم و قام عجلا فجذب عبد الله بثوبه و قال أ ما لك إلى ربك
حاجة. قيل لعمر بن عبد العزيز جزاك الله عن الإسلام خيرا فقال لا بل جزى الله الإسلام عني
خيرا.

علي ع الداعي بغير عمل كالرامي بغير وتر. كان الزهري إذا فرغ من الحديث تلاه فدعا اللهم
إني أسألك خير ما أحاط به علمك في الدنيا و الآخرة و أعوذ بك من شر ما أحاط به علمك
في الدنيا و الآخرة. كان زبيد النامي يستتبع الصبيان إلى المسجد و في كفه الجوز و يقول من
يتبعني منكم فأعطيه خمس جوزات فإذا دخلوا المسجد قال ارفعوا أيديكم و قولوا اللهم اغفر لزبيد
فإذا دعوا قال اللهم استجب لهم فإنهم لم يذنبوا.
علي ع جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيه من مسأله فمضى شئت استفتحت
بالدعاء أبواب نعمته و استمطرت شآبيب رحمته فلا يقنطنك إبطاء

إجابته فإن العطية على قدر النية و ربما أخرت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل و
أجزل لعطاء الأمل و ربما سألت الشيء فلا تؤتاه و أوتيت خيرا منه أو صرف عنك بما هو لك
خير و اعلم أنه رب أمر قد طلبت فيه هلاك دينك لو أوتيته
و من الدعاء المرفوع اللهم من أراد بنا سوءا فأحط به ذلك سوء كإحاطة القلائد بترائب
الولائد و أرسخه على هامته كرسوخ السجيل على قمم أصحاب الفيل
سمع عمر رجلا يقول في دعائه اللهم اجعلني من الأقلين فقال ما أردت بهذا قال قول الله عز و
جل (وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) و قوله تعالى (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) فقال عليكم من
الدعاء بما عرف. قال سعيد بن المسيب مر بي صلة بن أشيم فقلت له ادع لي فقال رغبتك الله فيما
يبقى و زهدك فيما يفنى و وهب لك اليقين الذي لا تسكن النفوس إلا إليه و لا تعول إلا
عليه. كان علي بن عيسى بن ماهان صاحب خراسان و في أيامه عصام بن يوسف الزاهد فلقبه
في الطريق و سلم عليه علي فأعرض عنه و لم يرد عليه فوقف علي و رفع يديه و أسبل عينيه و
قال اللهم إن هذا الرجل يتقرب إليك ببغضي و أنا أتقرب إليك بحبه فإن كنت غفرت له ببغضي
فاغفر لي بحبه يا كريم ثم سار. قال الأصمعي سمعت أعرابيا يدعو و يقول اللهم إن كان رزقي في
السماء فأنزله و إن كان في الأرض فأخرجه و إن كان بعيدا فقربه و إن كان قريبا فيسره و إن كان
قليلًا فكثره و إن كان كثيرا فبارك لي فيه.

من دعاء عمرو بن عبيد اللهم أغني بالافتقار إليك و لا تفقرني بالاستغناء عنك اللهم أعني على الدنيا بالقناعة و على الدين بالعصمة.

شكا رجل إلى الحسن عليه السلام تعالى رجلا يظلمه فقال له إذا صليت الركعتين بعد المغرب فاسجد و قل يا شديد القوى يا شديد المحال يا عزيز أذلت لعزك جميع من خلقت فصل على محمد و آل محمد و اكفني معونة فلان بما شئت فدعا بما فلم يرعه إلا الواعية بالليل فسأل فقبل مات فلان فجأة

قال موسى ع يا رب إنك لتعطيني أكثر من أمني قال لأنك تكثر من قول ما شاء الله لا قوة إلا بالله. كان بعض الصالحين يقول قبل الصلاة يا محسن قد جاءك المسيء و قد أمرت المحسن أن يتجاوز عن المسيء فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك اللهم ارزقني عمل الخائفين و خوف العاملين حتى أنعم بترك التنعم طمعا فيما وعدت و خوفا مما أوعدت.

و من الأدعية الجامعة اللهم أغني بالعلم و زيني بالحلم و جملي بالعافية و كرمي بالتقوى. أحمد بن يوسف كاتب المأمون إذا دخل عليه حياة بتحية أبرويز الملك عشت الدهر و نلت المني و جنب طاعة النساء.

و من الدعاء المروي عن رسول الله ص اللهم اغفر لي ذنوبي و خطاياي كلها اللهم أنعشني و أجزني و انصري و اهدني لصالح الأعمال و الأخلاق

إنه لا يهدي لصالحها و لا يصرف عن سيئها إلا أنت اللهم إني أسألك الثبات في الأمر و العزيمة على الرشد و أسألك شكر نعمتك و حسن عبادتك و أسألك قلبا سليما و لسانا صادقا و أسألك من خير ما تعلم و أعوذ بك من شر ما تعلم و أستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب

آداب الدعاء

قالوا و من آداب الدعاء أن ترصد له الأوقات الشريفة كما بين الأذان و الإقامة و كوقت السجود و وقت السحر و يستحب أن يدعو مستقبل القبلة رافعا يديه لما روى سلمان عن النبي ص أن ربكم كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا و يستحب أن يمسح بهما وجهه بعد الدعاء فإن ذلك قد روي عن رسول الله ص. و يكره أن يرفع بصره إلى السماء

لقوله ع لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم و قد رخص في ذلك للصدّيقين و الأئمة العادلين و يستحب أن يخفض صوته لقوله تعالى (أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً). و قد روي أن عمر سمع رجلا يجهر بالدعاء فقال لكن زكريا نادى ربه نداء خفيا. و يكره أن يتكلف الكلام المسجوع و يستحب الإتيان بالمطبوع منه لقوله ص إياكم و السجع في الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم إني أسألك الجنة و ما قرب إليها من قول أو عمل و أعوذ بك من النار و ما قرب إليها من قول أو عمل.

و قيل في الوصية الصالحة ادع ربك بلسان الذلة و الاحتقار لا بلسان الفصاحة و التشدق. و قال سفيان بن عيينة لا يمنع أحدكم من الدعاء ما يعلمه من نفسه فإن الله تعالى أجاب دعاء شر خلقه إبليس حيث قال (أَنْظِرْنِي). النبي ص إذا سأل أحدكم ربه مسألة فتعرف الإجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات و من أبطأ عنه شيء من ذاك فليقل الحمد لله على كل حال. و من الآداب أن يفتح بالذكر و إلا يتدنى بالمسألة

كان رسول الله ص قبل أن يدعو يقول سبحان ربي العلي الوهاب أبو سليمان الداراني من أراد أن يسأل الله تعالى حاجته فليبدأ بالصلاة على رسول الله ص ثم يسأل حاجته ثم يختم بالصلاة على رسول الله ص فإن الله تعالى يقبل الصلاتين و هو أكرم من أن يدع ما بينهما

و من دعاء علي ع اللهم صن وجهي باليسار و لا تبذل جاهي بالإقتار فأسترزق طالبي رزقك و أستعطف شرار خلقك و أبتلي بحمد من أعطاني و أفتن بدم من منعي و أنت من وراء ذلك كله ولي الإعطاء و المنع إنك على كل شيء قدير و من دعاء الحسن عليه السلام تعالى اللهم إني أعوذ بك من قلب يعرف و لسان يصف و أعمال تخالف

و من دعاء أهل البيت ع و فيه رائحة من كلام أمير المؤمنين ع الذي نحن في شرحه اللهم إني أستغفرك لما تبت منه إليك ثم عدت فيه و أستغفرك

لما وعدتك من نفسي ثم أخلفتك و أستغفرك للنعم التي أنعمت بها علي فتقويت علي معصيتك و
أستغفرك من كل ذنب تمكنت منه بعافيتك و نالته يدي بفضل نعمتك و انبسطت إليه بسعة
رزقك و احتجبت فيه عن الناس بسترک و اتكلت فيه علي أكرم عفوك اللهم إني أعوذ بك أن
أقول حقاً ليس فيه رضاك ألتمس به أحدا سواك و أعوذ بك أن أترين للناس بشيء يشينني عندك
و أعوذ بك أن أكون عبرة لأحد من خلقك و أن يكون أحد من خلقك أسعد بما علمتني مني و
أعوذ بك أن أستعين بمعصية لك علي ضر يصيبني. كان أبو مسلم الخولاني إذا أهمه أمر قال يا
مالك يوم الدين إياك نعبد و إياك نستعين.

و من دعاء علي ع اللهم إن تهت عن مسألتي و أعميت عن طلبتي فدلني علي مصالحتي و
خذ بقلبي إلى مرشدني اللهم احملي علي عفوك و لا تحملي علي عدلك

٧٨ و من كلام له ع قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج

و قد قال له إن سرت يا أمير المؤمنين في هذا الوقت خشيت ألا تظفر بمرادك من طريق علم
النجوم فقال ع : أ تَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مِنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ الشُّؤْءُ وَ تُخَوِّفُ
مِنَ السَّاعَةِ الَّتِي مِنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الضُّرُّ فَمَنْ صَدَّقَكَ بِهَذَا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ وَ اسْتَعْنَى عَنِ
الِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ فِي تَيْلِ الْمَحْبُوبِ وَ دَفَعَ الْمَكْرُوهَ وَ تَبَتَّغِي فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُؤْلِكَ الْحَمْدَ
دُونَ رَبِّهِ لِأَنَّكَ بِرِزْعِكَ أَنْتَ هَدَيْتَهُ إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي نَالَ فِيهَا النَّفْعَ وَ أَمِنَ الضُّرُّ ثُمَّ أَقْبَلَ ع عَلَى
النَّاسِ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا كُمْ وَ تَعْلَمُ النُّجُومُ إِلَّا مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى
الْكُفَّانَةِ الْمُنْجِمِ كَالْكَاهِنِ وَ الْكَاهِنِ كَالسَّاحِرِ وَ السَّاحِرُ كَالْكَافِرِ وَ الْكَافِرُ فِي النَّارِ سِيرُوا عَلَى
إِسْمِ اللَّهِ حَاقَ بِهِ الضَّرُّ أَيَّ أَحَاطَ بِهِ قَالَ تَعَالَى (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) .و يوليكَ
الحمد مضارع أولاك و أولاك معدى بالهمزة من ولي يقال ولي

الشيء ولاية و أوليته ذلك أي جعلته واليا له و متسلطا عليه و الكاهن واحد الكهان و هم الذين كانوا يخبرون عن الشياطين بكثير من الغائبات

القول في أحكام النجوم

و اعلم أن الناس قد اختلفوا في أحكام النجوم فأنكرها جمهور المسلمين و المحققون من الحكماء و نحن نتكلم هاهنا في ذلك و نبحث فيه بحثين بحثا كلاميا و بحثا حكيميا. أما البحث الكلامي هو أن يقال أما أن يذهب المنجمون إلى أن النجوم مؤثرة أو أمارات. و الوجه الأول ينقسم قسمين أحدهما أن يقال إنها تفعل بالاختيار و الثاني أن تفعل بالإيجاب. و القول بأنها تفعل بالاختيار باطل لأن المختار لا بد أن يكون قادرا حيا و الإجماع من المسلمين حاصل على أن الكواكب ليست حية و لا قادرة و الإجماع حجة و قد بين المتكلمون أيضا أن من شرط الحياة الرطوبة و أن تكون الحرارة على قدر مخصوص متى أفرط امتنع حلول الحياة في ذلك الجسم فإن النار على صرافتها يستحيل أن تكون حية و أن تحلها الحياة لعدم الرطوبة و إفراط الحرارة فيها و اليبس و الشمس أشد حرارة من النار لأنها على بعدها تؤثر النار على قربها و ذلك دليل على أن حرارتها أضعاف حرارة النار و بينوا أيضا أنها لو كانت حية قادرة لم يجوز أن تفعل في غيرها ابتداء لأن القادر بقدرة لا يصح منه الاختراع و إنما يفعل في غيره على سبيل التوليد و لا بد من وصلة بين الفاعل و المفعول فيه و الكواكب غير مماسة لنا فلا وصلة بينها و بيننا فيستحيل أن تكون فاعلة فينا.

فإن ادعى مدع أن الوصلة هي الهواء فعن ذلك أجوبة أحدها أن الهواء لا يجوز أن يكون وصلة و آلة في الحركات الشديدة و حمل الأثقال لا سيما إذا لم يتموج. و الثاني أنه كان يجب أن نحس بذلك و نعلم أن الهواء يحركنا و يصرفنا كما نعلم في الجسم إذا حركنا و صرفنا بآلة موضع تحريكه لنا بتلك الآلة. و الثالث أن في الأفعال الحادثة فينا ما لا يجوز أن يفعل بآلة و لا يتولد عن سبب كالإرادات و الاعتقادات و نحوها. و قد دلل أصحابنا أيضا على إبطال كون الكواكب فاعلة للأفعال فينا بأن ذلك يقتضي سقوط الأمر و النهي و المدح و الذم و يلزمهم ما يلزم المجرة و هذا الوجه يبطل كون الكواكب فاعلة فينا بالإيجاب كما يبطل كونها فاعلة بالاختيار. و أما القول بأنها أمارات على ما يحدث و يتجدد فيمكن أن ينصر بأن يقال لم لا يجوز أن يكون الله تعالى أجرى العادة بأن يفعل أفعالا مخصوصة عند طلوع كوكب أو غروبه أو اتصاله بكوكب آخر. و الكلام على ذلك بأن يقال هذا غير ممتنع لو ثبت سمع مقطوع به يقتضي ذلك فإن هذا مما لا يعلم بالعقل. فإن قالوا نعلم بالتجربة. قيل لهم التجربة إنما تكون حجة إذا استمرت و اطردت و أنتم خطؤكم فيما تحكمون به أكثر من صوابكم فهلا نسبتم الصواب الذي يقع منكم إلى الاتفاق و التخمين فقد رأينا من أصحاب الزرق و التخمين من يصيب أكثر مما يصيب المنجم و هو من غير أصل صحيح و لا قاعدة معتمدة و متى قلتم إنما أخطأ المنجم لغلطه في تسيير الكواكب

قيل لكم و لم لا يكون سبب الإصابة اتفاقا و إنما يصح لكم هذا التأويل و التخريج لو كان على صحة أحكام النجوم دليل قاطع هو غير إصابة المنجم. فأما إذا كان دليل صحة الأحكام الإصابة فهلا كان دليل فسادها الخطأ فما أحدهما إلا في مقابلة صاحبه. و مما قيل على أصحاب الأحكام إن قيل لهم في شيء بعينه خذوا الطالع و احكموا أ يؤخذ أم يترك فإن حكموا بأحدهما خولفوا و فعل خلاف ما أخبروا به و هذه المسألة قد أعضل عليهم جوابها. و قال بعض المتكلمين لبعض المنجمين أخبرني لو فرضنا جادة مسلوكة و طريقا يمشي فيها الناس نهارا و ليلا و في تلك المحجة آبار متقاربة و بين بعضها و بعض طريق يحتاج سالكه إلى تأمل و توقف حتى يتخلص من السقوط في بعض تلك الآبار هل يجوز أن تكون سلامة من يمشي بهذا الطريق من العميان كسلامة من يمشي فيه من البصراء و المفروض أن الطريق لا يخلو طرفة عين من مشاة فيها عميان و مبصرون و هل يجوز أن يكون عطب البصراء مقاربا لعطب العميان. فقال المنجم هذا مما لا يجوز بل الواجب أن تكون سلامة البصراء أكثر من سلامة العميان. فقال المتكلم فقد بطل قولكم لأن مسألتنا نظير هذه الصورة فإن مثال البصراء هم الذين يعرفون أحكام النجوم و يميزون مساعدتها من مناحسها و يتوقون بهذه المعرفة مضار الوقت و الحركات و يتخطونها و يعتمدون منافعها و يقصدونها و مثال العميان كل من لا يحسن علم النجوم و لا يقولون به من أهل العلم و العامة و هم أضعاف أضعاف عدد المنجمين.

و مثال الطريق الذي فيه الآبار الزمان الذي مضى و مر على الخلق أجمعين و مثال آباره مصائبه و محنه.و قد كان يجب لو صح علم أحكام النجوم أن سلامة المنجمين أكثر و مصائبهم أقل لأنهم يتوقون المحن و يتخطونها لعلمهم بها قبل كونها و أن تكون محن المعرضين عن علم أحكام النجوم على كثرتهم أوفر و أظهر حتى تكون سلامة كل واحد منهم هي الطريقة الغريبة و المعلوم خلاف ذلك فإن السلامة و المحن في الجميع متقاربة متناسبة غير متفاوتة.و أما البحث الحكمي في هذا الموضوع فهو أن الحادث في عالم العناصر عند حلول الكوكب المخصوص في البرج المخصوص إما أن يكون المقتضي له مجرد ذلك الكوكب أو مجرد ذلك البرج أو حلول ذلك الكوكب في ذلك البرج فالأولان باطلان و إلا لوجب أن يحدث ذلك الأمر قبل أن يحدث و الثالث باطل أيضا لأنه إما أن يكون ذلك البرج مساويا لغيره من البروج في الماهية أو مخالفا و الأول يقتضي حدوث ذلك الحادث حال ما كان ذلك الكوكب حالا في غيره من البروج لأن حكم الشيء حكم مثله و الثاني يقتضي كون كرة البروج متخالفة الأجزاء في أنفسها و يلزم في ذلك كونها مركبة و قد قامت الدلالة على أنه لا شيء من الأفلاك بمركب.و قد اعترض على هذا الدليل بوجهين أحدهما أنه لم لا يجوز أن تختلف أفعال الكواكب المتحيرة عند حلولها في البروج لا لاختلاف البروج في نفسها بل لاختلاف ما في تلك البروج من الكواكب الثابتة المختلفة الطبائع.الوجه الثاني لم لا يجوز أن يقال الفلك التاسع مكوكب بكواكب صغار لا نراها

لغاية بعدها عنا فإذا تحركت في كرات تداورها سامنت مواضع مخصوصة من كرة الكواكب الثابتة و هي فلك البروج فاختلفت آثار الكواكب المتحيرة عند حلولها في البروج باعتبار اختلاف تلك الكواكب الصغيرة و لم لا يجوز إثبات كرة بين الكرة الثامنة و بين الفلك الأطلس المدبر لجميع الأفلاك من المشرق إلى المغرب و تكون تلك الكرة المتوسطة بينهما بطيئة الحركة بحيث لا تفي أعمارنا بالوقوف على حركتها و هي مكوكبة بتلك الكواكب الصغار المختلفة الطبائع. و أجيب عن الأول بأنه لو كان الأمر كما ذكر لوجب أن تختلف بيوت الكواكب و أشرافها و حدودها عند حركة الثوابت بحركة فلكها حتى أنها تتقدم على مواضعها في كل مائة سنة على رأي المتقدمين أو في كل ست و ستين سنة على رأي المتأخرين درجة واحدة لكن ليس الأمر كذلك فإن شرف القمر كما أنه في زماننا في درجة الثالثة من الثور فكذلك كان عند الذين كانوا قبلنا بألف سنة و بألفي سنة. و أما الوجه الثاني فلا جواب عنه. و اعلم أن الفلاسفة قد عولت في إبطال القول بأحكام النجوم على وجه واحد و هو أن مبنى هذا العلم على التجربة و لم توجد التجربة فيما يدعيه أرباب علم النجوم فإن هاهنا أمور لا تتكرر إلا في الأعمار المتطاولة مثل الأدوار و الألف التي زعم أبو معشر أنها هي الأصل في هذا العلم و مثل مماسة جرم زحل للكرة المكوكبة و مثل انطباق معدل النهار على دائرة فلك البروج فإنهم يزعمون أن ذلك يقتضي حدوث طوفان الماء و إحاطته بالأرض من جميع الجوانب مع أن هذه الأمور لا توجد إلا في ألاف من السنين فكيف تصح أمثال هذه الأمور بالتجربة. و أيضا فإننا إذا رأينا حادثا حدث عند حلول كوكب مخصوص في برج مخصوص

فكيف نعلم استناد حدوثه إلى ذلك الحلول فإن في الفلك كواكب لا تخصى فما الذي خصص حدوث ذلك الحدوث بحلول ذلك الكوكب في ذلك البرج لا غيره و بتقدير أن يكون لحلوله تأثير في ذلك فلا يمكن الجزم قبل حلوله بأنه إذا حل في البرج المذكور لا بد أن يحدث ذلك الحادث لجواز أن يوجد ما يبطل تأثيره نحو أن يحل كوكب آخر في برج آخر فيدفع تأثيره و يبطل عمله أو لعل المادة الأرضية لا تكون مستعدة لقبول تلك الصورة و حدوث الحادث كما يتوقف على حصول الفاعل يتوقف على حصول القابل و إذا وقع الشك في هذه الأمور بطل القول بالجزم بعلم أحكام النجوم و هذه الحجة جيدة إن كان المنجمون يطلبون القطع في علمهم. فإما أن كانوا يطلبون الظن فإن هذه الحجة لا تفسد قولهم. فأما أبو البركات بن ملكا البغدادي صاحب كتاب المعبر فإنه أبطل أحكام النجوم من وجه و أثبتته من وجه. قال أما من يريد تطبيق علم أحكام النجوم على قاعدة العلم الطبيعي فإنه لا سبيل له إلى ذلك فإننا لا نتعلق من أقوالهم إلا بأحكام يحكمون بها من غير دليل نحو القول بحر الكواكب و بردها أو رطوبتها و ييوستها و اعتدالها كقولهم إن زحل بارد يابس و المشتري معتدل و الاعتدال خير و الإفراط شر و ينتجون من ذلك أن الخير يوجب سعادة و الشر يوجب منحسة و ما جانس ذلك مما لم يقل به علماء الطبيعيين و لم تنتجهم مقدماتهم في أنظارهم و إنما الذي أنتجته هو أن الأجرام السماوية فعالة فيما تحويه و تشتمل عليه و تتحرك حوله فعلا على الإطلاق غير محدود بوقت و لا مقدر بتقدير و القائلون بالأحكام ادعوا حصول علمهم بذلك من توقيف و تجربة لا يطابق نظر الطبيعي. و إذا قلت بقول الطبيعي بحسب أنظاره أن المشتري سعد و المريخ نحس أو أن زحل

بارد يابس و المريخ حار يابس و الحار و البارد من الملموسات و ما دل على هذا المس و ما استدل عليه بلمس كتأثيره فيما يلمسه فإن ذلك لم يظهر للحس في غير الشمس حيث تسخن الأرض بشعاعها و لو كان في السمايات شيء من طبائع الأضداد لكان الأولى أن تكون كلها حارة لأن كواكبها كلها منيرة. و متى يقول الطبيعي بتقطيع الفلك و تقسيمه إلى أجزاء كما قسمه المنجمون قسمة وهمية إلى بروج و درج و دقائق و ذلك جائز للمتوهم كجواز غيره و ليس بواجب في الوجود و لا حاصل فنقلوا ذلك التوهم الجائز إلى الوجود الواجب في أحكامهم و كان الأصل فيه على زعمهم حركة الشمس و الأيام و الشهور فحصلوا منها قسمة وهمية و جعلوها كالحاصلة الوجودية المثمرة بحدود و خطوط كان الشمس بحركتها من وقت إلى مثله خطت في السماء خطوطا و أقامت فيها جدرا أو حدودا أو غيرت في أجزائها طباعا تغييرا يبقى فيبقى به القسمة إلى تلك الدرج و الدقائق مع جواز الشمس عنها و ليس في جوهر الفلك اختلاف يتميز به موضع عن موضع سوى الكواكب و الكواكب تتحرك عن أمكنتها فبقيت الأمكنة على التشابه فيما ذا تتميز بروجه و درجه و يبقى اختلافها بعد حركة المتحرك في سمتها و كيف يقيس الطبيعي على هذه الأصول و ينتج منها نتائج و يحكم بحسبها أحكاما و كيف له أن يقول بالحدود و يجعل خمس درجات من برج الكوكب و ستا لآخر و أربعا لآخر و يختلف فيها البابليون و المصريون و جعلوا أرباب البيوت كأنها ملاك و البيوت كأنها أملاك تثبت لأربابها بصكوك و أحكام الأسد للشمس و السرطان للقمر و إذا نظر الناظر وجد الأسد أسدا من جهة كواكب شكلوها بشكل الأسد ثم انقلبت عن مواضعها و بقي الموضع أسدا و جعلوا الأسد للشمس و قد ذهب منه الكواكب التي كان بها أسدا كان ذلك الملك بيت للشمس مع انتقال الساكن و كذلك السرطان للقمر.

و من الدقائق في العلم النجومى الدرجات المدارة و الغربية و المظلمة و النيرة و الزائدة في السعادة و درجات الآثار من جهة أنها أجزاء الفلك إن قطعوها و ما انقطعت و مع انتقال ما ينتقل من الكواكب إليها و عنها ثم أنتجوا من ذلك نتائج أنظارهم من أعداد الدرج و أقسام الفلك فقالوا إن الكوكب ينظر إلى الكواكب من ستين درجة نظر تسديس لأنه سدس من الفلك و لا ينظر إليه من خمسين و لا من سبعين و قد كان قبل الستين بعشر درج و هو أقرب من ستين و بعدها بعشر درج و هو أبعد من ستين لا ينظر. فليت شعري ما هذا النظر أ ترى الكواكب تظهر للكوكب ثم تحتجب عنه ثم شعاعه يختلط بشعاعه عند حد لا يختلط به قبله و لا بعده. و كذلك التربع من الربع الذي هو تسعون درجة و التثليث من الثلث الذي هو مائة و عشرون درجة فلم لا يكون التخميس و التسبيع و التعشير على هذا القياس ثم يقولون الحمل حار يابس ناري و الثور بارد يابس أرضي و الجوزاء حار رطب هوائي و السرطان بارد رطب مائي ما قال الطبيعي هذا قط و لا يقول به. و إذا احتجوا و قاسوا كانت مبادئ قياساتهم الحمل برج ينقلب لأن الشمس إذا نزلت فيه ينقلب الزمان من الشتاء إلى الربيع و الثور برج ثابت لأن الشمس إذا نزلت فيه ثبت الربيع على ربيعته. و الحق أنه لا ينقلب الحمل و لا يثبت الثور بل هما على حالهما في كل وقت ثم كيف يبقى دهره منقلبا مع خروج الشمس منه و حلولها فيه أ تراها تخلف فيه أثرا أو تحيل منه طباعا و تبقى تلك الاستحالة إلى أن تعود فتجدها و لم لا يقول قائل إن السرطان حار يابس لأن الشمس إذا نزلت فيه يشتد حر الزمان و ما يجانس هذا مما لا يلزم لا هو و لا ضده فليس في الفلك اختلاف يعرفه الطبيعي إلا بما فيه من الكواكب و هو في نفسه

واحد متشابه الجوهر و الطبع و لكنها أقوال قال بها قائل فقبلها قائل و نقلها ناقل فحسن فيها ظن السامع و اغتر بها من لا خبرة له و لا قدرة له على النظر. ثم حكم بها الحاكمون بحيد و رديء و سلب و إيجاب و بت و تجوز فصادف بعضه موافقة الوجود فصدق فيعتبر به المعتبرون و لم يلتفتوا إلى ما كذب منه فيكذبوه بل عذروا و قالوا إنما هو منجم و ليس بنبي حتى يصدق في كل ما يقول و اعتذروا له بأن العلم أوسع من أن يحيط به أحد و لو أحاط به أحد لصدق في كل شيء و لعمر الله إنه لو أحاط به علما صادقا لصدق و الشأن في أن يحيط به على الحقيقة لا أن يفرض فرضا و يتوهم وهما فينقله إلى الوجود و ينسب إليه و يقيس عليه. قال و الذي يصح من هذا العلم و يلتفت إليه العقلاء هي أشياء غير هذه الخرافات التي لا أصل لها فما حصل توقيف أو تجربة حقيقة كالقرانات و المقابلة فإنها أيضا من جملة الاتصالات كالمقارنة من جهة أن تلك غاية القرب و هذه غاية البعد و نحو ممر كوكب من المتحيرة تحت كوكب من الثابتة و نحوه ما يعرض للمتحيرة من رجوع و استقامة و ارتفاع في شمال و انخفاض في جنوب و أمثال ذلك. فهذا كلام ابن ملكا كما تراه يبطل هذا الفن من وجه و يقول به من وجه. و قد وقفت لأبي جعفر محمد بن الحسين الصنعائي المعروف بالخازن صاحب كتاب زيغ الصفائح على كلام في هذا الباب مختصر له سماه كتاب العالمين أنا ذاكره في هذا الموضع على وجهه لأنه كلام لا بأس به قال إن بعض المصدقين بأحكام النجوم و كل المكذبين بها قد زاغوا عن طريق الحق و الصواب فيها فإن الكثير من المصدقين بها قد أدخلوا فيها ما ليس منها و ادعوا ما لم يمكن إدراكه بها حتى كثر فيها خطؤهم و ظهر كذبهم و صار ذلك سببا لتكذيب أكثر الناس بهذا العلم.

فأما المكذبون به فقد بلغوا من إنكار صحيحه و رد ظاهره إلى أن قالوا إنه لا يصح منه شيء أصلا و نسبوا أهله إلى الرزق و الاحتيال و الخداع و التمويه فلذلك رأينا أن نبتدئ بتبيين صحة هذه الصناعة ليظهر فساد قول المكذابين لها بأسرها ثم نبين ما يمكن إدراكه بما ليطل دعوى المدعين فيها ما يتمتع وجوده بها. أما الوجوه التي بها تصح صناعة الأحكام فهي كثيرة منها ما يظهر لجميع الناس من قبل الشمس فإن حدوث الصيف و الشتاء و ما يعرض فيهما من الحر و البرد و الأمطار و الرياح و نبات الأرض و خروج وقت الأشجار و حملها الثمار و حركة الحيوان إلى النسل و التوالد و غير ذلك مما يشاكلة من الأحوال إنما يكون أكثر ذلك بحسب دنو الشمس من سمت الرؤوس في ناحية الشمال و تباعدها منه إلى ناحية الجنوب و بفضل قوة الشمس على قوة القمر و قوى سائر الكواكب ظهر ما قلنا لجميع الناس. و قد ظهر لهم أيضا من قبل الشمس في تغيير الهواء كل يوم عند طلوعها و عند توسطها السماء و عند غروبها ما لا خفاء به من الآثار. و من هذه الوجوه ما يظهر للفلاحين و الملاحين بأدنى تفقد للأشياء التي تحدث فإنهم يعلمون أشياء كثيرة من الآثار التي يؤثرها القمر و أنوار الكواكب الثابتة كالمند و الجزر و حركات الرياح و الأمطار و أوقاتها عند الحدوث و ما يوافق من أوقات الزراعات و ما لا يوافق و أوقات اللقاح و النتائج. و قد يظهر من آثار القمر في الحيوان الذي يتوالد في الماء و الرطوبات ما هو مشهور لا ينكر. و منها جهات أخرى يعرفها المنجمون فقط على حسب فضل علمهم و دقة نظرهم في هذا

العلم و إذ قد وصفنا على سبيل الإجمال ما يوجب حقيقة هذا العلم فإننا نصف ما يمكن إدراكه به أو لا يمكن فنقول لما كانت تغيرات الهواء إنما تحدث بحسب أحوال الشمس و القمر و الكواكب المتحيرة و الثابتة صارت معرفة هذه التغيرات قد تدرك من النجوم مع سائر ما يتبعها من الرياح و السحاب و الأمطار و الثلج و البرد و الرعد و البرق لأن الأشياء التي تلي الأرض و تصل إليها هذه الآثار من الهواء المحيط بها كانت الأعراض العامة التي تعرض في هذه الأشياء تابعة لتلك الآثار مثل كثرة مياه الأنهار و قلتها و كثرة الثمار و قلتها و كثرة خصب الحيوان و قلته و الجدوبة و القحط و الوباء و الأمراض التي تحدث في الأجناس و الأنواع أو في جنس دون جنس أو في نوع دون نوع و سائر ما يشاكل ذلك من الأحداث. و لما كانت أخلاق النفس تابعة لمزاج البدن و كانت الأحداث التي ذكرناها مغيرة لمزاج البدن صارت أيضا مغيرة للأخلاق و لأن المزاج الأول الأصلي هو الغالب على الإنسان في الأمر الأكثر و كان المزاج الأصلي هو الذي طبع عليه الإنسان في وقت كونه في الرحم و في وقت مولده و خروجه إلى جو العالم صار وقت الكون و وقت المولد أدل الأشياء على مزاج الإنسان و على أحواله التابعة للمزاج مثل خلقة البدن و خلق النفس و المرض و الصحة و سائر ما يتبع ذلك فهذه الأشياء و ما يشبهها من الأمور التي لا تشارك شيئا من الأفعال الإرادية فيه مما يمكن معرفته بالنجوم و أما الأشياء التي تشارك الأمور الإرادية بعض المشاركة فقد يمكن أن يصدق فيها هذا العلم على الأمر الأكثر و إذا لم يستعمل فيه الإرادة جرى على ما تقود إليه الطبيعة. على أنه قد يعرض الخطاء و الغلط لأصحاب هذه الصناعة من أسباب كثيرة بعضها يختص بهذه الصناعة دون غيرها و بعضها يعمها و غيرها من الصنائع.

فأما ما يعم فهو من قصور طبيعة الناس في معرفة الصنائع أيا كانت عن بلوغ الغاية فيها حتى لا يبقى وراءها غاية أخرى فكثرة الخطأ وقلته على حسب تقصير واحد واحد من الناس. و أما ما يخص هذه الصناعة فهو كثير ما يحتاج صاحبها إلى معرفته مما لا يمكنه أن يعلم كثيرا منه إلا بالحدس و التخمين فضلا عن لطف الاستنباط و حسن القياس و مما يحتاج إلى معرفة علم أحوال الفلك و مما يحدث في كل واحد من تلك الأحوال فإن كل واحد منها له فعل خاص ثم يؤلف تلك الأحوال بعضها مع بعض على كثرة فنونها و اختلافاتها ليحصل من جميع ذلك قوة واحدة و فعل واحد يكون عنه الحادث في هذا العالم و ذلك أمر عسير فمتى أغفل من ذلك شيء كان الخطأ الواقع بحسب الشيء الذي سها عنه و ترك استعماله. ثم من بعد تحصيل ما وصفناه ينبغي أن يعلم الحال التي عليها يوافي في تلك القوة الواحدة الأشياء التي تعرض فيها تلك الأحداث كأنه مثلا إذا دل ما في الفلك على حدوث حر و كانت الأشياء التي يعرض فيها ما يعرض قد مر بها قبل ذلك حر فحميت و سخنت أثر ذلك فيها أثرا قويا فإن كان قد مر بها برد قبل ذلك أثر ذلك فيها أثرا ضعيفا و هذا شيء يحتاج إليه في جميع الأحداث التي تعمل في غيرها مما يناسب هذه المعرفة. و أما الأحداث التي تخص ناحية ناحية أو قوما قوما أو جنسا جنسا أو مولودا واحدا من الناس فيحتاج مع معرفتها إلى أن يعلم أيضا أحوال البلاد و العادات و الأغذية و الأوباء و سائر ما يشبه ذلك مما له فيه أثر و شركة مثل ما يفعل الطبيب في المعالجة و في تقدمه المعرفة ثم من بعد تحصيل هذه الأشياء كلها ينبغي أن ينظر في الأمر الذي قد استدل على حدوثه هل هو مما يمكن أن يرد أو يتلافى بما يبطله أو بغيره من جهة

الطب و الحيل أم لا كأنه مثلا استدل على أنه يصيب هذا الإنسان حرارة يحم منها فينبغي أن يحكم بأنه يحم أن لم يتلاف تلك الحرارة بالتبريد فإنه إذا فعل ذلك أنزل الأمور منازلها و أجراها مجاريها. ثم إن كان الحادث قويا لا يمكن دفعه ببعض ما ذكرنا فليس يلزم الحاجة إلى ما قلنا فإن الأمر يحدث لا محالة و ما قوي و شمل الناس فإنه لا يمكن دفعه و لا فسخه و إن أمكن فإنما يمكن في بعض الناس دون بعض. و أما أكثرهم فإنه يجري أمره على ما قد شمل و عم فقد يعم الناس حر الصيف و إن كان بعضهم يحتال في صرفه بالأشياء التي تبرد و تنفي الحر. فهذه جملة ما ينبغي أن يعلم و يعمل عليه أمور هذه الصناعة. قلت هذا اعتراف بأن جميع الأحداث المتعلقة باختيار الإنسان و غيره من الحيوان لا مدخل لعلم أحكام النجوم فيه فعلى هذا لا يصح قول من يقول منهم لزيد مثلا إنك تتزوج أو تشتري فرسا أو تقتل عدوا أو تسافر إلى بلد و نحو ذلك و هو أكثر ما يقولونه و يحكمون به. و أما الأمور الكلية الحادثة لا بإرادة الحيوان و اختياره فقد يكون لكلامهم فيه وجه من الطريق التي ذكرها و هي تعلق كثير من الأحداث بحركة الشمس و القمر إلا أن المعلوم ضرورة من دين رسول الله ص إبطال حكم النجوم و تحريم الاعتقاد بها و النهي و الزجر عن تصديق المنجمين و هذا معنى قول أمير المؤمنين في هذا الفصل فمن صدقك بهذا فقد كذب القرآن و استغنى عن الاستعانة بالله ثم أردف

ذلك و أكدده بقوله كان يجب أن يحمد المنجم دون الباري تعالى لأن المنجم هو الذي هدى الإنسان إلى الساعة التي ينجح فيها و صده عن الساعة إلى يخفق و يكدي فيها فهو المحسن إليه إذا و المحسن يستحق الحمد و الشكر و ليس للبارئ سبحانه إلى الإنسان في هذا الإحسان المخصوص فوجب ألا يستحق الحمد على ظفر الإنسان بطلبه لكن القول بذلك و التزامه كفر محض

٧٩ و من كلام له ع بعد فراغه من حرب الجمل في ذم النساء

مَعَاشِرَ النَّاسِ إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الْإِيمَانِ نَوَاقِصُ الْحُضُوظِ نَوَاقِصُ الْعُقُولِ فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيْمَانِهِنَّ
فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ وَ الصَّيَّامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ وَ أَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ مِنْهُنَّ
كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ وَ أَمَّا نُقْصَانُ حُضُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ
فَاتَّقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ وَ كُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ وَ لَا تُطِيعُوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَطْمَعَنَّ فِي
الْمُنْكَرِ جَعَلَ ع نقصان الصلاة نقصانا في الإيمان و هذا هو قول أصحابنا إن الأعمال من الإيمان
و إن المقر بالتوحيد و النبوة و هو تارك للعمل ليس بمؤمن. و قوله ع و لا تطيعوهن في المعروف
ليس بنهي عن فعل المعروف و إنما هو نهي عن طاعتهن أي لا تفعلوه لأجل أمرهن لكم به بل
افعلوه لأنه معروف و الكلام ينحو نحو المثل المشهور لا تعط العبد كراعا فيأخذ ذراعا. و هذا
الفصل كله رمز إلى عائشة و لا يختلف أصحابنا في أنها أخطأت فيما فعلت ثم تابت و ماتت
تائبة و إنها من أهل الجنة.

قال كل من صنف في السير و الأخبار أن عائشة كانت من أشد الناس على عثمان حتى إنها أخرجت ثوبا من ثياب رسول الله ص فنصبته في منزلها و كانت تقول للداخلين إليها هذا ثوب رسول الله ص لم ييل و عثمان قد أبلى سنته. قالوا أول من سمى عثمان نعتلا عائشة و النعتل الكثير شعر اللحية و الجسد و كانت تقول اقتلوا نعتلا قتل الله نعتلا. و روى المدائني في كتاب الجمل قال لما قتل عثمان كانت عائشة بمكة و بلغ قتله إليها و هي بشراف فلم تشك في أن طلحة هو صاحب الأمر و قالت بعدا لنعتل و سحقا إليه ذا الإصبع إليه أبا شبل إليه يا ابن عم لكأني أنظر إلى إصبعه و هو يبائع له حثوا الإبل و دعدعوها. قال و قد كان طلحة حين قتل عثمان أخذ مفاتيح بيت المال و أخذ نجائب كانت لعثمان في داره ثم فسد أمره فدفعها إلى علي بن أبي طالب ع

أخبار عائشة في خروجها من مكة إلى البصرة بعد مقتل عثمان

و قال أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي في كتابه أن عائشة لما بلغها قتل عثمان و هي بمكة أقبلت مسرعة و هي تقول إليه ذا الإصبع لله أبوك أما إنهم وجدوا طلحة لها كفوا فلما انتهت إلى شراف استقبلها عبيد بن أبي سلمة الليثي فقالت له ما عندك قال قتل عثمان قالت ثم ما ذا قال ثم حارت بهم الأمور إلى خير محار بايعوا عليا فقالت لوددت أن السماء انطبقت على الأرض إن تم هذا ويحك انظر ما تقول قال هو ما قلت لك يا أم المؤمنين فولولت فقال لها ما شأنك يا أم المؤمنين

و الله ما أعرف بين لابتيتها أحدا أولى بها منه و لا أحق و لا أرى له نظيرا في جميع حالاته فلما ذا تكرهين ولايته قال فما ردت عليه جوابا. قال و قد روي من طرق مختلفة أن عائشة لما بلغها قتل عثمان و هي بمكة قالت أبعد الله ذلك بما قدمت يداه و ما الله بظلام للعبيد. قال و قد روى قيس بن أبي حازم أنه حج في العام الذي قتل فيه عثمان و كان مع عائشة لما بلغها قتله فتحمل إلى المدينة قال فسمعها تقول في بعض الطريق إيه ذا الإصبع و إذا ذكرت عثمان قالت أبعد الله حتى أتاهما خبر بيعة علي فقالت لوددت أن هذه وقعت على هذه ثم أمرت برد ركائبها إلى مكة فردت معها و رأيتها في سيرها إلى مكة تخاطب نفسها كأنها تخاطب أحدا قتلوا ابن عفان مظلوما فقلت لها يا أم المؤمنين أ لم أسمعك آنفا تقولين أبعد الله و قد رأيتك قبل أشد الناس عليه و أقبحهم فيه قولا فقالت لقد كان ذلك و لكنني نظرت في أمره فرأيتهم استتابوه حتى إذا تركوه كالفضة البيضاء أتوه صائما محرما في شهر حرام فقتلوه. قال و روي من طرق أخرى أنها قالت لما بلغها قتله أبعد الله قتله ذنبه و أقاده الله بعمله يا معشر قريش لا يسومنكم قتل عثمان كما سام أحمر ثمود قومه أن أحق الناس بهذا الأمر ذو الإصبع فلما جاءت الأخبار ببيعة علي ع قالت تعسوا تعسوا لا يردون الأمر في تيم أبدا. كتب طلحة و الزبير إلى عائشة و هي بمكة كتابا أن خذلي الناس عن بيعة علي و أظهري الطلب بدم عثمان و حملا الكتاب مع ابن أختها عبد الله بن الزبير فلما قرأت الكتاب كاشفت و أظهرت الطلب بدم عثمان و كانت أم سلمة رضي الله عنها بمكة في ذلك العام فلما رأت صنع عائشة قابلتها بنقيض ذلك و أظهرت مولاة علي ع و نصرته على مقتضي العداوة المركوزة في طباع الصرتين.

قال أبو مخنف جاءت عائشة إلى أم سلمة تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان فقالت لها يا بنت أبي أمية أنت أول مهاجرة من أزواج رسول الله ص و أنت كبيرة أمهات المؤمنين و كان رسول الله ص يقسم لنا من بيتك و كان جبريل أكثر ما يكون في منزلك فقالت أم سلمة لأمر ما قلت هذه المقالة فقالت عائشة إن عبد الله أخبرني أن القوم استتابوا عثمان فلما تاب قتلوه صائما في شهر حرام و قد عزمتم على الخروج إلى البصرة و معي الزبير و طلحة فاخرجي معنا لعل الله أن يصلح هذا الأمر على أيدينا بنا فقالت أم سلمة إنك كنت بالأمس تحرضين على عثمان و تقولين فيه أخبث القول و ما كان اسمه عندك إلا نعثلا و إنك لتعرفين منزلة علي بن أبي طالب عند رسول الله ص فأذكرك قالت نعم

قالت أ تذكرين يوم أقبل ع و نحن معه حتى إذا هبط من قديد ذات الشمال خلا بعلي يناجيه فأطال فأردت أن تهجمي عليهما فنهيتك فعصيتني فهجمت عليهما فما لبثت أن رجعت باكية فقلت ما شأنك فقلت إني هجمت عليهما و هما يتناجيان فقلت لعلي ليس لي من رسول الله إلا يوم من تسعة أيام أ فما تدعني يا ابن أبي طالب و يومي فأقبل رسول الله ص علي و هو غضبان محمر الوجه فقال ارجعي وراءك و الله لا يبغضه أحد من أهل بيتي و لا من غيرهم من الناس إلا و هو خارج من الإيمان فرجعت نادمة ساقطة قالت عائشة نعم أذكر ذلك قالت و أذكرك أيضا كنت أنا و أنت مع رسول الله ص و أنت تغسلين رأسه و أنا أحيس له حيسا و كان الحيس يعجبه فرفع رأسه و قال يا ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأذنب تنبجها كلاب الحوآب فتكون ناكبة

عن الصراط فرفعت يدي من الحيس فقلت أعوذ بالله و برسوله من ذلك ثم ضرب على ظهرك و قال إياك أن تكونيها ثم قال يا بنت أبي أمية إياك أن تكونيها يا حميراء أما أنا فقد أندرتك قالت عائشة نعم أذكر هذا قالت و أذكرك أيضا كنت أنا و أنت مع رسول الله ص في سفر له و كان علي يتعاهد نعلي رسول الله ص فيخصفها و يتعاهد أثوابه فيغسلها فنقبت له نعل فأخذها يومئذ يخلصها و قعد في ظل سمرة و جاء أبوك و معه عمر فاستأذنا عليه فقمنا إلى الحجاب و دخلا يحادثانه فيما أراد ثم قالوا يا رسول الله إنا لا ندري قدر ما تصحبنا فلو أعلمتنا من يستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفرعا فقال لهما أما إني قد أرى مكانه و لو فعلت لتفرقتم عنه كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران فسكتا ثم خرجا فلما خرجنا إلى رسول الله ص قلت له و كنت أجزأ عليه منا من كنت يا رسول الله مستخلفا عليهم فقال خاصف النعل فنظرنا فلم نر أحدا إلا عليا فقلت يا رسول الله ما أرى إلا عليا فقال هو ذاك فقالت عائشة نعم أذكر ذلك فقالت فأبي خروج تخرجين بعد هذا فقالت إنما أخرج للإصلاح بين الناس و أرجو فيه الأجر إن شاء الله فقالت أنت و رأيك فانصرفت عائشة عنها و كتبت أم سلمة بما قالت و قيل لها إلى علي ع. فإن قلت فهذا نص صريح في إمامة علي ع فما تصنع أنت و أصحابك المعتزلة به قلت كلا إنه ليس بنص كما ظننت لأنه ص لم يقل قد استخلفته و إنما قال لو قد استخلفت أحدا لاستخلفته و ذلك لا يقتضي حصول الاستخلاف

و يجوز أن تكون مصلحة المكلفين متعلقة بالنص عليه لو كان النبي ص مأمورا بأن ينص على إمام بعينه من بعده و أن يكون من مصلحتهم أن يختاروا لأنفسهم من شاءوا إذا تركهم النبي ص و آراءهم و لم يعين أحدا. و روى هشام بن محمد الكلبي في كتاب الجمل أن أم سلمة كتبت إلى علي ع من مكة أما بعد فإن طلحة و الزبير و أشياعهم أشياع الضلالة يريدون أن يخرجوا بعائشة إلى البصرة و معهم عبد الله بن عامر بن كريز و يذكرون أن عثمان قتل مظلوما و أنهم يطلبون بدمه و الله كافيههم بحوله و قوته و لو لا ما نأنا الله عنه من الخروج و أمرنا به من لزوم البيت لم أدع الخروج إليك و النصر لك و لكني باعثة نحوك ابني عدل نفسي عمر بن أبي سلمة فاستوص به يا أمير المؤمنين خيرا. قال فلما قدم عمر على علي ع أكرمه و لم يزل مقيما معه حتى شهد مشاهدته كلها و وجهه أميرا على البحرين و قال لابن عم له بلغني أن عمر يقول الشعر فابعث إلي من شعره فبعث إليه بأبيات له أولها

جزتك أمير المؤمنين قرابة رفعت بها ذكري جزاء موفرا
فعجب علي ع من شعره و استحسنته. و من الكلام المشهور الذي قيل إن أم سلمة رحمها الله كتبت به إلى عائشة إنك جنة بين رسول الله ص و بين أمته و إن الحجاب دونك لمضروب على حرمة و قد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه و سكن عقيرك فلا تصحريها لو أذكرتك قوله من رسول الله ص تعرفينها لنهشت بها نخش الرقشاء المطرقة ما كنت

قائلة لرسول الله ص لو لقيك ناصة قلوص قعودك من منهل إلى منهل قد تركت عهيداه و هتكت
ستره إن عمود الدين لا يقوم بالنساء و صدعه لا يرأب بمن حماديات النساء خفض الأصوات و
خفر الأعراض اجعلي قاعدة البيت قبرك حتى تلقينه و أنت على ذلك. فقالت عائشة ما أعرفني
بنصحك و أقبلي لوعظك و ليس الأمر حيث تذهبين ما أنا بعمية عن رأيك فإن أقم ففي غير
حرج و إن أخرج ففي إصلاح بين فئتين من المسلمين. و قد ذكر هذا الحديث أبو مُجَدَّ عبد الله بن
مسلم بن قتيبة في كتابه المصنف في غريب الحديث في باب أم سلمة على ما أورده عليك قال لما
أرادت عائشة الخروج إلى البصرة أتتها أم سلمة فقالت لها إنك سدة بين مُجَدَّ رسول الله ص و بين
أمته و حجابك مضروب على حرمة قد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه و سكن عقيراك فلا
تصحريها الله من وراء هذه الأمة لو أراد رسول الله ص أن يعهد إليك عهدا علت علت بل قد
نُهاك عن الفرطة في البلاد إن عمود الإسلام لا يثأب بالنساء إن مال و لا يرأب بمن إن صدع
حماديات النساء غص الأطراف و خفر الأعراض و قصر الوهازة ما كنت قائلة لو أن رسول الله
ص عارضك بعد الفلوات ناصة قلوصا من منهل إلى آخر إن بعين الله مهواك و على رسوله تردين
و قد وجهت سدافته و يروى سجافته و تركت عهيداه لو سرت مسيرك هذا ثم قيل لي ادخلي
الفردوس لاستحييت أن ألقى مُجَدَّ ص هاتكة حجابا و قد ضربه علي اجعلي حصنك بيتك و
وقاعة الستر قبرك حتى تلقينه و أنت على تلك أطوع ما تكونين لله

بالرقبة و أنصر ما تكون للدين ما حلت عنه لو ذكرتك قولاً تعرفينه لنهشت به نهش الرقشاء المطرقة. فقالت عائشة ما أقبلني لوعظك و ليس الأمر كما تظنين و لنعم المسير مسير فزعت فيه إلى فئتان متناجرتان أو قالت متناحرتان إن أقعد ففي غير حرج و إن أخرج فإلى ما لا بد لي من الزيادة منه. تفسير غريب هذا الخبر السدة الباب

و منه حديث رسول الله ص أنه ذكر أول من يرد عليه الخوض فقال الشعث رءوسا الدنس ثيابا الذين لا تفتح لهم السدد و لا ينكحون المتنعمات و أرادت أم سلمة أنك باب بين النبي ص و بين الناس فمتى أصيب ذلك الباب بشيء فقد دخل على رسول الله ص في حرمه و حوزته و استبيح ما حماه تقول فلا تكوني أنت سبب ذلك بالخروج الذي لا يجب عليك فتحوجي الناس إلى أن يفعلوا ذلك و هذا مثل قول نعمان بن مقرن للمسلمين في غزاة نهاوند ألا و إنكم باب بين المسلمين و المشركين إن كسر ذلك الباب دخل عليهم منه. و قولها قد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه أي لا تفتحيه و لا توسعيه بالحركة و الخروج يقال ندحت الشيء إذا وسعته و منه يقال فلان في مندوحة عن كذا أي في سعة تريد قول الله تعالى (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) و من روى تبدحيه بالباء فإنه من البداح و هو المتسع من الأرض و هو معنى الأول. و سكن عقيراك من عقر الدار و هو أصلها أهل الحجاز يضمون العين و أهل نجد يفتحونها و عقير اسم مبني من ذلك على صيغة التصغير و مثله مما جاء مصغرا الثريا و الحميا و هو سورة الشراب قال ابن قتيبة و لم أسمع بعقيرا إلا في هذا الحديث.

قولها فلا تصحريها أي لا تبرزيها و تجعلها بالصحراء يقال أصحر كما يقال أنجد و أسهل و
أحزن. و قولها الله من وراء هذه الأمة أي محيط بهم و حافظ لهم و عالم بأحوالهم كقوله تعالى (وَ
اللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ) قولها لو أراد رسول الله ص الجواب محذوف أي لفعل و لعهد و هذا
كقوله تعالى (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ) أي لكان هذا القرآن. قولها
علت علت أي جرت في هذا الخروج و عدلت عن الجواب و العول الميل و الجور قال تعالى
(ذَلِكَ أَذَى الْأَعْمَالِ) و من الناس من يرويه علت علت بكسر العين أي ذهبت في البلاد و
أبعدت السير يقال عال فلان في البلاد أي ذهب و أبعد و منه قيل للذئب عيال. قولها عن الفرطة
في البلاد أي عن السفر و الشخوص من الفرط و هو السبق و التقدم و رجل فارط أتى الماء أي
سابق. قولها لا يثأب بالنساء أي لا يرد بمن إن مال إلى استوائه من قولك ثأب فلان إلى كذا أي
عاد إليه. قولها و لا يرأب بمن إن صدع أي لا يسد بمن و لا يجمع و الصدع الشق و يروى إن
صدع بفتح الصاد و الدال أجروه مجرى قولهم جبرت العظم فجبر. قولها حماديات النساء يقال
حماداك أن تفعل كذا مثل قصارك أن تفعل كذا أي جهدك و غايتك.

و غرض الأطراف جمعها و خفر الأعراض الخفر الحياء و الأعراض جمع عرض و هو الجسد يقال فلان طيب العرض أي طيب ريح البدن و من رواه الأعراض بكسر الهمزة جعله مصدرا من أعرض عن كذا. قولها و قصر الوهازة قال ابن قتيبة سألت عن هذا فقال لي من سألته سألت عنه أعرابيا فصيحا فقال الوهازة الخطوة يقال للرجل إنه لمتوهر و متوهر إذا وطئ وطئا ثقيلا. قولها ناصة قلوفا أي رافعة لها في السير و النص الرفع و منه يقال حديث منصوص أي مرفوع و القلوفا من النوق الشابة و هي بمنزلة الفتاة من النساء. و المنهل الماء ترده الإبل. قولها إن بعين الله مهواك أي إن الله يرى سيرك و حركتك و الهوى الانحدار في السير من النجد إلى الغور. قولها و على رسوله تردن أي تقدمين في القيامة. قولها و قد وجهت سدافته السدافة الحجاب و الستر هي من أسدفت الليل إذا ستر بظلمته كأنه أرخى ستورا من الظلام و يروى بفتح السين و كذلك القول في سجافته إنه يروى بكسر السين و فتحها و السدافة و السجافة بمعنى. و وجهت أي نظمتها بالخرز و الوجيهة خرزة معروفة و عادة العرب أن تنظم على الحمل خرزات إذا كان للنساء. قولها و تركت عهيداه لفظة مصغرة مأخوذة من العهد مشابهة لما سلف من قولها عقيرك و حماديات النساء. قولها و وقاعة الستر أي موقعه على الأرض إذا أرسلته و هي الموقعة أيضا و موقعة الطائر.

قولها حتى تلقينه و أنت على تلك أي تلك الحال فحذف. قولها أطوع ما تكونين لله إذا
لزمته أطوع مبتدأ و إذا لزمته خبر المبتدأ و الضمير في لزمته راجع إلى العهد و الأمر الذي أمرت
به. قولها لنهشت به نحش الرقشاء المطرقة أي لعضك و نحشك ما أذكره لك و أذكرك به كما
تنهشك أفعى رقشاء و الرقش في ظهرها هو النقط و الجرادة أيضا رقشاء قال النابغة
فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم نافع
و الأفعى يوصف بالإطراق و كذلك الأسد و النمر و الرجل الشجاع و كان معاوية يقول في
علي ع الشجاع المطرق و قال الشاعر و ذكر أفعى
أصم أعمى ما يجيب الرقى من طول إطراق و إسبات
قولها ففتان متناجزتان أي تسرع كل واحدة منهما إلى نفوس الأخرى و من رواه متناحرتان أراد
الحرب و طعن النحور بالأسنة و رشقها بالسهم. و فرغت إلى فلان في كذا أي لذت به و
التجأت إليه. و قولها إن أقعد ففي غير حرج أي في غير إثم و قولها فإن أخرج فيلى ما لا بد لي من
الازدياد منه كلام من يعتقد الفضيلة في الخروج أو يعرف موقع الخطي و يصبر عليه. لما عزم
عائشة على الخروج إلى البصرة طلبوا لها بعيرا أيدا يحمل هودجها فجاءهم يعلى بن أمية ببعيره
المسمى عسكرا و كان عظيم الخلق شديدا فلما رآته أعجبها و أنشأ الجمال يحدثها بقوته و شدته
و يقول في أثناء كلامه عسكرا فلما سمعت هذه اللفظة استرجعت و قالت ردوه لا حاجة لي فيه
و ذكرت حيث سئلت أن رسول الله

ص ذكر لها هذا الاسم و نهاها عن ركوبه و أمرت أن يطلب لها غيره فلم يوجد لها ما يشبهه فغير لها بجلال غير جلاله و قيل لها قد أصبنا لك أعظم منه خلقا و أشد قوة و أتيت به فرضيت. قال أبو مخنف و أرسلت إلى حفصة تسألها الخروج و المسير معها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فأتى أخته فعزم عليها فأقامت و حطت الرحال بعد ما همت. كتب الأشر من المدينة إلى عائشة و هي بمكة أما بعد فإنك طعينة رسول الله ص و قد أمرك أن تقرى في بيتك فإن فعلت فهو خير لك فإن أبيت إلا أن تأخذي منسأتك و تلقي جلبابك و تبدي للناس شعيراتك قاتلتك حتى أردك إلى بيتك و الموضع الذي يرضاه لك ربك. فكتبت إليه في الجواب أما بعد فإنك أول العرب شب الفتنة و دعا إلى الفرقة و خالف الأئمة و سعى في قتل الخليفة و قد علمت أنك لن تعجز الله حتى يصيبك منه بنقمة ينتصر بها منك للخليفة المظلوم و قد جاءني كتابك و فهمت ما فيه و سيكفينيك الله و كل من أصبح مماثلا لك في ضلالك و غيك إن شاء الله. و قال أبو مخنف لما انتهت عائشة في مسيرها إلى الحوآب و هو ماء لبني عامر بن صعصعة نبحتها الكلاب حتى نفرت صعاب إبلها فقال قائل من أصحابها أ لا ترون ما أكثر كلاب الحوآب و ما أشد نباها فأمسكت زمام بعيرها و قالت و إنها لكلاب الحوآب ردوني ردوني فإني سمعت رسول الله ص يقول و ذكرت الخبر فقال لها قائل مهلا يرحمك الله فقد جزنا ماء الحوآب فقالت فهل من شاهد فلفقوا لها خمسين أعرايا جعلوا لهم جعلاً فحلقوا لها أن هذا ليس بماء الحوآب فسارت لوجهها. لما انتهت عائشة و طلحة و الزبير إلى حفر أبي موسى قريبا من البصرة أرسل

عثمان بن حنيف و هو يومئذ عامل علي ع على البصرة إلى القوم أبا الأسود الدؤلي يعلم له علمهم فجاء حتى دخل على عائشة فسألها عن سيرها فقالت أطلب بدم عثمان قال إنه ليس بالبصرة من قتلة عثمان أحد قالت صدقت و لكنهم مع علي بن أبي طالب بالمدينة و جئت أستنهض أهل البصرة لقتاله أ نغضب لكم من سوط عثمان و لا نغضب لعثمان من سيوفكم فقال لها ما أنت من السوط و السيف إنما أنت حبيس رسول الله ص أمرك أن تقر في بيتك و تتلي كتاب ربك و ليس على النساء قتال و لا هن الطلب بالدماء و إن عليا لأولى بعثمان منك و أمس رحما فإنهما ابنا عبد مناف فقالت لست بمنصرفة حتى أمضي لما قدمت له أفتظن يا أبا الأسود أن أحدا يقدم على قتالي قال أما و الله لتقاتلن قتالا أهونه الشديد. ثم قام فأتى الزبير فقال يا أبا عبد الله عهد الناس بك و أنت يوم بويح أبو بكر آخذ بقائم سيفك تقول لا أحد أولى بهذا الأمر من ابن أبي طالب و أين هذا المقام من ذاك فذكر له دم عثمان قال أنت و صاحبك وليتماه فيما بلغنا قال فانطلق إلى طلحة فاسمع ما يقول فذهب إلى طلحة فوجده سادرا في غيه مصرا على الحرب و الفتنة فرجع إلى عثمان بن حنيف فقال إنها الحرب فتأهب لها. لما نزل علي ع بالبصرة كتبت عائشة إلى زيد بن صوحان العبدي من عائشة بنت أبي بكر الصديق زوج النبي ص إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان أما بعد فأقم في بيتك و خذل الناس عن علي و ليبلغني عنك ما أحب فإنك أوثق أهلي عندي و السلام. فكتب إليها من زيد بن صوحان إلى عائشة بنت أبي بكر أما بعد فإن الله أمرك بأمر و أمرنا بأمر أمرك أن تقر في بيتك و أمرنا أن نجاهد و قد أتاني كتابك

فأمرتني أن أصنع خلاف ما أمرني الله فأكون قد صنعت ما أمرك الله به و صنعت ما أمرني الله به فأمرك عندي غير مطاع و كتابك غير مجاب و السلام. روى هذين الكتابين شيخنا أبو عثمان عمرو بن بحر عن شيخنا أبي سعيد الحسن البصري. و ركبت عائشة يوم الحرب الجمل المسمى عسكرا في هودج قد ألبس الرفرف ثم ألبس جلود النمر ثم ألبس فوق ذلك دروع الحديد. الشعبي عن مسلم بن أبي بكر عن أبيه أبي بكر قال لما قدم طلحة و الزبير البصرة تقلدت سيفي و أنا أريد نصرهما فدخلت على عائشة و إذا هي تأمر و تنهى و إذا الأمر أمرها فذكرت حديثا كنت سمعته

عن رسول الله ص لن يفلح قوم تدبر أمرهم امرأة فانصرفت و اعتزلتهم. و قد روي هذا الخبر على صورة أخرى أن قوما يخرجون بعدي في فئة رأسها امرأة لا يفلحون أبدا. كان الجمل لواء عسكر البصرة لم يكن لواء غيره. خطبت عائشة و الناس قد أخذوا مصافهم للحرب فقالت أما بعد فإننا كنا نقمنا على عثمان ضرب السوط و إمرة الفتيان و مرتع السحابة المحمية ألا و إنكم استعبتموه فأعتبكم فلما مصتموه كما يماص الثوب الرحيض عدوتم عليه فارتكبتم منه دما حراما و ايم الله إن كان لأحصنكم فرجا و أتقاكم الله.

خطب علي ع لما تواقف الجمعان فقال لا تقاتلوا القوم حتى يبدءوكم فإنكم بحمد الله على حجة و كفكم عنهم حتى يبدءوكم حجة أخرى و إذا قاتلتهم فلا تجهزوا على جريح و إذا هزمتهم فلا تتبعوا مدبرا و لا تكشفوا عورة و لا تمثلوا بقتيل و إذا وصلتكم إلى رجال القوم فلا تهتكوا سترًا و لا تدخلوا دارًا و لا تأخذوا من أموالهم شيئًا و لا تهيجوا امرأة بأذى و إن شتمتم أعراضكم و سببن أمراءكم و صلحاءكم فإنهن ضعاف القوى و الأنفس و العقول لقد كنا نؤمر بالكف عنهن و إنهن لمشركات و إن كان الرجل ليتناول المرأة بالهراوة و الجريدة فيعير بها و عقبه من بعده. قتل بنو ضبة حول الجمل فلم يبق فيهم إلا من لا نفع عنده و أخذت الأزدي بخطامه فقالت عائشة من أنتم قالوا الأزدي قالت صبرا وإنما يصبر الأحرار ما زلت أرى النصر مع بني ضبة فلما فقدتهم أنكرته فحرضت الأزدي بذلك فقاتلوا قتالا شديدا و رمي الجمل بالنبل حتى صارت القبة عليه كهيئة القنفذ.

قال علي ع لما فني الناس على خطام الجمل و قطعت الأيدي و سالت النفوس ادعوا لي الأشر و عمارا فجاء فقال اذهبا فاعقرا هذا الجمل فإن الحرب لا يبوخ ضرامها ما دام حيا إنهم قد اتخذوه قبلة فذهبا و معهما فتیان من مراد يعرف أحدهما بعمر بن عبد الله فما زالا يضربان الناس حتى خلاصا إليه فضربه المرادي على عرقوبيه فأقعى و له رغاء ثم وقع لجنبه و فر الناس من حوله فنادى علي ع اقطعوا

أنساع الهودج ثم قال لمحمد بن أبي بكر اكفني أختك فحملها مُجَدَّ حتى أنزلها دار عبد الله بن خلف الخزاعي. بعث علي عبد الله بن عباس إلى عائشة يأمرها بالرحيل إلى المدينة قال فأتيتها فدخلت عليها فلم يوضع لي شيء أجلس عليه فتناولت وسادة كانت في رحلها فقعدت عليها فقالت يا ابن عباس أخطأت السنة قعدت على وسادتنا في بيتنا بغير إذننا فقلت ليس هذا بيتك الذي أمرك الله أن تقر في فيه و لو كان بيتك ما قعدت على وسادتك إلا بإذنك ثم قلت إن أمير المؤمنين أرسلني إليك يأمرك بالرحيل إلى المدينة فقالت و أين أمير المؤمنين ذاك عمر فقلت عمر و علي قالت أبيت قلت أما و الله ما كان أبوك إلا قصير المدة عظيم المشقة قليل المنفعة ظاهر الشؤم بين النكد و ما عسى أن يكون أبوك و الله ما كان أمرك إلا كحلب شاة حتى صرت لا تأمرين و لا تنهين و لا تأخذين و لا تعطين و ما كنت إلا كما قال أخو بني أسد

ما زال إهداء الصغائر بيننا نث الحديث و كثرة الألقاب

حتى نزلت كأن صوتك بينهم في كل نائبة طنين ذباب

قال فبكت حتى سمع نحيبها من وراء الحجاب ثم قالت إني معجلة الرحيل إلى بلادي إن شاء الله تعالى و الله ما من بلد أبغض إلي من بلد أنتم فيه قلت و لم ذاك فو الله لقد جعلناك للمؤمنين أما و جعلنا أباك صديقا قالت يا ابن عباس أتمن علي برسول الله قلت ما لي لا أمن عليك بمن لو كان منك لمننت به علي. ثم أتيت عليا فأخبرته بقولها و قولي فسر بذلك و قال لي (ذرية بعضها من بعض و الله سميع عليم) و في رواية أنا كنت أعلم بك حيث بعثتك

٨٠ و من كلام له ع

أَيُّهَا النَّاسُ الزَّهَادَةُ قِصْرُ الْأَمَلِ وَالشُّكْرُ عِنْدَ [عَنِ] النَّعَمِ وَالتَّوَرُّعُ عِنْدَ الْمَحَارِمِ فَإِنْ عَزَبَ ذَلِكَ عَنْكُمْ فَلَا يَغْلِبِ الْحَرَامُ صَبْرَكُمْ وَلَا تَنْسُوا عِنْدَ النَّعَمِ شُكْرَكُمْ فَقَدْ أَعَذَرَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَجِ مُسْفِرَةٍ ظَاهِرَةٍ وَكُتِبَ بَارِزَةً الْغُذْرُ وَاضِحَةً فَسِرَ ع لَفْظُ الزَّهَادَةِ وَهِيَ الزَّهْدُ بِثَلَاثَةِ أُمُورٍ وَهِيَ قِصْرُ الْأَمَلِ وَشُكْرُ النِّعْمَةِ وَالْوَرَعُ عَنِ الْمَحَارِمِ فَقَالَ لَا يُسَمَّى الزَّاهِدَ زَاهِدًا حَتَّى يَسْتَكْمَلَ هَذِهِ الْأُمُورَ الثَّلَاثَةَ ثُمَّ قَالَ فَإِنْ عَزَبَ ذَلِكَ عَنْكُمْ أَيُّ بَعْدَ فَأَمْرَانِ مِنَ الثَّلَاثَةِ لَا بَدَ مِنْهُمَا وَهُمَا الْوَرَعُ وَشُكْرُ النِّعْمِ جَعَلَهُمَا أَكْدَ وَأَهَمَّ مِنْ قِصْرِ الْأَمَلِ. وَاعْلَمْ أَنَّ الزَّهْدَ فِي الْعَرَفِ الْمَشْهُورِ هُوَ الْإِعْرَاضُ عَنِ مَتَاعِ الدُّنْيَا وَطَيِّبَاتِهَا لَكِنَّهُ لَمَّا كَانَتِ الْأُمُورُ الثَّلَاثَةُ طَرِيقًا مَوْطِئَةً إِلَى ذَلِكَ أَطْلَقَ ع لَفْظَ الزَّهْدِ عَلَيْهَا عَلَى وَجْهِ الْمَجَازِ. وَقَوْلُهُ فَقَدْ أَعَذَرَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ أَيُّ بِالْغِ يُقَالُ أَعَذَرَ فُلَانٌ فِي الْأَمْرِ أَيُّ بَالِغٌ فِيهِ وَيُقَالُ ضَرَبَ فُلَانٌ فَأَعَذَرَ أَيُّ أَشْرَفَ عَلَى الْهَلَاكِ وَأَصْلُ اللَّفْظَةِ مِنَ الْعَذْرِ يَرِيدُ أَنَّهُ

قد أوضح لكم بالحجج النيرة المشرقة ما يجب اجتنابه و ما يجب فعله فإن خالفتم استوجبتم العقوبة فكان له في تعذيبكم العذر

الآثار و الأخبار الواردة في الزهد

و الآثار الواردة في الزهد كثيرة:

قال رسول الله ص أفلح الزاهد في الدنيا حظي بجز العاجلة و بثواب الآخرة
و قال ص من أصبحت الدنيا همه و سدمه نزع الله الغنى من قلبه و صير الفقر بين عينيه و لم
يأته من الدنيا إلا ما كتب له و من أصبحت الآخرة همه و سدمه نزع الله الفقر عن قلبه و صير
الغنى بين عينيه و أتته الدنيا و هي راغمة

و قال ع للضحاك بن سفيان ما طعامك قال اللحم و اللبن قال ثم يصير إلى ما ذا قال إلى ما
علمت قال فإن الله ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا. و كان الفضيل بن عياض يقول
لأصحابه إذا فرغ من حديثه انطلقوا حتى أريكم الدنيا فيجيء بهم إلى المذيلة فيقول انظروا إلى
عنبرهم و سمنهم و دجاجهم و بطهم صار إلى ما ترون.

و من الكلام المنسوب إلى المسيح ع الدنيا قنطرة فاعبروها و لا تعمروها

سئل رسول الله ص عن قوله سبحانه (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ

يَشْرَحُ صَدْرُهُ لِلْإِسْلَامِ فقال إذا دخل النور القلب انفسح فذلك شرح الصدر فقليل أفلذلك علامة يعرف بها قال نعم الإنابة إلى دار الخلود و التجافي عن دار الغرور و الاستعداد للموت قبل نزوله

قالوا أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء اتخذ الدنيا ظئرا و اتخذ الآخرة أما.الشعبي ما أعلم لنا و للدنيا مثلا إلا قول كثير

أسيئي بنا أو أحسنني لا ملومة لدينا و لا مقلية إن تقلت
بعض الصالحين المستغني عن الدنيا بالدنيا كالمطفئ النار بالتبن.و في بعض الكتب القديمة الإلهية قال الله للدنيا من خدمني فاخدميه و من خدمك فاستخدميه.دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم و عليه مدرعة من صوف فقال ما هذه فسكت فأعاد عليه السؤال فقال أكره أن أقول زهدا فأركي نفسي أو فقرا فأشكو ربي. قيل في صفة الدنيا و الآخرة هما كضرتين إن أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى. قيل لمحمد بن واسع إنك لترضى بالدون قال إنما رضي بالدون من رضي بالدنيا. خطب أعرابي كان عاملا لجعفر بن سليمان على ضرية يوم جمعة خطبة لم يسمع أوجز منها و لا أفصح فقال إن الدنيا دار بلاغ و إن الآخرة دار قرار فخذوا من ممركم لمستقركم و لا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم و أخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ففيها جئتم و غيرها خلقتم إن المرء إذا هلك قال الناس ما ترك و قالت الملائكة ما قدم فله آثارك قدموا بعضا يكن لكم

و لا تؤخروا كلا فيكون عليكم أقول قولي هذا و أستغفر الله و المدعو له الخليفة ثم الأمير جعفر و نزل. أبو حازم الأعرج الدنيا كلها غموم فما كان فيها سرورا فهو ربح. مُجَدِّد بن الحنفية من عزت عليه نفسه هانت عليه الدنيا.

قيل لعلي بن الحسين ع من أعظم الناس خطرا قال من لم ير الدنيا لنفسه خطرا قال المسيح ع لأصحابه حب الدنيا رأس كل خطيئة و اقتناء المال فيها داء عظيم قالوا له كيف ذلك قال لا يسلم صاحبه من البغي و الكبر قيل فإن سلم منهما قال يشغله إصلاحه عن ذكر الله أشرف أبو الدرداء على أهل دمشق فقال يا أهل دمشق تبون ما لا تسكنون و تجمعون ما لا تأكلون و تأملون ما لا تدركون أين من كان قبلكم بنوا شديدا و أملوا بعيدا و جمعوا كثيرا فأصبحت مساكنهم قبورا و جمعهم بورا و أملهم غرورا. قال المأمون لو سئلت الدنيا عن نفسها لم تسطع أن تصف نفسها بأحسن من قول الشاعر

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق
و قال رجل يا رسول الله كيف لي أن أعلم أمري قال إذا أردت شيئا من أمور الدنيا فعسر عليك فاعلم أنك بخير و إذا أردت شيئا من أمر الدنيا فيسر لك فاعلم أنه شر لك قال رجل ليونس بن عبيد إن فلانا يعمل بعمل الحسن البصري فقال و الله ما أعرف أحدا يقول بقوله فكيف يعمل بعمله قيل فصفه لنا قال كان إذا أقبل

فكأنه أقبل من دفن حبيب و إذا جلس فكأنه أسير أجلس لضرب عنقه و إذا ذكرت النار فكأنها لم تخلق إلا له. و قال بعض الصالحين لرجل يا فلان هل أنت على حال أنت فيها مستعد للموت قال لا قال فهل أنت عالم بأنك تنتقل إلى حال ترضى به قال لا قال أفتعلم بعد الموت دارا فيها مستعتب قال لا قال أفتأمن الموت أن يأتيك صباحا أو مساء قال لا قال أفيرضى بهذه الحال عاقل و قال أبو الدرداء أضحككتني ثلاث و أبكتني ثلاث أضحكني مؤمل الدنيا و الموت يطلبه و غافل و ليس بمغفول عنه و ضاحك ملء فيه لا يدرى أراض عنه الله أم ساخط و أبكاني فراق محمد و حزيه و أبكاني هول الموت و أبكاني هول الموقف يوم تبدو السرائر حين لا أدري أ يؤخذ بي إلى جنة أم إلى نار. و كان عبد الله بن صغير يقول أ تضحك و لعل أكفانك قد خرجت من عند القصار و كان يقال من أتى الذنب ضاحكا دخل النار باكيا. و كان مالك بن دينار يقول وددت أن رزقي في حصة أمصها حتى أبول فلقد اختلفت إلى الخلاء حتى استحيت من ربي. و قال رسول الله ص لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما ليس به بأس حذرا عما به البأس

و قال المسيح ع بحق أقول لكم إن من طلب الفردوس فخبز الشعير و النوم على المزابل مع الكلاب له كثير. و أوصى ابن محرز رجلا فقال إن استطعت أن تعرف و لا تعرف و تسأل و لا تسأل و تمشي و لا يمشي إليك فافعل.

و قال علي ع طوبى لمن عرف الناس و لم يعرفوه تعجلت له منيته و قل تراثه و فقد باكياته.و كان يقال في الجوع ثلاث خصال حياة للقلب و مذلة للنفس و يورث العقل الدقيق من المعاني.و قال رجل لإبراهيم بن أدهم أريد أن تقبل مني دراهم قال إن كنت غنيا قبلتها منك و إن كنت فقيرا لم أقبلها قال فإني غني قال كم تملك قال ألفي درهم قال أ فيسرك أن تكون أربعة آلاف قال نعم قال لست بغني و دراهمك لا أقبلها.و كان أبو حازم الأعرج إذا نظر إلى الفاكهة في السوق قال موعذك الجنة إن شاء الله تعالى.و مر أبو حازم بالقصابين فقال له رجل منهم يا أبا حازم هذا سمين فاشتر منه قال ليس عندي دراهم قال أنا أنظرك قال فأفكر ساعة ثم قال أنا أنظر نفسي.نزل الحجاج في يوم حار على بعض المياه و دعا بالغداء و قال لحاجبه انظر من يتغدى معي و اجهد ألا يكون من أهل الدنيا فرأى الحاجب أعرابيا نائما عليه شملة من شعر فضربه برجله و قال أجب الأمير فأتاه فدعاه الحجاج إلى الأكل فقال دعاني من هو خير من الأمير فأجبتة قال من هو قال الله دعاني إلى الصوم فصمت قال أ في هذا اليوم الحار قال نار جهنم أشد حرا قال أفطر و تصوم غدا قال إن ضمننت لي البقاء إلى غد قال ليس ذلك إلي قال فكيف أدع عاجلا لأجل لا تقدر عليه قال إنه طعام طيب قال إنك لم تطيبه و لا الخباز و لكن العافية طيبته لك.و قال شبيب كنا سنة في طريق مكة فجاء أعرابي في يوم صائف شديد الحر

و معه جارية سوداء و صحيفة فقال أ فيكم كاتب قلنا نعم و حضر غداؤنا فقلنا له لو دخلت فأصبت من طعامنا قال إني صائم قلنا الحر و شدته و جفاء البادية فقال إن الدنيا كانت و لم أكن فيها و ستكون و لا أكون فيها و ما أحب أن أغبن أمامي ثم نبذ إلينا الصحيفة فقال للكاتب اكتب و لا تزد على ما أملكه عليك هذا ما أعتق عبد الله بن عقيل الكلبي أعتق جارية له سوداء اسمها لؤلؤة ابتغاء وجه الله و جواز العقبة و إنه لا سبيل له عليها إلا سبيل الولاء و المنة لله علينا و عليها واحدة. قال الأصمعي فحدث بذلك الرشيد فأمر أن يعتق عنه ألف نسمة و يكتب لهم هذا الكتاب. و قال خالد بن صفوان بت ليلتي هذه أتمنى فكبست البحر الأخضر بالذهب الأحمر فإذا الذي يلقيني من ذلك رغيفان و كوزان و طمران. و رأى رجل رجلا من ولد معاوية يعمل على بعير له فقال هذا بعد ما كنتم فيه من الدنيا قال رحمك الله يا ابن أخي ما فقدنا إلا الفضول. و قال الحسن يا ابن آدم إنما أنت أيام مجموعة كلما ذهب يوم ذهب بعضك. قال يونس الكاتب لو قيل بيت دريد في زاهد كان به جديرا

قليل التشكي للمصيبات ذاكر من اليوم أعقاب الأحاديث في غد
و قال الحسن ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل. و قال رجل للفضيل بن عياض ما أعجب الأشياء قال قلب عرف الله ثم عصاه. قال وكيع ما أحسنت قط إلى أحد و لا أسأت إليه قيل كيف قال لأن الله تعالى قال (إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا)

و قال الحسن لرجل إن استطعت ألا تسيء إلى أحد ممن تحبه فافعل قال الرجل يا أبا سعيد أ
و يسيء المرء إلى من يحبه قال نعم نفسك أحب النفوس إليك فإذا عصيت الله فقد أسأت
إليها. وكان مالك بن دينار إذا منع نفسه شيئا من الشهوات قال اصبري فو الله ما منعك إلا
لكرامتك علي.

قام رسول الله ص الليل حتى تورمت قدماه فقبل له يا رسول الله أ تفعل هذا و قد غفر الله ما
تقدم من ذنبك و ما تأخر قال أ فلا أكون عبدا شكورا. و قال عبد الله بن مسعود لا يكونن
أحدكم جيفة ليله قطرب نهاره. و كان يقال من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار. و كان
مالك بن دينار يقول في قصصه ما أشد فطام الكبر و ينشد

أ تروض عرسك بعد ما هرمت و من العناء رياضة الهرم
و قال آخر

إن كنت تؤمن بالقيامة و اجتأت على الخطيئة
فلقد هلكت و إن جحدت فذاك أعظم للبليّة

٨١ و من كلام له ع في صفة الدنيا

مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوْلَاهَا عَنَاءٌ وَ آخِرُهَا فَنَاءٌ فِي حَالِهَا حِسَابٌ وَ فِي حَرَامِهَا عِقَابٌ مَنْ اسْتَعْنَى
فِيهَا فُتِنَ وَ مَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ وَ مَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ وَ مَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ وَ مَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَرَتُهُ
وَ مَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ قَالَ الرضِي عليه السلام أقول و إذا تأمل المتأمل قوله ع و من أبصر بها بصرته
وجد تحته من المعنى العجيب و الغرض البعيد ما لا يبلغ غايته و لا يدرك غوره لا سيما إذا قرن
إليه قوله و من أبصر إليها أعمته فإنه يجد الفرق بين أبصر بها و أبصر إليها واضحا نيرا و عجيبا
باهرا العناء التعب و ساعاها جاراها سعيها و واتته طاوعته. و نظر الرضِي إلى قوله أَوْلَاهَا عَنَاءٌ وَ
آخِرُهَا فَنَاءٌ فقال

و أولنا العناء إذا طلعتنا إلى الدنيا و آخرنا الذهاب

و نظر إلى قوله ع في حلالها حساب و في حرامها عقاب بعض الشعراء فقال
الدهر يومان فيوم مضى عنك بما فيه و يوم جديد
حلال يوميك حساب و في حرام يوميك عذاب شديد
تجمع ما يأكله وارث و أنت في القبر وحيد فريد
إني لغيري واعظ تارك نفسي و قولي من فعالى بعيد
حلاوة الدنيا و لذاتها تكلف العاقل ما لا يريد
و من المعنى أيضا قول بعضهم

حلالها حسرة تفضي إلى ندم و في المحارم منها الغنم منزور
و نظر الحسن البصري إلى قوله ع من استغنى فيها فتن و من افتقر فيها حزن فقال و قد جاءه
إنسان يبشره بمولود له ذكر ليهنك الفارس يا أبا سعيد فقال بل الراجل ثم قال لا مرحبا بمن إن
كان غنيا فتنتني و إن كان فقيرا أحزنتني و إن عاش كدني و إن مات هديني ثم لا أرضى بسعيي له
سعيًا و لا بكدحي له كدحا حتى أهتم بما يصيبه بعد موتي و أنا في حال لا ينالني بمساءته حزن و
لا بسروره جذل. و نظر ابن المعتز إلى قوله ع من ساعاها فاتته و من قعد عنها و اتته فقال الدنيا
كظلك كلما طلبته زاد منك بعدا. و نظرت إلى قوله ع و من أبصر بها بصرته و من أبصر إليها
أعمته فقلت

دنياك مثل الشمس تدني إليك الضوء لكن دعوة المهالك
إن أنت أبصرت إلى نورها تعش و إن تبصر به تدرك

فإن قلت المسموع أبصرت زيدا و لم يسمع أبصرت إلى زيد قلت يجوز أن يكون قوله ع و من أبصر إليها أي و من أبصر متوجها إليها كقوله (فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ) و لم يقل مرسلا و يجوز أن يكون أقام ذلك مقام قوله نظر إليها لما كان مثله كما قالوا في دخلت البيت و دخلت إلى البيت أجروه مجرى ولجت إلى البيت لما كان نظيره

٨٢ و من خطبة له ع و تسمى بالغراء

و هي من الخطب العجيبة : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ وَ دَنَا بِطَوْلِهِ مَانِحٌ كُلِّ غَنِيمَةٍ وَ فَضْلٌ وَ كَاشِفٌ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَ أَزِلُّ أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ وَ سَوَابِغِ نِعَمِهِ وَ أَوْمِنُ بِهِ أَوَّلًا بِأَدْيَا وَ أَسْتَهْدِيهِ قَرِيبًا هَادِيًا وَ أَسْتَعِينُهُ قَاهِرًا قَادِرًا وَ أَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِيًا نَاصِرًا وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ أَرْسَلَهُ لِإِنْفَازِ أَمْرِهِ وَ إِنْهَاءِ عُذْرِهِ وَ تَقْدِيمِ نُذْرِهِ الْحَوْلُ الْقُوَّةُ وَ الطُّولُ الْإِفْضَالُ وَ الْمَانِحُ الْمَعْطِي وَ الْأَزِلُّ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ الضِّيقُ وَ الْحَبْسُ وَ الْعَوَاطِفُ جَمْعُ عَاطِفَةٍ وَ هِيَ مَا يَعْطِفُكَ عَلَى الْغَيْرِ وَ يَدْنِيهِ مِنْ مَعْرُوفِكَ وَ السَّوَابِغُ التَّوَامُ الْكَوَامِلُ سَبْعُ الظِّلِّ إِذَا عَمَّ وَ شَمِلَ. وَ أَوَّلَا هَاهُنَا مَنْصُوبٌ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ كَأَنَّهُ قَالَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَ الْأَوَّلُ نَقِيضُ الْآخِرِ أَصْلُهُ أَوَّلٌ عَلَى أَفْعَلٍ مَهْمُوزِ الْوَسْطِ قَلَبْتَ الْهَمْزَةَ وَآوَا وَ أَدْغَمَ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُمْ هَذَا أَوَّلُ مِنْكَ وَ الْإِيتْيَانُ بِحَرْفِ الْجَرِّ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ أَفْعَلُ كَقَوْلِهِمْ هَذَا أَفْضَلُ مِنْكَ وَ جَمَعَهُ عَلَى أَوَائِلٍ وَ أَوَالٍ أَيْضًا عَلَى الْقَلْبِ وَ قَالَ قَوْمٌ أَصْلُهُ وَوَلَّ عَلَى فَوْعَلٍ فَقَلَبْتَ الْوَآوِ الْأَوَّلَى هَمْزَةً وَ إِنَّمَا لَمْ يَجْمَعْ عَلَى وَوَالٍ لِاسْتِثْقَالِهِمْ اجْتِمَاعَ الْوَآوَيْنِ وَ بَيْنَهُمَا أَلْفُ الْجَمْعِ.

و إذا جعلت الأول صفة لم تصرفه تقول لقيته عاما أول لاجتماع وزن الفعل و تقول ما رأيته مذ عام أول كلاهما بغير تنوين فمن رفع جعله صفة لعام كأنه قال أول من عامنا و من نصب جعله كالظرف كأنه قال مذ عام قبل عامنا فإن قلت ابدأ بهذا أول ضمته على الغاية. و الإنهاء الإبلاغ أنهيت إليه الخبر فأنتهى أي بلغ و المعنى أن الله تعالى أعذر إلى خلقه و أنذرهم فيعذاره إليهم أن عرفهم بالحجج العقلية و السمعية أنهم إن عصوه استحقوا العقاب فأوضح عذره لهم في عقوبته إياهم على عصيانه و إنذاره لهم تخويفه إياهم من عقابه و قد نظر البحتري إلى معنى قوله ع علا بحوله و دنا بطوله فقال

دنوت تواضعا و علوت قدرا فشأنك انخفاض و ارتفاع
كذلك الشمس تبعد أن تسامى و يدنو النور منها و الشعاع
و في هذا الفصل ضروب من البديع فمنها أن دنا في مقابلة علا لفظا و معنى و كذلك حوله و طوله. فإن قلت لا ريب في تقابل دنا و علا من حيث المعنى و اللفظ و أما حوله و طوله فإثما يتناسبان لفظا و ليسا متقابلين معنى لأنهما ليسا ضدين كما في العلو و الدنو. قلت بل فيهما معنى التضاد لأن الحول هو القوة و هي مشعة بالسطوة و القهر و منه منشأ الانتقام و الطول الإفضال و التكرم و هو نقيض الانتقام و البطش. فإن قلت أنت و أصحابك لا تقولون إن الله تعالى قادر بقدرة و هو عندكم قادر

لذاته فكيف تتأولون قوله ع الذي علا بحوله أ ليس في هذا إثبات قدرة له زائدة على ذاته و هذا يخالف مذهبكم. قلت إن أصحابنا لا يمتنعون من إطلاق قولهم إن لله قوة و قدرة و حولا و حاش لله أن يذهب ذاهب منهم إلى منع ذلك و لكنهم يطلقونه و يعنون به حقيقته العرفية و هي كون الله تعالى قويا قادرا كما نقول نحن و المخالف إن لله وجودا و بقاء و قدما و لا نعني بذلك أن وجوده أو بقاءه أو قدمه معان زائدة على نفسه لكننا نعني كلنا بإطلاق هذه الألفاظ عليه كونه موجودا أو باقيا أو قديما و هذا هو العرف المستعمل في قول الناس لا قوة لي على ذلك و لا قدرة لي على فلان لا يعنون نفي المعنى بل يعنون كون الإنسان قادرا قويا على ذلك. و منها أن مانحا في وزن كاشف و غنيمة بإزاء عظمة في اللفظ و ضدها في المعنى و كذلك فضل و أزل. و منها أن عواطف بإزاء سوابغ و نعمه بإزاء كرمه. و منها و هو ألطف ما يستعمله أرباب هذا الصناعة أنه جعل قريبا هاديا مع قوله أستهديه لأن الدليل القريب منك أجدر بأن يهديك من البعيد النازح و لم يجعله مع قوله و أستعينه و جعل مع الاستعانة قاهرا قادرا لأن القادر القاهر يليق أن يستعان و يستنجد به و لم يجعله قادرا قاهرا مع التوكل عليه و جعل مع التوكل كافيا ناصرا لأن الكافي الناصر أهل لأن يتوكل عليه. و هذه اللطائف و الدقائق من معجزاته ع التي فات بها البلغاء و أخرس الفصحاء

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي ضَرَبَ لَكُمْ الْأَمْثَالَ وَوَقَّتَ لَكُمْ الْأَجَالَ وَ أَلْبَسَكُمْ الرِّيشَ
وَ أَرْفَعَ لَكُمْ الْمَعَاشَ وَ أَحَاطَ [أَحَاطَكُمْ] بِكُمْ الْإِحْصَاءَ وَ أَرَصَدَ لَكُمْ الْجَزَاءَ وَ آثَرَكُمْ بِالْيَعْمِ
السَّوَابِغِ وَ الرَّفْدِ الرَّوَافِغِ وَ أَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوَالِغِ فَأَخْصَاكُمْ عَدَدًا وَ وَظَّفَ لَكُمْ مُدَدًا فِي قَرَارِ خَبْرَةٍ
وَ دَارِ عِبْرَةٍ أَنْتُمْ مُحْتَبَرُونَ فِيهَا وَ مُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا وَقْتُ وَ أَقْتُ بِمَعْنَى أَي جَعَلَ الْأَجَالَ لَوَقْتُ
مَقْدَرٍ. وَ الرِّيشَ وَ الرِّيشَ وَاحِدٌ وَ هُوَ اللَّبَاسُ قَالَ تَعَالَى (يُؤَارِي سَوَآتِكُمْ وَ رِيَشًا). وَ قَرِئَ وَ
رِيَاشًا وَ يُقَالُ الرِّيشُ الْخَصْبُ وَ الْغَنَى وَ مِنْهُ ارْتِيشُ فَلَانٍ حَسَنَتْ حَالُهُ وَ يَكُونُ لَفْظُ أَلْبَسَكُمْ مَجَازًا
إِنْ فُسِّرَ بِذَلِكَ. وَ أَرْفَعَ لَكُمْ الْمَعَاشَ أَي جَعَلَهُ رَفِيعًا أَي وَاسِعًا مُخْصَبًا يُقَالُ رَفَعَ بِالضَّمِّ عَيْشَهُ رَفَاعَةً
اتَّسَعَ فَهُوَ رَافِعٌ وَ رَفِيعٌ وَ تَرَفَعَ الرَّجُلُ وَ هُوَ فِي رَفَاعِيَّةٍ مِنَ الْعَيْشِ مُخَفَّفًا مِثْلَ رَفَاهِيَّةٍ وَ ثَمَانِيَّةٍ. وَ قَوْلُهُ
وَ أَحَاطَ بِكُمْ الْإِحْصَاءَ يُمْكِنُ أَنْ يَنْصَبَ الْإِحْصَاءُ عَلَى أَنَّهُ مُصَدَّرٌ فِيهِ اللَّامُ وَ الْعَامِلُ فِيهِ غَيْرُ
لَفْظِهِ كَقَوْلِهِ يَعْجِبُهُ السَّخُونُ ثُمَّ قَالَ حَبَا وَ لَيْسَ

دخول اللام بمانع من ذلك تقول ضربته الضربة كما تقول ضربته ضربا و يجوز أن ينصب بأنه مفعول به و يكون ذلك على وجهين. أحدهما أن يكون من حاط ثلاثيا تقول حاط فلان كرمه أي جعل عليه حائطا فكأنه جعل الإحصاء و العد كالحائط المدار عليهم لأنهم لا يبعدون منه و لا يخرجون عنه. و الثاني أن يكون من حاط الحمار عانته يحوطها بالواو أي جمعها فأدخل الهمزة كأنه جعل الإحصاء يحوطهم و يجمعهم تقول ضربت زيدا و أضربته أي جعلته ذا ضرب فلذلك كأنه جعل ع الإحصاء ذا تحويط عليهم بالاعتبار الأول أو جعله ذا جمع لهم بالاعتبار الثاني. و يمكن فيه وجه آخر و هو أن يكون الإحصاء مفعولا له و يكون في الكلام محذوف تقديره و أحاط بكم حفظته و ملائكته للإحصاء و دخول اللام في المفعول له كثير كقوله

و الهول من تهول الهبور

قوله و أرصد يعني أعد و في الحديث إلا أن أرصده لدين علي. و آثركم من الإيثار و أصله أن تقدم غيرك على نفسك في منفعة أنت قادر على الاختصاص بها و هو في هذا الموضع مجاز مستحسن. و الرصد جمع رفدة مثل كسرة و كسر و فدر و رفدة و الرصد واحد و هي العطية و الصلة و رفدت فلانا رفدا بالفتح و المضارع أرصده بكسر الفاء و يجوز أرصدته بالهمزة. و الروافع الواسعة و الحجج البوالغ الظاهرة المبينة قال سبحانه (فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ).

و وظف لكم مددا أي قدر و منه وظيفة الطعام. و قرار خبرة بكسر الخاء أي دار بلاء و اختبار تقول خبرت زيدا أخبره خبرة بالضم فيهما و خبرة بالكسر إذا بلوته و اختبرته و منه قولهم صغر الخبر الخبر. و دار عبرة أي دار اعتبار و اتعاظ و الضمير في فيها و عليها ليس واحدا فإنه في فيها يرجع إلى الدار و في عليها يرجع إلى النعم و الرغد و يجوز أن يكون الضمير في عليها عائدا إلى الدار على حذف المضاف أي على سكانها : فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنْقٌ مَشْرُئُهَا رِدْغٌ مَشْرَعُهَا يُونِقُ مَنْظَرُهَا وَ يُوبِقُ مَحَبَرُهَا غُرُورٌ حَائِلٌ وَ ضَوْءٌ أَفِلٌ وَ ظِلٌّ زَائِلٌ وَ سِنَادٌ مَائِلٌ حَتَّى إِذَا أُنِسَ نَافِرُهَا وَ اِطْمَأَنَّ نَاكِزُهَا قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا وَ قَنَصَتْ بِأَحْبِلِهَا [أَجْلِبُهَا] وَ أَفْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا وَ أَغْلَقَتْ أَلْمَرَّةُ أَوْهَاقَ الْمَنِيَّةِ قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ وَ وَحْشَةَ الْمَرْجِعِ وَ مُعَايِنَةَ الْمَحَلِّ وَ ثَوَابِ الْعَمَلِ. وَ كَذَلِكَ أَخْلَفُ بَعْقِبِ السَّلَفِ لَا تُقْلِعُ الْمَنِيَّةُ إِحْتِرَاماً وَ لَا يَزْعَوِي الْبَاقُونَ إِجْتِرَاماً يَحْتَدُونَ مِثَالاً وَ يَمْضُونَ أَرْسَالاً إِلَى غَايَةِ الْإِنْتِهَاءِ وَ صَيُورِ الْفَنَاءِ يُقَالُ عِشْ رَنْقَ بَكْسَرِ النُّونِ أَيِ كَدْرِ وَ مَاءِ رَنْقَ بِالتَّسْكِينِ أَيِ كَدْرِ وَ الرَنْقُ بَفَتْحِ النُّونِ مَصْدَرُ قَوْلِكَ رَنْقَ الْمَاءِ بِالْكَسْرِ وَ رَنْقَتُهُ أَنَا تَرْنِيقاً أَيِ كَدْرَتُهُ وَ الرَوَايَةُ

المشهورة في هذا الفصل رنق مشربها بالكسر أقامه مقام قولهم عيش رنق و من رواه رنق مشربها بالسكون و هم الأقلون أجرى اللفظ على حقيقته. و يقال مشرع ردغ ذو طين و وحل روي الردغة بالتحريك و يجوز تسكين الدال و الجمع رداغ و ردغ. و يونق منظرها يعجب الناظر آنقني الشيء أعجبني و يوبق مخبرها يهلك وبق الرجل يبق وبقا هلك و الموبق مفعل منه كالموعد مفعل من وعد يعد و منه قوله سبحانه (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا) و قد جاء وبق يبق بالكسر فيهما و هو نادر كورث يرث و جاء أيضا وبق يوبق وبقا. و الغرور بضم الغين ما يغتر به من متاع الدنيا و الغرور بالفتح الشيطان و الحائل الزائل و الآفل الغائب أفل غاب يأفل و يأفل أفولا. و السناد دعامة يسند بها السقف و ناكرها فاعل من نكرت كذا أي أنكرته. و قمصت بأرجلها قمص الفرس و غيره يقمص و يقمص قمصا و قماصا أي استن و هو أن يرفع يديه و يطرحهما معا و يعجن برجليه و في المثل المضروب لمن ذل بعد عزة ما لعير من قماص. و جمع فقال بأرجلها و إنما للدابة رجلان إما لأن المثنى قد يطلق عليه صيغة الجمع كما في قولهم امرأة ذات أوراك و مآكم و هما وركان و إما لأنه أجرى اليدين و الرجلين مجرى واحد فسمها كلها أرجلا و من رواه بالحاء فهو جمع رحل الناقة. و أقصدت قتلت مكانها من غير تأخير.

و الأوهاق جمع وهق بالتحريك و هو الحبل و قد يسكن مثل نهر و نهر و أعلقت المرء الأوهاق جعلت الأوهاق عالقة به و الضنك الضيق.و المضجع المصدر أو المكان و الفعل ضجع الرجل جنبه بالأرض بالفتح يضجع ضجوعا و ضجعا فهو ضاجع و مثله أضجع.و المرجع مصدر رجع و منه قوله تعالى (**ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ**) و هو شاذ لأن المصادر من فعل يفعل بكسر العين إنما يكون بالفتح.قوله و معاينة المحل أي الموضع الذي يحل به المكلف بعد الموت و لا بد لكل مكلف أن يعلم عقيب الموت مصيره أما إلى جنة و أما إلى نار.و قوله ثواب العمل يريد جزاء العمل و مراده الجزاء الأعم الشامل للسعادة و الشقاوة لا الجزاء الأخص الذي هو جزاء الطاعة و سمى الأعم ثوابا على أصل الحقيقة اللغوية لأن الثواب في اللغة الجزاء يقال قد أثنى فلان الشاعر لقصيدة كذا أي جازاه.و قوله و كذلك الخلف بعقب السلف الخلف المتأخرون و السلف المتقدمون و عقب هاهنا بالتسكين و هو بمعنى بعد جئت بعقب فلان أي بعده و أصله جري الفرس بعد جريه يقال لهذا الفرس عقب حسن و قال ابن السكيت يقال جئت في عقب شهر كذا بالضم إذا جئت بعد ما يمضي كله و جئت في عقب بكسر القاف إذا جئت و قد بقيت منه بقية و قد روي يعقب السلف أي يتبع.و قوله لا تقلع المنية أي لا تكف و الاخترام إذهاب الأنفس و استئصالها.

و ارعوى كف عن الأمر و أمسك و أصل فعله الماضي رعى يرعى أي كف عن الأمر و فلان حسن الرعوة و الرعوة و الرعوى و الارعواء و الاجترام افتعال من الجرم و هو الذنب و مثله الجريمة يقال جرم و أجرم بمعنى. قوله يحتذون مثالا أي يقتدون و أصله من حذوت النعل بالنعل حذوا إذا قدرت كل واحدة على صاحبها. قوله و يمضون أرسالا بفتح الهمزة جمع رسل بفتح السين و هو القطيع من الإبل أو الغنم يقال جاءت الخيل أرسالا أي قطيعا قطيعا. و صيور الأمر آخره و ما يؤول إليه : حَتَّى إِذَا تَصَرَّمتِ الْأُمُورُ وَ تَقَضَّتِ الدُّهُورُ وَ أَرَفَ النَّشُورُ أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ الْقُبُورِ وَ أَوْكَارِ الطُّيُورِ وَ أَوْجِرَةِ السَّبَاعِ وَ مَطَارِحِ الْمَهَالِكِ سِرَاعاً إِلَى أَمْرِهِ مُهْطِعِينَ إِلَى مَعَادِهِ رَعِيلاً صُمُوتاً قِيَاماً صُفُوفاً يَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ وَ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي عَلَيْهِمْ لَبُوسِ الْإِسْتِكَانَةِ وَ ضَرَعِ الْإِسْتِسْلَامِ وَ الدَّلَّةِ قَدْ ضَلَّتِ الْحَيْلُ وَ انْقَطَعَ الْأَمَلُ وَ هَوَتْ الْأَفئِدَةُ كَاظِمَةً وَ خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ مُهَيَّئَةً وَ الْجَمَّ الْعَرَقُ وَ عَظُمَ الشَّقَقُ وَ أُرْعِدَتِ الْأَسْمَاعُ لِزُبْرَةِ الدَّاعِي إِلَى فَصْلِ الْخُطَابِ وَ مُقَايَصَةِ الْجَزَاءِ وَ نَكَالِ الْعِقَابِ وَ نَوَالِ الثَّوَابِ

تصرمت الأمور تقطعت و مثله تقضت الدهور و أزف قرب و دنا يأزف أزفا و منه قوله تعالى
(أَزِفَتْ الْأَزِفَةُ) أي القيامة الفاعل أزف. و الضرائح جمع ضريح و هو الشق في وسط القبر و
للحد ما كان في جانب القبر و ضرحت ضرحا إذا حفرت الضريح. و الأوكار جمع وكر يفتح الواو
و هو عش الطائر و جمع الكثرة و كور وكر الطائر يكر و كرا أي دخل و كره و الوكن بالفتح مثل
الوكر أي العش. و أوجرة السباع جمع و جار بكسر الواو و يجوز فتحها و هو بيت السبع و الضبع
و نحوهما. مهطعين مسرعين و الرعيل القطعة من الخيل. قوله ع ينفذهم البصر و يسمعهم الداعي
أي هم مع كثرتهم لا يخفى منهم أحد عن إدراك البارئ سبحانه و هم مع هذه الكثرة أيضا لا
يبقى منهم أحد إلا إذا دعا داعي الموت سمع دعاءه و ندائه. و اللبوس بفتح اللام ما يلبس قال
السب لكل حالة لبوسها إما نعيمها و إما بوسها
و منه قوله تعالى (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ) يعني الدروع. و الاستكانة الخضوع و
الضرع الخضوع و الضعف ضرع الرجل يضرع و أضرعه غيره. و كاظمته ساكته كظم يكظم كظوما
أي سكت و قوم كظم أي ساكتون.

و مهينة ذات هينة و هي الصوت الخفي و أجم العرق صار لجاما، و في الحديث إن العرق
ليجري منهم حتى إن منهم من يبلغ ركبتيه و منهم من يبلغ صدره و منهم من يبلغ عنقه و منهم
من يلجمه و هم أعظمهم مشقة. و قال لي قائل ما أرى لقوله ع المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم
القيامة كثير فائدة لأن طول العنق جدا ليس مما يرغب في مثله فذكرت له الخبر الوارد في العرق و
قلت إذا كان الإنسان شديد طول العنق كان عن إجم العرق أبعد فظهرت فائدة الخبر. و يروى و
أنجم العرق أي كثر و دام. و الشفق و الشفقة بمعنى و هو الاسم من الإشفاق و هو الخوف و
الحذر قال الشاعر

تهوى حياتي و أهوى موتها شفقاً و الموت أكرم نزال على الحرم
و أرعدت الأسماع عرثها الرعدة و زبرة الداعي صدته و لا يقال الصوت زبرة إلا إذا خالطه
زجر و انتهار زبرته أزره بالضم. و قوله إلى فصل الخطاب إلى هاهنا يتعلق بالداعي و فصل
الخطاب بت الحكومة التي بين الله و بين عباده في الموقف رزقنا الله المسامحة فيها بمنه و إنما خص
الأسماع بالرعدة لأنها تحدث من صوت الملك الذي يدعو الناس إلى محاسبته. و المقايضة المعاوضة
قايضت زيدا بالمتاع و هما قيطان كما قالوا يبعان. فإن قلت كيف يصح ما ذكره المسلمون من
حشر الأجساد و كيف يمكن ما أشار إليه ع من جمع الأجزاء البدنية من أوكار الطيور و أوجرة
السباع و معلوم أنه قد يأكل الإنسان سبع و يأكل ذلك السبع إنسان آخر و يأكل هذا الإنسان
طائر ثم يأكل الطائر إنسان آخر و المأكول يصير أجزاء من أجزاء بدن الآكل فإذا حشرت

الحيوانات كلها على ما تزعم المعتزلة فتلك الأجزاء المفروضة إما أن تحشر أجزاء من بنية الإنسان أو بنية السبع أو منهما معا فإن كان الأول وجب إلا يحشر السبع وإن كان الثاني وجب ألا يحشر الإنسان والثالث محال عقلا لأن الجزء الواحد لا يكون في موضعين. قلت إن في بدن كل إنسان و كل حيوان أجزاء أصلية و أجزاء زائدة فالأجزاء الزائدة يمكن أن تصير أجزاء بدن حيوان إذا اغتذى بها و الأجزاء الأصلية لا يمكن ذلك فيها بل يحرسها الله تعالى من الاستحالة و التغيير و إذا كان كذلك أمكن الحشر بأن تعاد الأجزاء الأصلية إلى موضعها الأول و لا فساد في استحالة الأجزاء الزائدة لأنه لا يجب حشرها لأنها ليست أصل بنية المكلف فاندفع الأشكال و أما من يقول بالنفس الناطقة من أهل الملة فلا يلزمه الجواب عن السؤال لأنه يقول إن الأنفس إذا أزف يوم القيامة خلقت لها أبدان غير الأبدان الأولى لأن المكلف المطيع و العاصي المستحق للشواب و العقاب عندهم هو النفس و أما البدن فآلة لها نستعمله استعمال الكاتب للقلم و النجار للفأس : عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ إِقْتِدَاراً وَ مَرْبُوبُونَ إِقْتِسَاراً وَ مَقْبُوضُونَ إِحْتِضَاراً وَ مُضَمَّنُونَ مُضَمَّنُونَ أَجْدَاناً وَ كَائِنُونَ زُفَاتاً وَ مَبْعُوثُونَ أَفْرَاداً وَ مَدِينُونَ جَزَاءً وَ مُمَيَّزُونَ حِسَاباً قَدْ أُمِّهَلُوا فِي طَلَبِ الْمَخْرَجِ وَ هُدُوا سَبِيلَ الْمَنْهَجِ وَ عُمِّرُوا مَهَلِ الْمُسْتَعْتَبِ وَ كُشِفَتْ عَنْهُمْ سُدُفُ الرِّيبِ وَ خُلُوا لِمِضْمَارِ الْحَيَادِ [الْحَيَارِ] وَ رَوِيَّةِ الْإِرْتِيَادِ وَ أَنَاةِ الْمُفْتَنِّيسِ [الْمُفْتَنِّينَ] [الْمُتَّقِينَ] فِي مُدَّةِ الْأَجَلِ وَ مُضْطَرَبِ الْمَهَلِ

مربوبون مملوكون و الاقتسار الغلبة و القهر. و الاحتضار حضور الملائكة عند الميت و هو حينئذ محتضر و كانت العرب تقول لبن محتضر أي فاسد ذو آفة يعنون أن الجن حضرته يقال اللبن محتضر فغط إناءك. و الأجداث جمع جدث و هو القبر و اجتدث الرجل اتخذ جدثا و يقال جدف بالفاء. و الرفات الحطام تقول منه رفت الشيء فهو مرفوت. و مدينون أي مجزيون و الدين الجزاء و منه (مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ). و يميزون حسابا من قوله تعالى (وَإِمْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ) و من قوله تعالى (وَ كُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً) كما أن قوله و مبعوثون أفرادا مأخوذ من قوله تعالى (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى) و أصل التمييز على الفصل و التبيين. قوله قد أمهلوا في طلب المخرج أي انظروا ليفيئوا إلى الطاعة و يخلصوا التوبة لأن إخلاص التوبة هو المخرج الذي من سلكه خرج من ربة المعصية و مثله قوله و هدوا سبيل المنهج و المنهج الطريق الواضح. و المستعتب المسترضى استعبت زيدا إذا استرضيته عني فأنا مستعتب له و هو مستعتب و أعتبني أي أرضاني و إنما ضرب المثل بمهل المستعتب لأن من يطلب رضاه في مجرى العادة لا يرهق بالتماس الرضا منه و إنما يمهل ليرضى بقلبه لا بلسانه. و السدف جمع سدفة هي القطعة من الليل المظلم هذا في لغة أهل نجد و أما غيرهم

فجعل السدفة الضوء و هذا اللفظ من الأضداد و كذلك السدف بفتح السين و الدال. و قد قيل السدفة اختلاط الضوء و الظلمة كوقت ما بين طلوع الفجر إلى الإسفار و السدف الصبح و إقباله و أسدف الليل أظلم و أسدف الصبح أضاء يقال أسدف الباب أي افتحه حتى يضيء البيت و في لغة هوازن أسدفا أي أسرجوا من السراج و الريب الشبهة جمع ريبة. و المضمار الموضع الذي تضر فيه الخيل و المضمار أيضا المدة التي تضر فيها. و التضمير أن تعلف الفرس حتى يسمن ثم ترده إلى قوته الأولى و ذلك في أربعين يوما و قد يطلق التضمير على نقيض ذلك و هو التجويع حتى يهزل و يخف لحمه ضم الفرس بالفتح يضر بالضم ضمورا و جاء ضم الفرس بالضم و أضمرته أنا و ضمرته فاضطر هو و لؤلؤ مضطر في وسطه بعض الانضمام رجل لطيف الجسم ضمير البطن و ناقة ضامر و ضامرة أيضا يقول مكنهم الحكيم سبحانه و خلاهم و أعمالهم كما تمكن الخيل التي تستبق في المضمار ليعلم أيها أسبق. و الروية الفكرة و الارتياح الطلب ارتاد فلان الكأ يرتاده ارتيادا طلبه و مثله راد الكأ يروده رودا و ريادا

و في الحديث إذا بال أحدكم فليترد لبوله أي فليطلب مكانا لنا أو منحدرًا و الرائد الذي يرسله القوم في طلب الكأ و في المثل الرائد لا يكذب أهله و الأناة التؤدة و الانتظار مثل القناة. و تأنى في الأمر ترفق و استأنى فلان بفلان أي انتظر به و جاء الأناة بالفتح و المد على فعال قال الحطيئة

و أكريت العشاء إلى سهيل أو الشعرى فطال بي الأناة
و المقتبس متعلم العلم هاهنا و لا بد له من أناة و مهل ليلغ حاجته فضره مثلا و جاء

في بعض الروايات و مقبوضون اختصارا بالخاء المعجمة و هو موت الشاب غضاً أخضر أي مات شاباً و كان فتیان يقولون لشيخ أ جززت يا أبا فلان فيقول أي بني و تختضرون أجز الحشيش أن أن يجز و منه قيل للشيخ كاد يموت قد أجز و الرواية الأولى أحسن لأنها أعم. و في رواية لمضمار الخيار أي للمضمار الذي يستبق فيه الأبرار الأتقياء إلى رضوان الله سبحانه : فَيَا هَـأُمَثَالاً صَائِبَةً وَ مَوَاعِظَ شَافِيَةً لَوْ صَادَقَتْ قُلُوباً زَاكِيَةً وَ أَسْمَاعاً وَاعِيَةً وَ آرَاءَ عَازِمَةً وَ أَلْبَاباً حَازِمَةً فَأَتَقُوا اللَّهَ تَقِيَّةً مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ وَ اقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ وَ وَجَلَ فَعَمِلَ وَ حَادَرَ فَبَادَرَ وَ أَيْقَنَ فَأَحْسَنَ وَ غَبَرَ فَاغْتَبَرَ وَ حَذَرَ فَحَذَرَ وَ زَجَرَ فَازْدَجَرَ وَ أَجَابَ فَأَنَابَ وَ رَاجَعَ [رَجَعَ] فَتَابَ وَ اقْتَدَى فَاحْتَدَى وَ أُرِيَ فَرَأَى فَاسْرَعَ طَالِباً وَ نَجَا هَارِباً فَأَفَادَ دَخِيرَةً وَ أَطَابَ سَرِيرَةً وَ عَمَّرَ مَعَاداً وَ اسْتَظْهَرَ زَاداً لِيَوْمِ رَحِيلِهِ وَ وَجَّهَ سَبِيلَهُ وَ حَالَ حَاجَتِهِ وَ مَوْطِنَ فِائْتِهِ وَ قَدَّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مُقَامِهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ جِهَةً مَا خَلَقَكُمْ لَهُ وَ اخْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ مَا حَذَرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ وَ اسْتَجِفُّوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّانِجُزِ لِصِدْقِ مِيعَادِهِ وَ الْخَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعَادِهِ صَائِبَةٍ غَيْرِ عَادِلَةٍ عَنِ الصَّوَابِ صَابِ السَّهْمِ يَصُوبُ صُوبَةَ أَيِّ قِصْدٍ وَ لَمْ يَجِرْ

و صاب السهم القرطاس يصيبه صبيا لغة في أصابه و في المثل مع الخواطي سهم صائب. و شافية تبرئ من مرض الجهل و الهوى و القلوب الزاكية الطاهرة و الأسماع الواعية الحافظة و الآراء العازمة ذات العزم و الألباب العقول و الحازمة ذات الحزم و الحزم ضبط الرجل أمره. و خشع الرجل أي خضع و اقترف اكتسب و مثله قرف يقرف بالكسر يقال هو يقرف لعياله أي يكسب. و وجل الرجل خاف وجلا بفتح الجيم و مستقبلة يوجل و يأجل و ييجل و ييجل بكسر الياء المضارعة. و بادر سارع و عبر أي أري العبر مرارا كثيرة لأن التشديد هاهنا دليل التكثر. فاعتبر أي فاتعظ و الزجر النهي و المنع زجر أي منع و ازدجر مطاوع ازدجر اللفظ فيهما واحد تقول ازدجرت زيدا عن كذا فازدجر هو و هذا غريب و إنما جاء مطاوع ازدجر في زجر لأنهما كالشيء الواحد و في بعض الروايات ازدجر فازدجر فلا يحتاج مع هذه الرواية إلى تأويل. و أناب الرجل إلى الله أي أقبل و تاب و اقتدى بزيد فعل مثل فعله و احتذى مثله. قوله ع فأفاد ذخيرة أي فاستفاد و هو من الأضداد أفدت المال زيدا أعطيته إياه و أفدت أنا مالا أي استفدته و اكتسبته. قوله ع فاتقوا الله عباد الله جهة ما خلقكم له نصب جهة بفعل مقدر تقديره و اقصدوا جهة ما خلقكم له يعني العبادة لأنه تعالى قال (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) فحذف الفعل و استغنى عنه بقوله فَاتَّقُوا اللَّهَ لأن التقوى

ملازمة لقصد المكلف العبادة فدلّت عليه و استغنى بها عن إظهاره. و الكنه الغاية و النهاية تقول
أعرفه كنه المعرفة أي نهايتها. ثم قال ع و استحقوا منه ما أعد لكم أي اجعلوا أنفسكم مستحقين
لثوابه الذي أعدّه لكم إن أطعتم. و الباء في بالتنجز متعلق باستحقوا و يقال فلان يتنجز الحاجة
أي يستنجحها و يطلب تعجلها و الناجز العاجل يقال ناجزا بناجز كقولك يدا بيد أي تعجيلا
بتعجيل و التنجز من المكلفين بصدق ميعاد القديم سبحانه و هو مواظبتهم على فعل الواجب و
تجنب القبيح و و الحذر مجرور بالعطف على التنجز لا على الصدق لأنه لا معنى له : و مِنْهَا
جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاءً لِّتَعْلَمَ مَا عَنَّا وَ أَبْصَاراً لِّتَجْلُوَ عَنْ عَشَاهَا وَ أَشْلَاءَ جَامِعَةً لِأَعْضَائِهَا مُلَائِمَةً
لِأَخْنَائِهَا فِي تَرْكِيبِ صُورِهَا وَ مُدَدِ عُمرِهَا بِأَبْدَانٍ فَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا وَ قُلُوبٍ رَّائِدَةٍ [بَائِدَةٍ] لِأَرْزَاقِهَا
فِي مُجَلَّلَاتِ نِعَمِهِ وَ مُوجِبَاتِ مَنِّهِ وَ حَوَاجِرِ [جَوَائِزِ] عَافِيَتِهِ وَ قَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَاراً سَتَرَهَا عَنْكُمْ وَ
خَلَّفَ لَكُمْ عِبراً مِنْ آثَارِ الْمَاضِينَ قَبْلَكُمْ مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلَائِفِهِمْ وَ مُسْتَفْسَحِ خَنَاقِهِمْ أَرْهَقَتْهُمْ
الْمَنَآيَا دُونَ الْأَمَالِ وَ شَدَّبَتْهُمْ عَنْهَا تَحَرُّمُ الْأَجَالِ لَمْ يَمْهَدُوا فِي سَلَامَةِ الْأَبْدَانِ وَ لَمْ يَعْتَبِرُوا فِي أَنْفِ
الْأَوَانِ

قوله لتعي ما عناها أي لتحفظ و تفهم ما أهمها
و منه الأثر المرفوع من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه. و لتجلو أي لتكشف. و عن هاهنا
زائدة و يجوز أن تكون بمعنى بعد كما قال

لقحت حرب وائل عن حيال

أي بعد حيال فيكون قد حذف المفعول و حذفه جائز لأنه فضله و يكون التقدير لتجلو
الأذى بعد عشاها و العشى مقصور مصدر عشي بكسر الشين يعشى فهو عش إذا أبصر نهارا و
لم يبصر ليلا. و الأشلاء جمع شلو و هو العضو. فإن قلت فأى معنى في قوله أعضاء تجمع أعضاء
تجمع أعضاءها و كيف يجمع الشيء نفسه قلت أراد ع بالأشلاء هاهنا الأعضاء الظاهرة و
بالأعضاء الجوارح الباطنة و لا ريب أن الأعضاء الظاهرة تجمع الأعضاء الباطنة و تضمها و
الملاءمة الموافقة و الأحناء الجوانب و الجهات و وجه الموافقة و الملاءمة أن كون اليد في الجانب
أولى من كونها في الرأس أو في أسفل القدم لأنها إذا كانت في الجانب كان البطش و تناول ما يراد
و دفع ما يؤذى أسهل و كذلك القول في جعل العين في الموضع الذي جعلت به لأنها كديديبان
السفينة البحرية و لو جعلت في أم الرأس لم ينتفع بها هذا الحد من الانتفاع الآن و إذا تأملت
سائر أدوات الجسد و أعضائه وجدتها كذلك.

ثم قال في تركيب صورها كأنه قال مركبة أو مصورة فأتى بلفظه في كما تقول ركب بسلاحه و في سلاحه أي متسلحاً. و قوله بأرفاقها أي بمنافعها جمع رفق بكسر الراء مثل حمل و أحمال و أرفقت فلانا أي نفعته و المرفق من الأمر ما ارتفعت به و انتفعت و يروى بأرماقها و الرmq بقية الروح. و رائدة طالبة و مجلات النعم تحلل الناس أي تعمهم من قولهم سحاب مجلل أي يطبق الأرض و هذا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف كقولك أنا في سابغ ظلك و عميم فضلك كأنه قال في نعمه المجللة و كذلك القول في موجبات مننه أي في مننه التي توجب الشكر. و في هاهنا متعلقة بمحذوف و الموضع نصب على الحال. ثم قال و حواجز عافيته الحواجز الموانع أي في عافية تحجز و تمنع عنكم المضار. و يروى و حواجز بليته و قد فسر قوله حواجز عافيته على أن يراد به ما يحجز العافية و يمنعها عن الزوال و العدم. قوله ع من مستمتع خلاقهم الخلاق النصيب قال تعالى (وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ) و قال تعالى (فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ) و تقدير الكلام خلف لكم عبرا من القرون السالفة منها تمتعهم بنصيبهم من الدنيا ثم فناؤهم و منها فسحة خناقهم و طول إمهالهم ثم كانت عاقبتهم الهلكة. و أرهقتهم المنايا أدركتهم مسرعة.

و المرهق الذي أدرك ليقتل و شذبه عندها قطعهم و فرقه من تشذيب الشجرة و هو
تقشيرها. و تحرمت زيدا المنية استأصلته و اقتطعته. ثم قال لم يمهّدوا في سلامة الأبدان أي لم يمهّدوا
لأنفسهم من تمهيد الأمور و هو تسويتها و إصلاحها. و أنف الأوان أوله يقال روضة أنف لم ترع
قبل و كأس أنف لم يشرب بها قبل : فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَاضَةِ الشَّيْبَابِ إِلَّا حَوَالِيَ الْهَرَمِ وَ أَهْلُ
عَضَاوَةِ الصَّحَّةِ إِلَّا نَوَازِلَ السَّتَمِ وَ أَهْلُ مُدَّةِ الْبَقَاءِ إِلَّا آوَنَةَ [أَوْبَةَ] الْفَنَاءِ مَعَ قُرْبِ الزَّيَالِ [الزَّوَالِ
[وَ أَزُوفِ الْإِنْتِقَالِ وَ عُلَزِ الْقَلَقِ وَ أَلَمِ الْمَضَضِ وَ عُصَصِ الْجَرَضِ وَ تَلْقُتِ الْإِسْتِعَاثَةَ بِبُصْرَةِ
الْحَفْدَةِ وَ الْأَقْرِبَاءِ وَ الْأَعْرَةِ وَ الْقُرْنَاءِ فَهَلْ دَفَعَتِ الْأَقَارِبُ أَوْ نَفَعَتِ النَّوَاحِبُ وَ قَدْ غُوِِدِرَ فِي مُحَلَّةِ
الْأَمْوَاتِ رَهِينًا وَ فِي ضَيْقِ الْمَضْجَعِ وَحِيدًا قَدْ هَتَكَتِ أَهْوَاؤُهَا جِلْدَتَهُ وَ أَبْلَتِ النَّوَاهِلُ جِدَّتَهُ وَ
عَفَّتِ الْعَوَاصِفُ آثَارَهُ وَ نَحَا الْحَدَثَانُ مَعَالِمَهُ وَ صَارَتِ الْأَجْسَادُ شَجَبَةً بَعْدَ بَضْيَتِهَا وَ الْعِظَامُ نَحْرَةً
بَعْدَ قُوَّتِهَا وَ الْأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةً بِثِقَلِ أَعْبَائِهَا مُوقِنَةً بِغَيْبِ أَنْبَائِهَا لَا تُسْتَرَادُّ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا وَ لَا
تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّئِ زَلِيلِهَا

البضاضة مصدر من بضضت يا رجل بضضت بالفتح و الكسر بضاضة و بضوضة و رجل
بض أي ممتلئ البدن رقيق الجلد و امرأة بضة. و حواني الهرم جمع حانية و هي العلة التي تحني
شطاط الجسد و تميله عن الاستقامة. و الهرم الكبر و الغضارة طيب العيش و منه المثل أباد الله
غضراءهم أي خيرهم و خصبهم. و آونة الفناء جمع أوان و هو الحين كزمان و أزمنة و فلان يصنع
ذلك الأمر آونة كقولك تارات أي يصنعه مرارا و يدعه مرارا. و الزيال مصدر زايله مزايلة و زياالا
أي فارقه. و الأزوف مصدر أزف أي دنا. و العلز قلق و خفة و هلع يصيب الإنسان و قد علز
بالكسر و بات علزا أي وجعا قلقا و المضض الوجع أمضني الجرح و مضني لغتان و قد مضضت
يا رجل بالكسر. و الغصص جمع غصة و هي الشجا و الغصص بالفتح مصدر قولك غصصت
يا رجل تغص بالطعام فأنت غاص و غصان و أغصصته أنا. و الجريض الريق يغص به جرض بريقه
بالفتح يجرض بالكسر مثل كسر يكسر و هو أن يبلع ريقه على هم و حزن بالجهد و الجريض
الغصة و في المثل حال

الجريض دون القريض و فلان يجرض بنفسه إذا كان يموت و أجرضه الله بريقه أغصه. و الحفدة
الأعوان و الخدم و قيل ولد الولد واحدهم حافد و الباء في بنصرة الحفدة متعلق بالاستعانة يقول
إن الميت عند نزول الأمر به يتلفت مستغيثا بنصرة أهله و ولده أي يستنصر يستصرخ بهم. و
النواحب جمع ناحية و هي الرافعة صوتها بالبكاء و يروى النوادب. و الهوام جمع هامة و هي ما
يخاف ضرره من الأحناش كالعقارب و العناكب و نحوها و النواهل جمع ناهكة و هي ما ينهك
البدن أي يبلية. و عفت درست و يروى بالتشديد و شحبة هالكة و الشحب الهلاك شحب
الرجل بالكسر يشحب و جاء شحب بالفتح يشحب بالضم أي هلك و شحبة الله يشحبه
يتعدى و لا يتعدى. و نخرة بالية و الأعباء الأثقال واحدها عبء. و قال موقنة غيب أنبائها لأن
الميت يعلم بعد موته ما يصير إليه حاله من جنة أو نار. ثم قال إنها لا تكلف بعد ذلك زيادة في
العمل الصالح و لا يطلب منها التوبة من العمل القبيح لأن التكليف قد بطل : أ وَ كَسْتُمْ أَبْنَاءَ
الْقَوْمِ وَ الْأَبَاءَ وَ إِخْوَانَهُمْ وَ الْأَقْرَبَاءَ تَحْتَدُونَ أَمْثَلَتْهُمْ وَ تَرَكِبُونَ قِدَّتَهُمْ وَ تَطْفُونَ جَادَّتَهُمْ فَأَلْقُوبُ
فَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا لَاهِيَةٌ عَنْ رُشْدِهَا

سَالِكَةً فِي غَيْرِ مَضْمَارِهَا كَأَنَّ الْمَعْنَى سِوَاهَا وَكَأَنَّ الرُّشْدَ فِي إِخْرَازِ دُنْيَاهَا الْقَدَةُ بِالذَّالِ الْمَهْمَلَةِ
وَبِكْسَرِ الْقَافِ الطَّرِيقَةَ وَيُقَالُ لِكُلِّ فِرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ إِذَا كَانَتْ ذَاتَ هَوًى عَلَى حِدَةٍ قَدَةٍ وَمِنْهُ
قَوْلُهُ تَعَالَى (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا) وَمِنْ رَوَاهُ وَيُرَكَّبُونَ قَدَتَهُم بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ وَضَمَّ الْقَافِ أَرَادَ
الْوَحْدَةَ مِنْ قَدَزِ السَّهْمِ وَهِيَ رِيْشَةُ يُقَالُ حَذَوُ الْقَدَةِ بِالْقَدَةِ وَيَكُونُ مَعْنَى وَتُرَكَّبُونَ قَدَتَهُم
تَقْتَفُونَ آثَارَهُمْ وَتَشَابِهُونَ بِهِمْ فِي أَعْمَالِهِمْ. ثُمَّ قَالَ وَتَطْتُونَ جَادَتَهُمْ وَهَذِهِ لَفْظَةٌ فَصِيحَةٌ جَدًّا. ثُمَّ
ذَكَرَ قِسَاوَةَ الْقُلُوبِ وَضَلَالَهَا عَنْ رَشْدِهَا وَقَالَ كَأَنَّ الْمَعْنَى سِوَاهَا

هَذَا مِثْلُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كَتَبَ وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجِبَ :
وَاعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ [الصِّرَاطِ] وَمَزَالِي دَحْضِهِ وَأَهَاوِيلَ زَلَّيْهِ وَتَارَاتِ أَهْوَالِهِ فَاتَّقُوا
اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَعَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبُهُ وَأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ وَأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ وَ
أَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ وَظَلَفَ الرُّهْدُ شَهَوَاتِهِ

وَأَوْجَفَ الذِّكْرُ بِلِسَانِهِ وَ قَدَّمَ الْخَوْفَ لِأَمَانِهِ [أَبَانُهُ] وَ تَنَكَّبَ الْمَحَالِجَ عَنْ وَضَحِ السَّبِيلِ وَ سَلَكَ أَفْصَدَ الْمَسَالِكِ إِلَى النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ وَ لَمْ تَفْتِلْهُ فَاتِلَاتُ الْعُرُورِ وَ لَمْ تَعَمْ عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ الْأُمُورِ ظَافِرًا بِفَرَحَةِ الْبُشْرَى وَ رَاحَةَ النُّعْمَى فِي أَنْعَمِ نَوْمِهِ وَ آمَنَ يَوْمِهِ قَدْ عَبَّرَ الْعَاجِلَةَ حَمِيدًا وَ قَدَّمَ زَادَ [ذَاتَ] الْأَجَلَةِ سَعِيدًا وَ بَادَرَ عَنْ وَجَلٍ وَ أَكْمَشَ فِي مَهَلٍ وَ رَغِبَ فِي طَلَبٍ وَ ذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ وَ رَاقَبَ فِي يَوْمِهِ غَدَهُ وَ رُبَّمَا نَظَرَ قُدَمَاءَ أَمَامَهُ فَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَابًا وَ نَوَالًا وَ كَفَى بِالنَّارِ عِقَابًا وَ وَبَالَأَ وَ كَفَى بِاللَّهِ مُنْتَقِمًا وَ نَصِيرًا وَ كَفَى بِالْكِتَابِ حَاجِبًا وَ خَصِيمًا وَ قَالَ أَصْحَابُنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى الصِّرَاطُ الْوَارِدُ ذَكَرَهُ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ هُوَ الطَّرِيقُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ وَ لِأَهْلِ النَّارِ إِلَى النَّارِ بَعْدَ الْحَاسِبَةِ قَالُوا لِأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ مَرُّهُمْ عَلَى بَابِ النَّارِ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عَدَلَ بِهِ إِلَيْهَا وَ قَذَفَ فِيهَا وَ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَرَّ بِالنَّارِ مَرُّوًا نَجَا مِنْهَا إِلَى الْجَنَّةِ وَ هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) لِأَنَّ وَرُودَهَا هُوَ الْقَرَبُ مِنْهَا وَ الدُّنُو إِلَيْهَا وَ قَدْ دَلَّ الْقُرْآنُ عَلَى سُورٍ مَضْرُوبٍ بَيْنَ مَكَانِ النَّارِ وَ بَيْنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي يَجْتَازُونَ مِنْهُ إِلَى الْجَنَّةِ فِي قَوْلِهِ (فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ يَسُورَ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَ ظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) .

قالوا و لا يصح ما روي في بعض الأخبار أن الصراط أدق من الشعر و أحد من السيف و أن المؤمن يقطعه كمرور البرق الخاطف و الكافر يمشي عليه حبوا و أنه ينتفض بالذين عليه حتى تترايل مفاصلهم قالوا لأن مثل ذلك لا يكون طريقا للمشاي و لا يتمكن من المشي عليه و لو أمكن لم يصح التكليف في الآخرة ليؤمر العقلاء بالمرور عليه على وجه التعبد. ثم سأل أصحابنا أنفسهم فقالوا أي فائدة في عمل هذا السور و أي فائدة في كون الطريق الذي هو الصراط منتهيا إلى باب النار منفرجا منها إلى الجنة أ لستم تعللون أفعال البارئ تعالى بالمصالح و الآخرة ليست دار تكليف ليفعل فيها هذه الأفعال للمصالح. و أجابوا بأن شعور المكلفين في الدنيا بهذه الأشياء مصالح لهم و الطاف في الواجبات العقلية فإذا أعلم المكلفون بها وجب إيقاعها على حسب ما وعدوا و أخبروا به لأن الله صادق لا خلف في إخباره. و عندي أنه لا يمتنع أن يكون الصراط على ما وردت به الأخبار و لا مانع من ذلك قولهم لا يكون طريقا للمشاي و لا يتمكن من المشي عليه مسلم و لكن لم لا يجوز أن يكون في جعله على هذا الوجه و الإخبار عن كيفيته هذه مصلحة للمكلفين في الدنيا و ليس عدم تمكن الإنسان من المشي عليه بمانع من إيقاعه على هذا الوجه لأن المراد من هذا و أمثاله هو التخويف و الزجر. و أما قولهم الآخرة ليست دار تكليف فلقائل أن يقول لهم لم قلتم إنه تكليف و لم لا يجوز أن يكون المكلفون مضطرين إلى سلوكه اضطرارا فالمؤمن يخلق الله فيه الثبات و السكينة و الحركة السريعة فينجو و يسلم و الكافر يخلق فيه ضد ذلك فيهوي و يعطب و لا مانع من ذلك.

يقال مكان دحض و دحض بالتحريك أي زلق و أدحضته أنا أزلقته فدحض هو. و الأهاويل الأمور المفزعة و تارات أهواله كقوله دفعات أهواله و إنما جعل أهواله تارات لأن الأمور الهائلة إذا استمرت لم تكن في الإزعاج و الترويع كما تكون إذا طرأت تارة و سكنت تارة. و انصب الخوف بدنه أتعب و النصب التعب و التهجد هنا صلاة الليل و أصله السهر و قد جاء التهجد بمعنى النوم أيضا و هو من الأضداد. الغرار قلة النوم و أصله قلة لبن الناقة و يقال غارت الناقة تغار غرارا قل لبنها. فإن قلت كيف توصف قلة النوم بالسهر و إنما يوصف بالسهر الإنسان نفسه قلت هذا من مجازات كلامهم كقولهم ليل ساهر و ليل نائم. و الهواجر جمع هاجرة و هي نصف النهار عند اشتداد الحر يقال قد هجر النهار و أتينا أهلنا مهجرين أي سائرين في الهاجرة. و ظلف منع و ظلقت نفس فلان بالكسر عن كذا أي كفت. و أوجف أسرع كأنه جعل الذكر لشدة تحريكه اللسان موجفا به كما توجف الناقة براكبها و الوجيف ضرب من السير. ثم قال و قدم الخوف لأمانه اللام هاهنا لام التعليل أي قدم خوفه ليأمن و المخالجات الأمور المختلجة أي الجاذبة خلجه و اختلجه أي جذبه. و أقصد المسالك أقومها و طريق قاصد أي مستقيم. و فتلته عن كذا أي رده و صرفه و هو قلب لفت. و يروى قد عبر معبر العاجلة حميدا و قدم زاد الآجلة سعيدا.

و أكمش أسرع و مثله انكمش و رجل كمش أي سريع و قد كمش بالضم كماشة فهو كمش
و كمش و كمشته تكميشا أعجلته. قوله و رغب في طلب و ذهب عن هرب أي و رغب فيما
يطلب مثله و فر عما يهرب من مثله فأقام المصدر مقام ذي المصدر. و نظر قدما أمامه أي و
نظر ما بين يديه مقدما لم ينثن و لم يعرج و الدال مضمومة هاهنا. قال الشاعر يذم امرأة
تمضي إذا زجرت عن سوءة قدما كأنها هدم في الجفر منقاض
و من رواه بالتسكين جاز أن يعنى به هذا و يكون قد خفف كما قالوا حلم و حلم. و جاز أن
يجعله مصدرا من قدم الرجل بالفتح يقدم قدما أي تقدم قال الله تعالى (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ) أي يتقدمهم إلى ورودها كأنه قال و نظر بين يديه متقدما لغيره و سابقا إياه إلى ذلك
و الباء في بالجنة و بالنار و بالله و بالكتاب زائدة و التقدير كفى الله و كفى الكتاب

أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَعَذَرَ بِمَا أُنذَرَ وَاحْتَجَّ بِمَا نَهَجَ وَحَذَّرَكُمْ عَدُوًّا نَفَذَ فِي الصُّدُورِ
خَفِيًّا وَنَفَثَ فِي الْأَذَانِ نَجِيًّا فَأُضِلَّ وَارْدَى وَوَعَدَ فَمَتَّى وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ [الْبَيِّنَاتِ] الْجَرَائِمِ وَهَوَّنَ
مُؤَبِّقَاتِ الْعَظَائِمِ حَتَّى إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتُهُ وَاسْتَغْلَقَ رَهِينَتُهُ أَنْكَرَ مَا زَيَّنَ وَاسْتَعْظَمَ مَا هَوَّنَ وَحَذَّرَ
مَا أَمَّنَ أَعَذَرَ بِمَا أُنذَرَ مَا هَاهُنَا مَصْدَرِيَّةٌ أَيْ أَعَذَرَ بِإِنْذَارِهِ وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى الَّذِي. وَ الْعَدُوُّ
الْمَذْكُورُ الشَّيْطَانُ. وَ قَوْلُهُ نَفَذَ فِي الصُّدُورِ وَ نَفَثَ فِي الْأَذَانِ كَلَامٌ صَحِيحٌ بَدِيعٌ وَ فِي قَوْلِهِ نَفَذَ فِي
الصُّدُورِ مَنَاسِبَةٌ

لَقَوْلِهِ ص الشَّيْطَانُ يَجْرِي مِنْ بَنِي آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ وَ النُّجَى الَّذِي يَسَارُهُ وَ الْجَمْعُ الْأَنْجِيَّةُ قَالَ
إِنِّي إِذَا مَا الْقَوْمُ كَانُوا أَنْجِيهِ
وَ قَدْ يَكُونُ النُّجَى جَمَاعَةً مِثْلَ الصَّدِيقِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (خَلَّصُوا نَجِيًّا) أَيْ مُتَنَاجِينَ. الْقَرِينَةُ
هَاهُنَا الْإِنْسَانُ الَّذِي قَارَنَهُ الشَّيْطَانُ وَ لَفْظُهُ لَفْظُ التَّأْنِيثِ وَ هُوَ مَذْكُورٌ أَرَادَ الْقَرِينَ قَالَ تَعَالَى
(فَبِئْسَ الْقَرِينُ) وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِالْقَرِينَةِ النَّفْسَ وَ يَكُونُ

الضمير عائدا إلى غير مذكور لفظا لما دل المعنى عليه لأن قوله فأضل و أردى و وعد فمى معناه أضل الإنسان و أردى و وعده فمى فالمفعول محذوف لفظا و إليه رجع الضمير على هذا الوجه و يقال غلق الرهن إذا لم يفتكه الراهن في الوقت المشروط فاستحقه المرتهن. و هذا الكلام مأخوذ من قوله تعالى (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَ لُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي) الآية : و منها في صفة خلق الإنسان أم هذا الذي أنشأه في ظلمات الأرحام و شغف الأستار نطفة دهاقا [دفاقا دهاقا] و علقه محاقا و جنيئا و راضعا و وليدا و يافعا ثم منحه قلبا حافظا و لسانا لأفظا و بصرا لأحظا ليفهم معتبرا و يقصر مزجرا حتى إذا قام اعتداله و استوى مثاله نقر مستكبرا و حبط سادرا ماتحا في غرب هواه كادحا سعيًا لدنياه في لذات طربه و بدوات أربه ثم لا يختسب رزيئة و لا يخشع تقيئة فمات في فتنته غريرا و عاش في هفوته يسيرا [أسيرا] لم يفد عوضا [غرضا] و لم يقض مفترضا دهمته فجعات المنية في غير [عبرة] جماحه و سنن مزاجه فظل سادرا و بات ساهرا في غمرات الألام و طوارق الأوجاع و الأسقام بين أخ شقيق و والد شقيق

و دَاعِيَةً بِالْوَيْلِ جَزَعًا وَ لَادِمَةً لِلصَّدْرِ فَلَقًا وَ الْمَرْءُ فِي سَكْرَةٍ مُلْهِنَةٍ وَ غَمْرَةٍ كَارِثَةٍ وَ أَنْتَ مُوجِعَةٌ
و جَذْبَةً مُكْرِبَةً وَ سَوْقَةً مُتْعِبَةً ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِسًا [مُلْبَسًا] وَ جُذِبَ مُنْقَادًا سَلِسًا ثُمَّ أُلْقِيَ
عَلَى الْأَغْوَادِ رَجِيعٌ وَصَبَّ وَ نَضَوْ سَقَمٌ تَحْمِلُهُ حَفْدَةُ الْوِلْدَانِ وَ حَشْدَةُ الْإِخْوَانِ إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ وَ
مُنْقَطَعِ زُورَتِهِ وَ مُفَرِّدِ وَحْشَتِهِ حَتَّى إِذَا انْصَرَفَ الْمُشَيِّعُ وَ رَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ [مُفَجِّجٌ] أُقْعِدَ فِي حُفْرَتِهِ
نَحِيًّا لِبَهْتَةِ السُّؤَالِ وَ عَثْرَةِ الْإِمْتِحَانِ وَ أَعْظَمَ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةَ نُزُولِ الْحَمِيمِ وَ تَصْلِيَةَ الْجَحِيمِ وَ فُورَاتِ
السَّعِيرِ وَ سَوَارَاتِ الرَّفِيرِ [السَّعِيرِ] لَا فِتْرَةَ مُرِيحَةٍ وَ لَا دَعَةَ مُزِيحَةٍ وَ لَا قُوَّةَ حَاجِزَةٍ وَ لَا مَوْتَةَ نَاجِزَةٍ
وَ لَا سِنَّةَ مُسْلِيَّةٍ بَيْنَ أَطْوَارِ الْمَوْتَاتِ وَ عَذَابِ السَّاعَاتِ إِنَّا بِاللَّهِ عَائِدُونَ أَمْ هُنَا إِمَّا اسْتِفْهَامِيَّةٌ
عَلَى حَقِيقَتِهَا كَأَنَّهُ قَالَ أَعْظَمَكُمْ وَ أَذْكَرَكُمْ بِحَالِ الشَّيْطَانِ وَ إِغْوَائِهِ أَمْ بِحَالِ الْإِنْسَانِ مِنْذُ ابْتَدَأَ
وَجُودَهُ إِلَى حِينِ مَمَاتِهِ وَ إِمَّا أَنْ تَكُونَ مَنْقُطَعَةً بِمَعْنَى بَلْ كَأَنَّهُ قَالَ عَادِلًا وَ تَارِكًا لِمَا وَعَظَهُمْ بِهِ بَلْ
أَتْلَوْ عَلَيْكُمْ نَبَأَ هَذَا الْإِنْسَانِ الَّذِي حَالُهُ كَذَا. الشَّغْفُ بِالْغَيْنِ الْمَعْجَمَةِ جَمْعُ شَغَافٍ بِفَتْحِ الشَّيْنِ وَ
أَصْلُهُ غِلَافُ الْقَلْبِ يَقَالُ شَغَفَهُ الْحُبُّ أَيْ بَلَغَ شَغَافَهُ وَ قُرِئَ (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا). وَ الدِّهَاقُ
الْمَمْلُوءُ وَ يَرُوى دِفَاقًا مِنْ دَفَقَتِ الْمَاءِ أَيْ صَبَبْتَهُ. قَالَ وَ عِلْقَةٌ مُحَاقًا مُحَاقًا ثَلَاثَ لَيَالٍ مِنْ آخِرِ
الشَّهْرِ وَ سَمِيَتْ مُحَاقًا لِأَنَّ الْقَمَرَ يَمْتَحِقُ فِيهِنَّ أَيْ يَخْفَى وَ تَبْطُلُ صُورَتُهُ وَ إِنَّمَا جَعَلَ الْعِلْقَةَ مُحَاقًا
هَاهُنَا لِأَنَّهَا لَمْ تَحْصَلْ لَهَا الصُّورَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ بَعْدَ فَكَانَتْ مَحْوَةً مَحْوَةً مَحْوَةً.

و اليافع الغلام المرتفع أيفع و هو يافع و هذا من النوادر و غلام يفع و يفعة و غلمان أيفاع و يفعة أيضا. قوله و خبط سادرا خبط البعير إذا ضرب يديه إلى الأرض و مشى لا يتوقى شيئا. و السادر المتحير و السادر أيضا الذي لا يهتم و لا يبالي ما صنع و الموضوع يحتمل كلا التفسيرين. و الماتح الذي يستقي الماء من البئر و هو على رأسها و المائح الذي نزل البئر إذا قل مأوها فيملاً الدلاء و سئل بعض أئمة اللغة عن الفرق بين الماتح و المائح فقال اعتبر نقطتي الإعجام فالأعلى للأعلى و الأدنى للأدنى و الغرب الدلو العظيمة و الكدح شدة السعي و الحركة قال تعالى (يا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا). قوله و بدوات أي ما يخطر له من آرائه التي تختلف فيها دواعيه فتقدم و تحجم و مات غريرا أي شابا و يمكن أن يراد به أنه غير مجرب للأمور. و الهفوة الزلة هفا يهفو لم يفد عوضا أي لم يكتسب. و غبر جماحة بقاياه قال أبو كبير الهذلي و مبرا من كل غير حيضة و فساد مرضعة و داء مغيل و الجماح الشرة و ارتكاب الهوى و سنن مراحه السنن الطريقة و المراح شدة الفرج و النشاط. قوله فظل سادرا هاهنا غير السادر الأول لأنه هاهنا المغمى عليه كأنه

سكران و أصله من سدر البعير من شدة الحر و كثرة الطلاء بالقطران فيكون كالنائم لا يحس و مراده ع هاهنا أنه بدأ به المرض و لادمة للصدر ضاربة له و التدام النساء ضربهن الصدور عند النياحة سكرة ملهثة تجعل الإنسان لاهثا لشدتها لث يلهث لثانا و لهاثا و يروى ملهية بالياء أي تلهي الإنسان و تشغله. و الكارثة فاعلة من كثره الغم يكرثه بالضم أي اشتد عليه و بلغ منه غاية المشقة. الجذبة جذب الملك الروح من الجسد أو جذب الإنسان إذا احتضر ليسجى. و السوقة من سياق الروح عند الموت و المبلس الذي يئس من رحمة الله و منه سمي إبليس و الإبلas أيضا الانكسار و الحزن و السلس السهل المقادة و الأعواد خشب الجنازة و رجيع و صب الرجيع المعنى الكال و الوصب الوجع و صب الرجل يوصب فهو واصب و أوصبه الله فهو موصب و الموصب بالتشديد الكثير الأوجاع و النضو الهزيل و حشدة الإخوان جمع حاشد و هو المتأهب المستعد و دار غربته قبره و كذلك منقطع زورته لأن الزيارة تنقطع عنده. و مفرد وحشته نحو ذلك لانفراده بعمله و استيحاش الناس منه حتى إذا انصرف المشيع و هو الخارج مع جنازته أقعد في حفرة هذا تصريح بعذاب القبر و سنذكر ما يصلح ذكره في هذا الموضع. و النجي المناجي و نزول الحميم و تصلية الجحيم من الألفاظ الشريفة القرآنية. ثم نفى ع أن يكون في العذاب فتور يجد الإنسان معه راحة أو سكون يزيح عنه الألم أي يزيله أو أن الإنسان يجد في نفسه قوة تحجز بينه و بين الألم أي تمنع و يموت موتا ناجزا معجلا فيستريح أو ينام فيسلو وقت نومه عما أصابه من الألم في اليقظة كما في دار الدنيا.

ثم قال بين أطوار الموتات و هذا في ظاهره متناقض لأنه نفى الموت مطلقا ثم قال بين أطوار الموتات و الجواب أنه أراد بالموتات الآلام العظيمة فسمها موتات لأن العرب تسمي المشقة العظيمة موتا كما قال

إنما الميت ميت الأحياء

و يقولون الفقر الموت الأحمر و استعمالهم مثل ذلك كثير جدا. ثم قال إنا بالله عائدون عدت بفلان و استعدت به أي التجأت إليه

فصل في ذكر القبر و سؤال منكر و نكير

و اعلم أن لقاضي القضاة في كتاب طبقات المعتزلة في باب القبر و سؤال منكر و نكير كلاما أنا أورد هاهنا بعضه قال رحمه الله تعالى إن عذاب القبر إنما أنكره ضرار بن عمرو و لما كان ضرار من أصحاب واصل بن عطاء ظن كثير من الناس أن ذلك مما أنكرته المعتزلة و ليس الأمر كذلك بل المعتزلة رجلان أحدهما يجوز عذاب القبر و لا يقطع به و هم الأقلون و الآخر يقطع على ذلك و هم أكثر أصحابنا لظهور الأخبار الواردة فيه و إنما تنكر المعتزلة قول طائفة من الجهمية إنهم يعذبون و هم موتى لأن العقل يمنع من ذلك و إذا كان الإنسان مع قرب العهد بموته و لما يدفن يعلمون أنه لا يسمع و لا يبصر و لا يدرك و لا يألم و لا يلتذ فكيف يجوز عليه ذلك و هو ميت في قبره و ما روي من أن الموتى يسمعون لا يصح إلا أن يراد به أن الله تعالى أحياهم و قوى حاسة سمعهم فسمعوا و هم أحياء.

قال ﷻ تعالى و أنكر أيضا مشايخنا أن يكون عذاب القبر دائما في كل حال لأن الأخبار إنما وردت بذلك في الجملة فالذي يقال به هو قدر ما تقتضيه الأخبار دون ما زاد عليه مما لا دليل عليه و لذلك لسنا نوقت في التعذيب وقتا و إن كان الأقرب في الأخبار أنها الأوقات المقارنة للدفن و إن كان لا نعينها بأعيانها. هكذا قال قاضي القضاة و الذي أعرفه أنا من مذهب كثير من شيوخنا قبل قاضي القضاة أن الأغلب أن يكون عذاب القبر بين النفختين. ثم إن قاضي القضاة سأل نفسه فقال إذا كانت الآخرة هي وقت المجازاة فكيف يعذب في القبر في أيام الدنيا. و أجاب بأن القليل من العقاب المستحق قد يجوز أن يجعله الله في الدنيا لبعض المصالح كما فعل في تعجيل إقامة الحدود على من يستحقها فلا يمنع منه تعالى أن يفعل ذلك بالإنسان إذا كان من أهل النار. ثم سأل نفسه فقال إذا كان بالموت قد زال عنه التكليف فكيف يقولون يكون ذلك من مصالحه. و أجاب بأننا لم نقل إن ذلك من مصالحه و هو ميت و إنما نقول إنه مصلحة أن نعلم في الدنيا ذلك من حال الموتى لأنه إذا تصور أنه مات عوجل بضرب من العقاب في القبر كان أقرب إلى أن ينصرف عن كثير من المعاصي و قد يجوز أن يكون ذلك لطفًا للملائكة الذين يتولون هذا التعذيب. فأما القول في منكر و نكير فإنه سأل نفسه ﷻ تعالى و قال كيف يجوز أن يسموا بأسماء الذم و عندكم أن الملائكة أفضل من الأنبياء.

و أجاب فقال إن التسمية إذا كانت لقباً لم يقع بها ذم لأن الذم إنما يقع لفائدة الاسم و الألقاب كالأشارات لا فائدة تحتها و لذا يلقب الرجل المسلم بظالم و كلب و نحو ذلك فيجوز أن يكون هذان الاسمان من باب الألقاب و يجوز أن يسميا بذلك من حيث يهجمان على الإنسان عند إكمال الله تعالى عقله على وجه ينكره و يرتاع منه فسميا منكرا و نكيرا. قال و قد روي في المسألة في القبر أخبار كثيرة و كل ذلك مما لا قبح فيه بل يجوز أن يكون من مصالح المكلفين فلا يصح المنع عنه. و جملة الأمر أن كل ما ثبت من ذلك بالتواتر و الإجماع و ليس بمستحيل في القدرة و لا قبيح في الحكمة يجب القول به و ما عداه مما وردت به آثار و أخبار آحاد يجب أن يجوز و يقال إنه مظنون ليس بمعلوم إذا لم يمنع منه الدليل : عِبَادَ اللَّهِ أَتَيْنَ الَّذِينَ عَمِرُوا فَتَعَمُّوا وَ عُلِّمُوا فَفَهَّمُوا وَ أَنْظَرُوا فَلَهَمُوا وَ سَلَّمُوا فَتَسَوَّاهُمْ طَوِيلًا وَ مُنِخُوا جَمِيلًا وَ حَذَرُوا أَلِيمًا وَ وَعِدُوا جَسِيمًا إْحَذَرُوا الذُّنُوبَ الْمُؤَرِّطَةَ وَ الْعُيُوبَ الْمُسْخِطَةَ أُولَى الْأَبْصَارِ وَ الْأَسْمَاعِ وَ الْعَافِيَةِ وَ الْمَنَاجِ هَلْ مِنْ مَنَاصٍ أَوْ خَلَاصٍ أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَخَارٍ فَأَتَى تَوَفُّكُونَ أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ أَمْ بِمَا ذَا تَعْتَرُونَ وَ إِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَ الْعَرْضِ قَيْدُ قَدِّهِ مُنْعَفِرًا مُتَعَفِّرًا عَلَى حَدِّهِ الْآنَ عِبَادَ اللَّهِ وَ الْخِنَافُ مُهْمَلٌ وَ الرُّوحُ مُرْسَلٌ فِي فَيْنَةِ الْإِرْشَادِ وَ رَاحَةٍ

الْأَجْسَادِ وَ بَاحَةِ الْإِحْتِشَادِ وَ مَهَلِ الْبَقِيَّةِ وَ أَنْفِ الْمَشِيَّةِ وَ إِنْطَارِ التَّوْبَةِ وَ انْفِسَاحِ الْخُوبَةِ قَبْلَ
الضَّنْكِ وَ الْمَضِيْقِ وَ الرَّوْعِ وَ الْكُفُوقِ وَ قَبْلَ قُدُومِ الْغَائِبِ الْمُتَنَظَّرِ وَ أَخَذَةِ الْعَزِيزِ الْمُقْتَدِرِ قَالَ
الرضي الله عنه و في الخبر أنه ع لما خطب بهذه الخطبة اقشعرت لها الجلود و بكت العيون و رجفت
القلوب و من الناس من يسمي هذه الخطبة الغراء نعم الرجل ينعم ضد قولك بئس و جاء شاذاً
نعم ينعم بالكسر و أنظروا أمهلوا و الذنوب المورطة التي تلقي أصحابها في الورطة و هي الهلاك
قال رؤية

فأصبحوا في ورطة الأوراط

و أصله أرض مطمئنة لا طريق فيها و قد أورطت زيدا و ورطته توريطاً فتورط ثم قال ع أولي
الأبصار و الأسماع ناداهم نداء ثانياً بعد النداء الذي في أول الفصل و هو قوله عباد الله فقال يا
من منحهم الله أبصاراً و أسماعاً و أعطاهم عافية و متعهم متاعاً هل من مناص و هو الملجأ و
المفر يقال ناص عن قرنه مناصاً أي فر و راوغ قال سبحانه (وَلَا تَجِدْ جِئْنَ مَنَاصٍ) .

و المحار المرجع من حار يحور أي رجع قال تعالى (إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ). و يؤفكون يقلبون أفكه يأفكه عن كذا قلبه عنه إلى غيره و مثله يصرفون. و قيد قده مقدار قده يقال قرب منه قيد رمح و قاد رمح و المراد هاهنا هو القبر لأنه بمقدار قامة الإنسان. و المنعفر الذي قد لامس العفر و هو التراب. ثم قال ع الآن و الخناق مهمل تقديره اعملوا الآن و أنتم مخلون متمكنون لم يعقد الحبل في أعناقكم و لم تقبض أرواحكم. و الروح يذكر و يؤنث و الفينة الوقت و يروى و فينة الارتداد و هو الطلب. و أنف المشية أول أوقات الإرادة و الاختيار. قوله و انفساح الحوبة أي سعة وقت الحاجة و الحوبة الحاجة و الأرب قال الفرزدق

فهب لي خنيسا و اتخذ فيه منة لحوبة أم ما يسوغ شرابها
و الغائب المنتظر هو الموت. قال شيخنا أبو عثمان رحمته الله تعالى حدثني ثمامة قال سمعت جعفر بن يحيى و كان من أبلغ الناس و أفصحهم يقول الكتابة ضم اللفظة إلى أختها أ لم تسمعوا قول شاعر لشاعر و قد تفاخرا أنا أشعر منك لأني أقول البيت و أخاه و أنت تقول البيت و ابن عمه ثم قال و ناهيك حسنا بقول علي بن أبي طالب ع هل من مناص أو خلاص أو معاذ أو ملاذ أو فرار أو محار.

قال أبو عثمان و كان جعفر يعجب أيضا بقول علي ع أين من جد و اجتهد و جمع و احتشد و بنى فشيء و فرش فمهد و زخرف فنجد قال أ لا ترى أن كل لفظة منها آخذة بعنق قرينتها جاذبة إياها إلى نفسها دالة عليها بذاتها قال أبو عثمان فكان جعفر يسميه فصيح قريش. و اعلم أننا لا يتخالفنا الشك في أنه ع أفصح من كل ناطق بلغة العرب من الأولين و الآخرين إلا من كلام الله سبحانه و كلام رسول الله ص و ذلك لأن فضيلة الخطيب و الكاتب في خطابه و كتابته تعتمد على أمرين هما مفردات الألفاظ و مركباتها. أما المفردات فأن تكون سهلة سلسلة غير وحشية و لا معقدة و ألفاظه ع كلها كذلك فأما المركبات فحسن المعنى و سرعة وصوله إلى الأفهام و اشتماله على الصفات التي باعتبارها فضل بعض الكلام على بعض و تلك الصفات هي الصناعة التي سماها المتأخرون البديع من المقابلة و المطابقة و حسن التقسيم و رد آخر الكلام على صدره و الترصيع و التسهيم و التوشيح و المماثلة و الاستعارة و لطافة استعمال المجاز و الموازنة و التكافؤ و التسميط و المشاكلة. و لا شبهة أن هذه الصفات كلها موجودة في خطبه و كتبه مبنوثة متفرقة في فرش كلامه ع و ليس يوجد هذان الأمران في كلام أحد غيره فإن كان قد عملها و أفكر فيها و أعمل رويته في رصفها و نثرها فلقد أتى بالعجب العجيب و

وجب

أن يكون إمام الناس كلهم في ذلك لأنه ابتكره و لم يعرف من قبله و إن كان اقتضبها ابتداء و فاضت على لسانه مرتجلة و جاش بها طبعه بديهة من غير روية و لا اعتمال فأعجب و أعجب. و على كلا الأمرين فلقد جاء مجليا و الفصحاء تنقطع أنفاسهم على أثره و بحق ما قال معاوية لمحقن الضبي لما قال له جئتكم من عند أعيا الناس يا ابن اللخناء أ لعلي تقول هذا و هل سن الفصاحة لقريش غيره. و اعلم أن تكلف الاستدلال على أن الشمس مضيئة يتعب و صاحبه منسوب إلى السفه و ليس جاحد الأمور المعلومة علما ضروريا بأشد سفها ممن رام الاستدلال بالأدلة النظرية عليها

٨٣ و من كلام له ع في ذكر عمرو بن العاص

عَجَبًا لِابْنِ النَّابِغَةِ يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً وَ أَنِّي إِمْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ أُعَافِسُ وَ أُمَارِسُ لَقَدْ قَالَ
بَاطِلًا وَ نَطَقَ أَثِمًا أَمَّا وَ شَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ إِنَّهُ لَيَقُولُ فِيْكَذِبُ وَ يَعُدُّ فِيْخُلِفُ وَ يُسْأَلُ فِيْخُلُ وَ
يَسْأَلُ فِيْلَحِفُ وَ يَخُونُ الْعَهْدَ وَ يَقْطَعُ الْإِلَّ فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَ أَمْرٍ هُوَ مَا لَمْ تَأْخُذِ
السُّيُوفُ مَاخِذَهَا فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ أَكْبَرُ [أَكْبَرَ] مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقَوْمَ الْقِرْمَ [الْقَوْمَ] سَبْتَهُ
أَمَّا وَ اللَّهُ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ وَ إِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نَسْيَانُ الْآخِرَةِ وَ إِنَّهُ لَمْ
يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ لَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ أُتَيَّْةً وَ يَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيحَةً الدُّعَابَةِ الْمَزَاحِ دَعَبُ
الرَّجُلِ بِالْفَتْحِ وَ رَجُلٌ تِلْعَابَةٌ بِكَسْرِ التَّاءِ كَثِيرُ اللَّعِبِ وَ التَّلْعَابُ بِالْفَتْحِ مُصْدَرُ لَعِبٍ. وَ الْمَعَافَسَةُ
الْمَعَالِجَةُ وَ الْمَصَارَعَةُ وَ مِنْهُ الْحَدِيثُ عَافَسْنَا النِّسَاءَ وَ الْمَمَارَسَةُ نَحْوُهُ. يَقُولُ عَ إِنْ عَمْرًا يَقْدَحُ فِي عِنْدِ
أَهْلِ الشَّامِ بِالدُّعَابَةِ وَ اللَّعِبِ وَ أَنِي كَثِيرٌ

الممازحة حتى أني ألاعب النساء و أغازلهن فعل المترف الفارغ القلب الذي تتقضى أوقاته بملاذ نفسه. و يلحف يلح في السؤال قال تعالى (لَا يَسْتَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافاً) و منه المثل ليس للملحف مثل الرد. و الإل العهد و لما اختلف اللفظان حسن التقسيم بهما و إن كان المعنى واحداً. و معنى قوله ما لم تأخذ السيوف مآخذها أي ما لم تبلغ الحرب إلى أن تخالط الرؤوس أي هو ملهى بالتحريض و الإغراء قبل أن تلتحم الحرب فإذا التحمت و اشتدت فلا يمكنك و فعل فعلته التي فعل. و السبة الاست و سبه يسبه طعنه في السبة. و يجوز رفع أكبر و نصبه فإن رفعت فهو الاسم و إن نصبت فهو الخبر. و الأتية العطية و الإيتاء الإعطاء و رضخ له رضخاً أعطاه عطاء بالكثير و هي الرضيخة لما يعطى

نسب عمرو بن العاص و طرف من أخباره

و نحن نذكر طرفاً من نسب عمرو بن العاص و أخباره إلى حين وفاته إن شاء الله. هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكنى أبا عبد الله و يقال أبو محمد.

أبوه العاص بن وائل أحد المستهزئين برسول الله ص و المكاشفين له بالعداوة و الأذى و فيه و في أصحابه أنزل قوله تعالى (**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**). و يلقب العاص بن وائل في الإسلام بالأبتر لأنه قال لقريش سيموت هذا الأبتر غدا فينقطع ذكره يعني رسول الله ص لأنه لم يكن له ص ولد ذكر يعقب منه فأنزل الله سبحانه (**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**). و كان عمرو أحد من يؤذي رسول الله ص بمكة و يشتمه و يضع في طريقه الحجارة لأنه كان ص يخرج من منزله ليلا فيطوف بالكعبة و كان عمرو يجعل له الحجارة في مسلكه ليعثر بها و هو أحد القوم الذين خرجوا إلى زينب ابنة رسول الله ص لما خرجت مهاجرة من مكة إلى المدينة فروعوها و قرعوا هودجها بكعوب الرماح حتى أجهضت جنينا ميتا من أبي العاص بن الربيع بعلها فلما بلغ ذلك رسول الله ص نال منه و شق عليه مشقة شديدة و لعنهم روى ذلك الواقدي. و روى الواقدي أيضا و غيره من أهل الحديث أن عمرو بن العاص هجا رسول الله ص هجاء كثيرا كان يعلمه صبيان مكة فينشدون و يصيحون برسول الله إذا مر بهم رافعين أصواتهم بذلك الهجاء

فقال رسول الله ص و هو يصلي بالحجر اللهم إن عمرو بن العاص هجاني و لست بشاعر فالعنه بعدد ما هجاني. و روى أهل الحديث أن النضر بن الحارث و عقبة بن أبي معيط و عمرو بن العاص عهدوا إلى سلي جمل فرفعوه بينهم و وضعوه على رأس رسول الله ص و هو ساجد بفناء الكعبة فسال عليه فصبر و لم يرفع رأسه و بكى في سجوده و دعا عليهم

فجاءت ابنته فاطمة ع و هي باكية فاحتضنت ذلك السلا فرفعته عنه فألقته و قامت على رأسه تبكي فرفع رأسه ص

و قال اللهم عليك بقريش قالها ثلاثا ثم قال رافعا صوته إني مظلوم فانتصر قالها ثلاثا ثم قام فدخل منزله و ذلك بعد وفاة عمه أبي طالب بشهرين. و لشدة عداوة عمرو بن العاص لرسول الله ص أرسله أهل مكة إلى النجاشي ليزهده في الدين و ليطرد عن بلاده مهاجرة الحبشة و ليقتل جعفر بن أبي طالب عنده إن أمكنه قتله فكان منه في أمر جعفر هناك ما هو مذكور مشهور في السير و سنذكر بعضه. فأما النابغة فقد ذكر الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار قال كانت النابغة أم عمرو بن العاص أمة لرجل من عنزة فسبيت فاشتراها عبد الله بن جدعان التيمي بمكة فكانت بغيا ثم أعتقها فوقع عليها أبو لهب بن عبد المطلب و أمية بن خلف الجمحي و هشام بن المغيرة المخزومي و أبو سفيان بن حرب و العاص بن وائل السهمي في طهر واحد فولدت عمرا فادعاه كلهم فحكمت أمه فيه فقالت هو من العاص بن وائل و ذاك لأن العاص بن وائل كان ينفق عليها كثيرا قالوا و كان أشبه بأبي سفيان و في ذلك يقول أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب في عمرو بن العاص

أبوك أبو سفيان لا شك قد بدت لنا فيك منه بينات الشمائل
و قال أبو عمر بن عبد البر صاحب كتاب الإستيعاب كان اسمها سلمى و تلقبت بالنابغة
بنت حرملة من بني جلال بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار

أصابها سباء فصارت إلى العاص بن وائل بعد جماعة من قريش فأولدها عمرا. قال أبو عمر يقال إنه جعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرا و هو على المنبر من أمه فسأله فقال أمي سلمى بنت حرملة تلقب بالنابغة من بني عنزة ثم أحد بني جلال و أصابتها راح العرب فبيعت بعكاظ فاشتراها الفاكه بن المغيرة ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان ثم صارت إلى العاص بن وائل فولدت فأنجبت فإن كان جعل لك شيء فخذ. و قال المبرد في كتاب الكامل اسمها ليلى و ذكر هذا الخبر و قال إنها لم تكن في موضع مرضي قال المبرد و قال المنذر بن الجارود مرة لعمرو بن العاص أي رجل أنت لو لا أن أملك أملك فقال إني أحمد الله إليك لقد فكرت البارحة فيها فأقبلت أنقلها في قبائل العرب ممن أحب أن تكون منها فما خطرت لي عبد القيس على بال. و قال المبرد و دخل عمرو بن العاص مكة فرأى قوما من قريش قد جلسوا حلقة فلما رأوه رمقوه بأبصارهم فعدل إليهم فقال أحسبكم كنتم في شيء من ذكري قالوا أجل كنا نمثل بينك و بين أخيك هشام بن العاص أيكما أفضل فقال عمرو إن هشام علي أربعة أمه بنت هشام بن المغيرة و أمي من قد عرفتم و كان أحب إلى أبيه مني و قد علمتم معرفة الوالد بولده و أسلم قبلي و استشهد و بقيت. و روى أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتاب الأنساب أن عمرا اختصم فيه يوم

ولادته رجلان أبو سفيان بن حرب و العاص بن وائل فليل لتحكم أمه فقالت أمه إنه من العاص بن وائل فقال أبو سفيان أما إني لا أشك أني وضعته في رحم أمه فأبت إلا العاص. فليل لها أبو سفيان أشرف نسبا فقالت إن العاص بن وائل كثير النفقة علي و أبو سفيان شحيح. ففي ذلك يقول حسان بن ثابت لعمرو بن العاص حيث هجاه مكافئا له عن هجاء رسول الله ص

أبوك أبو سفيان لا شك قد بدت لنا فيك منه بينات الدلائل
ففاخر به إما فخرت و لا تكن تفاخر بالعاص الهجين بن وائل
و إن التي في ذاك يا عمرو حكمت فقالت رجاء عند ذاك لنائل
من العاص عمرو تخبر الناس كلما تجمعت الأقوام عند المحافل

مفاخرة بين الحسن بن علي و رجالات من قريش

و روى الزبير بن بكار في كتاب المفاخرات قال اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص و الوليد بن عقبة بن أبي معيط و عتبة بن أبي سفيان بن حرب و المغيرة بن شعبة و قد كان بلغهم عن الحسن بن علي ع قوارص و بلغه عنهم مثل ذلك فقالوا يا أمير المؤمنين إن الحسن قد أحيا أباه و ذكره و قال فصدق و أمر فأطيع و خفقت له النعال و إن ذلك لرافعه إلى ما هو أعظم منه و لا يزال يبلغنا عنه ما يسوءنا. قال معاوية فما تريدون قالوا ابعث عليه فليحضر لنسبه و نسب أباه و نعيه و نوبخه و نخبره أن أباه قتل عثمان و نقرره بذلك و لا يستطيع أن يغير علينا شيئا من ذلك.

قال معاوية إني لا أرى ذلك و لا أفعله قالوا عزمنا عليك يا أمير المؤمنين لتفعلن فقال ويحكم
لا تفعلوا فو الله ما رأيته قط جالسا عندي إلا خفت مقامه و عييه لي قالوا ابعث إليه على كل
حال قال إن بعثت إليه لأنصفه منكم. فقال عمرو بن العاص أ تخشى أن يأتي باطله على حقنا
أو يربي قوله على قولنا قال معاوية أما إني إن بعثت إليه لأمرنه أن يتكلم بلسانه كله قالوا مره
بذلك. قال أما إذ عصيتموني و بعثتم إليه و أبيتم إلا ذلك فلا ترضوا له في القول و اعلموا أنهم
أهل بيت لا يعيبهم العائب و لا يلصق بهم العار و لكن اذفوه بحجره تقولون له إن أباك قتل
عثمان و كره خلافة الخلفاء من قبله. فبعث إليه معاوية فجاءه رسوله فقال إن أمير المؤمنين
يدعوك. قال من عنده فسماهم له فقال الحسن ع ما لهم خر عليهم السقف من فوقهم و أتاهم
العذاب من حيث لا يشعرون ثم قال يا جارية ابغيني ثيابي اللهم إني أعوذ بك من شرورهم و أدرأ
بك في نحورهم و أستعين بك عليهم فاكفنيهم كيف شئت و أنى شئت بحول منك و قوة يا أرحم
الراحمين ثم قام فلما دخل على معاوية أعظمه و أكرمه و أجلسه إلى جانبه و قد ارتاد القوم و
خطروا خطران الفحول بغيا في أنفسهم و علوا ثم قال يا أبا محمد إن هؤلاء بعثوا إليك و عصوني.
فقال الحسن ع سبحان الله الدار دارك و الإذن فيها إليك و الله إن كنت أجبتهم إلى ما أرادوا
و ما في أنفسهم إني لأستحيي لك من الفحش و إن كانوا غلبوك على رأيك إني لأستحيي لك
من الضعف فأيهما تقرر و أيهما تنكر أما إني

لو علمت بمكانهم جئت معي بمثلهم من بني عبد المطلب و ما لي أن أكون مستوحشا منك و لا منهم إن وليي الله و هو يتولى الصالحين. فقال معاوية يا هذا إني كرهت أن أدعوك و لكن هؤلاء حملوني على ذلك مع كراحتي له و إن لك منهم النصف و مني و إنما دعوناك لنقرر أن عثمان قتل مظلوما و أن أباك قتله فاستمع منهم ثم أجبههم و لا تمنعك وحدتك و اجتماعهم أن تتكلم بكل لسانك. فتكلم عمرو بن العاص فحمد الله و صلى على رسوله ثم ذكر عليا ع فلم يترك شيئا يعيبه به إلا قاله و قال إنه شتم أبا بكر و كره خلافته و امتنع من بيعته ثم بايعه مكرها و شرك في دم عمر و قتل عثمان ظلما و ادعى من الخلافة ما ليس له. ثم ذكر الفتنة يعيره بها و أضاف إليه مساوئ و قال إنكم يا بني عبد المطلب لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخلفاء و استحلالكم ما حرم الله من الدماء و حرصكم على الملك و إتيانكم ما لا يحل ثم إنك يا حسن تحدث نفسك أن الخلافة صائرة إليك و ليس عندك عقل ذلك و لا لبه كيف ترى الله سبحانه سلبك عقلك و تركك أحرق قريش يسخر منك و يهزأ بك و ذلك لسوء عمل أبيك و إنما دعوناك لنسبك و أباك فأما أبوك فقد تفرد الله به و كفانا أمره و أما أنت فإنك في أيدينا نختر فيك الخصال و لو قتلناك ما كان علينا إثم من الله و لا عيب من الناس فهل تستطيع أن ترد علينا و تكذبنا فإن كنت ترى أننا كذبنا في شيء فاردده علينا فيما قلنا و إلا فاعلم أنك و أباك ظالمان ثم تكلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط فقال يا بني هاشم إنكم كنتم أخوال عثمان فنعم الولد كان لكن فعرف حقكم و كنتم أصهاره فنعم الصهر كان لكم يكرمكم فكنتم

أول من حسده فقتله أبوك ظلما لا عذر له و لا حجة فكيف ترون الله طلب بدمه و أنزلكم منزلتكم و الله إن بني أمية خير لبني هاشم من بني هاشم لبني أمية و إن معاوية خير لك من نفسك. ثم تكلم عتبة بن أبي سفيان فقال يا حسن كان أبوك شر فريش لقريش أسفكها لدمائها و أقطعها لأرحامها طويل السيف و اللسان يقتل الحي و يعيب الميت و إنك ممن قتل عثمان و نحن قاتلوك به و أما رجاؤك الخلافة فلست في زندها قادحا و لا في ميزانها راجحا و إنكم يا بني هاشم قتلتم عثمان و إن في الحق أن نقتلك و أخاك به فأما أبوك فقد كفانا الله أمره و أقاد منه و أما أنت فو الله ما علينا لو قتلناك بعثمان إثم و لا عدوان. ثم تكلم المغيرة بن شعبة فشتهم عليا و قال و الله ما أعيبه في قضية يخون و لا في حكم يميل و لكنه قتل عثمان ثم سكتوا.

فتكلم الحسن بن علي ع فحمد الله و أثنى عليه و صلى على رسوله ص ثم قال أما بعد يا معاوية فما هؤلاء شتموني و لكنك شتمتني فحشا ألفتة و سوء رأي عرفت به و خلقا سيئا ثبت عليه و بغيا علينا عداوة منك لمحمد و أهله و لكن اسمع يا معاوية و اسمعوا فلا أقولن فيك و فيهم ما هو دون ما فيكم أنشدكم الله أيها الرهط أ تعلمون أن الذي شتمتموه منذ اليوم صلى القبلتين كلتيهما و أنت يا معاوية بهما كافر تراها ضلالة و تعبد اللات و العزى غواية و أنشدكم الله هل تعلمون أنه بايع البيعتين كلتيهما بيعة الفتح و بيعة الرضوان و أنت يا معاوية بإحداهما كافر و بالأخرى ناكث و أنشدكم الله هل تعلمون أنه أول الناس إيمانا و أنك يا معاوية و أباك

من المؤلفة قلوبهم تسرون الكفر و تظهرون الإسلام و تستمالون بالأموال و أنشدكم الله أ لستم تعلمون أنه كان صاحب راية رسول الله ص يوم بدر و أن راية المشركين كانت مع معاوية و مع أبيه ثم لقيكم يوم أحد و يوم الأحزاب و معه راية رسول الله ص و معك و مع أبيك راية الشرك و في كل ذلك يفتح الله له و يفلج حجته و ينصر دعوته و يصدق حديثه و رسول الله ص في تلك المواطن كلها عنه راض و عليك و على أبيك ساخط و أنشدك الله يا معاوية أ تذكر يوما جاء أبوك على جمل أحمر و أنت تسوقه و أخوك عتبة هذا يقوده فراكم رسول الله ص فقال اللهم العن الراكب و القائد و السائق أ تنسى يا معاوية الشعر الذي كتبتة إلى أبيك لما هم أن يسلم تنهاه عن ذلك

يا صخر لا تسلمن يوما فتفضحنا بعد الذين ببدر أصبحوا فرقا
خالي و عمي و عم الأم ثالثهم و حنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا
لا تـركـنن إلى أمر تكلفنا و الرافصات به في مكة الخرقا
فالموت أهون من قول العداة لقد حاد ابن حرب عن العزى إذا فرقا
و الله لما أخفيت من أمرك أكبر مما أبديت و أنشدكم الله أيها الرهط أ تعلمون أن عليا حرم الشهوات على نفسه بين أصحاب رسول الله ص فأُنزل فيه (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ) و أن رسول الله ص بعث أكابر أصحابه إلى بني قريظة فنزلوا من حصنهم فهزموا فبعث عليا بالراية فاستنزهم على حكم الله و حكم رسوله و فعل في خير مثلها

ثم قال يا معاوية أظنك لا تعلم أني أعلم ما دعا به عليك رسول الله ص لما أراد أن يكتب كتابا إلى بني خزيمه فبعث إليك ابن عباس فوجدك تأكل ثم بعثه إليك مرة أخرى فوجدك تأكل فدعا عليك الرسول بجوعك و نهمك إلى أن تموت و أنتم أيها الرهط نشدتكم الله أ لا تعلمون أن رسول الله ص لعن أبا سفيان في سبعة مواطن لا تستطيعون ردها أولها يوم لقي رسول الله ص خارجا من مكة إلى الطائف يدعو ثقيفا إلى الدين فوقع به و سبه و سفه و شتمه و كذبه و توعدده و هم أن يبطش به فلعنه الله و رسوله و صرف عنه و الثانية يوم العير إذ عرض لها رسول الله ص و هي جائية من الشام فطردها أبو سفيان و ساحل بها فلم يظفر المسلمون بها و لعنه رسول الله ص و دعا عليه فكانت وقعة بدر لأجلها و الثالثة يوم أحد حيث وقف تحت الجبل و رسول الله ص في أعلاه و هو ينادي أعل هبل مرارا فلعنه رسول الله ص عشر مرات و لعنه المسلمون و الرابعة يوم جاء بالأحزاب و غطفان و اليهود فلعنه رسول الله و ابتهل و الخامسة يوم جاء أبو سفيان في قريش فصدوا رسول الله ص عن المسجد الحرام و الهدى معكوبا أن يبلغ محله ذلك يوم الحديبية فلعن رسول الله ص أبا سفيان و لعن القادة و الأتباع و قال ملعونون كلهم و ليس فيهم من يؤمن فليل يا رسول الله أ فما يرجى الإسلام لأحد منهم فكيف باللعنة فقال لا تصيب اللعنة أحدا من الأتباع و أما القادة فلا يفلح منهم أحد

و السادسة يوم الجمل الأحمر و السابعة يوم وقفوا لرسول الله ص في العقبة ليستنفروا ناقتة و كانوا اثني عشر رجلا منهم أبو سفيان فهذا لك يا معاوية و أما أنت يا ابن العاص فإن أمرك مشترك وضعتك أمك مجهولا من عهر و سفاح فيك أربعة من قریش فغلب عليك جزاها الأملهم حسبا و أخبثهم منصبا ثم قام أبوك فقال أنا شأنى محمد الأبر فأنزل الله فيه ما أنزل و قاتلت رسول الله ص في جميع المشاهد و هجوته و آذيته بمكة و كدته كيدك كله و كنت من أشد الناس له تكديبا و عداوة ثم خرجت تريد النجاشي مع أصحاب السفينة لتأتى بجعفر و أصحابه إلى أهل مكة فلما أخطأك ما رجوت و رجعت الله خائبا و أكذبك واشيا جعلت حدك على صاحبك عمارة بن الوليد فوشيت به إلى النجاشي حسدا لما ارتكب مع حليلتك ففضحك الله و فضح صاحبك فأنت عدو بني هاشم في الجاهلية و الإسلام ثم إنك تعلم و كل هؤلاء الرهط يعلمون أنك هجوت رسول الله ص بسبعين بيتا من الشعر فقال رسول الله ص اللهم إني لا أقول الشعر و لا ينبغي لي اللهم العنه بكل حرف ألف لعنة فعليك إذا من الله ما لا يحصى من اللعن و أما ذكرت من أمر عثمان فأنت سعرت عليه الدنيا نارا ثم حلقت بفلسطين فلما أتاك قتله قلت أنا أبو عبد الله إذا نكأت قرحة أدميتها ثم حبست نفسك إلى معاوية و بعت دينك بديناه فلسنا نلومك على بغض و لا نعاتبك على ود و بالله

ما نصرت عثمان حيا و لا غضبت له مقتولا ويحك يا ابن العاص أ لست القائل في بني هاشم
لما خرجت من مكة إلى النجاشي

تقول ابنتي أين هذا الرحيل	و ما السير مني بمستنكر
فقلت ذريني فإني امرؤ	أريد النجاشي في جعفر
لأكويه عنده كية	أقيم بها نخوة الأصعر
و شائي أحمد من بينهم	و أقولهم فيه بالمنكر
و أجري إلى عتبة جاهدا	و لو كان كالذهب الأحمر
و لا أنثني عن بني هاشم	و ما اسطعت في الغيب و المحضر
فإن قبل العتب مني له	و إلا لويت له مشفري

فهذا جوابك هل سمعته و أما أنت يا وليد فو الله ما ألومك على بغض علي و قد جلدك
ثمانين في الخمر و قتل أباك بين يدي رسول الله صبرا و أنت الذي سماه الله الفاسق و سمى عليا
المؤمن حيث تفاخرتما فقلت له اسكت يا علي فأنا أشجع منك جنانا و أطول منك لسانا فقال
لك علي اسكت يا وليد فأنا مؤمن و أنت فاسق فأنزل الله تعالى في موافقة قوله (**أَفَمَنْ كَانَ**
مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ) ثم أنزل فيك على موافقة قوله أيضا (**إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ**
بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا) ويحك يا وليد مهما نسيت فلا تنس قول الشاعر فيك و فيه
أنزل الله و الكتاب عزيز في علي و في الوليد قرآنا

فتبوا الوليد إذ ذاك فسقا و علي مبوا إيمانا
ليس من كان مؤمنا عمرك الله كمن كان فاسقا خوانا
سوف يدعى الوليد بعد قليل و علي إلى الحساب عيانا
فعلي يجزى بذاك جنا و وليد يجزى بذاك هوانا
رب جد لعقبة بن أبان لا بس في بلادنا تبانا
و ما أنت و قريش إنما أنت عالج من أهل صفورية و أقسم بالله لأنت أكبر في الميلاد و أسن
من تدعى إليه و أما أنت يا عتبة فو الله ما أنت بحصيف فأجيئك و لا عاقل فأحورك و أعاتبك
و ما عندك خير يرجى و لا شر يتقى و ما عقلك و عقل أمتك إلا سواء و ما يضر عليا لو
سببته على رعوس الأشهاد و أما وعيدك إياي بالقتل فهلا قتلت اللحياني إذا وجدته على فراشك
أما تستحيي من قول نصر بن حجاج فيك
يا للرجال و حادث الأزمان و لسبة تخزي أبا سفيان
نبئت عتبة خانة في عرسه حبس لئيم الأصل من لحيان
و بعد هذا ما أربأ بنفسي عن ذكره لفحشه فكيف يخاف أحد سيفك و لم تقتل فاضحك و
كيف ألومك على بغض علي و قد قتل خالك الوليد مبارزة يوم بدر و شرك حمزة في قتل جدك
عتبة و أوحذك من أخيك حنظلة في مقام واحد و أما أنت يا مغيرة فلم تكن بخليق أن تقع في
هذا و شبهه و إنما مثلك مثل البعوضة إذ قالت للنحلة استمسكي فإني طائرة عنك فقالت النحلة
و هل علمت بك واقعة علي فأعلم بك طائرة عني

و الله ما نشعر بعداوتك إيانا و لا اغتممنا إذ علمنا بها و لا يشق علينا كلامك و إن حد الله في الزنا لثابت عليك و لقد درأ عمر عنك حقا الله سائلة عنه و لقد سألت رسول الله ص هل ينظر الرجل إلى المرأة يريد أن يتزوجها فقال لا بأس بذلك يا مغيرة ما لم ينو الزنا لعلمه بأنك زان و أما فخركم علينا بالإمارة فإن الله تعالى يقول (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا). ثم قام الحسن فنفض ثوبه و انصرف فتعلق عمرو بن العاص بثوبه و قال يا أمير المؤمنين قد شهدت قوله في و قذفه أمني بالزنا و أنا مطالب له بحد القذف فقال معاوية خل عنه لا جزاك الله خيرا فتركه فقال معاوية قد أنبأتكم أنه ممن لا تطاق عارضته و نهيتكم أن تسبوه فعصيتُموني و الله ما قام حتى أظلم على البيت قوموا عني فلقد فضحككم الله و أخزاكم بترككم الحزم و عدولكم عن رأي الناصح المشفق و الله المستعان

عمرو بن العاص و معاوية

و روى الشعبي قال دخل عمرو بن العاص على معاوية يسأله حاجة و قد كان بلغ معاوية عنه ما كرهه فكره قضاءها و تشاغل فقال عمرو يا معاوية إن السخاء فطنة و اللؤم تغافل و الجفاء ليس من أخلاق المؤمنين فقال معاوية يا عمرو بما ذا تستحق منا قضاء الحوائج العظام فغضب عمرو و قال بأعظم حق و أوجب إذ كنت في بحر عجاج فلو لا عمرو لغرقت في أقل مائه و أرقه و لكنني دفعتك فيه دفعة فصرت في وسطه ثم دفعتك فيه أخرى فصرت في أعلى المواضع منه فمضى حكما و نفذ أمرك و انطلق

لسانك بعد تلجلجه و أضاء وجهك بعد ظلمته و طمست لك الشمس بالعهن المنفوش و
أظلمت لك القمر بالليله المدلهمة.فتناوم معاوية و أطبق جفنيه مليا فخرج عمرو فاستوى معاوية
جالسا و قال لجلسائه أ رأيتم ما خرج من فم ذلك الرجل ما عليه لو عرض فقي التعريض ما
يكفي و لكنه جبهني بكلامه و رماني بسموم سهامه.فقال بعض جلسائه يا أمير المؤمنين إن
الحوائج لتقضى على ثلاث خصال إما أن يكون السائل لقضاء الحاجة مستحقا فتقضى له بحقه
و إما أن يكون السائل لثيما فيصون الشريف نفسه عن لسانه فيقضى حاجته و إما أن يكون
المسئول كريما فيقضيها لكرمه صغرت أو كبرت.فقال معاوية لله أبوك ما أحسن ما نطقت و بعث
إلى عمرو فأخبره و قضى حاجته و وصله بصلة جلييلة فلما أخذها ولى منصرفا فقال معاوية
(فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسَخَطُونَ) فسمعها عمرو فالتفت إليه
مغضبا و قال و الله يا معاوية لا أزال آخذ منك قهرا و لا أطيع لك أمرا و أحفر لك بئرا عميقا
إذا وقعت فيه لم تدرك إلا رميما فضحك معاوية فقال ما أريدك يا أبا عبد الله بالكلمة و إنما
كانت آية تلوها من كتاب الله عرضت بقلبي فاصنع ما شئت

عبد الله بن جعفر و عمرو بن العاص في مجلس معاوية

و روى المدائني قال بينا معاوية يوما جالسا عنده عمرو بن العاص إذ قال الأذن قد جاء عبد
الله بن جعفر بن أبي طالب فقال عمرو و الله لأسوءنه اليوم فقال معاوية لا تفعل يا أبا عبد الله
فإنك لا تنصف منه و لعلك أن تظهر لنا من منقبتة ما هو خفي عنا و ما لا نحب أن نعلمه منه.

و غشيهم عبد الله بن جعفر فأدناه معاوية و قربه فمال عمرو إلى بعض جلساء معاوية فنال
من علي ع جهارا غير ساتر له و ثلبه ثلبا قبيحا.فالتمع لون عبد الله بن جعفر و اعتراه أفكل
حتى أرعدت خصائله ثم نزل عن السرير كالفنيق فقال عمرو مه يا أبا جعفر فقال له عبد الله مه
لا أم لك ثم قال

أظن الحلم دل علي قومي و قد يستجهل الرجل الحليم
ثم حسر عن ذراعيه و قال يا معاوية حتام نتجرع غيظك و إلى كم الصبر على مكروه قولك و
سيئ أدبك و ذميم أخلاقك هبلتك الهبول أ ما يزعرك ذمام المجالسة عن القذع لجليسك إذا لم
تكن لك حرمة من دينك تنهاك عما لا يجوز لك أما و الله لو عطفتك أواصر الأرحام أو حاميت
على سهمك من الإسلام ما أرعيت بني الإمام المتك و العبيد الصك أعراض قومك.و ما يجهل
موضع الصفوة إلا أهل الجفوة و إنك لتعرف وشائظ قريش و صبوة غرائزها فلا يدعونك تصويب
ما فرط من خطئك في سفك دماء المسلمين و محاربة أمير المؤمنين إلى التماذي فيما قد وضح لك
الصواب في خلافه فاقصد لمنهج الحق فقد طال عمهك عن سبيل الرشد و خبطك في بحور ظلمة
الغي.

فإن أبيت إلا تتابعنا في قبح اختيارك لنفسك فأعفنا من سوء القالة فينا إذا ضمنا وإياك
الندي و شأنك و ما تريد إذا خلوت و الله حسيبك فو الله لو لا ما جعل الله لنا في يديك لما
أتيناك. ثم قال إنك إن كلفتني ما لم أطق ساءك ما سرك مني من خلق. فقال معاوية يا أبا جعفر
أقسمت عليك لتجلسن لعن الله من أخرج ضب صدرك من وجاره محمول لك ما قلت و لك
عندنا ما أملت فلو لم يكن مُحَمَّدٌكَ و منصبك لكان خلقك و خلقك شافعين لك إلينا و أنت ابن
ذي الجناحين و سيد بني هاشم. فقال عبد الله كلا بل سيد بني هاشم حسن و حسين لا ينازعهما
في ذلك أحد. فقال أبا جعفر أقسمت عليك لما ذكرت حاجة لك إلا قضيتها كائنة ما كانت و
لو ذهبت بجميع ما أملك فقال أما في هذا المجلس فلا ثم انصرف. فأتبعه معاوية بصره و قال و الله
لكنه رسول الله ص مشيه و خلقه و خلقه و إنه لمن مشكاته و لوددت أنه أخي بنفيس ما
أملك. ثم التفت إلى عمرو فقال أبا عبد الله ما تراه منعه من الكلام معك قال ما لا خفاء به عنك
قال أظنك تقول إنه هاب جوابك لا و الله و لكنه ازدراك و استحقرك و لم يرك للكلام أهلاً أ ما
رأيت إقباله علي دونك ذاهبا بنفسه عنك. فقال عمرو فهل لك أن تسمع ما أعددت له لجوابه قال
معاوية اذهب إليك أبا عبد الله فلاة حين جواب سائر اليوم. و نهض معاوية و تفرق الناس

عبد الله بن العباس و رجالات قريش في مجلس معاوية

و روى المدائني أيضا قال وفد عبد الله بن عباس على معاوية مرة فقال معاوية لابنه يزيد و لزياد ابن سمية و عتبة بن أبي سفيان و مروان بن الحكم و عمرو بن العاص و المغيرة بن شعبة و سعيد بن العاص و عبد الرحمن ابن أم الحكم إنه قد طال العهد بعبد الله بن عباس و ما كان شجر بيننا و بينه و بين ابن عمه و لقد كان نصبه للتحكيم فدفع عنه فحركوه على الكلام لنبليح حقيقة صفته و نقف على كنه معرفته و نعرف ما صرف عنا من شبا حده و زوي عنا من دهاء رأيهم فرما وصف المرء بغير ما هو فيه و أعطي من النعت و الاسم ما لا يستحقه. ثم أرسل إلى عبد الله بن عباس فلما دخل و استقر به المجلس ابتدأه ابن أبي سفيان فقال يا ابن عباس ما منع عليا أن يوجه بك حكما فقال أما و الله لو فعل لقرن عمرا بصعبة من الإبل يوجه كفها مراسها و لأذهلت عقله و أجرضته بريقه و قدحت في سويداء قلبه فلم يبرم أمرا و لم ينفذ ترابا إلا كنت منه بمراى و مسمع فإن أنكأه أدميت قواه و إن أدمه فصمت عراه بغرب مقول لا يقل حده و أصالة رأي كمتاح الأجل لا وزر منه أصدع به أديمه و أقل به شبا حده و أشحذ به عزائم المتقين و أزيح به شبه الشاكين. فقال عمرو بن العاص هذا و الله يا أمير المؤمنين نجوم أول الشر و أفول آخر الخير و في حسمه قطع مادته فبادره بالحملة و انتهب منه الفرصة و اردع بالتنكيل به غيره و شرد به من خلفه. فقال ابن عباس يا ابن النابغة ضل و الله عقلك و سفه حلمك و نطق الشيطان على لسانك هلا توليت ذلك بنفسك يوم صفين حين دعيت نزال و تكافح الأبطال

و كثرت الجراح و تقصفت الرماح و برزت إلى أمير المؤمنين مصلولا فانكفأ نحوك بالسيف حاملا
فلما رأيت الكواشر من الموت أعددت حيلة السلامة قبل لقائه و الانكفاء عنه بعد إجابة دعائه
فمنحته رجاء النجاة عورتك و كشفت له خوف بأسه سوأتك حذرا أن يصطلمك بسطوته و
يلتهمك بحملته ثم أشرت على معاوية كالناصح له بمبارزته و حسنت له التعرض لمكافحته رجاء
أن تكتفي مئوته و تعدم صورته فعلم غل صدرك و ما انحنت عليه من النفاق أضلعتك و عرف
مقر سهمك في غرضك. فاكفف غرب لسانك و اقمع عوراء لفظك فإنك لمن أسد خادر و بحر
زاخر إن تبرزت للأسد افترسك و إن عمت في البحر قمسك. فقال مروان بن الحكم يا ابن عباس
إنك لتصرف أنيابك و توري نارك كأنك ترجو الغلبة و تؤمل العافية و لو لا حلم أمير المؤمنين
عنكم لتناولكم بأقصر أنامله فأوردكم منها بغير عذر و لعمرى لئن سطا بكم ليأخذن بعض
حقه منكم و لئن عفا عن جرائمكم فقدبما ما نسب إلى ذلك. فقال ابن عباس و إنك لتقول ذلك
يا عدو الله و طريد رسول الله و المباح دمه و الداخل بين عثمان و رعيته بما حملهم على قطع
أوداجه و ركوب أثباجه أما و الله لو طلب معاوية ثأره لأخذك به و لو نظر في أمر عثمان لوجدك
أوله و آخره. و أما قولك لي إنك لتصرف أنيابك و توري نارك فسل معاوية و عمرا يخبراك ليلة
الهرير كيف ثباتنا للمثالات و استخفافنا بالمعضلات و صدق جلاونا عند المصاولة و صبرنا

على الأواء و المطاولة و مصافحتنا بجباهنا السيوف المرهفة و مباشرتنا بنحورنا حد الأسنة هل
خمننا عن كرائم تلك المواقف أم لم نبذل مهجنا للمتالف و ليس لك إذ ذاك فيها مقام محمود و لا
يوم مشهود و لا أثر معدود و إنهما شهدا ما لو شهدت لأقلقك فأربع على ظلعك و لا تتعرض
لما ليس لك فإنك كالمغروز في صفد لا يهبط برجل و لا يرقى بيد. فقال زياد يا ابن عباس إني
لأعلم ما منع حسنا و حسينا من الوفود معك على أمير المؤمنين إلا ما سولت لهما أنفسهما و
غرهما به من هو عند البأساء سلمهما و ايم الله لو وليتهما لأدأبا في الرحلة إلى أمير المؤمنين
أنفسهما و لقل بمكانهما لبثهما. فقال ابن عباس إذن و الله يقصر دونهما باعك و يضيق بهما
ذراعك و لو رمت ذلك لوجدت من دونهما فئة صدقا صبرا على البلاء لا يخيمون عن اللقاء
فلعركوك بكلاكلهم و وطئوك بمناسمهم و أوجروك مشق رماحهم و شفار سيوفهم و و خز أسنتهم
حتى تشهد بسوء ما أتيت و تتبين ضياع الحزم فيما جنيت فحذار حذار من سوء النية فتكافأ برد
الأمنية و تكون سببا لفساد هذين الحيين بعد صلاحهما و سعيًا في اختلافهما بعد ائتلافهما
حيث لا يضرهما إبساسك و لا يغني عنهما إيناسك. فقال عبد الرحمن ابن أم الحكم لله در ابن
ملجم فقد بلغ الأمل و أمن الوجل و أحد الشفرة و الآن المهرة و أدرك الثأر و نفى العار و فاز
بالمنزلة العليا و رقي الدرجة القصوى. فقال ابن عباس أما و الله لقد كرع كأس حتفه بيده و عجل
الله إلى النار بروحه

و لو أبدى لأمير المؤمنين صفحته لخالطه الفحل القطم و السيف الخدم و لألحقه صابا و سقاه سما و ألحقه بالوليد و عتبة و حنظلة فكلهم كان أشد منه شكيمة و أمضى عزيمة ففرى بالسيف هامهم و رملهم بدمائهم و قرى الذئاب أشلاءهم و فرق بينهم و بين أحبائهم (أولئك حصب جهنم هم لها واردون) و (هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا) و لا غرو إن ختل و لا وصمة إن قتل فإننا لكما قال دريد بن الصمة

فإننا للحم السيف غير مكره و نلحمه طورا و ليس بذي نكر
يغار علينا واترين فيشتفى بنا إن أصبنا أو نغير على وتر
فقال المغيرة بن شعبة أما و الله لقد أشرت على علي بالنصيحة فأثر رأيه و مضى على غلوائه فكانت العاقبة عليه لا له و إني لأحسب أن خلقه يقتدون بمنهجه. فقال ابن عباس كان و الله أمير المؤمنين ع أعلم بوجوه الرأي و معاهد الحزم و تصريف الأمور من أن يقبل مشورتك فيما نهي الله عنه و عنف عليه قال سبحانه (لا تتخذ قوماً يؤمنون بالله و اليوم الآخر يوادون من حاد الله و رسوله) و لقد وقفك على ذكر مبين و آية متلوة قوله تعالى (و ما كنتم متخذ المصلين

عَصْدًا) و هل كان يسوغ له أن يحكم في دماء المسلمين و فيء المؤمنين من ليس بمؤمن عنده و لا موثوق به في نفسه هيهات هيهات هو أعلم بفرض الله و سنة رسوله أن يظن خلاف ما يظهر إلا للتقية و لات حين تقية مع وضوح الحق و ثبوت الجنان و كثرة الأنصار يمضي كالسيف المصلت في أمر الله مؤثرا لطاعة ربه و التقوى على آراء أهل الدنيا. فقال يزيد بن معاوية يا ابن عباس إنك لتنتطق بلسان طلق ينبئ عن مكنون قلب حرق فاطو ما أنت عليه كشحا فقد محاضوء حقنا ظلمة باطلكم. فقال ابن عباس مهلا يزيد فو الله ما صفت القلوب لكم منذ تكدرت بالعداوة عليكم و لا دنت بالمحبة إليكم مذ نأت بالبغضاء عنكم لا رضيت اليوم منكم ما سخطت بالأمس من أفعالكم و إن تدل الأيام نستقص ما سد عنا و نسترجع ما ابتز منا كيلا بكيل و وزنا بوزن و إن تكن الأخرى فكفى بالله وليا لنا و وكيلا على المعتدين علينا. فقال معاوية إن في نفسي منكم لحزازات يا بني هاشم و إني لخليق أن أدرك فيكم الثأر و أنفي العار فإن دماءنا قبلكم و ظلامتنا فيكم. فقال ابن عباس و الله إن رمت ذلك يا معاوية لتشرين عليك أسدا مخدرة و أفاعي مطرقة لا يفتنوها كثرة السلاح و لا يعضها نكاية الجراح يضعون أسيافهم على عواتقهم يضربون قدما قدما من ناوهم يهون عليهم نباح الكلاب و عواء الذئاب

لا يفتنون بوتر و لا يسبقون إلى كريم ذكر قد وطنوا على الموت أنفسهم و سمت بهم إلى العلياء
همهم كما قالت الأزدية

قوم إذا شهدوا الهياج فلا ضرب ينهـنهم و لا زجر
و كأنهم آساد غينة قد غرثت و بل متونها القطر
فلتكونن منهم بحيث أعددت ليلة الهرير للهـرب فرسك و كان أكبر همك سلامة حشاشة
نفسك و لو لا طعام من أهل الشام وقوك بأنفسهم و بذلوا دونك مهـجهم حتى إذا ذاقوا وخز
الشفار و أيقنوا بحلول الدمار رفعوا المصاحف مستجيرين بها و عائدين بعصمتها لكنت شلوا
مطروحا بالعراء تسفي عليك رياحها و يعتورك ذباها. و ما أقول هذا أريد صرفك عن عزيمتك و لا
إزالتك عن معقود نيتك لكن الرحم التي تعطف عليك و الأوامر التي توجب صرف النصيحة
إليك. فقال معاوية للهـ درك يا ابن عباس ما تكشف الأيام منك إلا عن سيف صقيل و رأي أصيل
و بالله لو لم يلد هاشم غيرك لما نقص عددهم و لو لم يكن لأهلك سواك لكان الله قد كثـرهم. ثم
نـهض فقام ابن عباس و انصرف. و روى أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب في أماليه أن عمرو بن
العاص قال لعتبة بن أبي سفيان يوم الحكمين أ ما ترى ابن عباس قد فتح عينيه و نشر أذنيه و لو
قدر أن يتكلم بهما فعل و إن غفلة أصحابه لمـجبورة بفطنته و هي ساعتنا الطولى فاكفنيه. قال عتبة
بجهدى.

قال فقامت فقعدت إلى جانبه فلما أخذ القوم في الكلام أقبلت عليه بالحديث فقرع يدي و قال ليست ساعة حديث قال فأظهرت غضبا و قلت يا ابن عباس إن ثقتك بأحلامنا أسرعت بك إلى أعراضنا و قد و الله تقدم من قبل العذر و كثر منا الصبر ثم أقذعته فجاش لي مرجله و ارتفعت أصواتنا فجاء القوم فأخذوا بأيدينا فنحوه عني و نحوي عنه فجئت فقربت من عمرو بن العاص فرماني بمؤخر عينيه و قال ما صنعت فقلت كفيتك التقوالة فحمحم كما يحمحم الفرس للشعير قال و فات ابن عباس أول الكلام فكره أن يتكلم في آخره. و قد ذكرنا نحن هذا الخبر فيما تقدم في أخبار صفين على وجه آخر غير هذا الوجه

عمارة بن الوليد و عمرو بن العاص في الحبشة

فأما خبر عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي أخي خالد بن الوليد مع عمرو بن العاص فقد ذكره ابن إسحاق في كتاب المغازي قال كان عمارة بن الوليد بن المغيرة و عمرو بن العاص بن وائل بعد مبعث رسول الله ص خرجا إلى أرض الحبشة على شركهما و كلاهما كان شاعرا عارما فاتكاه. و كان عمارة بن الوليد رجلا جميلا وسيما تهواه النساء صاحب محادثة لمن فركبا البحر و مع عمرو بن العاص امرأته حتى إذا صاروا في البحر ليالي أصابا من خمر معهما فلما انتشى عمارة قال لامرأة عمرو بن العاص قبليني فقال لها عمرو قبلني ابن عمك فقبلته فهويها عمارة و جعل يراودها عن نفسها فامتنعت منه ثم إن عمرا جلس على منجاف

السفينة يبول فدفعه عمارة في البحر فلما وقع عمرو سبح حتى أخذ بمنجاف السفينة فقال له عمارة أما والله لو علمت أنك سابع ما طرحتك و لكنني كنت أظن أنك لا تحسن السباحة فضغن عمرو عليه في نفسه و علم أنه كان أراد قتله و مضيا على وجههما ذلك حتى قدما أرض الحبشة فلما نزلاها كتب عمرو إلى أبيه العاص بن وائل أن اخلعني و تبرأ من جريرتي إلى بني المغيرة و سائر بني مخزوم و خشي على أبيه أن يتبع بجريرته فلما قدم الكتاب على العاص بن وائل مشى إلى رجال بني المغيرة و بني مخزوم فقال إن هذين الرجلين قد خرجا حيث علمتم و كلاهما فاتك صاحب شر غير مأمونين على أنفسهما و لا أدري ما يكون منهما و إني أبرأ إليكم من عمرو و جريرته فقد خلعته فقال عند ذلك بنو المغيرة و بنو مخزوم و أنت تخاف عمرا على عمارة و نحن فقد خلعنا عمارة و تبرأنا إليك من جريرته فحل بين الرجلين قال قد فعلت فخلعوهما و برئ كل قوم من صاحبهم و ما يجري منه. قال فلما اطمأنا بأرض الحبشة لم يلبث عمارة بن الوليد أن دب لامرأة النجاشي و كان جميلا صبيحا وسيما فأدخلته فاختلف إليها و جعل إذا رجع من مدخله ذلك يخبر عمرا بما كان من أمره فيقول عمرو لا أصدقك أنك قدرت على هذا إن شأن هذه المرأة أرفع من ذلك فلما أكثر عليه عمارة بما كان يخبره و كان عمرو قد علم صدقه و عرف أنه دخل عليها و رأى من حاله و هيئته و ما تصنع المرأة به إذا كان معها و بيتوته عندها حتى يأتي إليه مع السحر ما عرف به ذلك و كانا في منزل واحد و لكنه كان يريد أن يأتيه بشيء لا يستطيع دفعه إن هو رفع شأنه إلى النجاشي فقال له في بعض

ما يتذاكران من أمرها إن كنت صادقاً فقل لها فلتدهنك بدهن النجاشي الذي لا يدهن به غيره فإنني أعرفه و ائتني بشيء منه حتى أصدقك قال أفعل. فجاء في بعض ما يدخل إليها فسأها ذلك فدهنته منه و أعطته شيئاً في قارورة فلما شمه عمرو عرفه فقال أشهد أنك قد صدقت لقد أصبت شيئاً ما أصاب أحد من العرب مثله قط و نلت من امرأة الملك شيئاً ما سمعنا بمثل هذا و كانوا أهل جاهلية و شبانا و ذلك في أنفسهم فضل لمن أصابه و قدر عليه. ثم سكت عنه حتى اطمأن و دخل على النجاشي فقال أيها الملك إن معي سفيهاً من سفهاء قريش و قد خشيت أن يعرني عندك أمره و أردت أن أعلمك بشأنه و ألا أرفع ذلك إليك حتى استثبت أنه قد دخل على بعض نسائك فأكثر و هذا دهنك قد أعطته و ادهن به. فلما شم النجاشي الدهن قال صدقت هذا دهني الذي لا يكون إلا عند نسائي فلما أثبت أمره دعا بعمارة و دعا نسوة آخر فجردوه من ثيابه ثم أمرهن أن ينفخن في إحليله ثم خلى سبيله. فخرج هارباً في الوحش فلم يزل في أرض الحبشة حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب فخرج إليه رجال من بني المغيرة منهم عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة و كان اسم عبد الله قبل أن يسلم بجيرا فلما أسلم سماه رسول الله ص عبد الله فرصدوه على ماء بأرض الحبشة كان يرده مع الوحش فزعموا أنه أقبل في حمر من حمر الوحش ليرد معها فلما وجد ريح الإنس هرب منه حتى إذا أجهدته العطش ورد فشرب حتى تملأ و خرجوا في طلبه.

قال عبد الله بن أبي ربيعة فسبقت إليه فالتزمته فجعل يقول أرسلني أني أموت إن أمسكتني قال عبد الله فضبطته فمات في يدي مكانه فواروه ثم انصرفوا. وكان شعره فيما يزعمون قد غطى كل شيء منه فقال عمرو بن العاص يذكر ما كان صنع به و ما أراد من امرأته

تعلم عمار أن من شر سنة على المرء أن يدعى ابن عم له ابنما
أ أن كنت ذا بردين أحوى مرجلا فلست براع لابن عمك محرما
إذا المرء لم يترك طعاما يحبه و لم ينه قلبا غاويا حيث يما
قضى وطرا منه يسيرا و أصبحت إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

أمر عمرو بن العاص مع جعفر بن أبي طالب في الحبشة

و أما خبر عمرو بن العاص في شخوصه إلى الحبشة ليكيد جعفر بن أبي طالب و المهاجرين من المؤمنين عند النجاشي فقد رواه كل من صنف في السيرة قال مُجَدِّدُ بن إِسْحَاق في كتاب المغازي قال حدثني مُجَدِّدُ بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية زوجة رسول الله ص قالت لما نزلنا بأرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي أمنا على ديننا و عبدنا الله لا نؤذى كما كنا نؤذى بمكة و لا نسمع شيئا نكرهه فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا

بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي في أمرنا رجلين منهم جليدين و أن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة و كان من أعجب ما يأتيه منه الأدم فجمعوا أدما كثيرا و لم يتركوا من بطارقه بطريقا إلا أهدوا إليه هدية ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي و عمرو بن العاص بن وائل السهمي و أمروهما أمرهم و قالوا لهما ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلمنا النجاشي فيهم. ثم قدما إلى النجاشي و نحن عنده في خير دار عند خير جار فلم يبق من بطارقه بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلمنا النجاشي ثم قالوا للبطارقة أنه قد فر إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم و لم يدخلوا في دينكم و جاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن و لا أنتم و قد بعثنا إلى الملك أشراف قومهم لنردهم إليهم فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا و لا يكلمهم فإن قومهم أعلى بهم عينا و أعلم بما عابوا عليهم فقالوا لهما نعم. ثم إنهما قربا هدايا الملك إليه فقبلها منهم ثم كلماه فقالا له أيها الملك قد فر إلى بلادك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم و لم يدخلوا في دينك جاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن و لا أنت و قد بعثنا فيهم إليك أشراف قومنا من آبائهم و أعمامهم و عشائهم لتردهم عليهم فهم أعلى بهم عينا و أعلم بما عابوا عليهم و عاينوه منهم. قالت أم سلمة و لم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة و عمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم. فقالت بطارقة الملك و خواصه حوله صدقا أيها الملك قومهم أعلى بهم عينا و أعلم

بما عابوا عليهم فليسلمهم الملك إليهما ليرادهم إلى بلادهم و قومهم. فغضب الملك و قال لا ها الله إذا لا أسلمهم إليهما و لا أخفر قوما جاوروني و نزلوا بلادي و اختاروني على سواي حتى أدعوهم و أسألهم عما يقول هذان في أمرهم فإن كانوا كما يقولون أسلمتهم إليهما و رددتهم إلى قومهم و إن كانوا على غير ذلك منعتهم منهم و أحسنت جوارهم ما جاوروني. قالت ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ص فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل إذا جئتموه قالوا نقول و الله ما علمناه و ما أمرنا به نبينا ص كائنا في ذلك ما هو كائن فلما جاءوه و قد دعا النجاشي أسأففته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم و لم تدخلوا في ديني و لا في دين أحد من هذه الملل قالت أم سلمة و كان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال له أيها الملك إنا كنا قوما في جاهلية نعبد الأصنام و نأكل الميتة و نأتي الفواحش و نقطع الأرحام و نسيء الجوار و يأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله عز و جل علينا رسولا منا نعرف نسبه و صدقه و أمانيته و عفافه فدعانا إلى الله لنوحده و نعبده و نخلع ما كنا عليه نحن و آبائنا من دونه من الحجارة و الأوثان و أمرنا بصدق الحديث و أداء الأمانة و صلة الرحم و حسن التجاور و الكف عن المحارم و الدماء و نهانا عن سائر الفواحش و قول الزور و أكل مال اليتيم و قذف المحصنة و أمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئا و بالصلاة و بالزكاة و الصيام.

قالت فعدد عليه أمور الإسلام كلها فصدقناه و آمنا به و اتبعناه على ما جاء به من الله فعبدا لله وحده فلم نشرك به شيئا و حرما ما حرم علينا و أحلنا ما أحل لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا و فتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأصنام و الأوثان عن عبادة الله و أن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا و ظلمونا و ضيقوا علينا و حالوا بيننا و بين ديننا خرجنا إلى بلدك و اخترناك على من سواك و رغبتا في جوارك و رجونا ألا نظلم عندك أيها الملك. فقال النجاشي فهل معك مما جاء به صاحبكم عن الله شيء فقال جعفر نعم فقال اقرأه علي فقرأ عليه صدرا من كهيعص فبكى حتى اخضلت لحيته و بكت أساقفته حتى أخضلوا لحاهم ثم قال النجاشي و الله إن هذا و الذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة و الله لا أسلمكم إليهم. قالت أم سلمة فلما خرج القوم من عنده قال عمرو بن العاص و الله لأعييهم غدا عنده بما يستأصل به خضراءهم فقال له عبد الله بن أبي ربيعة و كان أتقى الرجلين لا تفعل فإن لهم أرحاما و إن كانوا قد خالفوا قال و الله لأخبرنه غدا أنهم يقولون في عيسى ابن مريم أنه عبد ثم غدا عليه من الغد فقال أيها الملك إن هؤلاء يقولون في عيسى ابن مريم قولا عظيما فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه فأرسل إليهم. قالت أم سلمة فما نزل بنا مثلها و اجتمع المسلمون و قال بعضهم لبعض ما تقولون في عيسى إذا سألكم عنه فقال جعفر بن أبي طالب نقول فيه و الله ما قال عز و جل و ما جاء به نبينا ع كائنا في ذلك ما هو كائن. فلما دخلوا عليه قال لهم ما تقولون في عيسى ابن مريم فقال جعفر نقول إنه عبد الله

و رسوله و روحه و كلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. قالت فضرب النجاشي يديه على الأرض
و أخذ منها عودا و قال ما عدا عيسى ابن مريم ما قال هذا العود. قالت فقد كانت بطارقه
تناخرت حوله حين قال جعفر ما قال فقال لهم النجاشي و إن تناخرتم. ثم قال للمسلمين اذهبوا
فأنتم سيوم بأرضي أي آمنون من سبكم غرم ثم من سبكم غرم ثم من سبكم غرم ما أحب أن لي
ديرا ذهبيا و أني أذيت رجلا منكم و الدبر بلسان الحبشة الجبل ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي
فيها فو الله ما أخذ الله مني الرشوة حتى رديني إلى ملكي فأخذ الرشوة فيه و ما أطاع الناس في أ
فأطيعهم فيه. قالت فخرج الرجلان من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاء به و أقمنا عنده في
خير دار مع خير جار فو الله إنا لعلنا ذلك إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه في ملكه. قالت أم
سلمة فو الله ما أصابنا خوف و حزن قط كان أشد من خوف و حزن نزل بنا أن يظهر ذلك
الرجل على النجاشي فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان يعرف منه. قالت و سار إليه النجاشي
و بينهما عرض النيل فقال أصحاب رسول الله ص من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم ثم يأتيها
بالخبر فقال الزبير بن العوام أنا و كان من أحدث المسلمين سنا فنفخوا له قرية فجعلناها تحت
صدره ثم سبح

عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها يلتقي القوم ثم انطلق حتى حضروهم قالت و دعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه و التمكين له في بلاده فو الله إنا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن إذ طلع الزبير يسعى و يلوح بثوبه و يقول ألا أبشروا فقد ظهر النجاشي و أهلك الله عدوه. قالت فو الله ما أعلمنا فرحنا فرحة مثلها قط و رجع النجاشي و قد أهلك الله عدوه و تمكن و مكن له في بلاده و استوثق له أمر الحبشة فكنا عنده في خير منزل و دار إلى أن رجعنا إلى رسول الله ص بمكة. و روي عن عبد الله بن جعفر بن محمد ع أنه قال لقد كاد عمرو بن العاص عمنا جعفر بأرض الحبشة عند النجاشي و عند كثير من رعيته بأنواع الكيد ردها الله تعالى عنه بلطفه رماه بالقتل و السرقة و الزنا فلم يلصق به شيء من تلك العيوب لما شاهده القوم من طهارته و عبادته و نسكه و سيما النبوة عليه فلما نبا معوله عن صفاته هياً له سما قذفه إليه في طعام فأرسل الله هرا كفاً تلك الصفحة و قد مد يده نحو ثم مات لوقته و قد أكل منها فتبين لجعفر كيده و غائلته فلم يأكل بعدها عنده و ما زال ابن الجزار عدواً لنا أهل البيت

أمر عمرو بن العاص في صفين

و أما خبر عمرو في صفين و اتقائه حملة علي ع بطرحه نفسه على الأرض و إبداء سواته فقد ذكره كل من صنف في السير كتاباً و خصوصاً الكتب الموضوعة لصفين.

قال نصر بن مزاحم في كتاب صفين قال حدثنا مُحَمَّد بن إِسحاق عن عبد الله بن أبي عمرو و
عن عبد الرحمن بن حاطب قال كان عمرو بن العاص عدوا للحارث بن نصر الخثعمي و كان من
أصحاب علي ع و كان علي ع قد تهيئته فرسان الشام و ملأ قلوبهم بشجاعته و امتنع كل منهم
من الإقدام عليه و كان عمرو قلما جلس مجلسا إلا ذكر فيه الحارث بن نصر الخثعمي و عابه
فقال الحارث

ليس عمرو بتارك ذكره الحارث بالسوء أو يلاقي عليا
واضع السيف فوق منكبه الأيمن لا يحسب الفوارس شيئا
ليت عمرا يلقاه في حومة النقع و قد أمست السيوف عصيا
حيث يدعو للحرب حامية القوم إذا كان بالبراز مليا
فألقه إن أردت مكرمة الدهر أو الموت كل ذاك عليا
فشاعت هذه الأبيات حتى بلغت عمرا فأقسم بالله ليلقين عليا و لو مات ألف موة فلما
اختلطت الصفوف لقيه فحمل عليه برمحه فتقدم علي ع و هو مختلط سيفا

معتقل رمحا فلما رهنه همز فرسه ليعلو عليه فألقى عمرو نفسه عن فرسه إلى الأرض شاغرا برجليه
كاشفا عورته فانصرف عنه لافتا وجهه مستديرا له فعد الناس ذلك من مكارمه و سؤدده و ضرب
بها المثل. قال نصر و حدثني محمد بن إسحاق قال اجتمع عند معاوية في بعض ليالي صيفين عمرو
بن العاص و عتبة بن أبي سفيان و الوليد بن عقبة و مروان بن الحكم و عبد الله بن عامر و ابن
طلحة الطلحات الخزاعي فقال عتبة إن أمرنا و أمر علي بن أبي طالب لعجب ما فينا إلا موتور
مجتاح. أما أنا فقتل جدي عتبة بن ربيعة و أخي حنظلة و شرك في دم عمي شيبه يوم بدر. و أما
أنت يا وليد فقتل أباك صبرا و أما أنت يا ابن عامر فصرع أباك و سلب عمك. و أما أنت يا ابن
طلحة فقتل أباك يوم الجمل و أيتم إخوتك و أما أنت يا مروان فكما قال الشاعر

و أفلستهن علباء جريضا و لو أدركته صفر الوطاب

فقال معاوية هذا الإقرار فأين الغير قال مروان و أي غير تريد قال أريد أن تشجروه بالرماح قال
و الله يا معاوية ما أراك إلا هاذيا أو هازئا و ما أرانا إلا ثقلنا عليك فقال ابن عقبة

يقول لنا معاوية بن حرب أما فيكم لو اترككم طلوب
يشد على أبي حسن علي بأسمر لا تهجنه الكعوب

فيهتك مجمع اللبات منه
 فقلت له أ تلعب يا ابن هند
 أغرينا بحيلة بطن واد
 وما ضبع يدب ببطن واد
 بأضعف حيلة منا إذا ما
 سوى عمرو وقته خصيته
 كان القوم لما عاينوه
 لعمر أبي معاوية بن حرب
 لقد ناداه في الهيجا علي
 فغضب عمرو و قال إن كان الوليد صادقا فليلق عليا أو فليقف حيث يسمع صوته. و قال عمرو

يذكرك الوليد دعا علي
 متى تذكر مشاهده قريش
 فأما في اللقاء فأين منه
 وعيرني الوليد لقاء ليث
 لقيت و لست أجهله عليا
 فأطعنه و يطعني خلاسا
 فرمها منه يا ابن أبي معيط
 وأقسم لو سمعت ندا علي
 و نطق المرء بملؤه الوعيد
 يطر من خوفه القلب الشديد
 معاوية بن حرب و الوليد
 إذا ما شد هابته الأسود
 و قد بلت من العلق اللبود
 و ما ذا بعد طعنته أريد
 و أنت الفارس البطل النجيد
 لطار القلب و انتفخ الوريد

و لو لاقيته شقت جيوب عليك و لطمت فيك الخدود
و ذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب الإستيعاب في باب بسر بن أرطاة قال كان بسر من
الأبطال الطغاة و كان مع معاوية بصفين فأمره أن يلقي عليا ع في القتال و قال له إني سمعتك
تتمنى لقاءه فلو أظفرك الله به و صرعه حصلت على الدنيا و الآخرة و لم يزل يشجعه و يمنيّه
حتى رأى عليا في الحرب فقصدته و التقيا فصرعه علي ع و عرض له معه مثل ما عرض له مع
عمرو بن العاص في كشف السوأة. قال أبو عمر و ذكر ابن الكلبي في كتابه في أخبار صفين أن
بسر بن أرطاة بارز عليا يوم صفين فطعنه علي ع فصرعه فانكشف له فكف عنه كما عرض له
مثل ذلك مع عمرو بن العاص. قال و للشعراء فيهما أشعار مذكورة في موضعها من ذلك الكتاب
منها فيما ذكر ابن الكلبي و المدائني قول الحارث بن نصر الخثعمي و كان عدوا لعمرو بن العاص
و بسر بن أرطاة

أ في كل يوم فارس لك ينتهي و عورته وسط العجاجة باديّه
يكف لها عنه علي سنانه و يضحك منها في الخلاء معاوية

بدت أمس من عمرو فقتع رأسه و عورة بسر مثلها حذو حاذيه
 فقلوا لعمرو ثم بسر ألا انظرا لنفسكما لا تلقيا الليث ثانيه
 و لا تحمدا إلا الحيا و خصاكما هما كانتا و الله للنفس و اقيه
 و لولاهما لم تنجوا من سناناه و تلك بما فيها إلى العود ناهيه
 متى تلقيا الخيل المغيرة صبحه و فيها علي فاتركا الخيل ناحيه
 و كونا بعيدا حيث لا يبلغ القنا نحوركما إن التجارب كافيته
 و روى الواقدي قال قال معاوية يوما بعد استقرار الخلافة له لعمرو بن العاص يا أبا عبد الله لا
 أراك إلا و يغلبني الضحك قال بما ذا قال أذكر يوم حمل عليك أبو تراب في صفين فأزريت
 نفسك فرقا من شبا سناناه و كشفت سواتك له فقال عمرو أنا منك أشد ضحكا إني لأذكر يوم
 دعاك إلى البراز فانتفخ سحرك و ربا لسانك في فمك و غصصت بريقك و ارتعدت فرائصك و
 بدا منك ما أكره ذكره لك فقال معاوية لم يكن هذا كله و كيف يكون و دوني عك و الأشعريون
 قال إنك لتعلم أن الذي وصفت دون ما أصابك و قد نزل ذلك بك و دونك عك و الأشعريون
 فكيف كانت حالك لو جمعكما مأقط الحرب فقال يا أبا عبد الله خض بنا الهزل إلى الجد إن
 الجبن و الفرار من علي لا عار على أحد فيهما

خبر إسلام عمرو بن العاص

فأما القول في إسلام عمرو بن العاص فقد ذكره مُجَدِّدُ بن إسحاق في كتاب المغازي قال حدثني زيد بن أبي حبيب عن راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي عن حبيب بن أبي أوس قال حدثني عمرو بن العاص من فيه قال لما انصرفنا مع الأحزاب من الخندق جمعت رجالا من قريش كانوا يرون رأيي و يسمعون مني فقلت لهم و الله إني لأرى أمر مُجَدِّدُ يعلو الأمور علوا منكرا و إني قد رأيت رأيا فما ترون فيه فقالوا ما رأيت فقلت أرى أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده فإن ظهر مُجَدِّدُ على قومه أقمنا عند النجاشي فأن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي مُجَدِّدُ فإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتنا منهم إلا خير قالوا إن هذا الرأي فقلت فاجمعوا ما تهدي له و كان أحب ما يأتية من أرضنا الأدم فجمعنا له أدما كثيرا ثم خرجنا حتى قدمنا عليه فو الله إنا لعنده إذ قدم عمرو بن أمية الضمري و كان رسول الله ص بعثه إليه في شأن جعفر بن أبي طالب و أصحابه. قال فدخل عليه ثم خرج من عنده فقلت لأصحابي هذا عمرو بن أمية لو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه فإذا فعلت ذلك رأيت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول مُجَدِّدُ قال فدخلت عليه فسجدت له فقال مرحبا بصديقي

أهديت إلي من بلادك شيئا قلت نعم أيها الملك قد أهديت لك أدما كثيرا ثم قربته إليه فأعجبه و اشتهاه ثم قلت له أيها الملك إني قد رأيت رجلا خرج من عندك و هو رسول رجل عدو لنا فأعطينيه لأقتله فإنه قد أصاب من أشرفنا و خيارنا. فغضب الملك ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقا منه ثم قلت أيها الملك و الله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه فقال أ تسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله فقلت أيها الملك أ كذلك هو فقال إي و الله أطعني ويحك و اتبعه فإنه و الله لعلى حق و ليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون و جنوده قلت فبايعني له على الإسلام فبسط يده فبايعته على الإسلام و خرجت عامدا لرسول الله ص فلما قدمت المدينة جئت إلى رسول الله ص و قد أسلم خالد بن الوليد و قد كان صحبني في الطريق إليه فقلت يا رسول الله أبايعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي و لم أذكر ما تأخر فقال بايع يا عمرو فإن الإسلام يجب ما قبله و إن الهجرة تجب ما قبلها فبايعته و أسلمت. و ذكر أبو عمر في الاستيعاب أن إسلامه كان سنة ثمان و أنه قدم و خالد بن الوليد و عثمان بن طلحة المدينة فلما رآهم رسول الله قال رمتكم مكة بأفلاذ كبدها. قال و قد قيل إنه أسلم بين الحديبية و خيبر و القول الأول أصح

بعث رسول الله عمرا إلى ذات السلاسل

قال أبو عمر و بعث رسول الله عمرا إلى ذات السلاسل من بلاد قضاة في ثلاثمائة و كانت أم العاص بن وائل من بني فبعث رسول الله ص عمرا إلى أرض بني

و عذرة يتألفهم بذلك و يدعوهم إلى الإسلام فصار حتى إذا كان على ماء أرض جذام يقال له السلاس و قد سميت تلك الغزاة ذات السلاس خاف فكتب إلى رسول الله ص يستجد فأمدته بجيش فيه مائتا فارس فيه أهل الشرف و السوابق من المهاجرين و الأنصار فيهم أبو بكر و عمر و أمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح فلما قدموا على عمرو قال عمرو أنا أميركم و إنما أنتم مددي فقال أبو عبيدة بل أنا أمير من معي و أنت أمير من معك فأبى عمرو ذلك فقال أبو عبيدة إن رسول الله ص عهد إلي فقال إذا قدمت إلى عمرو فتطاوعا و لا تختلفا فإن خالفني أطعتك قال عمرو فإني أخالفك فسلم إليه أبو عبيدة و صلى خلفه في الجيش كله و كان أميراً عليهم و كانوا خمسمائة

ولايات عمرو في عهد الرسول و الخلفاء

قال أبو عمر ثم ولاه رسول الله ص عمان فلم يزل عليها حتى قبض رسول الله ص و عمل لعمر و عثمان و معاوية و كان عمر بن الخطاب ولاه بعد موت يزيد بن أبي سفيان فلسطين و الأردن و ولى معاوية دمشق و بعلبك و البلقاء و ولى سعيد بن عامر بن خديم حمص ثم جمع الشام كلها لمعاوية و كتب إلى عمرو بن العاص أن يسير إلى مصر فصار إليها فافتتحها فلم يزل عليها والياً حتى مات عمر فأمره عثمان عليها أربع سنين و نحوها ثم عزله عنها و ولاها عبد الله بن سعد العامري. قال أبو عمر ثم إن عمرو بن العاص ادعى على أهل الإسكندرية أنهم قد نقضوا العهد الذي كان عاهدهم فعمد إليها فحارب أهلها و افتتحها و قتل المقاتلة و سبي الذرية فنقم ذلك عليه عثمان و لم يصح عنده نقضهم العهد فأمر برد السبي الذي سبوا من القرى إلى مواضعهم و عزل عمراً عن مصر و ولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري

مصر بدله فكان ذلك بدو الشر بين عمرو بن العاص و عثمان بن عفان فلما بدا بينهما من الشر ما بدا اعتزل عمرو في ناحية فلسطين بأهله و كان يأتي المدينة أحيانا فلما استقر الأمر لمعاوية بالشام بعثه إلى مصر بعد تحكيم الحكّمين فافتتحها فلم يزل بها إلى أن مات أميراً عليها في سنة ثلاث و أربعين و قيل سنة اثنتين و أربعين و قيل سنة ثمان و أربعين و قيل سنة إحدى و خمسين. قال أبو عمر و الصحيح أنه مات في سنة ثلاث و أربعين و مات يوم عيد الفطر من هذه السنة و عمره تسعون سنة و دفن بالمقطم من ناحية السفح و صلى عليه ابنه عبد الله ثم رجع فصلى بالناس صلاة العيد فولاه معاوية مكانه ثم عزله و ولى مكانه أخاه عتبة بن أبي سفيان. قال أبو عمر و كان عمرو بن العاص من فرسان قريش و أبطاهم في الجاهلية مذكورا فيهم بذلك و كان شاعرا حسن الشعر و أحد الدهاة المتقدمين في الرأي و الذكاء و كان عمر بن الخطاب إذا استضعف رجلا في رأيه و عقله قال أشهد أن خالقك و خالق عمرو واحد يريد خالق الأضداد

نبد من كلام عمرو بن العاص

و نقلت أنا من كتب متفرقة كلمات حكمية تنسب إلى عمرو بن العاص استحسنتها و أوردتها لأني لا أجحد لفاضل فضله و إن كان دينه عندي غير مرضي. فمن كلامه ثلاث لا أملهن جليسي ما فهم عني و ثوبي ما سترني و دابتي ما حملت رحلي.

و قال لعبد الله بن عباس بصفين إن هذا الأمر الذي نحن و أنتم فيه ليس بأول أمر قاده البلاء و قد بلغ الأمر منا و منكم ما ترى و ما أبقت لنا هذه الحرب حياة و لا صبرا و لسنا نقول ليت الحرب عادت و لكننا نقول ليتها لم تكن كانت فافعل فيما بقي بغير ما مضى فإنك رأس هذا الأمر بعد علي و إنما هو أمر مطاع و مأمور مطيع و مبارز مأمون و أنت هو. و لما نصب معاوية قميص عثمان على المنبر و بكى أهل الشام حوله قال قد هممت أن أدعه على المنبر فقال له عمرو إنه ليس بقميص يوسف أنه إن طال نظرهم إليه و بحثوا عن السبب وقفوا على ما لا تحب أن يقفوا عليه و لكن لدعهم بالنظر إليه في الأوقات. و قال ما وضعت سري عند أحد فأفشاه فلمته لأني أحق باللوم منه إذ كنت أضيق به صدرا منه. و قال ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر لكن العاقل من يعرف خير الشرين. و قال عمر بن الخطاب لجلسائه يوما و عمرو فيهم ما أحسن الأشياء فقال كل منهم ما عنده فقال ما تقول أنت يا عمرو فقال

الغمرات ثم ينجلينا

و قال لعائشة لوددت أنك قتلت يوم الجمل قالت و لم لا أبا لك قال كنت تموتين بأجلك و تدخلين الجنة و نجعلك أكبر التشنيع على علي بن أبي طالب ع. و قال لبنيه يا بني اطلبوا العلم فإن استغنيتكم كان جمالا و إن افتقرتم كان مالا. و من كلامه أمير عادل خير من مطر وابل و أسد حطوم خير من سلطان ظلوم و سلطان ظلوم خير من فتنة تدوم و زلة الرجل عظم يجبر و زلة اللسان لا تبقى و لا تذر و استراح من لا عقل له.

و كتب إليه عمر يسأله عن البحر فكتب إليه خلق عظيم يركبه خلق ضعيف. دود على عود بين غرق و نرق. و قال لعثمان و هو يخطب على المنبر يا عثمان إنك قد ركبت بهذه الأمة نهاية من الأمر و زغت فزاغوا فاعتدل أو اعتزل. و من كلامه استوحش من الكريم الجائع و من اللئيم الشبعان فإن الكريم يصول إذا جاع و اللئيم يصول إذا شبع. و قال جمع العجز إلى التواني فنتج بينهما الندامة و جمع الجبن إلى الكسل فنتج بينهما الحرمان. و روى عبد الله بن عباس قال دخلت على عمرو بن العاص و قد احتضر فقلت يا أبا عبد الله كنت تقول أشتهي أني أرى عاقلا يموت حتى أسأله كيف تجد فما ذا تجد قال أجد السماء كأنها مطبقة على الأرض و أنا بينهما و أراي كأنا أتنفس من خرق إبرة ثم قال اللهم خذ مني حتى ترضى ثم رفع يده فقال اللهم أمرت فعصينا و نهيت فركبنا فلا برئ فأعتذر و لا قوي فأنتصر و لكن لا إله إلا الله فجعل يرددتها حتى فاض. و قد روى أبو عمر بن عبد البر هذا الخبر في كتاب الاستيعاب قال لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال اللهم أمرتني فلم آتمر و زجرتني فلم أنزجر و وضع يده في موضع الغل ثم قال اللهم لا قوي فأنتصر و لا برئ فأعتذر و لا مستكبر بل مستغفر لا إله إلا أنت فلم يزل يرددتها حتى مات. قال أبو عمر و حدثني خلف بن قاسم قال حدثني الحسن بن رشيق قال حدثنا الطحاوي قال حدثنا المزني قال سمعت الشافعي يقول دخل ابن عباس على عمرو بن العاص في مرضه فسلم عليه فقال كيف أصبحت يا أبا عبد الله قال أصبحت و قد أصلحت من دنياي قليلا و أفسدت من ديني كثيرا فلو كان الذي أصلحت هو الذي

أفسدت و الذي أفسدت هو الذي أصلحت لفزت و لو كان ينفعني أن أطلب طلبت و لو كان
ينجيني أن أهرب هربت فقد صرت كالمخنق بين السماء و الأرض لا أرقى بيدين و لا أهبط
برجلين فعظني بعظة أنتفع بها يا ابن أخي فقال ابن عباس هيهات أبا عبد الله صار ابن أخيك
أخاك و لا تشاء أن تبلى إلا بليت كيف يؤمر برحيل من هو مقيم فقال عمرو على حينها من
حين ابن بضع و ثمانين تقنطني من رحمة ربي اللهم إن ابن عباس يقنطني من رحمتك فخذ مني حتى
ترضى فقال ابن عباس هيهات أبا عبد الله أخذت جديدا و تعطى خلقا قال عمرو ما لي و لك
يا ابن عباس ما أرسل كلمة إلا أرسلت نقيضها. و روى أبو عمر في كتاب الإستيعاب أيضا عن
رجال قد ذكروهم و عددهم أن عمرا لما حضرته الوفاة قال له ابنه عبد الله و قد رآه يبكي لم تبكي
أ جزعا من الموت قال لا و الله و لكن لما بعده فقال له لقد كنت على خير فجعل يذكره صحبة
رسول الله ص و فتوحه بالشام فقال له عمرو تركت أفضل من ذلك شهادة أن لا إله إلا الله إني
كنت على ثلاثة أطباق ليس منها طبق إلا عرفت نفسي فيه كنت أول أمري كافرا فكنت أشد
الناس على رسول الله ص فلو مت حيثئذ وجبت لي النار فلما بايعت رسول الله ص كنت أشد
الناس حياء منه فما ملأت منه عيني قط فلو مت يومئذ قال الناس هنيئا لعمرو أسلم و كان على
خير و مات على خير أحواله فسرخوا له بالجنة ثم تلبثت بعد ذلك بالسلطان و بأشياء فلا أدري

أ علي أم لي فإذا مت فلا تبكين علي باكية و لا يتبعني نائح و لا تقربوا من قبري نارا و شدوا علي إزاري فإني مخاصم و شنوا علي التراب شنا فإن جنبي الأيمن ليس بأحق من جنبي الأيسر و لا تجعلوا في قبري خشبة و لا حجرا و إذا واريتموني فاقعدوا عندي قدر نحر جزور و تقطيعها أستأنس بكم. فإن قلت فما الذي يقوله أصحابك المعتزلة في عمرو بن العاص قلت إنهم يحكمون على كل من شهد صفين بما يحكم به على الباغي الخارج على الإمام العادل و مذهبهم في صاحب الكبيرة إذا لم يتب معلوم. فإن قلت أ ليس في هذه الأخبار ما يدل على توبته نحو قوله و لا مستكبر بل مستغفر و قوله اللهم خذ مني حتى ترضى و قوله أمرت فعصيت و نھيت فركبت. و هذا اعتراف و ندم و هو معنى التوبة قلت إن قوله تعالى (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ) يمنع من كون هذا توبة و شروط التوبة و أركانها معلومة و ليس هذا الاعتراف و التأسف منها في شيء. و قال شيخنا أبو عبد الله أول من قال بالإرجاء المحض معاوية و عمرو بن العاص كانا يزعمان أنه لا يضر مع الإيمان معصية و لذلك قال معاوية لمن قال له حاربت من تعلم و ارتكبت ما تعلم فقال وثقت بقوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الدُّنُوبَ جَمِيعاً)

و إلى هذا المعنى أشار عمرو بقوله لابنه تركت أفضل من ذلك شهادة أن لا إله إلا الله

فصل في شرح ما نسب إلى علي من الدعابة

فأما ما كان يقوله عمرو بن العاص في علي ع لأهل الشام إن فيه دعابة يروم أن يعييه بذلك عندهم فأصل ذلك كلمة قالها عمر فتلقفها حتى جعلها أعداؤه عيبا له و طعنا عليه. قال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب في كتاب الأمالي كان عبد الله بن عباس عند عمر فتتنفس عمر نفسا عاليا قال ابن عباس حتى ظننت أن أضلاعه قد انفرجت فقلت له ما أخرج هذا النفس منك يا أمير المؤمنين إلا هم شديد. قال إي و الله يا ابن عباس إني فكرت فلم أدر فيمن أجعل هذا الأمر بعدي ثم قال لعلك ترى صاحبك لها أهلا قلت و ما يمنعه من ذلك مع جهاده و سابقته و قرابته و علمه قال صدقت و لكنه امرؤ فيه دعابة قلت فأين أنت من طلحة قال هو ذو البأ و بإصبعه المقطوعة قلت فعبد الرحمن قال رجل ضعيف لو صار الأمر إليه لوضع خاتمه في يد امرأته قلت فالزبير قال شكس لقس يلاطم في البقيع في صاع من بر قلت فسعد بن أبي وقاص قال صاحب مقنب و سلاح قلت فعثمان قال أوه أوه مرارا ثم قال و الله لئن وليها ليحملن بني أبي معيط على رقاب الناس ثم لتنهضن إليه العرب فتقتله ثم قال يا ابن عباس إنه لا يصلح لهذا الأمر إلا حصيف العقدة قليل الغرة لا تأخذه في الله لومة لائم يكون شديدا من غير عنف لنا من

غير ضعف جوادا من غير سرف ممسكا من غير وكف قال ابن عباس وكانت هذه صفات عمر
ثم أقبل علي فقال إن أحرهم أن يحملهم على كتاب رهم و سنة نبهم لصاحبك و الله لئن وليها
ليحملنهم على المحجة البيضاء و الصراط المستقيم. و اعلم أن الرجل ذا الخلق المخصوص لا يرى
الفضيلة إلا في ذلك الخلق أ لا ترى أن الرجل ييخل فيعتقد أن الفضيلة في الإمساك و البخيل
يعيب أهل السماح و الجود و ينسبهم إلى التبذير و إضاعة الحزم و كذلك الرجل الجواد يعيب
البخلاء و ينسبهم إلى ضيق النفس و سوء الظن و حب المال و الجبان يعتقد أن الفضيلة في
الجبين و يعيب الشجاعة و يعتقد كونها خرقا و تغريرا بالنفس كما قال المتنبي
يرى الجبناء أن الجبن حزم

و الشجاع يعيب الجبان و ينسبه إلى الضعف و يعتقد أن الجبن ذل و مهانة و هكذا القول في
جميع الأخلاق و السجاياء المقتسمة بين نوع الإنسان و لما كان عمر شديد الغلظة و عر الجانب
خشن الملمس دائم العيوس كان يعتقد أن ذلك هو الفضيلة و أن خلافه نقص و لو كان سهلا
طلقا مطبوعا على البشاشة و سماحة الخلق لكان يعتقد أن ذاك هو الفضيلة و أن خلافه نقص
حتى لو قدرنا أن خلقه حاصل لعلي ع و خلق علي حاصل له لقال في علي لو لا شراسة
فيه. فهو غير ملوم عندي فيما قاله و لا منسوب إلى أنه أراد الغض من علي و القدح

فيه و لكنه أخبر عن خلقه طائفا أن الخلافة لا تصلح إلا لشديد الشكيمة العظيم الوعورة و بمقتضى ما كان يظنه من هذا المعنى تم خلافة أبي بكر بمشاركته إياه في جميع تدابيراته و سياسته و سائر أحواله لرفق و سهولة كانت في أخلاق أبي بكر و بمقتضى هذا الخلق المتمكن عنده كان يشير على رسول الله ص في مقامات كثيرة و خطوب متعددة بقتل قوم كان يرى قتلهم و كان النبي ص يرى استبقاءهم و استصلاحهم فلم يقبل ع مشورته على هذا الخلق. و أما إشارته عليه يوم بدر بقتل الأسرى حيث أشار أبو بكر بالفداء فكان الصواب مع عمر و نزل القرآن بموافقته فلما كان في اليوم الثاني و هو يوم الحديبية أشار بالحرب و كره الصلح فنزل القرآن بضد ذلك فليس كل وقت يصلح تجريد السيف و لا كل وقت يصلح إغماده و السياسة لا تجري على منهاج واحد و لا تلزم نظاما واحدا. و جملة الأمر أنه ﷺ لم يقصد عيب علي ع و لا كان عنده معييا و لا منقوصا أ لا ترى أنه قال في آخر الخبر أن أحرهم أن وليها أن يحملهم على كتاب الله و سنة رسوله لصاحبك ثم أكد ذلك بأن قال إن وليهم ليحملنهم على المحجة البيضاء و الصراط المستقيم فلو كان أطلق تلك اللفظة و عنى بها ما حملها عليه الخصوم لم يقل في خاتمة كلامه ما قاله. و أنت إذا تأملت حال علي ع في أيام رسول الله ص وجدته بعيدا عن أن ينسب إلى الدعابة و المزاح لأنه لم ينقل عنه شيء من ذلك أصلا لا في كتب الشيعة و لا في كتب المحدثين و كذلك إذا تأملت حاله في أيام الخليفتين أبي بكر و عمر لم تجد في كتب السيرة حديثا واحدا يمكن أن يتعلق به متعلق في دعابته و مزاحه فكيف يظن

بعمر أنه نسبه إلى أمر لم ينقله عنه ناقل و لا ندد به صديق و عدو و إنما أراد سهولة خلقه لا غير و ظن أن ذلك مما يفضي به إلى ضعف إن ولي أمر الأمة لاعتقاده أن قوام هذا الأمر إنما هو بالوعورة بناء على ما قد ألفته نفسه و طبعت عليه سجيته و الحال في أيام عثمان و أيام ولايته ع الأمر كالحال فيما تقدم في أنه لم يظهر منه دعاية و لا مزاح يسمى الإنسان لأجله ذا دعاية و لعب و من تأمل كتب السير عرف صدق هذا القول و عرف أن عمرو بن العاص أخذ كلمة عمر إذ لم يقصد بها العيب فجعلها عيباً و زاد عليها أنه كثير اللعب يعافس النساء و يمارسهن و أنه صاحب هزل. و لعمر الله لقد كان أبعد الناس من ذلك و أي وقت كان يتسع لعلني ع حتى يكون فيه على هذه الصفات فإن أزمانه كلها في العبادة و الصلاة و الذكر و الفتاوي و العلم و اختلاف الناس إليه في الأحكام و تفسير القرآن و نهاره كله أو معظمه مشغول بالصوم و ليله كله أو معظمه مشغول بالصلاة هذا في أيام سلمه فأما أيام حربه فبالسيف الشهير و السنان الطيرير و ركوب الخيل و قود الجيش و مباشرة الحروب. و لقد صدق ع في قوله

إنني ليمنعني من اللعب ذكر الموت و لكن الرجل الشريف النبيل الذي لا يستطيع أعداؤه أن يذكروا له عيباً أو يعدوا عليه وصمة لا بد أن يحتالوا و يبذلوا جهدهم في تحصيل أمر ما و إن ضعف يجعلونه عذراً لأنفسهم في ذمه و يتوسلون به إلى أتباعهم في تحسينهم لهم مفارقتهم و الانحراف عنه و ما زال المشركون و المنافقون يصنعون لرسول الله ص الموضوعات ينسبون إليه ما قد برأه الله عنه من العيوب و المطاعن في حياته و بعد وفاته إلى زماننا هذا و ما يزيده الله سبحانه إلا رفعة و علواً فغير منكر أن يعيب علياً ع عمرو بن العاص و أمثاله من أعدائه بما إذا تأمله المتأمل علم أنهم باعتمادهم عليه و تعلقهم به قد اجتهدوا

في مدحه و الثناء عليه لأنهم لو وجدوا عيبا غير ذلك لذكروه و لو بالغ أمير المؤمنين و بذل جهده في أن يثني أعداؤه و شانتوه عليه من حيث لا يعلمون لم يستطع إلى أن يجد إلى ذلك طريقا ألطف من هذه الطريق التي أسلكهم الله تعالى فيها و هداهم إلى منهاجها فظنوا أنهم يغضون منه و إنما أعلوا شأنه و يضعون من قدره و إنما رفعوا منزلته و مكانه

أقوال و حكايات في المزاح

و نحن نذكر من بعد ما جاء في الأحاديث الصحاح و الآثار المستفيضة المتفق على نقلها مزاح رسول الله ص و مزاح الأشراف و الأفاضل و الأكابر من أصحابه و التابعين له ليعلم أن المزاح إذا لم يخرج عن القاعدة الشرعية لم يكن قبيحا.

فأول ذلك ما رواه الناس قاطبة أن رسول الله ص قال إني أمزح و لا أقول إلا حقا. و قيل لسفيان الثوري المزاح هجنة فقال بل هو سنة، لقول رسول الله ص إني أمزح و لا أقول إلا الحق و جاء في الخبر أن رسول الله ص قال لامرأة من الأنصار الحقي زوجك فإن في عينه بياضا فسعت نحوه مرعوبة فقال لها ما دهاك فأخبرته فقال نعم إن في عيني بياضا لا لسوء فخفضي عليك فهذا من مزاح رسول الله ص

و أتت عجوز من الأنصار إليه ع فسألته أن يدعو الله تعالى لها بالجنة فقال إن الجنة لا تدخلها العجز فصاحت فتبسّم ع فقال (إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا)

و في الخبر أيضا أن امرأة استحملته فقال إنا حاملوك إن شاء الله تعالى على ولد الناقة فجعلت تقول يا رسول الله و ما أصنع بولد الناقة و هل يستطيع أن يحملني و هو يتسم و يقول لا أحملك إلا عليه حتى قال لها أخيرا و هل يلد الإبل إلا النوق و في الخبر أنه ع مر ببلال و هو نائم فضربه برجله و قال أ نائمة أم عمرو فقال بلال مرعوبا فضرب بيده إلى مذاكيره فقال له ما بالك قال ظننت أني تحولت امرأة قيل فلم يمزح رسول الله بعد هذه

و في الخبر أيضا أن نغرا كان لصبي من صبيان الأنصار فطار من يده فبكى الغلام فكان رسول الله ص يمر به فيقول يا أبا عمير ما فعل النغير و الغلام يبكي و كان يمازح ابني بنته مزاحا مشهورا و كان يأخذ الحسين ع فيجعله على بطنه و هو ع نائم على ظهره و يقول له حزقة حزقة ترق عين بقة

و في الحديث الصحيح المتفق عليه أنه مر على أصحاب الدركلة و هم يلعبون و يرقصون فقال جدوا يا بني أرفده حتى يعلم اليهود و النصارى أن في ديننا فسحة. قال أهل اللغة الدركلة بكسر الدال و الكاف لعبة للحبش فيها ترقص و بنو أرفدة جنس من الحبش يرقصون. و جاء في الخبر أنه سابق عائشة فسبقتها ثم سابقتها فسبقتها فقال هذه بتلك و في الخبر أيضا أن أصحاب الزفافة و هم الراقصون كانوا يقمعون باب حجرة عائشة فتخرج إليهم مستمعة و مبصرة فيخرج هو ع من ورائها مستترا بها و كان نعيما و هو من أهل بدر أولع الناس بالمزاح عند رسول الله ص

وكان يكثر الضحك فقال رسول الله ص يدخل الجنة و هو يضحك. و خرج نعيمان هو و سويط بن عبد العزى و أبو بكر الصديق في تجارة قبل وفاة رسول الله ص بعامين و كان سويط على الزاد فكان نعيمان يستطعمه فيقول حتى يجيء أبو بكر فمر بركب من نجران فباعه نعيمان منهم على أنه عبد له بعشر قلائص و قال لهم إنه ذو لسان و لهجة و عساه يقول لكم أنا حر فقالوا لا عليك. و جاءوا إليه فوضعوا عمامته في عنقه و ذهبوا به فلما جاء أبو بكر أخبر بذلك فردّه و أعاد القلائص إليهم فضحك رسول الله ص و أصحابه من ذلك سنة. و روي أن أعرابيا باع نعيمان عكة غسل فاشتراها منه فجاء بها إلى بيت عائشة في يومها و قال خذوها فظن رسول الله ص أنه أهداها إليه و مضى نعيمان فنزل الأعرابي على الباب فلما طال قعوده نادى يا هؤلاء إما أن تعطونا ثمن الغسل أو تردوه علينا فعلم رسول الله ص بالقصة و أعطى الأعرابي الثمن و قال لنعيمان ما حملك على ما فعلت قال رأيته يا رسول الله تحب الغسل و رأيت العكة مع الأعرابي فضحك رسول الله ص و لم ينكر عليه. و سئل النخعي هل كان أصحاب رسول الله يضحكون و يمزحون فقال نعم و الإيمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي.

و جاء في الخبر أن يحيى ع لقي عيسى ع و عيسى متبسم فقال يحيى ع ما لي أراك لا هيا كأنك آمن فقال ع ما لي أراك عابسا

كأنك آيس فقالا لا نبرح حتى ينزل علينا الوحي فأوحى الله إليهما أحكما إلى الطلق البسام
أحسنكما ظنا بي. و روي عن كبراء الصحابة رضي الله تعالى عنهم أنهم كانوا يتمازحون و
يتناشدون الأشعار فإذا خاضوا في الدين انقلبت حماليقهم و صاروا في صور أخرى. و روي أن عبد
الله بن عمر قال لجاريته خلقي خالق الخير و خلقي خالق الشر فبكت فقال لا عليك فإن الله
تعالى هو خالق الخير و هو خالق الشر. قلت يعني بالشر المرض و الغلاء و نحوهما. و كان ابن
سيرين ينشد

نبئت أن فتاة كنت أخطبها عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول
ثم يضحك حتى يسيل لعابه. و جاء عبد الرحمن بن عوف إلى باب عمر بن الخطاب فوجده
مستلقيا على مرفقة له رافعا إحدى رجليه على الأخرى منشدا بصوت عال
و كيف ثوائي بالمدينة بعد ما قضى وطرا منها جميل بن معمر
فلما دخل عبد الرحمن و جلس قال يا أبا محمد إنا إذا خلونا قلنا كما يقول الناس. و كان سعيد
بن المسيب ينشد

لقد أصبحت عرس الفرزدق جامحا و لو رضيت رمح استه لاستقرت
و يضحك حتى يستغرق. و كان يقال لا بأس بقليل المزاح يخرج منه الرجل عن حد العبوس.

و من كلام بعض الأدباء و نحن نحمد الله إليك فإن عقدة الإسلام في قلوبنا صحيحة و
أواخيه عندنا ثابتة و قد اجتهد قوم أن يدخلوا قلوبنا من مرض قلوبهم و أن يشوبوا يقيننا بشكهم
فعصم الله منهم و حال توفيقه دونهم و لنا بعد مذهب في الدعاة جميل لا يشوبه أذى و لا قذى
يخرج بنا إلى الأنس من العبوس و إلى الاسترسال من القطوب و يلحقنا بأحرار الناس الذين
ارتفعوا عن لبسة الرياء و أنفوا من التشوف بالتصنع. و قال ابن جريج سألت عطاء عن القراءة
على ألحان الغناء و الحداء فقال لي لا بأس بذلك حدثني عبيد الله بن عمر الليثي أنه كان لداود
النبخي معزة قد يضرب بها إذا قرأ الزبور فتجتمع إليه الطير و الوحش فيبكي و يبكي من حوله. و
قال جابر بن عبد الله الجعفي رأيت الشعبي يقول لخياط يمازحه عندنا حب مكسور و أحب أن
تخيطه فقال الخياط أحضر لي خيوطا من ريش لأخيطه لك. و سئل الشعبي هل يجوز أن يؤكل الجني
لو ظفر به فقال ليتنا نخرج منه كفافا لا لنا و لا علينا. و سأل إنسان محمد بن سيرين عن هشام بن
حسان فقال توفي البارحة أ ما شعرت فخرج يسترجع فلما رأى ابن سيرين جزعه قرأ (**اللَّهُ يَتَوَفَّى**
الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا). و كان زيد بن ثابت من أفكه الناس في بيته و أرفنهم و قد أباح الله تعالى
الرفث إلى النساء فقال (**أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةُ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ**

وَأَنْتُمْ لِبَاسٍ لَهْنٍ) و قال أهل اللغة الرفث القول الفاحش تخاطب به المرأة حال الجماع. و مر بالشعبي حمال على ظهره دن خل فوضع الدن و قال له ما كان اسم امرأة إبليس فقال الشعبي ذلك نكاح ما شهدناه. و قال عكرمة ختن ابن عباس بنيه فأرسلني فدعوت اللعابين فلعبوا فأعطاهم أربعة دراهم. و تقدم رجلان إلى شريح في خصومة فأقر أحدهما بما ادعي عليه و هو لا يدري فقضى شريح عليه فقال أصلحك الله أ تقضي علي بغير بينة قال بلى شهد عندي ثقة قال و من هو قال ابن أخت خالتك.

و جاء في الخبر أن النبي ص مر بصهيب و هو أرمد يأكل تمرا فنهاه فقال إنما آكله عن جانب العين الصحيحة يا رسول الله فضحك منه و لم ينكر عليه

و في الخبر أنه ص مر بحسان بن ثابت و قد رش أطماره و عنده جارية تغنيه

هـل على ويحكمـا إن لغوت من حـرج

فقال ص لا حرج إن شاء الله. و قيل إن عبد الله بن جعفر قال لحسان بن ثابت في أيام معاوية لو غنتك فلانة جاريتي صوت كذا لم تدرك ركابك فقال يا أبا جعفر (فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير).

و قال أسلم مولى عمر بن الخطاب مر بي عمر و أنا و عاصم نغني غناء النصب فوقف و قال أعيدا علي فأعدنا عليه و قلنا أينما أحسن صنعة يا أمير المؤمنين فقال مثلكما كحماري العبادي قيل له أي حماريك شر فقال هذا ثم هذا فقلت يا أمير المؤمنين أنا الأول من الحمارين فقال أنت الثاني منهما. و مر نعيمان و هو بدري بمخرمة بن نوفل في خلافة عثمان و قد كف بصره فقال أ لا يقودني رجل حتى أبول فأخذ نعيمان بيده حتى صار به إلى مؤخر المسجد و قال هاهنا قبل فبال فصاح به الناس فقال من قادني قيل نعيمان قال لله علي أن أضربه بعصاي هذه فبلغ نعيمان فأثاه فقال بلغني أنك أقسمت لتضربن نعيمان فهل لك فيه قال نعم قال قم فقام معه حتى وافي به عثمان بن عفان و هو يصلي فقال دونك الرجل فجمع محرمة يديه في العصا و ضربه بها فصاح الناس و بلك أمير المؤمنين قال من قادني قالوا نعيمان قال و ما لي و لنعيمان لا أعرض له أبدا. و كان طويس يتغنى في عرس فدخل النعمان بن بشير الأنصاري العرس و طويس يغنيهم

أ جـد بعمرة هجرانها و تسخط أم شاننا شانها

فأشاروا إليه بالسكوت فقال النعمان دعوه إنه لم يقل بأسا إنما قال

و عمرة من سـروات النساء تنفـح بالمسك أردانها

و عمرة هذه أم النعمان و فيها قيل هذا النسيب. و قد روي عن جماعة من الصحابة و التابعين اللعب بالنرد و الشطرنج و منهم من روي عنهم شرب النبيذ و سماع الغناء المطرب.

فأما أمير المؤمنين علي ع فإذا نظرت إلى كتب الحديث و السير لم تجد أحدا من خلق الله عدوا و لا صديقا روى عنه شيئا من هذا الفن لا قولاً و لا فعلاً و لم يكن جد أعظم من جده و لا وقار أتم من وقاره و ما هزل قط و لا لعب و لا فارق الحق و الناموس الديني سرا و لا جهرا و كيف يكون هازلا و من كلامه المشهور عنه ما مزح امرؤ مزحة إلا و مج معها من عقله مجة و لكنه خلق على سجية لطيفة و أخلاق سهلة و وجه طلق و قول حسن و بشر ظاهر و ذلك من فضائله ع و خصائصه التي منحها الله بشرفها و اختصه بمزيتها و إنما كانت غلظته و فظاظته فعلا لا قولاً و ضربا بالسيف لا جبها بالقول و طعنا باللسان لا عضها باللسان كما قال الشاعر
و تسفه أيدينا و يحلم رأينا و نشتم بالأفعال لا بالتكلم

نبد و أقول في حسن الخلق و مدحه

فأما سوء الخلق فلم يكن من سجايه فقد قال النبي ص خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل و سوء الخلق و قال الله تعالى لنبيه ص (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) و قال أيضا (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) .
و قيل لرسول الله ص ما الشؤم فقال سوء الخلق. و صحب جابر رجلا في طريق مكة فآذاه سوء خلقه فقال جابر إني لأرحمه نحن نفارقه و يبقى معه سوء خلقه.

و قيل لعبد الله بن جعفر كيف تجاور بني زهرة و في أخلاقهم زعارة قال لا يكون لي قبلهم شيء إلا تركته و لا يطلبون مني شيئا إلا أعطيتهم.

و في الحديث المرفوع أنه ص قال أ لا أنبئكم بشر الناس قالوا بلى يا رسول الله قال من نزل وحده و منع رفته و ضرب عبده ثم قال أ لا أنبئكم بشر من ذلك قالوا بلى قال من لم يقل عشرة و لا يقبل معذرة. و قال إبراهيم بن عباس الصولي لو وزنت كلمة رسول الله ص بمحاسن الخلق كلها لرجحت

قوله إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم

و في الخبر المرفوع حسن الخلق زمام من رحمة الله في أنف صاحبه و الزمام بيد الملك و الملك يجره إلى الخير و الخير يجره إلى الجنة و سوء الخلق زمام من عذاب الله في أنف صاحبه و الزمام بيد الشيطان و الشيطان يجره إلى الشر و الشر يجره إلى النار

و روى الحسن بن علي ع عن النبي ص أن الرجل يدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم و إنه ليكتب جبارا و لا يملك إلا أهله

و روى أبو موسى الأشعري قال بينا رسول الله ص يمشي و امرأة بين يديه فقلت الطريق لرسول الله ص فقالت الطريق معرض إن شاء أخذ يمينا و إن شاء أخذ شمالا فقال ص دعوها فإنها جبارة. و قال بعض السلف الحسن الخلق ذو قرابة عند الأجانب و السيئ الخلق أجنبي عند أهله. و من كلام الأحنف أ لا أخبركم بالمحمدة بلا مذمة الخلق السجيج و الكف عن القبيح أ لا أخبركم بأدواء الخلق الديني و اللسان البذيء.

و في الحديث المرفوع أول ما يوضع في الميزان الخلق الحسن
و جاء مرفوعا أيضا المؤمن هين لين كالجمال الأنف إن قيد انقاد و إن أنيخ على صخرة
استناخ

و جاء مرفوعا أيضا أ لا أخبركم بأحبكم إلي و أقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم
أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون و يؤلفون أ لا أخبركم بأبغضكم إلي و أبعدكم مني مجالس يوم
القيامة الثرثارون المتفيهقون. أبو رجاء العطاردي من سره أن يكون مؤمنا حقا فليكن أذل من قعود
كل من مر به ادعاه. فضيل بن عياض لأن يصحبي فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبي
عابد سيئ الخلق لأن الفاسق إذا حسن خلقه خف على الناس و أحبوه و العابد إذا ساء خلقه
ثقل على الناس و مقتوه.

دخل فرقد و محمد بن واسع على رجل يعودانه فجرى ذكر العنف و الرفق فروى فرقد عن رسول
الله ص أنه قيل له على من حرمت النار يا رسول الله قال على الهين اللين السهل القريب فلم يجد
محمد بن واسع بياضا يكتب ذلك فيه فكتبه على ساقه. عبد الله بن الداراني ما ضرب عبد بعقوبة
أعظم من قسوة القلب.

عائشة قال رسول الله ص إذا أراد الله بأهل بيت خيرا أدخل عليهم باب رفق
و عنها عنه ص من أعطي حظه من الرفق أعطي حظه من خير الدنيا و الآخرة

جرير بن عبد الله البجلي رفعه أن الله ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق فإذا أحب الله عبدا أعطاه الرفق و كان يقال ما دخل الرفق في شيء إلا زانه. أبو عون الأنصاري ما تكلم الإنسان بكلمة عنيفة إلا و إلى جانبها كلمة ألين منها تجري مجراها.

سئلت عائشة عن خلق رسول الله ص فقالت كان خلقه القرآن (**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**). و سئل ابن المبارك عن حسن الخلق فقال بسط الوجه و كف الأذى و بذل الندى.

ابن عباس أن الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد و أن الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل

علي ع ما من شيء في الميزان أثقل من خلق حسن
و عنه ع عنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه

و عنه ع مرفوعا عليكم بحسن الخلق فإنه في الجنة و إياكم و سوء الخلق فإنه في النار. قال المنصور لأخيه أبي العباس في بني حسن لما أزمعوا الخروج عليه آنسهم يا أمير المؤمنين بالإحسان فإن استوحشوا فالشر يصلح ما يعجز عنه الخير و لا تدع مُجْدًا يمرح في أعنة العقوق فقال أبو العباس يا أبا جعفر إنه من شدد نفر و من لان ألف و التغافل من سجايا الكرام

فصل في ذكر أسباب الغلظة و الفظاظة

و نحن نذكر بعد كلاما كلياً في سبب الغلظة و الفظاظة و هو الخلق المنافي للخلق الذي كان عليه أمير المؤمنين فنقول

إنه قد يكون لأمر عائد إلى المزاج الجسماني و قد يكون لأمر راجع إلى النفس فأما الأول فإنما يكون من غلبة الأخلاط السوداء و ترمدها و عدم صفاء الدم و كثرة كدريته و عكره فإذا غلظ الدم و ثخن غلظ الروح النفساني و ثخن أيضا لأنه متولد من الدم فيحدث منه نوع مما يحدث لأصحاب الفطرة من الاستيحاش و النبوة عن الناس و عدم الاستئناس و البشاشة و صار صاحبه ذا جفاء و أخلاق غليظة و يشبه أن يكون هذا سببا ماديا فإن الذي يقوى في نفسي أن النفوس إن صحت و ثبتت مختلفة بالذات. و أما الراجع إلى النفس فأن يجتمع عندها أسقاط و أنصباء من قوى مختلفة مدمومة نحو أن تكون القوة الغضبية عندها متوافرة و ينضاف إليها تصور الكمال في ذاتها و توهم النقصان في غيرها فيعتقد أن حركات غيره واقعة على غير الصواب و أن الصواب ما توهمه. و ينضاف إلى ذلك قلة أدب النفس و عدم الضبط لها و استحقارها للغير و يقلل التوقير له و ينضاف إلى ذلك لجأج و ضيق في النفس و حدة و استشاطاة و قلة صبر عليه فيتولد من مجموع هذه الأمور خلق ديني و هو الغلظة و الفظاظة و الوعورة و البادرة المكروهة و عدم حبه الناس و لقاءهم بالأذى و قلة المراقبة لهم و استعمال القهر في جميع الأمور و تناول الأمر من السماء و هو قادر على أن يتناوله من الأرض. و هذا الخلق خارج عن الاعتدال و داخل في حيز الجور و لا ينبغي أن يسمى بأسماء المدح و أعني بذلك أن قوما يسمون هذا النوع من العنف و الخلق الوعر رجولية و شدة و شكيمة و يذهبون به مذهب قوة النفس و شجاعتها الذي هو بالحقيقة مدح و شتان بين الخلقين فإن صاحب هذا الخلق الذي ذمناه تصدر عنه أفعال كثيرة يجور فيها على نفسه ثم على إخوانه على الأقرب فالأقرب من معامليه حتى ينتهي إلى عبيده و حرمة فيكون عليهم سوط عذاب لا يقللهم عثرة و لا يرحم لهم عيرة و إن كانوا برآء الذنوب غير مجرمين و لا مكتسبي سوء بل يتجرم عليهم و يهيج من أدنى سبب يجد به طريقا إليهم

حتى ييسط يده و لسانه و هم لا يمتنعون منه و لا يتجاسرون على رده عن أنفسهم بل يذعنون له و يقرون بذنوب لم يقرّفوها استكفافا لعاديتّه و تسكيناً لغضبه و هو في ذلك يستمر على طريقته لا يكف يدا و لا لساناً. و أصل هذا الخلق الذي ذكرناه أنه مركب من قوى مختلفة من شدة القوة الغضبية فهي الحاملة لصاحب هذا الخلق على ما يصدر عنه من البادرة المكروهة و الجبة و القحة و قد رأينا و شاهدنا من تشتد القوة الغضبية فيه فيتجاوز الغضب على نوع الإنسان إلى البهائم التي لا تعقل و إلى الأواني التي لا تحس و ربما قام إلى الحمار و إلى البرذون فضربهما و لكمهما و ربما كسر الآنية لشدة غضبه و ربما عض القفل إذا تعسر عليه و ربما كسر القلم إذا تعلق به شعره من الدواة و اجتهد في إزالتها فلم تزل. و يحكى عن بعض ملوك اليونان المتقدمين أنه كان يغضب على البحر إذا هاج و اضطرب و تأخرت سفنه عن النفوذ فيه فيقسم بمعبوده ليظمنه و ليطرحن الجبال فيه حتى يصير أرضاً و يقف بنفسه على البحر و يهدده بذلك و يجره زجراً عنيفاً حتى تدر أوداجه و يشتد احمرار وجهه و منهم من لا يسكن غضبه حتى يصب عليه ماء بارد أو حتى يبول و لهذا ورد في الشريعة الأمر لمن اشتد غضبه أن يتوضأ للصلاة و يصلي. و كان عمر بن الخطاب إذا غضب على واحد من أهله لا يسكن غضبه حتى يعض يده عضاً شديداً حتى يدميها. و ذكر الزبير بن بكار في الموفقيات أن سرية جاءت لعبد الرحمن أو لعبيد الله

بن عمر بن الخطاب إليه تشكوه فقالت يا أمير المؤمنين أ لا تعذرني من أبي عيسى قال و من أبو عيسى قالت ابنك عبيد الله قال ويحك و قد تكني بأبي عيسى ثم دعاه فقال أيها اكتنيت بأبي عيسى فحذر و فرع و أخذ يده فعضها ثم ضربه و قال ويلك و هل لعيسى أب أ تدري ما كنى العرب أبو سلمة أبو حنظلة أبو عرفة أبو مرة. قال الزبير و كان عمر إذا غضب على بعض أهله لم يسكن غضبه حتى يعض يده عضاً شديداً و كان عبد الله بن الزبير كذلك و لقوة هذا الخلق عنده أضمر عبد الله بن عباس في خلافته إبطال القول بالعدول و أظهره بعده فقبل له هلا قلت هذا في أيام عمر فقال هبته و كان أميراً مهيباً. و لذلك قال أيضاً أبو سفيان في استلحاق زياد أخاف من هذا العير الجالس أن يخرق علي إهابي فإذا هابه أبو سفيان و هو من بني عبد مناف في المنزل التي تعلم و حوله بنو عبد شمس و هم جمة قريش فما ظنك بمن هو دونه. و قد علمت حال جبلة بن الأيهم و ارتداده عن الإسلام لتهده له و وعيده إياه أن يضربه بالدرة و فساد الحال بينه و بين خالد بن الوليد بعد أن كان ولياً مصافياً و منحرفاً عن غيره قالياً و الشأن الذي كان بينه و بين طلحة حتى هم أن يوقع به و حتى هم طلحة أن يجاهره و طلحة هو الذي قال لأبي بكر عند موته ما ذا تقول لربك و قد وليت فينا فظاً غليظاً و هو القائل له يا خليفة رسول الله إنا كنا لا نحتمل شرسته و أنت حي تأخذ على يديه فكيف يكون حالنا معه و أنت ميت و هو الخليفة. و اعلم أنا لا نريد بهذا القول ذمه ﷺ و كيف نذمه و هو أولى الناس بالمدح

و التعظيم ليمن نقييته و بركة خلافته و كثرة الفتوح في أيامه و انتظام أمور الإسلام على يده و لكننا أردنا أن نشرح حال العنف و الرفق و حال سعة الخلق و ضيقه و حال البشاشة و العبوس و حال الطلاقة و الوعورة فنذكر كل واحد منها ذكرا كليا لا نخص به إنسانا بعينه فأما عمر فإنه و إن كان وعرا شديدا خشنا فقد رزق من التوفيق و العناية الإلهية و نجاح المساعي و طاعة الرعية و نفوذ الحكم و قوة الدين و حسن النية و صحة الرأي ما يربي محاسنه و محامده على ما في ذلك الخلق من نقص و ليس الكامل المطلق إلا الله تعالى وحده. فأما حديث الرضيخة و ما جعل معاوية لعمر بن العاص من جعالة على مبايعته و نصرته فقد تقدم ذكره في أخبار صفين المشروحة في هذا الكتاب من قبل

٨٤ و من خطبة له ع

وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ وَ الْآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ لَا تَقَعُ
الْأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ وَ لَا تُعْقَدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ وَ لَا تَنَالُهُ التَّجَزُّؤُةُ وَ التَّبَعِيضُ وَ لَا تُحِيطُ
بِهِ الْأَبْصَارُ وَ الْقُلُوبُ فِي هَذَا الْفَصْلِ عَلَى قَصْرِ ثَمَانِي مَسَائِلٍ مِنْ مَسَائِلِ التَّوْحِيدِ. الأولى أنه لا
ثاني له سبحانه في الإلهية. و الثانية أنه قديم لا أول له فإن قلت ليس يدل كلامه على القدم لأنه
قال الأول لا شيء قبله فيوهم كونه غير قديم بأن يكون محدثا و ليس قبله شيء لأنه محدث عن
عدم و العدم ليس بشيء قلت إذا كان محدثا كان له محدث فكان ذلك المحدث قبله فثبت أنه متى
صدق أنه ليس شيء قبله صدق كونه قديما. و الثالثة أنه أبدي لا انتهاء و لا انقضاء لذاته. و
الرابعة نفي الصفات عنه أعني المعاني. و الخامسة نفي كونه مكيفا لأن كيف إنما يسأل بها عن
ذوي الهيئات و الأشكال و هو منزّه عنها. و السادسة أنه غير متبعض لأنه ليس بجسم و لا
عرض.

و السابعة أنه لا يرى و لا يدرك. و الثامنة أن ماهيته غير معلومة و هو مذهب الحكماء و كثير من المتكلمين من أصحابنا و غيرهم. و أدلة هذه المسائل مشروحة في كتبنا الكلامية. و اعلم أن التوحيد و العدل و المباحث الشريفة الإلهية ما عرفت إلا من كلام هذا الرجل و أن كلام غيره من أكابر الصحابة لم يتضمن شيئا من ذلك أصلا و لا كانوا يتصورونه و لو تصوروه لذكروه و هذه الفضيلة عندي أعظم فضائله ع : وَ مِنْهَا فَاتَّعِظُوا عِبَادَ اللَّهِ بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ وَ اعْتَبِرُوا بِالْآيِ السَّوَاطِعِ وَ ارْذَجِرُوا بِالنُّذُرِ الْبَوَالِغِ وَ انْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ وَ الْمَوَاعِظِ فَكَأَنَّ قَدْ عَلِقْتُمْ مَخَالِبَ الْمَنِيِّ وَ انْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عِلَاقَةُ الْأُمْنِيَّةِ وَ دَهَمَتْكُمْ مُفْطِعَاتُ الْأُمُورِ وَ السَّيَاقَةُ إِلَى الْوُرْدِ الْمَوْزُودِ فَكُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا وَ شَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا الْعِبَرِ جَمْعُ عِبْرَةٍ وَ هِيَ مَا يَعتَبَرُ بِهِ أَي يَتَعَذَّرُ وَ الْآيِ جَمْعُ آيَةٍ وَ يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ

بها آي القرآن و يجوز أن يريد بها آيات الله في خلقه و في غرائب الحوادث في العالم. و السواطع المشرقة المنيرة. و النذر جمع نذير و هو المخوف و الأحسن أن يكون النذر هاهنا هي الإنذارات نفسها لأنه قد وصف ذلك بالبوالغ و فواعل لا تكون في الأكثر إلا صفة المؤنث. و مفضعات الأمور شدائدتها الشنيعة أفضع الأمر فهو مفضع و يجوز فضع الأمر بالضم فظاعة فهو فظيع و أفضع الرجل على ما لم يسم فاعله أي نزل به ذلك. و قوله و السياقة إلى الورد المورود يعني الموت و قوله سائق و شهيد و قد فسر ع ذلك و قال سائق يسوقها إلى محشرها و شاهد يشهد عليها بعملها و قد قال بعض المفسرين إن الآية لا تقتضي كونهما اثنين بل من الجائز أن يكون ملكا واحدا جامعا بين الأمرين كأنه قال و جاءت كل نفس معها ملك يسوقها و يشهد عليها و كلام أمير المؤمنين يحتمل ذلك أيضا لأنه لم يقل أحدهما لكن أظهر في الأخبار و الآثار أنهما ملكان. فإن قلت إذا كان تعالى عالما بكل شيء فأني حاجة إلى الملائكة التي تكتب الأعمال كما قال سبحانه (بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) و إذا كان تعالى أعدل العادلين فأني حاجة إلى ملك يشهد على المكلف يوم القيامة و إذا كان قادرا لذاته فأني حاجة إلى ملك يسوق المكلف إلى المحشر قلت يجوز أن يكون في تقرير مثل ذلك في أنفس المكلفين في الدنيا ألطاف و مصالح لهم في أديانهم فيخاطبهم الله تعالى به

لوجوب اللطف في حكمته و إذا خاطبهم به وجب فعله في الآخرة لأن خبره سبحانه لا يجوز الخلف عليه : وَ مِنْهَا فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلَاتٌ وَ مَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا وَ لَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا وَ لَا يَهْرُمُ خَالِدُهَا وَ لَا يَبْأَسُ [يَبْأَسُ] سَاكِنُهَا الدرجات جمع درجة و هي الطبقات و المراتب و يقال لها درجات في الجنة و دركات في النار و إنما تفاضلت و تفاوتت بحسب الأعمال و لا يجوز أن يقع ذلك تفضلا لأن التفضل بالثواب قبيح. فإن قلت فما قولك في الحور و الولدان و الأطفال و المجانين قلت يكون الواصل إليهم نعيما و لذة لا شبهة في ذلك و لكن لا ثواب لهم و لا ينالونه و الثواب أمر أخص من المنافع و النعيم لأنه منافع يقتزن بها التعظيم و التبجيل و هذا الأمر الأخص لا يحسن إيصاله إلا إلى أرباب العمل. و قوله لا ينقطع نعيمها و لا يظعن مقيمها قول متفق عليه بين أهل الملة إلا ما يحكى عن أبي الهذيل أن حركات أهل الجنة تنتهي إلى سكون دائم و قد نزهه قوم من أصحابنا عن هذا القول و أكذبوا رواته و من أثبتته منهم عنه زعم أنه لم يقل بانقطاع النعيم لكن بانقطاع الحركة مع دوام النعيم و إنما حملة على ذلك أنه لما استدل على أن

الحركة الماضية يستحيل ألا يكون لها أول عورض بالحركات المستقبلية لأهل الجنة و النار فالترم أنها متناهية و إنما استبعد هذا عنه لأنه كان أجل قدرا من أن يذهب عليه الفرق بين الصورتين. و يئأس مضارع يئس و جاء فيه يئس بالكسر و هو شاذ كشدوذ يحسب و ينعم و معنى يئأس يصيبه البؤس و هو الشقاء

قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ لَهُ الْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ وَالْعَلْبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَالْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامٍ مَهْلَةٍ قَبْلَ إِزْهَاقِ أَجَلِهِ وَ فِي فَرَاغِهِ قَبْلَ أَوَانِ شُغْلِهِ وَ فِي مُتَنَفِّسِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَظْمِهِ وَ لِيُمَهِّدَ لِنَفْسِهِ وَ قَدَمِهِ وَ لِيَتَزَوَّدَ مِنْ دَارِ طَعْنِهِ لِدَارِ إِقَامَتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ اللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا اسْتَحْفَظْتُكُمْ [أَحْفَظْتُكُمْ] مِنْ كِتَابِهِ وَ اسْتَوَدَعْتُكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا وَ لَمْ يَتْرِكْكُمْ سُدًى وَ لَمْ يَدْعُكُمْ فِي جَهَالَةٍ وَ لَا عَمًى قَدْ سَمَى آثَارَكُمْ وَ عَلِمَ أَعْمَالَكُمْ وَ كَتَبَ آجَالَكُمْ وَ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ الْكِتَابَ تَبَيَّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَ عَمَرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَانًا حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَ لَكُمْ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ وَ أَنْهَى إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِهِ مُحَابَبَتَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَ مَكَارِهِهِ وَ نَوَاهِيَهُ وَ أَوَامِرَهُ وَ أَلْفَى إِلَيْكُمْ الْمَعْدِرَةَ وَ اخْتَذَ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةَ وَ قَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ وَ أَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ السَّرَائِرَ جَمْعُ سَرِيرَةٍ وَ هُوَ مَا يَكْتُمُ مِنَ السِّرِّ وَ خَبَرِ الضَّمَائِرِ بَفَتْحِ الْبَاءِ امْتَحَنَهَا وَ ابْتَلَاهَا وَ مِنْ رَوَاهُ بِكَسْرِ الْبَاءِ أَرَادَ عِلْمَ وَ الْاسْمَ

الخبر بضم الخاء و هو العلم و الضمائر جمع ضمير و هو ما تضرمه و تكنه في نفسك. و في قوله له الإحاطة بكل شيء و قد بينها ثلاث مسائل في التوحيد إحداهن أنه تعالى عالم بكل المعلومات. و الثانية أنه لا شريك له و إذا ثبت كونه عالما بكل شيء كان في ضمن ذلك نفي الشريك لأن الشريك لا يكون مغلوبا. و الثالثة أنه قادر على كل ما يصح تعلق قدرته تعالى به. و أدلة هذه المسائل المذكورة في الكتب الكلامية. و قوله فليعمل العامل منكم إلى قوله و ليتزود من دار ظعنه لدار إقامته مأخوذ من قول رسول الله ص في خطبته المشهورة

و هي أيها الناس إن لكم معالم فانتبهوا إلى معالمكم و إن لكم غاية فانتبهوا إلى غايتكم إن المؤمن بين محافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع به و أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه و من دنياه لآخرته و من الشبيبة قبل الهرم و من الحياة قبل الموت فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعقب و ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار. و المهل المهلة و التؤدة و الإرهاق مصدر أرهاق تقول أرهاقه قرنه في الحرب إرهاقا إذا غشيه ليقتله و زيد مرهق قال الشاعر

تندى أكفهم و في أييأتهم ثقة المجاور و المضاف المرهق

و في متنفسه أي في سعة وقته يقال أنت في نفس من أمرك أي في سعة.

و الكظم بفتحهما مخرج النفس و الجمع أكظام و يجوز ظعنه و ظعنه بتحريك العين و تسكينها و قرئ بهما (يَوْمَ ظَلَعْنِيكُمْ) (و ظعنكم) و نصب الله الله على الإغراء و هو أن تقدر فعلا ينصب المفعول به أي اتقوا الله و جعل تكرير اللفظ نائبا عن الفعل المقدر و دليلا عليه. استحفظكم من كتابه جعلكم حفظة له جمع حافظ. السدى المهمل و يجوز سدى بالفتح أسديت الإبل أهملتها و قوله قد سمي آثاركم يفسر بتفسيرين أحدهما قد بين لكم أعمالكم خيرها و شرها كقوله تعالى (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) و الثاني قد أعلى مآثركم أي رفع منازلكم إن أطعتم و يكون سمي بمعنى أسمى كما كان في الوجه الأول بمعنى أبان و أوضح. و التبيان بكسر التاء مصدر و هو شاذ لأن المصادر إنما تحيى على التفعال بفتحها مثل التذكار و التكرار و لم يأت بالكسر إلا حرفان و هما التبيان و التلقاء. و قوله حتى أكمل له و لكم دينه من قوله تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي). و قوله الذي رضي لنفسه من قوله تعالى (وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ) لأنه إذا ارتضى لهم فقد ارتضاه لنفسه أي ارتضى أن ينسب إليه فيقال هذا دين الحق و أنهى إليكم عرفكم و أعلمكم. و محابه جمع محبة و مكارهه جمع مكروهة و هي ما تكره و في هذا دلالة أن الله تعالى يحب الطاعة و يكره المعصية و هو خلاف قول المجبرة.

و الأوامر جمع أمر و أنكره قوم و قالوا هاهنا جمع أمر كالأحوص جمع أحوص و الأحامر جمع أحمر يعني الكلام الأمر لهم بالطاعات و هو القرآن. و النواهي جمع ناهية كالسواري جمع سارية و الغواصي جمع غادية يعني الآيات الناهية لهم عن المعاصي و يضعف أن يكون الأوامر و النواهي جمع أمر و نهي لأن فعلا لا يجمع على أفعال و فواعل و إن كان قال ذلك بعض الشواذ من أهل الأدب. و قوله و ألقى إليكم المعذرة كلام فصيح و هو من قوله تعالى (أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ). و قدم إليكم بالوعيد و أنذركم بين يدي عذاب شديد أي أمامه و قبله مأخوذ أيضا من القرآن و معنى قوله بين يدي عذاب شديد أي أمامه و قبله لأن ما بين يديك متقدم لك : فَاسْتَذِرْكُمْ بَقِيَّةِ أَيَّامِكُمْ وَ اصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسُكُمْ فَإِنَّهَا قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ الْأَيَّامِ الَّتِي تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا الْعُقْلَةُ وَ التَّشَاغُلُ عَنِ الْمَوْعِظَةِ وَ لَا تُرَخِّصُوا أَنْفُسَكُمْ فَتَذْهَبَ بِكُمْ الرُّحُصُ مَذَاهِبَ الظُّلْمَةِ وَ لَا تُدَاهِنُوا فِيهِمْ بِكُمْ الْإِذْهَانُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ وَ إِنَّ أَعَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَغْصَاهُمْ لِرَبِّهِ وَ الْمَعْبُودُ مَنْ عَبَى نَفْسَهُ وَ الْمَعْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ وَ السَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ بَعِيرَهُ وَ الشَّقِيُّ مَنْ اخْتَدَعَ لَهْوَهُ وَ غُرُورُهُ

وَاعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شَرُّهُ وَ مُجَالَسَةُ أَهْلِ الْهَوَى مَنَسَةٌ لِلْإِيمَانِ وَ مُحَضَّرَةٌ لِلشَّيْطَانِ جَائِئُوا
الْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ الصَّادِقُ عَلَى شَفَا مَنْجَاةٍ وَ كَرَامَةٍ وَ الْكَاذِبُ عَلَى شَرَفٍ مَهْوَاةٍ وَ
مَهَانَةٍ وَ لَا تَحَاسَدُوا فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْخُطْبَ وَ لَا تَبَاغَضُوا فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ
وَاعْلَمُوا أَنَّ الْأَمَلَ يُسْهِي الْعَقْلَ وَ يُنْسِي الدِّكْرَ فَأَكْذِبُوا الْأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ وَ صَاحِبُهُ مَغْرُورٌ قَوْلُهُ
فَاسْتَدْرَكُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ يَقَالُ اسْتَدْرَكَتْ مَا فَاتَ وَ تَدَارَكَتْ مَا فَاتَ بِمَعْنَى وَ اصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ
مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ-) يَقَالُ صَبِرَ
فُلَانٌ نَفْسَهُ عَلَى كَذَا أَيْ حَبَسَهَا عَلَيْهِ يَتَعَدَّى فَيَنْصَبُ قَالَ عَنَتْرَةَ

فَصَبِرْتَ عَارِفَةً لَذَلِكَ حُرَّةٌ تَرَسُّوْ إِذَا نَفْسُ الْجَبَانِ تَطْلَعُ
أَيَّ حَبَسْتَ نَفْسًا عَارِفَةً. وَ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ فِي رَجُلٍ أَمْسَكَ رَجُلًا وَ قَتَلَهُ الْآخَرُ فَقَالَ ع
اقتلوا القتلة و اصبروا الصابر أي احبسوا الذي أمسكه حتى يموت. و الضمير في فإنها قليل عائد
إلى الأيام التي أمرهم باستدراكها يقول إن هذه الأيام التي قد بقيت من أعماركم قليلة بالنسبة و
الإضافة إلى الأيام التي تغفلون فيها عن الموعظة.

و قوله فإنها قليل فأخبر عن المؤنث بصيغة المذكر إنما معناه فإنها شيء قليل بحذف الموصوف كقوله (وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) أي قبيلًا رفيقًا. ثم قال و لا ترخصوا نهي عن الأخذ برخص المذاهب و ذلك لأنه لا يجوز للواحد من العامة أن يقلد كلا من أئمة الاجتهاد فيما خف و سهل من الأحكام الشرعية أو لا تساهلوا أنفسكم في ترك تشديد المعصية و لا تسامحوها و ترخصوا إليها في ارتكاب الصغائر و المحقرات من الذنوب فتهجم بكم على الكبائر لأن من مرن على أمر تدرج من صغيره إلى كبيره. و المداينة النفاق و المصانعة و الادهان مثله قال تعالى (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ). قوله إن أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربه لأنه قد صانها عن العقاب و أوجب لها الثواب و ذلك غاية ما يمكن من نصيحتها و نفعها. قوله و إن أغش الناس لنفسه أعصاهم لربه لأنه ألقاها في الهلاك الدائم و ذلك أقصى ما يمكن من غشها و الإضرار بها. ثم قال و المغبون من غبن نفسه أي أحق الناس أن يسمى مغبونا من غبن نفسه يقال غبنته في البيع غبنا بالتسكين أي خدعته و قد غبن فهو مغبون و غبن الرجل رأيه بالكسر غبنا بالتحريك فهو غبين أي ضعيف الرأي و فيه غبانة و لفظ الغبن يدل على أنه من باب غبن البيع و الشراء لأنه قال و المغبون و لم يقل و الغبين. و المغبوط الذي يتمنى مثل حاله و الذي يتمنى زوال حاله و انتقالها هو الحاسد

و الحسد مذموم و الغبطة غير مذمومة يقال غبطته بما نال أغبطه غبطا و غبطة فاغبط هو كقولك منعتة فامتنع و حبسته فاحتبس قال الشاعر

و بينما المرء في الأحياء مغتبط إذ صار في الرمس تعفوه الأعاصير

هكذا أنشدوه بكسر الباء و قالوا فيه مغتبط أي مغبوط. قوله و السعيد من وعظ بغيره مثل من الأمثال النبوية. و قد ذكرنا فيما تقدم ما جاء في ذم الرياء و تفسير كونه شركا. و قوله ع منسأة للإيمان أي داعية إلى نسيان الإيمان و إهماله و الإيمان الاعتقاد و العمل. و محضرة للشيطان موضع حضوره كقولك مسبعة أي موضع السباع و مفعاة أي موضع الأفاعي. ثم نهي عن الكذب و قال إنه بجانب للإيمان و كذا ورد في الخبر المرفوع. و شفا منجاة أي حرف نجاة و خلاص و شفا الشيء حرفه قال تعالى (وَ كُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ) و أشفى على الشيء و أشرف عليه بمعنى و أكثر ما يقال ذلك في المكروه يقال أشفى المريض على الموت و قد استعمله هاهنا في غير المكروه. و الشرف المكان العالي بفتح الشين و أشرفت عليه أي اطلعت من فوق. و المهواة موضع السقوط و المهانة الحقارة. ثم نهي عن الحسد و قال إنه يأكل الإيمان كما تأكل النار الخطب و قد ورد هذا الكلام في الأخبار المرفوعة و قد تقدم منا كلام في الحسد و ذكرنا كثيرا مما جاء فيه.

ثم نهي عن المباغضة و قال إنها الخالقة أي المستأصلة التي تأتي على القوم كالحلق للشعر. ثم نهي عن الأمل و طوله و قال إنه يورث العقل سهوا و ينسي الذكر ثم أمر بالكذاب الأمل و نهي عن الاعتماد عليه و السكون إليه فإنه من باب الغرور. و قد ذكرنا في الأمل و طوله نكتا نافعة فيما تقدم و يجب أن نذكر ما جاء في النهي عن الكذب

فصل في ذم الكذب و حقارة الكذابين

جاء في الخبر عن رسول الله ص إذا كذب العبد كذبة تباعد الملك منه مسيرة ميل من نتن ما جاء به

و عنه ع إياكم و الكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور و الفجور يهدي إلى النار و إن الرجل ليكذب و يتحرى الكذب فيكتب عند الله كاذبا و عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر و إن البر ليهدي إلى الجنة و إن الرجل ليصدق و يتحرى الصدق فيكتب عند الله صادقا و روي أن رجلا قال للنبي ص أنا يا رسول الله أستسر بخلال أربع الزنا و شرب الخمر و السرقة و الكذب فأيتهن شئت تركتها لك قال دع الكذب فلما ولى هم بالزنا فقال يسألني فإن جحدت نقضت ما جعلت له و إن أقررت حددت ثم هم بالسرقة ثم بشرب الخمر ففكر في مثل ذلك فرجع إليه فقال قد أخذت على السبيل كله فقد تركتهن أجمع قال العباس بن عبد المطلب لابنه عبد الله يا بني أنت أفقه مني و أنا أعقل منك

و إن هذا الرجل يدنيك يعني عمر بن الخطاب فاحفظ عني ثلاثا لا تفشين له سرا و لا تغتابن عنده أحدا و لا يطلعن منك على كذبة قال عبد الله فكانت هذه الثلاث أحب إلي من ثلاث بدرات ياقوتا قال الواثق لأحمد بن أبي داود رحمته الله تعالى كان ابن الزيات عندي فذكرك بكل قبيح قال الحمد لله الذي أحوجه إلى الكذب علي و نزهني عن الصدق في أمره.و كان يقال أمران لا يكاد أحدهما ينفك من الكذب كثرة المواعيد و شدة الاعتذار.و من الحكم القديمة إنما فضل الناطق على الأخرس بالنطق و زين المنطق الصدق فالكاذب شر من الأخرس.قال الرشيد للفضل بن الربيع في كلام جرى بينهما كذبت فقال يا أمير المؤمنين وجه الكذوب لا يقابلك و لسانه لا يحاورك. قيل في تفسير قوله تعالى **(وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ)** هي في الكذابين فالويل لكل كاذب إلى يوم القيامة.و من كلام بعض الصالحين لو لم أترك الكذب تأثما لتركته تكروما.أبو حيان الكذب شعار خلق و مورد رنق و أدب سيئ و عادة فاحشة و قل من استرسل معه إلا ألفه و قل من ألفه إلا أتلفه و الصدق ملبس بهي و منهل غذي و شعاع منبث و قل من اعتاده و مرن عليه إلا صحبته السكينة و أيده التوفيق و خدمته القلوب بالمحبة و لحظته العيون بالمهابة.

ابن السماك لا أدري أوجر على ترك الكذب أم لا لأنني أتركه أنفة. يحيى بن خالد رأيت شريب خمر نزع و لصا أقلع و صاحب فواحش ارتدع و لم أر كاذبا رجع. قالوا في تفسير هذا إن المولع بالكذب لا يكاد يصبر عنه فقد عوتب إنسان عليه فقال لمعاتبه يا ابن أخي لو تغرغرت به لما صبرت عنه. و قيل لكاذب معروف بالكذب أ صدقت قط قال لو لا أني أخاف أن أصدق لقلت لا.

و جاء في بعض الأخبار المرفوعة قيل له يا رسول الله أ يكون المؤمن جباناً قال نعم قيل أ فيكون بخيلاً قال نعم قيل أ فيكون كاذباً قال لا

و قال ابن عباس الحدث حدثان حدث من فيك و حدث من فرجك. و قال بعضهم من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون أخذه شاعر فقال

و من دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق و بالباطل

و كان يقال خذوا عن أهل الشرف فإنهم قلما يكذبون. و قال بعض الصالحين لو صحبتني رجل فقال لي اشترط علي خصلة واحدة لا تزيد عليها لقلت لا تكذب. و كان يقال خصلتان لا يجتمعان الكذب و المروءة. كان يقال من شرف الصدق أن صاحبه يصدق على عدوه و من دناءة الكذب أن صاحبه يكذب و إن كان صادقا.

و مثل هذا قولهم من عرف بالصدق جاز كذبه و من عرف بالكذب لم يجز صدقه.
و جاء في الخبر المرفوع أن في المعارض لمدوحة عن الكذب. و قال ابن سيرين الكلام أوسع
من أن يكذب ظريف. و قالوا في قوله تعالى (لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ) لم ينس و لكنه من
معارض الكلام و كذلك قالوا في قول إبراهيم (إِنِّي سَقِيمٌ). و قال العتيبي إني لأصدق في صغار
ما يضربني فكيف لا أصدق في كبار ما ينفعني و قال بعض الشعراء

لا يكذب المرء إلا من مهنته أو عادة السوء أو من قلة الأدب
لعض جيفة كلب خير رائحة من كذبة المرء في جد و في لعب
شهد أعرابي عند معاوية بشهادة فقال له كذبت فقال الكاذب و الله المتزمل في ثيابك فقال
معاوية هذا جزاء من عجل. و قال معاوية يوما للأحنف و حدثه حديثاً أ تكذب فقال له
الأحنف و الله ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين أهله. و دخل عبد الله بن الزبير يوماً على
معاوية فقال له اسمع أبياتا قلتها و كان واجدا على معاوية فقال هات فأنشده

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل
و يركب حد السيف من أن تضيمه إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل
فقال معاوية لقد شعرت بعدنا يا أبا بكر ثم لم يلبث معاوية أن دخل عليه معن

بن أوس المزني فقال أ قلت بعدنا شيئاً قال نعم و أنشده

لعمرك لا أدري و إني لأوجل على أينما تعدو المنية أول

حتى صار إلى الأبيات التي أنشدها ابن الزبير فقال معاوية يا أبا بكر أ ما ذكرت آنفاً أن هذا الشعر لك فقال أنا أصلحت المعاني و هو ألف الشعر و بعد فهو ظئري و ما قال من شيء فهو لي. و كان عبد الله بن الزبير مسترضعاً في مزينة. و روى أبو العباس المبرد في الكامل أن عمر بن عبد العزيز كتب في إشخاص إياس بن معاوية المزني و عدي بن أرطاة الفزاري أمير البصرة و قاضيهما إليه فصار عدي إلى إياس و قدر أنه يمزنه عند عمر بن عبد العزيز و يثني عليه فقال له يا أبا وائلة إن لنا حقاً و رحماً فقال إياس أ على الكذب تريدني و الله ما يسريني أن كذبت كذبة يغفرها الله لي و لا يطلع عليها هذا و أوماً إلى ابنه و لي ما طلعت عليه الشمس. و روى أبو العباس أيضاً أن عمرو بن معديكرب الزبيدي كان معروفاً بالكذب. و قيل لخلف الأحمر و كان مولى لهم و شديد التعصب لليمن أ كان عمرو بن معديكرب يكذب قال يكذب في المقال و يصدق في الفعال.

قال أبو العباس فروي لنا أن أهل الكوفة الأشراف كانوا يظهرون بالكناسة فيركبون على دوابهم حتى تطردهم الشمس فوقف عمرو بن معديكرب الزبيدي و خالد بن الصقعب النهدي و عمرو لا يعرفه إنما يسمع باسمه فأقبل عمرو يحدثه فقال أغرنا مرة على بني نهد فخرجوا مسترعفين بخالد بن الصقعب فحملت عليه فطعنته فأذريته ثم ملت عليه بالصمصامة فأخذت رأسه فقال خالد بن الصقعب حلا أبا ثور إن قتيلك هو المحدث فقال عمرو يا هذا إذا حدثت فاستمع فإنما نتحدث بمثل ما تستمع لنرهب به هذه المعديّة. قوله مسترعفين أي مقدمين له و قوله حلا أبا ثور أي استثنى يقال حلف و لم يتحلل أي لم يستثن و المعديّة مضر و ربيعة و أياد بنو معد بن عدنان و هم أعداء اليمن في المفاخرة و التكاثر

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عَبْدًا أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ فَاسْتَشَعَرَ الْخُزْنَ وَ تَحَلَّبَبَ
 الْخَوْفَ فَزَهَرَ مِصْبَاحُ الْهُدَى فِي قَلْبِهِ وَ أَعَدَّ الْقَرَى لِيَوْمِهِ النَّازِلِ بِهِ فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ الْبَعِيدَ وَ هَوَّنَ
 الشَّدِيدَ نَظَرَ فَأَبْصَرَ [فَأَقْصَرَ] وَ ذَكَرَ فَاسْتَكْتَرَّ وَ إِزْتَوَى مِنْ عَذْبِ فُرَاتٍ سَهَّلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ
 فَشَرِبَ نَهْلًا وَ سَلَكَ سَبِيلًا جَدَدًا قَدْ خَلَعَ سَرَائِلَ الشَّهَوَاتِ وَ تَخَلَّى عَنِ الْهُمُومِ إِلَّا هَمًّا وَاحِدًا
 انْفَرَدَ بِهِ فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمَى وَ مُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهُوَى وَ صَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى وَ مَعَالِيْقِ
 أَبْوَابِ الرَّذَى قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ وَ سَلَكَ سَبِيلَهُ وَ عَرَفَ مَنَارَهُ وَ قَطَعَ غِمَارَهُ وَ اسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَى
 بِأَوْتَقِهَا وَ مِنَ الْحِبَالِ بِأَمْتِنِهَا فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ
 فِي أَرْفَعِ الْأُمُورِ مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ وَ تَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلِهِ مِصْبَاحِ ظُلُمَاتٍ كَشَافُ
 عَشَوَاتٍ [عَشَوَاتٍ] مِفْتَاحِ مُبْهَمَاتٍ دَفَّاعِ مُعْضَلَاتٍ دَلِيلِ قَلَوَاتٍ يَقُولُ فَيُفْهِمُ وَ يَسْكُتُ فَيَسْلُمُ
 قَدْ أَخْلَصَ لِلَّهِ فَاسْتَخْلَصَهُ فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ وَ أَوْتَادِ أَرْضِهِ قَدْ أَلْزَمَ

نَفْسُهُ الْعَدْلَ فَكَانَ أَوَّلُ عَدْلِهِ نَفْيُ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ يَصِفُ الْحَقَّ وَ يَعْمَلُ بِهِ لَا يَدْعُ لِلْحَيْرِ غَايَةً إِلَّا أَمَّهَا وَ لَا مَظْنَةً إِلَّا قَصَدَهَا قَدْ أَمَكَّنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ فَهُوَ قَائِدُهُ وَ إِمَامُهُ يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقُلَهُ وَ يَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنَزِلُهُ اسْتَشْعَرَ الْحُزْنَ جَعَلَهُ كَالشَّعَارِ وَ هُوَ مَا يَلِي الْجَسَدَ مِنَ الثِّيَابِ وَ تَجَلَّبَبَ الْخَوْفَ جَعَلَهُ جَلْبَابًا أَيْ ثَوْبًا. زَهْرُ مَصْبَاحِ الْهُدَى أَضَاءُ وَ أَعَدَ الْقُرَى لِيَوْمِهِ أَيْ أَعَدَ مَا قَدَمَهُ مِنَ الطَّاعَاتِ قَرَى لَضَيْفِ الْمَوْتِ النَّازِلِ بِهِ وَ الْفِرَاتِ الْعَذْبِ. وَ قَوْلُهُ فَشَرِبَ نَهْلًا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِقَوْلِهِ نَهْلًا الْمَصْدَرُ مِنْ نَهَلَ يَنْهَلُ نَهْلًا أَيْ شَرِبَ حَتَّى رَوَى وَ يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِالنَّهْلِ الشَّرْبَ الْأَوَّلَ خَاصَّةً وَ يَرِيدُ أَنَّهُ اكْتَفَى بِمَا شَرِبَهُ أَوَّلًا فَلَمْ يَحْتَاجْ إِلَى الْعِلَلِ. وَ طَرِيقُ جَدَدٍ لَا عَثَارَ فِيهِ لِقُوَّةِ أَرْضِهِ وَ قَطَعَ غِمَارَهُ يَقَالُ بَحْرُ غَمَرٍ أَيْ كَثِيرِ الْمَاءِ وَ بَحَارُ غِمَارٍ وَ اسْتَمْسَكَ مِنَ الْعَرَى بِأَوْثَقِهَا أَيْ مِنَ الْعُقُودِ الْوَثِيقَةِ قَالَ تَعَالَى (فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى). وَ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ أَيْ أَقَامَهَا. كَشَافَ عَشَوَاتٍ جَمَعَ عَشْوَةً وَ عَشْوَةً وَ عَشْوَةً بِالْحَرَكَاتِ الثَّلَاثِ وَ هِيَ الْأَمْرُ الْمَلْتَبَسُ يَقَالُ أَوْطَانِي عَشْوَةً.

و العضلات جمع معضلة و هي الشدائد و الأمور التي لا يهتدي لوجهها. دليل فلوات أي يهتدى به كما يهتدي الركب في الفلاة بدليلهم. أمها قصدها و مظنة الشيء حيث يظن وجوده و الثقل متاع المسافر و حشمه

فصل في العباد و الزهاد و العارفين و أحوالهم

و اعلم أن هذا الكلام منه أخذ أصحاب علم الطريقة و الحقيقة علمهم و هو تصريح بحال العارف و مكانته من الله تعالى. و العرفان درجة حال رفيعة شريفة جدا مناسبة للنبوة و يختص الله تعالى بها من يقربه إليه من خلقه. و الأولياء على طبقات ثلاث الطبقة الأولى حال العابد و هو صاحب الصلاة الكثيرة و الصوم الدائم و الحج و الصدقة. و الطبقة الثانية حال الزاهد و هو المعرض عن ملاذ الدنيا و طيباتها تقنعه الكسرة و تستره الخرقه لا مال و لا زوجة و لا ولد. و الطبقة الثالثة حال العارف و هو الواصل إلى الله سبحانه بنفسه لا ببدنه و البارئ سبحانه متمثل في نفسه تمثل المعشوق في ذات العاشق و هو أرفع الطبقات و بعده الزاهد. و أما العابد فهو أدونها و ذلك لأن العابد معامل كالتاجر يعبد ليثاب و يتعب نفسه ليرتاح فهو يعطي من نفسه شيئا و يطلب ثمنه و عوضه و قد يكون العابد غنيا موسرا كثير المال و الولد فليست حاله من أحوال الكمال. و أما الزاهد فإنه احتقر الدنيا و عروضها و قيناتها فخلصت نفسه من دناءة المطامع

و صار عزيزا ملكا لا سلطان عليه لنفسه و لا لغيره فاستراح من الذل و الهوان و لم يبق لنفسه شيء تشتاق إليه بعد الموت فكان أقرب إلى السلامة و النجاة من العابد الغني الموسر. و أما العارف فإنه بالحال التي وصفناها و يستلزم مع وجودها أن يكون زاهدا لأنه لا يتصور العرفان مع تعلق النفس بملاذ الدنيا و شهواتها نعم قد يحصل بعض العرفان لبعض العلماء الفضلاء مع تعلقهم بشهوات الدنيا و لكنهم لا يكونون كاملين في أحوالهم و إنما تحصل الحالة الكاملة لمن رفض الدنيا و تخلص عنها و تستلزم الحالة المذكورة أيضا أن يكون عابدا عبادة ما و ليس يشترط في حصول حال العرفان أن يكون على قدم عظيمة من العبادة بل الإكثار من العبادة حجاب كما قيل و لكن لا بد من القيام بالفرائض و شيء يسير من النوافل. و اعلم أن العارف هو العارف بالله تعالى و صفاته و ملائكته و رسله و كتبه و بالحكمة المودعة في نظام العالم لا سيما الأفلاك و الكواكب و تركيب طبقات العناصر و الأحكام و في تركيب الأبدان الإنسانية. فمن حصل له ذلك فهو العارف و إن لم يحصل له ذلك فهو ناقص العرفان و إن انضم إلى ذلك استشعاره جلال الله تعالى و عظيمته و رياضة النفس و المجاهدة و الصبر و الرضا و التوكل فقد ارتفع طبقة أخرى فإن حصل له بعد ذلك الحب و الوجد فقد ارتفع طبقة أخرى فإن حصل له بعد ذلك الإعراض عن كل شيء سوى الله و أن يصير مسلوبا عن الموجودات كلها فلا يشعر إلا بنفسه و بالله تعالى فقد ارتفع طبقة أخرى و هي أرفع طبقات.

و هناك طبقة أخرى يذكرونها و هي أن يسلب عن نفسه أيضا فلا يكون له شعور بها أصلا و إنما يكون شاعرا بالقيوم الأول سبحانه لا غير و هذه درجة الاتحاد بأن تصوير الذاتان ذاتا واحدة. و هذا قول قوم من الأوائل و من المتأخرين أيضا و هو مقام صعب لا تثبت العقول لتصوره و اكتناؤه. و اعلم أن هذه الصفات و الشروط و النعوت التي ذكرها في شرح حال العارف إنما يعني بها نفسه ع و هو من الكلام الذي له ظاهر و باطن فظاهره أن يشرح حال العارف المطلق و باطنه أن يشرح حال عارف معين و هو نفسه ع و سيأتي في آخر الخطبة ما يدل على ذلك. و نحن نذكر الصفات التي أشار ع إليها واحدة واحدة فأولها أن يكون عبدا أعانه الله على نفسه و معنى ذلك أن يخصه بالطفاء يختار عندها الحسن و يتجنب القبيح فكأنه أقام النفس في مقام العدو و أقام الألفاف مقام المعونة التي يمدده الله سبحانه بها فيكسر عادية العدو المذكور و بهذا الاعتبار سمي قوم من المتكلمين اللطف عوناً. و ثانيها أن يستشعر الحزن أي يحزن على الأيام الماضية إن لم يكن اكتسب فيها من موجبات الاختصاص أضعاف ما اكتسبه. و ثالثها أن يتجلبب الخوف أي يخاف من الإعراض عنه بأن يصدر عنه ما يحويه من جريدة المخلصين. و رابعها أن يعد القرى لضعيف المنية و ذلك بإقامة وظائف العبادة.

و خامسها أن يقرب على نفسه البعيد و ذلك بأن يمثل الموت بين عينيه صباحا و مساء و ألا يطيل الأمل. و سادسها أن يهون عليه الشدائد و ذلك باحتمال كلف المجاهدة و رياضة النفس على عمل المشاق. و سابعها أن يكون قد نظر فأبصر و ذلك بترتيب المقدمات المطابقة لمعلقاتها ترتيبا صحيحا لتنتج العلم اليقيني. و ثامنها أن يذكر الله تعالى فيستكثر من ذكره لأن ذكره سبحانه و الإكثار منه يقتضي سكون النفس و طمأنينتها كما قال تعالى (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ). و تاسعها أن يرتوي من حب الله تعالى و هو العذب الفرات الذي سهل موارده على من انتخبه الله و جعله أهلا للوصول إليه فشرب منه و نحل و سلك طريقا لا عثار فيه و لا وعث. و عاشرها أن يخلع سراويل الشهوات لأن الشهوات تصدئ مرآة العقل فلا تنطبع المعقولات فيها كما ينبغي و كذلك الغضب. و حادي عشرها أن يتخلى من الهموم كلها لأنها تزيداد و قواطع عن المطلوب إلا هما واحدا و هو همه بمولاه الذي لذته و سروره الاهتمام به و التفرد بمناجاته و مطالعة أنوار عزته فحينئذ يخرج عن صفة أهل العمى و من مشاركة أهل الهوى لأنه قد امتاز عنهم بهذه المرتبة و الخاصة التي حصلت له فصار مفتاحا لباب الهدى و مغلاقا لباب الضلال و الردى قد أبصر طريق الهدى و سلك سبيله و عرف مناره و قطع غماره.

و ثاني عشرها أن ينصب نفسه لله في أرفع الأمور و هو الخلوة به و مقابلة أنوار جلاله بمراة فكره حتى تتكيف نفسه بتلك الكيفية العظيمة الإشراف فهذا أرفع الأمور و أجلها و أعظمها و قد رمز في هذا الفصل و مزجه بكلام خرج به إلى أمر آخر و هو فقه النفس في الدين و الأمور الشرعية النافعة للناس في دنياهم و أخراهم أما في دنياهم فلردع المفسد و كف الظالم و أما في أخراهم فللفوز بالسعادة باعتبار امتثال الأوامر الإلهية فقال في إصدار كل وارد عليه أي في فتيا كل مستفت له و هداية كل مسترشد له في الدين ثم قال و تصيير كل فرع إلى أصله و يمكن أن يحتج بهذا من قال بالقياس و يمكن أن يقال إنه لم يرد ذلك بل أراد تخريج الفروع العقلية و ردها إلى أصولها كما يتكلف أصحابنا القول في بيان حكمة القديم تعالى في الآلام و ذبح الحيوانات ردا له إلى أصل العدل و هو كونه تعالى لا يفعل القبيح. و ثالث عشرها أن يكون مصباحا لظلمات الضلال كشفا لعشوات الشبه مفتاحا لمبهات الشكوك المستغلقة دفاعا لمعضلات الاحتجاجات العقلية الدقيقة الغامضة دليلا في فلوات الأنظار الصعبة المشتبهة و لم يكن في أصحاب مُجَدِّص أحد بهذه الصفة إلا هو. و رابع عشرها أن يقول مخاطبا لغيره فيفهمه ما خاطبه به و أن يسكت فيسلم و ذلك لأنه ليس كل قائل مفهما و لا كل ساكت سالما. و خامس عشرها أن يكون قد أخلص لله فاستخلصه الله و الإخلاص لله مقام عظيم جدا و هو ينزه الأفعال عن الرياء و ألا يمازج العبادة أمر لا يكون لله سبحانه و لهذا كان بعض الصالحين يصبح من طول العبادة نصبا قشفا فيكتحل و يدهن ليذهب بذلك أثر العبادة عنه.

و قوله فهو من معادن دينه و أوتاد أرضه معادن دينه الذين يقتبس الدين منهم كمعادن الذهب و الفضة و هي الأرضون التي يلتقط ذلك منها و أوتاد أرضه هم الذين لولاهم لمادت الأرض و ارتجت بأهلها و هذا من باب الاستعارة الفصيحة و أهل هذا العلم يقولون أوتاد الأرض جماعة من الصالحين و لهم في الأوتاد و الأبدال و الأقطاب كلام مشهور في كتبهم. و سادس عشرها أن يكون قد ألزم نفسه العدل و العدالة ملكه تصدر بها عن النفس الأفعال الفاضلة خلقا لا تخلقا. و أقسام العدالة ثلاثة هي الأصول و ما عداها من الفضائل فروع عليها الأولى الشجاعة و يدخل فيها السخاء لأنه شجاعة و تهوين للمال كما أن الشجاعة الأصلية تهوين للنفس فالشجاع في الحرب جواد بنفسه و الجواد بالمال شجاع في إنفاقه و لهذا قال الطائي

أيقنت أن من السماح شجاعة تدمي و أن من الشجاعة جودا

و الثانية الفقه و يدخل فيها القناعة و الزهد و العزلة. و الثالثة الحكمة و هي أشرفها. و لم تحصل العدالة الكاملة لأحد من البشر بعد رسول الله ص إلا لهذا الرجل و من أنصف علم صحة ذلك فإن شجاعته و جوده و عفته و قناعته و زهده يضرب بها الأمثال. و أما الحكمة و البحث في الأمور الإلهية فلم يكن من فن أحد من العرب و لا نقل في جهاد أكابرهم و أصاغرهم شيء من ذلك أصلا و هذا فن كانت اليونان و أوائل الحكماء و أساطين الحكمة ينفردون به و أول من خاض فيه من العرب علي ع و لهذا

تجدد المباحث الدقيقة في التوحيد و العدل مبثوثة عنه في فرش كلامه و خطبه و لا تجد في كلام أحد من الصحابة و التابعين كلمة واحدة من ذلك و لا يتصورونه و لو فهموه لم يفهموه و أنى للعرب ذلك. و لهذا انتسب المتكلمون الذين لججوا في بحار المعقولات إليه خاصة دون غيره و سموه أستاذهم و رئيسهم و اجتذبتهم كل فرقة من الفرق إلى نفسها أ لا ترى أن أصحابنا ينتمون إلى واصل بن عطاء و واصل تلميذ أبي هاشم بن محمد بن الحنفية و أبو هاشم تلميذ أبيه محمد و محمد تلميذ أبيه علي ع. فأما الشيعة من الإمامية و الزيدية و الكيسانية فانتمائهم إليه ظاهر. و أما الأشعرية فإنهم بأخرة ينتمون إليه أيضا لأن أبا الحسن الأشعري تلميذ شيخنا أبي علي عليه السلام تعالى و أبو علي تلميذ أبي يعقوب الشحام و أبو يعقوب تلميذ أبي الهذيل و أبو الهذيل تلميذ أبي عثمان الطويل و أبو عثمان الطويل تلميذ واصل بن عطاء فعاد الأمر إلى انتهاء الأشعرية إلى علي ع. و أما الكرامية فإن ابن الهيثم ذكر في كتاب المقالات أن أصل مقالاتهم و عقيدتهم تنتهي إلى علي ع من طريقين أحدهما بأنهم يسندون اعتقادهم عن شيخ بعد شيخ إلى أن ينتهي إلى سفيان الثوري ثم قال و سفيان الثوري من الزيدية ثم سأل نفسه فقال إذا كان شيخكم الأكبر الذي تنتمون إليه كان زيدا فما بالكم لا تكونون زيدية و أجاب بأن سفيان الثوري عليه السلام تعالى و أن أشهر عنه الزيدية إلا أن تزيده إنما كان عبارة عن موالاته أهل البيت و إنكار ما كان بنو أمية عليه من الظلم و إجلال زيد بن علي و تعظيمه و تصوينه في أحكامه و أحواله و لم ينقل عن سفيان الثوري أنه طعن في أحد من الصحابة.

الطريق الثاني أنه عد مشايخهم واحدا فواحدا حتى انتهى إلى علماء الكوفة من أصحاب علي كسلة بن كهيل و حبة العربي و سالم بن الجعد و الفضل بن ذكين و شعبة و الأعمش و علقمة و هبيرة ابن مريم و أبي إسحاق الشعبي و غيرهم ثم قال و هؤلاء أخذوا العلم من علي بن أبي طالب ع فهو رئيس الجماعة يعنى أصحابه و أقوالهم منقولة عنه و مأخوذة منه. و أما الخوارج فانتماؤهم إليه ظاهر أيضا مع طعنهم فيه لأنهم كانوا أصحابه و عنه مرقوا بعد أن تعلموا عنه و اقتبسوا منه و هم شيعته و أنصاره بالجمال و صفين و لكن الشيطان ران على قلوبهم و أعمى بصائرهم. ثم إنه ع ذكر حال هذا العارف العادل فقال أول عدله نفى الهوى عن نفسه و ذلك لأن من يأمر و لا يأتمر و ينهى و لا ينتهى لا تؤثر عظمته و لا ينفع إرشاده ثم شرح ذلك فقال يصف الحق و يعمل به ثم قال لا يدع للخير غاية إلا أمها و لا مظنة إلا قصدها و ذلك لأن الخير لذته و سروره و راحته فمتى وجد إليه طريقا سلكها ثم قال قد أمكن الكتاب يعنى القرآن من زمامه أي قد أطاع الأوامر الإلهية فالقرآن قائده و إمامه يحل حيث حل و ينزل حيث نزل : وَ آخِرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِمًا وَ لَيْسَ بِهِ فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَائِلٍ وَ أَضَالِيلَ مِنْ ضُلَالٍ وَ نَصَبَ لِلنَّاسِ أُشْرَاكَاً مِنْ حَبَائِلٍ [حِبَالٍ] غُرُورٍ وَ قَوْلٍ زُورٍ قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ [رَأْيِهِ] وَ عَطَفَ الْحَقُّ عَلَى أَهْوَائِهِ يُؤْمِنُ النَّاسُ مِنَ الْعِظَائِمِ وَ يُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ يَقُولُ أَقِفْ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ وَ فِيهَا وَقَعَ وَ يَقُولُ أَعْتَزِلُ الْبِدْعَ وَ بَيْنَهَا اضْطَجَعَ فَالصُّورَةُ

صُورُهُ إِنْسَانٍ وَ الْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ لَا يَعْرِفُ بَابَ الْهَدَىٰ فَيَتَّبِعُهُ وَ لَا بَابَ الْعَمَىٰ فَيَصُدُّ عَنْهُ وَ ذَلِكَ مَبِيتُ الْأَحْيَاءِ فَأَيُّنَ تَذْهَبُونَ وَ أَيْ تُوَفَّقُونَ وَ الْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ وَ الْآيَاتُ وَاضِحَةٌ وَ الْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ فَأَيُّنَ يُتَاهُ بِكُمْ وَ كَيْفَ تَعْمَهُونَ وَ بَيْنَكُمْ عِنْرَةٌ نَبِيَّكُمْ وَ هُمْ أَرْمَةٌ الْحَقِّ وَ أَعْلَامُ الدِّينِ وَ أَلْسِنَةُ الصِّدْقِ فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ وَ رُدُّوهُمْ وَرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ص إِنَّهُ يَمُوتُ مِنْ مَاتَ مِنَّا وَ لَيْسَ بِمَيِّتٍ وَ يَبْلَىٰ مِنْ بَلِيَ مِنَّا وَ لَيْسَ بِبَالٍ فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيْمَا تُنْكِرُونَ وَ أَعْدِرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ وَ هُوَ أَنَا أَمْ أَعْمَلُ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ وَ أَتُرْكُ فِيكُمْ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ قَدْ رَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الْإِيمَانِ وَ وَقَفْتُكُمْ عَلَىٰ حُدُودِ الْحَلَالِ وَ الْحَرَامِ وَ أَلْبَسْتُكُمْ الْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي وَ فَرَشْتُكُمْ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَ فَعَلِي وَ أَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ الْأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي فَلَا تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيْمَا لَا يَذَرِكُ فَعَرُهُ الْبَصَرُ وَ لَا تَتَعَلَّلُوا إِلَيْهِ الْفِكْرُ الْجِهَائِلُ جَمْعُ جِهَالَةٍ كَمَا قَالُوا عِلَاقَةٌ وَ عِلَاقٌ وَ الْأَضَالِيلُ الضَّلَالُ جَمْعُ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ. وَ قَوْلُهُ وَ قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَىٰ آرَائِهِ يَعْنِي قَدْ فَسَّرَ الْكِتَابَ وَ تَأَوَّلَهُ عَلَىٰ مَقْتَضَىٰ هَوَاهُ وَ قَدْ أَوْضَحَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ وَ عَطَفَ الْحَقَّ عَلَىٰ أَهْوَائِهِ.

و قوله يؤمن الناس من العظائم فيه تأكيد لمذهب أصحابنا في الوعيد و تضعيف لمذهب
المرجئة الذين يؤمنون الناس من عظام الذنوب و يمنونهم العفو مع الإصرار و ترك التوبة
و جاء في الخبر المرفوع المشهور الكيس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت و الأحمق من أتبع
نفسه هواها و تمنى على الله. و قوله يقول أقف عند الشبهات يعني أن هذا المدعي للعلم يقول
لنفسه و للناس أنا واقف عند أدنى شبهة تخرجنا و تورعا
كما قال ص دع ما يريبك إلى ما لا يريبك. ثم قال و في الشبهات وقع أي بجهله لأن من لا
يعلم الشبهة ما هي كيف يقف عندها و يتخرج من الورطة فيها و هو لا يأمن من كونها غير
شبهة على الحقيقة. و قوله أعتزل البدع و بينها اضطجع إشارة إلى تضعيف مذاهب العامة و
الحشوية الذين رفضوا النظر العقلي و قالوا نعتزل البدع. و قوله فالصورة صورة إنسان و ما بعده
فمراده بالحيوان هاهنا الحيوان الأخرس كالخمار و الثور و ليس يريد العموم لأن الإنسان داخل في
الحيوان و هذا مثل قوله تعالى (إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا). و قال الشاعر
و كائن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف و نصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم و الدم

قوله و ذلك ميت الأحياء كلمة فصيحة و قد أخذها شاعر فقال

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

إلا أن أمير المؤمنين ع أراد لجهله و الشاعر أراد لبؤسه. و تؤفكون تغلبون و تصرفون. و الأعلام المعجزات هاهنا جمع علم و أصله الجبل أو الراية و المنارة تنصب في الفلاة ليهدى بها. و قوله فأين يتاه بكم أي أين يذهب بكم في التيه و يقال أرض تيهاء يتحير سالكها و تعمهون تتحiron و تضلون. و عترة رسول الله ص أهله الأذنون و نسله و ليس بصحيح قول من قال إنهم رهطه و إن بعدوا و إنما قال أبو بكر يوم السقيفة أو بعده نحن عترة رسول الله ص و بيضته التي فقت عنه على طريق المجاز لأنهم بالنسبة إلى الأمصار عترة له لا في الحقيقة أ لا ترى أن العدناني يفاخر القحطاني فيقول له أنا ابن عم رسول الله ص ليس يعني أنه ابن عمه على الحقيقة بل هو بالإضافة إلى القحطاني كأنه ابن عمه و إنما استعمل ذلك و نطق به مجازا فإن قدر مقدر أنه على طريق حذف المضافات أي ابن ابن عم أب الأب إلى عدد كثير في البنين و الآباء فكذلك أراد أبو بكر أنهم عترة أجداده على طريق حذف المضاف و قد بين رسول الله ص عترته من هي

لما قال إني تارك فيكم الثقلين

فقال عترتي أهل بيتي و بين في مقام آخر من أهل بيته حيث طرح عليهم كساء و قال حين

نزلت (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ

لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ) اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب الرجس عنهم. فإن قلت فمن هي العترة التي عناها أمير المؤمنين ع بهذا الكلام. قلت نفسه و ولداه و الأصل في الحقيقة نفسه لأن ولديه تابعان له و نسيتهما إليه مع وجوده كنسبة الكواكب المضيئة مع طلوع الشمس المشرقة و قد نبه النبي ص على ذلك

بقوله و أبوكما خير منكما. و قوله و هم أزمة الحق جمع زمام كأنه جعل الحق دائرا معهم حيثما داروا و ذاهبا معهم حيثما ذهبوا كما أن الناقة طوع زمامها و قد نبه الرسول ص على صدق هذه القضية

بقوله و أدر الحق معه حيث دار. و قوله و ألسنة الصدق من الألفاظ الشريفة القرآنية قال الله تعالى (وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ) لما كان يصدر عنهم حكم و لا قول إلا و هو موافق للحق و الصواب جعلهم كألسنة صدق لا يصدر عنها قول كاذب أصلا بل هي كالمطبوعة على الصدق. و قوله فأنزلوهم منازل القرآن تحته سر عظيم و ذلك أنه أمر المكلفين بأن يجروا العترة في إجلالها و إعظامها و الانقياد لها و الطاعة لأوامرها مجرى القرآن. فإن قلت فهذا القول منه يشعر بأن العترة معصومة فما قول أصحابكم في ذلك. قلت نص أبو محمد بن متويه رحمته الله تعالى في كتاب الكفاية على أن عليا ع معصوم و إن لم يكن واجب العصمة و لا العصمة شرط في الإمامة لكن أدلة النصوص قد دلت على عصمته و القطع على باطنه و مغيبه و أن ذلك أمر اختص

هو به دون غيره من الصحابة و الفرق ظاهر بين قولنا زيد معصوم و بين قولنا زيد واجب العصمة لأنه إمام و من شرط الإمام أن يكون معصوما فلا اعتبار الأول مذهبا و الاعتبار الثاني مذهب الإمامية. ثم قال وردوهم ورود الهيم العطاش أي كونوا ذوي حرص و انكماش على أخذ العلم و الدين منهم كحرص الهيم الظماء على ورود الماء. ثم قال أيها الناس خذوها عن خاتم النبيين إلى قوله و ليس ببال هذا الموضع يحتاج إلى تلطف في الشرح لأن لقائل أن يقول ظاهر هذا الكلام متناقض لأنه قال يموت من مات منا و ليس بميت و هذا كما تقول يتحرك المتحرك و ليس بمتحرك و كذلك قوله و ييلى من بلي منا و ليس ببال أ لا ترى أنه سلب و إيجاب لشيء واحد فإن قلت أريد بقاء النفس بعد موت الجسد كما قاله الأوائل و قوم من المتكلمين قيل لكم فلا اختصاص للنبي و لا لعلي بذلك بل هذه قضية عامة في جميع البشر و الكلام خرج مخرج التمدح و الفخر. فنقول في الجواب إن هذا يمكن أن يحمل على وجهين أحدهما أن يكون النبي ص و علي و من يتلوها من أطائب العترة أحياء بأبدانهم التي كانت في الدنيا بأعيانها قد رفعهم الله تعالى إلى ملكوت سماواته و على هذا لو قدرنا أن محتفرا احتفرت تلك الأحداث الطاهرة عقب دفنهم لم يجد الأبدان في الأرض

و قد روي في الخبر النبوي ص مثل ذلك و هو قوله إن الأرض لم تسلط علي و إنما لا تأكل لي لحما و لا تشرب لي دما نعم يبقى الأشكال في قوله و ييلى من بلي منا و ليس ببال فإنه إن صح هذا التفسير في الكلام الأول و هو قوله يموت

من مات منا و ليس بميت فليس يصح في القضية الثانية و هي حديث البلاء لأنها تقتضي أن الأبدان تبلى و ذاك الإنسان لم يبل فأحوج هذا الأشكال إلى تقدير فاعل محذوف فيكون تقدير الكلام يموت من مات حال موته و ليس بميت فيما بعد ذلك من الأحوال و الأوقات و يبلى كفن من بلى منا و ليس هو ببال فحذف المضاف كقوله (وَإِلَى مَدْيَنَ) أي و إلى أهل مدين و لما كان الكفن كالجزء من الميت لاشتماله عليه عبر بأحدهما عن الآخر للمجاورة و الاشتمال كما عبروا عن المطر بالسماء و عن الخارج المخصوص بالغائط و عن الخمر بالكأس و يجوز أن يحذف الفاعل كقوله تعالى (حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ) و (فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ) و قول حاتم إذا حشرجت و حذف الفاعل كثير. و الوجه الثاني أن أكثر المتكلمين ذهبوا إلى أن للإنسان الحي الفعال أجزاء أصلية في هذه البنية المشاهدة و هي أقل ما يمكن أن تأتلف منه البنية التي معها يصح كون الحي حيا و جعلوا الخطاب متوجها نحوها و التكليف واردا عليها و ما عداها من الأجزاء فهي فاضلة ليست داخلية في حقيقة الإنسان و إذا صح ذلك جاز أن ينتزع الله تلك الأجزاء الأصلية من أبدان الأنبياء و الأوصياء فيرفعها إليه بعد أن يخلق لها من الأجزاء الفاضلة عنها نظير ما كان لها في الدار الأولى كما قاله من ذهب إلى قيامة الأنفس و الأبدان معا فتنعم عنده و تلتذ بضروب اللذات الجسمانية و يكون هذا مخصوصا بهذه الشجرة

المباركة دون غيرها و لا عجب فقد ورد في حق الشهداء نحو ذلك في قوله تعالى (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ). و على الوجه الأول لو أن محتفرا احتفر أجدائهم لوجد الأبدان فيها و إن لم يعلم أن أصول تلك البنى قد انتزعت منها و نقلت إلى الرفيق الأعلى و هذا الوجه لا يحتاج إلى تقدير ما قدرناه أولا من الحذف لأن الجسد يبلى في القبر إلا قدر ما انتزع منه و نقل إلى محل القدس و كذلك أيضا يصدق على الجسد أنه ميت و إن كان أصل بنيته لم يموت

و قد ورد في الخبر الصحيح أن أرواح الشهداء من المؤمنين في حواصل طيور خضر تدور في أفناء الجنان و تأكل من ثمارها و تأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فإذا جاء هذا في الشهداء فما ظنك بموالي الشهداء و ساداتهم. فإن قلت فهل يجوز أن يتأول كلامه فيقال لعله أراد بقاء الذكر و الصيت. قلت إنه لبعيد لأن غيرهم يشركهم في ذلك و لأنه أخرج الكلام مخرج المستغرب المستعظم له. فإن قلت فهل يمكن أن يقال إن الضمير يعود إلى النبي ص لأنه قد ذكره في قوله خاتم النبيين فيكون التقدير أنه يموت من مات منا و النبي ص ليس بميت و يبلى من بلي منا و النبي ليس ببال. قلت هذا أبعد من الأول لأنه لو أراد ذلك لقال إن رسول الله ص لا تبليه الأرض و أنه الآن حي و لم يأت بهذا الكلام الموهوم و لأنه في سياق تعظيم العترة و تبجيل أمرها و فخره بنفسه و تمدحه بخصائصه و مزاياه فلا يجوز أن يدخل في غضون ذلك ما ليس منه.

فإن قلت فهل هذا الكلام منه أم قاله مرفوعاً قلت بل ذكره مرفوعاً أ لا تراه قال خذوها عن خاتم النبيين ثم نعود إلى التفسير فنقول إنه لما قال لهم ذلك علم أنه قال قولاً عجيباً و ذكر أمراً غريباً و علم أنهم ينكرون ذلك و يعجبون منه فقال لهم فلا تقولوا ما لا تعرفون أي لا تكذبوا إخباري و لا تكذبوا إخبار رسول الله لكم بهذا فتقولون ما لا تعلمون صحته ثم قال فإن أكثر الحق في الأمور العجيبة التي تنكرونها كإحياء الموتى في القيامة و كالصراط و الميزان و النار و الجنة و سائر أحوال الآخرة هذا إن كان خاطب من لا يعتقد الإسلام فإن كان الخطاب لمن يعتقد الإسلام فإنه يعني بذلك أن أكثرهم كانوا مرجئة و مشبهة و مجبرة و من يعتقد أفضلية غيره عليه و من يعتقد أنه شرك في دم عثمان و من يعتقد أن معاوية صاحب حجة في حربه أو شبهة يمكن أن يتعلق بها متعلق و من يعتقد أنه أخطأ في التحكيم إلى غير ذلك من ضروب الخطأ التي كان أكثرهم عليها. ثم قال و أعذروا من لا حجة لكم عليه و هو أنا يقول قد عدلت فيكم و أحسنت السيرة و أقمتكم على المحجة البيضاء حتى لم يبق لأحد منكم حجة يحتج بها علي ثم شرح ذلك فقال عملت فيكم بالثقل الأكبر يعني الكتاب و خلفت فيكم الأصغر يعني ولديه لأنهما بقية الثقل الأصغر فجاز أن يطلق عليهما بعد ذهاب من ذهب منه أنهما الثقل الأصغر و إنما سمى النبي ص الكتاب و العترة الثقلين لأن الثقل في اللغة متاع المسافر و حشمه فكأنه ص لما شارف الانتقال إلى جوار ربه تعالى جعل نفسه كالمسافر الذي ينتقل من منزل إلى منزل و جعل الكتاب و العترة كمتاعه و حشمه لأنهما أخص الأشياء به. قوله و ركزت فيكم راية الإيمان أي غرزتها و أثبتها و هذا من باب الاستعارة.

و كذلك قوله و وقفتكم على حدود الحلال و الحرام من باب الاستعارة أيضا مأخوذ من حدود الدار و هي الجهات الفاصلة بينها و بين غيرها. قوله و ألبستكم العافية من عدلي استعارة فصيحة و أفصح منها قوله و فرشتكم المعروف من قولي و فعلي أي جعلته لكم فراشا و فرش هاهنا متعدد إلى مفعولين يقال فرشته كذا أي أوسعته إياه. ثم نهاهم أن يستعملوا الرأي فيما ذكره لهم من خصائص العترة و عجائب ما منحها الله تعالى فقال إن أمرنا أمر صعب لا تهتدي إليه العقول و لا تدرك الأبصار قعره و لا تتغلغل الأفكار إليه و التغلغل الدخول من تغلغل الماء بين الشجر إذا تخللها و دخل بين أصولها : وَ مِنْهَا حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمَيَّةٍ تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا وَ تُورِدُهُمْ صَفْوَهَا وَ لَا يُرْفَعُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَوْطُهَا وَ لَا سَيْفُهَا وَ كَذَبَ الظَّانُّ لِذَلِكَ بَلْ هِيَ حِجَّةٌ مِنْ لَدِيدِ الْعَيْشِ يَطْعَمُونَهَا بُرْهَةً ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً مَعْقُولَةً مَحْبُوسَةً بِعَقَالِ كَمَا تَعْقِلُ النَّاqةُ وَ تَمْنَحُهُمْ تَعْطِيهِمْ وَ الْمَنْحُ الْعَطَاءُ مَنْحٌ يَمْنَحُ بِالْفَتْحِ وَ الْاسْمُ الْمَنْحَةُ بِالْكَسْرِ وَ اسْتَمْنَحْتُ زَيْدًا طَلَبْتُ مَنَحَتَهُ. وَ الدَّرُ فِي الْأَصْلِ اللَّبَنُ جَعَلَ الدُّنْيَا كَنَاقَةٍ مَعْقُولَةٍ عَلَيْهِمْ تَمْنَحُهُمْ لَبْنَهَا ثُمَّ اسْتَعْمَلَ

الدر في كل خير و نفع فليل لا در درة أي لا كثر خيره و يقال في المدح لله درة أي عمله. و
مجة من لذيد العيش مصدر مج الشراب من فيه أي رمى به و قذفه و يقال انمجت نقطة من
القلم أي ترششت و شيخ ماج أي كبير يحج الريق و لا يستطيع حبسه لكبره. و يتطعمونها أي
يدوقونها و برهة أي مدة من الزمان فيها طول و لفظت الشيء من فمي ألفظه لفظا رميته و ذلك
الشيء اللفاظ و اللفاظ أي يلفظونها كلها لا يبقى منها شيء معهم. و هذه الخطبة طويلة و قد
حذف الرضي ﷺ تعالى منها كثيرا و من جملتها

أما و الذي فلق الحبة و برأ النسمة لا يرون الذي ينتظرون حتى يهلك المتمدنون و يضمحل
المحلون و يتثبت المؤمنون و قليل ما يكون و الله و الله لا ترون الذي تنتظرون حتى لا تدعون الله
إلا إشارة بأيديكم و إيماضا بحواجيبكم و حتى لا تملكون من الأرض إلا مواضع أقدامكم و حتى
يكون موضع سلاحكم على ظهوركم فيومئذ لا ينصرتي إلا الله بملائكته و من كتب على قلبه
الإيمان و الذي نفس علي بيده لا تقوم عصابة تطلب لي أو لغيري حقا أو تدفع عنا ضيما إلا
صرعتهم البلية حتى تقوم عصابة شهدت مع محمد ص بدرا لا يودى قتيلاهم و لا يداوى جريحهم و
لا ينعش صريعهم قال المفسرون هم الملائكة.

و منها لقد دعوتكم إلى الحق و توليتهم و ضربتكم بالدرة فما استقمتم و ستليكم

بعدي ولاة يعذبونكم بالسياط و الحديد و سيأتىكم غلاما ثقيف أخفش و جعبوب يقتلان و يظلمان و قليل ما يمكنان.قلت الأخفش الضعيف البصر خلقة و الجعبوب القصير الذميم و هما الحجاج و يوسف بن عمر و في كتاب عبد الملك إلى الحجاج قاتلك الله أخيفش العينين أصك الجاعرين.و من كلام الحسن البصري رحمته الله تعالى يذكر فيه الحجاج أانا أعيمش أخيمش يمد بيد قصيرة البنان ما عرق فيها عنان في سبيل الله.و كان المثل يضرب بقصر يوسف بن عمر و كان يغضب إذا قيل له قصير فصل له الخياط ثوبا فأبقى منه فضلة كثيرة فقال له ما هذه قال فضلت من قميص الأمير فضربه مائة سوط فكان الخياطون بعد ذلك يفصلون له اليسير من الثوب و يأخذون الباقي لأنفسهم

٨٧ و من خطبة له ع

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْصِمِ [يَقْصِمِ] جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ إِلَّا بَعْدَ تَهْيِيلٍ وَ رَحَاءٍ وَ لَمْ يَجْزِرْ عَظَمَ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَزْلِ وَ بَلَاءٍ وَ فِي دُونِ مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَذَابٍ وَ مَا اسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبِرٍ وَ مَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بَلِيبٍ وَ لَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ وَ لَا كُلُّ ذِي نَاطِرٍ بِبَصِيرٍ فَيَا عَجَباً وَ مَا لِي لَا أَعْجَبُ مِنْ خَطَا هَذِهِ الْفِرَقِ عَلَى اخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا لَا يَفْتَضُونَ أَثَرَ نَبِيٍّ وَ لَا يَقْتُلُونَ بِعَمَلٍ وَصِيٍّ وَ لَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ وَ لَا يَعْقُونَ عَنْ عَيْبٍ يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ وَ يَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ الْمَعْرُوفِ فِيهِمْ مَا عَرَفُوا وَ الْمُنْكَرِ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا مَفْرَعُهُمْ فِي الْمَغْضَلَاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَ تَعْوِيلُهُمْ فِي الْمُهْمَّاتِ [الْمُبْهَمَاتِ] عَلَى آرَائِهِمْ كَأَنَّ كُلَّ امْرَأٍ مِنْهُمْ إِمَامٌ نَفْسِهِ قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرَى ثِقَاتٍ [وَثِيقَاتٍ وَ مُوثِقَاتٍ] وَ أَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ الْقَصَمِ بِالْقَافِ وَ الصَادِ الْمَهْمَلَةِ الْكَسْرِ قَصَمْتَهُ فَانْقَصَمَ وَ قَصَمْتَهُ فَتَقَصَمَ وَ رَجُلٌ أَقْصَمَ الثَّنِيَّةَ أَيْ مَكْسُورَهَا بَيْنَ الْقَصَمِ بِفَتْحِ الصَادِ وَ التَّمْهِيلِ التَّأخِيرِ وَ يَرَوِي رَجَاءٌ وَ هُوَ التَّأخِيرُ أَيْضاً وَ الرِّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ وَ رَحَاءٌ أَيْ بَعْدَ إِعْطَائِهِمْ مِنْ سَعَةِ الْعَيْشِ وَ خَصَبِ الْحَالِ مَا اقْتَضَتْهُ الْمَصْلَحَةُ.

و الأزل بفتح الهمزة الضيق و يقتصون يتبعون قال سبحانه و تعالى (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ) .و يعفون بكسر العين عفت عن كذا أعف عفا و عفة و عفاة أي كفت فأنا عف و عفيف و امرأة عفة و عفيفة و قد أعفه الله و استعف عن المسألة أي عف.و تعفف الرجل أي تكلف العفة و يروى و لا يعفون عن عيب أي لا يصفحون.و مفرعهم ملجؤهم و فيما يرى أي فيما يظن و يرى بفتح الياء أي فيما يراه هو و روي بعرا وثيقات.يقول إن عادة الله تعالى ألا يقصم الجبابة إلا بعد الإمهال و الاستدراج بإضافة النعم عليهم و ألا يجير أوليائه و ينصرهم إلا بعد بؤس و بلاء يمتحنهم به ثم قال لأصحابه إن في دون ما استقبلتم من عتب لمعتبر أي من مشقة يعني بما استقبلوه ما لاقوه في مستقبل زمانهم من الشيب و ولادة السوء و تنكر الوقت و سمى المشقة عتبا لأن العتب مصدر عتب عليه أي وجد عليه فجعل الزمان كالواجد عليهم القائم في إنزال مشاقه بهم مقام الإنسان ذي الموحدة يعتب على صاحبه و روي من عتب بفتح التاء جمع عتبة يقال لقد حمل فلان على عتبة أي أمر كربه من البلاء و في المثل ما في هذا الأمر رتب و لا عتب أي شدة و روي أيضا من عنت و هو الأمر الشاق و ما استدبروه من خطب يعني به ما تصرم عنهم من الحروب و الوقائع التي قضوها و نضوها و استدبروها و يروى و استدبرتم من خصب و هو رخاء العيش و هذا يقتضي المعنى الأول أي و ما خلفتم وراءكم من الشباب و الصحة و صفو العيشة.ثم قال ما كل ذي قلب بلبيب الكلام إلى آخره و هو مأخوذ من قول الله

تعالى (لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا). ثم تعجب من اختلاف حجج الفرق في الدين و خطئهم و كونهم لا يتبعون أقوال الأنبياء و لا أقوال الأوصياء ثم نعى عليهم أحوالهم القبيحة فقال إنهم لا يؤمنون بالغيب أي لا يصدقون بما لم يشاهدوه و لا يكفون عن الأمور القبيحة لكنهم يعملون في الشبهات أي يعملون أعمالا داخلية في الشبهات متوسطة لها و يسرون في الشهوات جعل الشهوات كالطريق التي يسير فيها الإنسان. ثم قال المعروف فيهم ما عرفوه أي ليس المعروف عندهم ما دل الدليل على كونه معروفا و صوابا و حقا بل المعروف عندهم ما ذهبوا إلى أنه حق سواء كان حقا في نفس الأمر أو لم يكن و المنكر عندهم ما أنكروه كما شرحناه في المعروف. ثم قال إنهم لا يستشيرون بعالم و لا يستفتون فقيها فاضلا بل مفرعهم في الأمور المشككة إلى أنفسهم و آرائهم و لقد صدق ع فإن هذه صفات من يدعي العلم و الفضل في زماننا و قبله بدهر طويل و ذلك أنهم يأنفون من التعلم و الاسترشاد فالبادئ منهم يعتقد في نفسه أنه أفضل من البارع المنتهي و متى ظفر الواحد منهم بمبادئ علم و حمله شرع في التدريس و التصنيف فمنعه التزامه بذلك من التردد إلى أبواب العلماء و أنف من سؤلهم عن الأمور المشككة فدام جهله إلى أن يموت. ثم قال كان كل واحد منهم إمام نفسه و يروى بحذف كان و إسقاطها و هو أحسن

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَ طُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ وَ اعْتِرَافٍ مِنَ الْفِتَنِ وَ انْتِشَارٍ مِنَ
 الْأُمُورِ وَ تَلَطُّ مِنْ الْحُرُوبِ وَ الدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ عَلَى حِينِ اصْفَرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا وَ إِيَّاسٍ
 مِنْ ثَمَرِهَا وَ إِغْوَارٍ إِغْوَارٍ مِنْ مَائِهَا قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَى وَ ظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ
 لِأَهْلِهَا عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ وَ طَعَامُهَا الْحَيْفَةُ وَ شِعَارُهَا الْخُوفُ وَ دِنَارُهَا
 السَّيْفُ. فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ اللَّهِ وَ اذْكُرُوا تِيكَ الَّتِي أَبَاؤُكُمْ وَ إِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهَنُونَ وَ عَلَيْهَا مُحَاسِبُونَ وَ
 لَعْمَرِي مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ وَ لَا يَهْمُ الْعُهُودُ وَ لَا خَلَتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمُ الْأَخْقَابُ وَ الْقُرُونُ وَ مَا
 أَنْتُمْ الْيَوْمَ مِنْ يَوْمٍ كُنْتُمْ فِي أَصْلَابِهِمْ بِبَعِيدٍ. وَ اللَّهُ مَا أَسْمَعُكُمْ الرُّسُولُ شَيْئاً إِلَّا وَ هَا أَنَا ذَا الْيَوْمِ
 مُسْمِعُكُمْوهُ وَ مَا أَسْمَاعُكُمْ الْيَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِكُمْ بِالْأَمْسِ وَ لَا شَقَّتْ لَهُمُ الْأَبْصَارُ وَ لَا جُعِلَتْ لَهُمُ
 الْأَفْئِدَةُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ إِلَّا وَ قَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا فِي هَذَا الزَّمَانِ وَ اللَّهُ مَا بُصِّرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئاً
 جَهْلُوهُ وَ لَا أَصْنَفِيتُمْ بِهِ وَ حُرْمُوهُ وَ لَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمْ الْبَلِيَّةُ جَائِلًا خِطَامُهَا رِخْوًا بَطَانُهَا فَلَا يَغُرَّتْكُمْ
 مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ الْغُرُورِ فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ

الفترة بين الرسل انقطاع الرسالة و الوحي و كذلك كان إرسال مُحمَّد ص لأن بين مُحمَّد و بين عهد المسيح ع عهدا طويلا أكثر الناس على أنه ستمائة سنة و لم يرسل في تلك المدة رسول اللهم إلا ما يقال عن خالد بن سنان العبسي و لم يكن نبيا و لا مشهورا. و الهجعة النومة ليلا و الهجوع مثله و كذلك التهجاج بفتح التاء فأما الهجعة بكسر الهاء فهي الهيئة كالجلسة من الجلوس. قوله و اعتزام من الفتن كأنه جعل الفتن معتزمة أي مريدة مصممة للشغب و المهرج و يروى و اعتراض و يروى و اعتزام بالراء المهملة من العرام و هي الشرة و التلطي التلهب. و كاسفة النور قد ذهب ضوءها كما تكسف الشمس ثم وصفها بالتغير و ذبول الحال فجعلها كالشجرة التي اصفر ورقها و يبس ثمرها و أعور مأوها و الإعوار ذهاب الماء فلاة عوراء لا ماء بها و من رواه و إغوار من مائها بالغين المعجمة جعله من غار الماء أي ذهب و منه قوله تعالى (أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا). و متجهمة لأهلها كالحة في وجوههم. ثم قال ثمرها الفتنة أي نتيجتها و ما يتولد عنها و طعامها الخيفة يعني أكل الجاهلية الميتة أو يكون على وجه الاستعارة أي أكلها خبيث و يروى الخيفة أي الخوف ثم جعل الخوف و السيف شعارها و دثارها فالشعار ما يلي الجسد و الدثار فوق

الشعار و هذا من بديع الكلام و من جيد الصناعة لأنه لما كان الخوف يتقدم السيف و السيف يتلوه جعل الخوف شعارا لأنه الأقرب إلى الجسد و جعل الدثار تاليا له. ثم قال و اذكروا تيك كلمة إشارة إلى المؤنثة الغائبة فيمكن أن يعنى بها الدنيا التي تقدم ذكرها و قد جعل آباءهم و إخوانهم مرتهنين بها و محاسبين عليها و الارتهان الاحتباس و يمكن أن يعنى بها الأمانة التي عرضت على الإنسان فحملها و المراد بالأمانة الطاعة و العبادة و فعل الواجب و تجنب القبيح و قال تيك و لم يجر ذكرها كما قال تعالى لم ذَلِكَ الْكِتَابُ و لم يجر ذكره لأن الإشارة إلى مثل هذا أعظم و أهيئ و أشد روعة في صدر المخاطب من التصريح. قوله و لا خلت فيما بينكم و بينهم الأحقاب أي لم يطل العهد و الأحقاب المدد المتطولة و القرون الأمم من الناس. و قوله من يوم كنتم يروى بفتح الميم من يوم على أنه مبني إذ هو مضاف إليه الفعل المبني و يروى بجرها بالإضافة على اختلاف القولين في علم العربية. ثم اختلفت الرواية في قوله و الله ما أسمعكم فروي بالكاف و روي أسمعهم و كذلك اختلفت الرواية في قوله و ما أسمعكم اليوم بدون أسمعكم بالأمس فروي هكذا و روي بدون أسمعهم فمن رواه بهاء الغيبة في الموضوعين فالكلام منتظم لا يحتاج إلى تأويل و من رواه بكاف الخطاب قال إنه خاطب به من صحب النبي ص و شاهده و سمع خطابه لأن أصحاب علي ع كانوا فريقين صحابة و تابعين و يعضد الرواية الأولى سياق الكلام. و قوله و لا شقت لهم الأبصار إلا و قد أعطيتهم مثلها.

و أصفيتهم به منحتموه من الصفا و هو ما يصطفيه الرئيس من المغنم لنفسه قبل القسمة يقال صفي و صفية. و خلاصة هذا الكلام أن جميع ما كان رسول الله ص قاله لأصحابه قد قلت مثله لكم فأطاع أولئك و عصيتم أنتم و حالكم مساوية لحالهم. قلت لو أن مجييا منهم يجيبه لأمكن أن يقول له المخاطبون و إن كانوا نوعا واحدا متساويا إلا أن المخاطب مختلف الحال و ذلك لأنك و إن كنت ابن عمه في النسب و أخاه و لحمه و دمه و فضائلك مشتقة من فضائله و أنت قبس من نوره و ثانيه على الحقيقة و لا ثالث لكما إلا أنك لم ترزق القبول الذي رزقه و لا انفعلت نفوس الناس لك حسب انفعالها له و تلك خاصية النبوة التي امتاز بها عنك فإنه كان لا يسمع أحد كلامه إلا أحبه و مال إليه و لذلك كانت قريش تسمي المسلمين قبل الهجرة الصباة و يقولون نخاف أن يصبو الوليد بن المغيرة إلى دين محمد ص و لئن صبا الوليد و هو ريحانة قريش لتصبون قريش بأجمعها و قالوا فيه ما كلامه إلا السحر و إنه ليفعل بالألباب فوق ما تفعل الخمر و نھوا صبيانهم عن الجلوس إليه لئلا يستميلهم بكلامه و شمائله و كان إذا صلى في الحجر و جهر يجعلون أصابعهم في آذانهم خوفا أن يسحروهم و يستميلهم بقراءته و بوعظه و تذكيره هذا هو معنى قوله تعالى (جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ) . و معنى قوله (وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا) لأنهم كانوا يهربون إذا سمعوه يتلو القرآن خوفا أن يغير عقائدهم في أصنامهم و لهذا

أسلم أكثر الناس بمجرد سماع كلامه و رؤيته و مشاهدة روائه و منظره و ما ذاقوه من حلاوة لفظه و سري كلامه في آذانهم و ملك قلوبهم و عقولهم حتى بذلوا المهج في نصرته و هذا من أعظم معجزاته ع و هو القبول الذي منحه الله تعالى و الطاعة التي جعلها في قلوب الناس له و ذلك على الحقيقة سر النبوة الذي تفرد به ص فكيف يروم أمير المؤمنين من الناس أن يكونوا معه كما كان آباؤهم و إخوانهم مع النبي ص مع اختلاف حال الرئيسين و تساوي الأثرين كما يعتبر في تحققه تساوي حال المحليين يعتبر في حقيقته أيضا تساوي حال العلتين. ثم نعود إلى التفسير قال و لقد نزلت بكم البلية أي المحنة العظيمة يعني فتنة معاوية و بني أمية. و قال جاثلا خطابها لأن الناقة إذا اضطرب زمامها استصعبت على راکبها و يسمى الزمام خطاما لكونه في مقدم الأنف و الخطم من كل دابة مقدم أنفها و فمها و إنما جعلها رخوا بطانها لتكون أصعب على راکبها لأنه إذا استرخى البطن كان الراكب في معرض السقوط عنها و بطن القتب هو الحزام الذي يجعل تحت بطن البعير. ثم نهامهم عن الاغترار بالدنيا و متاعها و قال إنها ظل ممدود إلى أجل محدود و إنما جعلها كالظل لأنه ساكن في رأي العين و هو متحرك في الحقيقة لا يزال يتقلص كما قال تعالى (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا) و هو أشبه شيء بأحوال الدنيا. و قال بعض الحكماء أهل الدنيا كركب سير بهم و هم نيام

٨٩ و من خطبة له ع

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ وَ الْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِمًا دَائِمًا إِذْ لَا سَمَاءٌ
ذَاتُ أَجْرَاجٍ وَ لَا حُجُبٌ ذَاتُ إِرْتَاجٍ وَ لَا لَيْلٌ دَاجٍ وَ لَا بَحْرٌ سَاجٍ وَ لَا جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ وَ لَا فَجٌّ
ذُو إِعْوَجَاجٍ وَ لَا أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ وَ لَا خَلْقٌ ذُو إِعْتِمَادٍ وَ ذَلِكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ وَ وَارِثُهُ وَ إِلَهُ الْخَلْقِ
وَ رَازِقُهُ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِهِ يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ وَ يُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ الروية الفكرة و
أصلها الهمز روات في الأمر و قد جاء مثلها كلمات يسيرة شاذة نحو البرية من برأ أي خلق و
الذرية من ذرأ أي خلق أيضا و الذرية و هي ما يستتر به الصائد أصله من درأت أي دفعت و
فلان بري أصله بريء وصف الله تعالى بأنه يعرف من غير أن تتعلق الأبصار بذاته و يخلق من غير
تفكر و ترو فيما يخلقه. لم يزل قائما القائم و القيوم بمعنى و هو الثابت الذي لا يزول و يعبر عنه
في الاصطلاح النظري بالواجب الوجود و قد يفسر القائم على معنى قولهم فلان قائم بأمر كذا أي
وال و ممسك له أن يضطرب. ثم قال هو موصوف بأنه قائم دائم من قبل أن يخلق العالم و هذا
يؤكد التفسير

الأول لأنه إذا لم يكن العالم مخلوقا بعد لم يصدق عليه أنه قائم بأمره إلا بالقوة لا بالفعل كما يصدق عليه أنه سميع بصير في الأزل أي إذا وجدت المسموعات و المبصرات سمعها و أبصرها و لو سمي قبل خلق الكلام متكلماً على هذا التفسير لم أستبعده و إن كان أصحابنا يابونه. و الأبراج الأركان في اللغة العربية. فإن قلت فهل يطابق هذا التفسير ما يعتقده أصحاب الهيئة و كثير من الحكماء و المتكلمين أن السماء كرة لا زاوية فيها و لا ضلع. قلت نعم لا منافاة بين القولين لأن الفلك و إن كان كرة لكن فيه من المتممات ما يجري مجرى أركان الحصن أو السور فصح إطلاق لفظه الأبراج عليه و المتممات أجسام في حشو الفلك تخف في موضع و الناس كلهم أثبتوها. فإن قلت فهل يجوز أن يحمل لفظ الأبراج على ما يعتقده المنجمون و أهل الهيئة و كثير من الحكماء و المتكلمين من كون الفلك مقسوماً باثني عشر قسماً كل قسم منها يسمى برجاً. قلت لا مانع من ذلك لأن هذا المسمى كان معلوماً متصوراً قبل نزول القرآن و كان أهل الاصطلاح قد وضعوا هذا اللفظ بإزائه فجاز أن ينزل القرآن بموجبه قال تعالى (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ) و أخذها علي ع منه فقال إذ لا سماء ذات أبراج و ارتفع سماء لأنه مبتدأ و خبره محذوف و تقديره في الوجود. ثم قال و لا حجب ذات إرتاج و الإرتاج مصدر أرتج أي أغلق أي ذات إغلاق و من رواه ذات رتاج على فعال فالرتاج الباب المغلق و يبعد رواية من رواه

ذات أرتاج لأن فعالا قل أن يجمع على أفعال و يعني بالحجب ذات الإرتاج حجب النور المضروبة بين عرشه العظيم و بين ملائكته و يجوز أن يريد بالحجب السموات أنفسها لأنها حجبت الشياطين عن أن تعلم ما الملائكة فيه. و الليل الداجي المظلم و البحر الساجي الساكن و الفجاج جمع فج و هو الطريق الواسع بين جبلين و المهاد الفراش. قوله و لا خلق ذو اعتماد أي و لا مخلوق يسعى برجلين فيعتمد عليهما أو يطير بجناحيه فيعتمد عليهما و يجوز أن يريد بالاعتماد هنا البطش و التصرف مبتدع الخلق مخرجه من العدم المحض كقوله تعالى (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ) و دائبان تثنية دائب و هو الجاد المجتهد المتعب دأب في عمله أي جد و تعب دأبا و دءوبا فهو دءيب و دأبته أنا و سمي الشمس و القمر دائبين لتعاقبهما على حال واحدة دائما لا يفتران و لا يسكنان و روي دائبين بالنصب على الحال و يكون خبر المبتدأ يلبيان و هذه من الألفاظ القرآنية : قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ وَ أَحْصَى آثَارَهُمْ وَ أَعْمَاهُمْ وَ عَدَدَ أَنْفُسِهِمْ وَ خَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ وَ مَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ وَ مُسْتَقَرَّهُمْ وَ مُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ الْأَرْحَامِ وَ الظُّهُورِ إِلَى أَنْ تَتَنَاهَى بِهِمُ الْغَايَاتِ آثَارَهُمْ يمكن أن يعني به آثار وطئهم في الأرض إيدانا بأنه تعالى عالم بكل معلوم

كما آذن قوله سبحانه (وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا) بذلك و يمكن أن يعنى به حركاتهم و تصرفاتهم. و روي و عدد أنفاسهم على الإضافة. و خائنة الأعين ما يومئ به مسارقة و خفية و مستقرهم أي في الأرحام و مستودعهم أي في الأصلاب و قد فسر ذلك فتكون من متعلقة بمستودعهم و مستقرهم على إرادة تكررها و يمكن أن يقال أراد مستقرهم و مأواهم على ظهر الأرض و مستودعهم في بطنها بعد الموت و تكون من هاهنا بمعنى مذ أي مذ زمان كونهم في الأرحام و الظهور إلى أن تنهاى بهم الغايات أي إلى أن يحشروا في القيامة و على التأويل الأول يكون تنامي الغايات بهم عبارة عن كونهم أحياء في الدنيا : هُوَ الَّذِي إِشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلَىٰ أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ وَ اتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ فَاهْرُ مِنْ عَارِهِ وَ مُدْمِرٌ مِنْ شَاقِّهِ وَ مُذِلٌّ مِنْ نَاوَاهِ وَ غَالِبٌ مِنْ عَادَاهِ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ وَ مَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ وَ مَنْ أَفْرَضَهُ قَضَاهُ وَ مَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ عِبَادَ اللَّهِ زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا وَ حَاسِبُوهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا وَ تَتَقَسَّوْا قَبْلَ ضِيقِ الْحِنَاقِ وَ انْقَادُوا قَبْلَ غُنْفِ السِّيَاقِ وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعَنْ عَلَىٰ نَفْسِهِ حَتَّىٰ يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظٌ وَ زَاجِرٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا لَا زَاجِرٌ وَلَا وَاعِظٌ

يجوز نقمة و نقمة مثل كلمة و كلمة و لبنة و لبنة و معنى الكلام أنه مع كونه واسع الرحمة في نفس الأمر و أنه أرحم الراحمين فإنه شديد النقمة على أعدائه و مع كونه عظيم النقمة في نفس الأمر و كونه شديد العقاب فإنه واسع الرحمة لأوليائه و عازاه أي غالبه و عزه أي غلبه و منه (وَ عَزَّيْنِي فِي الْخُطَابِ) و في المثل من عز بز أي من غلب سلب و المدمر المهلك دمره و دمر عليه بمعنى أي أهلكه و شاقه عاداه قيل إن أصله من الشق و هو النصف لأن المعادي يأخذ في شق و المعادي في شق يقابله و ناواه أي عاداه و اللفظة مهموزة و إنما لينها لأجل القرينة السجعية و أصلها ناوأت الرجل مناوأة و نواء و يقال في المثل إذا ناوأت الرجل فاصبر. قوله زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا من الكلام الفصيح النادر اللطيف يقول اعتبروا أعمالكم و أنتم مختارون قادرين على استدراك الفارط قبل أن يكون هذا الاعتبار فعل غيركم و أنتم لا تقتدرون على استدراك الفارط و مثله قوله و حاسبوها من قبل أن تحاسبوا. ثم قال و تنفسوا قبل ضيق الخناق أي انتهزوا الفرصة و اعملوا قبل أن يفوتكم الأمر و يجد بكم الرحيل و يقع الندم قال الشاعر

اختم و طينك رطب إن قدرت فكم قد أمكن الختم أقواما فما ختموا

ثم قال و انقادوا قبل عنف السياق هو العنف بالضم و هو ضد الرفق يقال عنف عليه و عنف به أيضا و العنيف الذي لا رفق له بركوب الخيل و الجمع عنف و اعتنفت الأمر أي أخذته بعنف يقول انقادوا أنتم من أنفسكم قبل أن تقادوا و تساقوا

بغير اختياركم سوقا عنيفا ثم قال من لم يعنه الله على نفسه حتى يجعل له منها واعظا و زاجرا لم
ينفعه الزجر و الوعظ من غيرها أخذ هذا المعنى شاعر فقال
و أقصرت عما تعهدين و زاجر من النفس خير من عتاب العواذل
فإن قلت أ ليس في هذا الكلام إشعار ما بالجبر. قلت إنه لا خلاف بين أصحابنا في أن الله
تعالى ألطافا يفعلها بعباده فيقربهم من الواجب و يبعدهم من القبيح و من يعلم الله تعالى من حاله
أنه لا لطف له لأن كل ما يعرض لطفًا له فإنه لا يؤثر في حاله و لا يزداد به إلا إصرارا على
القبيح و الباطل فهو الذي عناه أمير المؤمنين ع بقوله من لم يعن على نفسه لأنه ما قبل المعونة و
لا انقاد إلى مقتضاها و قد روي و اعلمو أنه من لم يعن على نفسه بكسر العين أي من لم يعن
الواعظين له و المنذرين على نفسه و لم يكن معهم إلبا عليها و قاهرا لها لم ينتفع بالوعظ و الزجر
لأن هوى نفسه يغلب وعظ كل واعظ و زجر كل زاجر

٩٠ و من خطبة له ع تعرف بخطبة الأشباح و هي من جلائل خطبة ع

رَوَى مَسْعَدَةُ بْنُ صَدَقَةَ عَنِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ع أَنَّهُ قَالَ : خَطَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِهَذِهِ
الْحُطْبَةِ عَلَى مَنْبَرِ الْكُوفَةِ وَ ذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا أَتَاهُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صِفْ لَنَا رَبَّنَا مِثْلَ مَا نَرَاهُ
عَيْنَانَا لِنَزِدَّادَ لَهُ حُبًّا وَ بِهِ مَعْرِفَةً فَعَضِبَ وَ نَادَى الصَّلَاةَ جَامِعَةً فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ حَتَّى غَصَّ
الْمَسْجِدُ بِأَهْلِهِ فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ وَ هُوَ مُعْضِبٌ مُتَغَيِّرُ اللَّوْنِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ
ص ثُمَّ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَفِرُّهُ الْمَنْعُ وَ الْجُمُودُ وَ لَا يُكْدِيهِ الْإِعْطَاءُ وَ الْجُودُ إِذْ كُلُّ مُعْطٍ
مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ وَ كُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلَاهُ وَ هُوَ الْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ وَ عَوَائِدِ الْمَزِيدِ وَ الْقَسَمِ عِيَالُهُ
الْخَلَائِقُ ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ وَ قَدَّرَ أَقْوَانَهُمْ وَ نَهَجَ سَبِيلَ الرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ وَ الطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ وَ لَيْسَ بِمَا
سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلِ الْأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلُ فَيَكُونُ شَيْءٌ قَبْلَهُ وَ الْآخِرُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ
لَهُ بَعْدُ فَيَكُونُ شَيْءٌ بَعْدَهُ وَ الرَّادِعُ أَنَا سَيِّ الْأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكُهُ مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ
فَيُخْتَلَفُ مِنْهُ الْحَالُ وَ لَا كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزُ عَلَيْهِ الْإِنْتِقَالُ الْأَشْبَاحِ الْأَشْخَاصِ وَ الْمَرَادُ بِهِمْ هَاهُنَا
الملائكة لأن الخطبة تتضمن ذكر الملائكة.

و قوله الصلاة جامعة منصوب بفعل مقدر أي احضروا الصلاة و أقيموا الصلاة و جامعة منصوب على الحال من الصلاة. و غص المسجد بفتح الغين أي امتلأ و المسجد غاص بأهله و يقال رجل مغضب بفتح الضاد أي قد أغضب أي فعل به ما يوجب غضبه. و يفره المنع يزيد في ماله و الموفور التام وفرت الشيء وفرا و وفر الشيء نفسه وفورا يتعدى و لا يتعدى و في أمثالهم يوفرو و يحمد هو من قولك وفرتك عرضه و وفرت ماله. و قوله و لا يكديه الإعطاء أي لا يفقره و لا ينفد خزائنه يقال كدت الأرض تكد و فهي كادية إذا أبطأ نباتها و قل خيرها فهذا لازم فإذا عديته أتيت بالهمزة فقلت أكديت الأرض أي جعلتها كادية و تقول أكدي الرجل إذا قل خيريه و قوله تعالى (وَ أَعْطَى قَلِيلًا وَ أَكْدَى) أي قطع القليل يقول إنه سبحانه قادر على المقدورات و ليس كالمملوك من البشر الذين إذا أعطوا نقصت خزائنها و إن منعوا زادت و قد شرح ذلك و قال إذ كل معط منتقص أي منقوص و يجيء انتقص لازما و متعديا تقول انتقص الشيء نفسه و انتقصت الشيء أي نقصته و كذلك نقص يجيء لازما و متعديا. ثم قال و كل مانع مذموم غيره و ذلك لأنه تعالى إنما يمنع من تقتضي الحكمة و المصلحة منعه و ليس كما يمنع البشر و سأل رجل علي بن موسى الرضا عن الجواد فقال إن لكلامك وجهين فإن كنت تسأل عن المخلوق فإن الجواد هو الذي يؤدي ما افترض الله عليه و البخيل هو الذي ييخل بما افترض الله عليه و إن كنت تعني الخالق

فهو الجواد إن أعطى و هو الجواد إن منع لأنه إن أعطى عبدا أعطاه ما ليس له و إن منعه منعه ما ليس له. قوله و ليس بما سئل بأجود منه بما لم يسأل فيه معنى لطيف و ذاك لأن هذا المعنى مما يختص بالبشر لأنهم يتحركون بالسؤال و تهزم الطلبات فيكونون بما سألهم السائل أجود منهم بما لم يسألهم إياه و أما البارئ سبحانه فإن جوده ليس على هذا المنهاج لأن جوده عام في جميع الأحوال. ثم ذكر أن وجوده تعالى ليس بزمني فلا يطلق عليه البعدية و القبلية كما يطلق على الزمانيات و إنما لم يكن وجوده زمانيا لأنه لا يقبل الحركة و الزمان من لواحق الحركة و إنما لم تطلق عليه البعدية و القبلية إذ لم يكن زمانيا لأن قولنا في الشيء إنه بعد الشيء الفلاني أي الموجود في زمان حضر بعد تقضي زمان ذلك الشيء الفلاني و قولنا في الشيء إنه قبل الشيء الفلاني أي إنه موجود في زمان حضر و لم يحضر زمان ذلك الشيء الفلاني بعد فما ليس في الزمان ليس يصدق عليه القبل و البعد الزمانيان فيكون تقدير الكلام على هذا الأول الذي لا يصدق عليه القبلية الزمانية ليتمكن أن يكون شيء ما قبله و الآخر الذي لا يصدق عليه البعدية الزمانية ليتمكن أن يكون شيء ما بعده. و قد يحمل الكلام على وجه آخر أقرب متناولا من هذا الوجه و هو أن يكون أراد الذي لم يكن محدثا أي موجودا قد سبقه عدم فيقال إنه مسبوق بشيء من الأشياء إما المؤثر فيه أو الزمان المقدم عليه و أنه ليس بذات يمكن فناؤها و عدمها فيما لا يزال فيقال إنه ينقضي و ينصرم و يكون بعده شيء من الأشياء إما الزمان أو غيره و الوجه الأول أدق و ألطف و يؤكد كونه مرادا قوله عقيبه ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال و ذلك لأن واجب الوجود أعلى من الدهر و الزمان فنسبة ذاته إلى الدهر و الزمان بجملته و تفصيل أجزائه نسبة متحدة.

فإن قلت إذا لم يكن قبل الأشياء بالزمان و لا بعدها بالزمان فهو معها بالزمان لأنه لا يبقى بعد نفي القبلية و البعدية إلا المعية. قلت إنما يلزم ذلك فيما وجوده زماني و أما ما ليس زمانيا لا يلزم من نفي القبلية و البعدية إثبات المعية كما أنه ما لم يكن وجوده مكانيا لم يلزم من نفي كونه فوق العالم أو تحت العالم بالمكان أن يكون مع العالم بالمكان. ثم قال الرادع أناسي الأبصار عن أن تناله أو تدركه الأناسي جمع إنسان و هو المثال الذي يرى في السواد و هذا اللفظ بظاهره يشعر بمذهب الأشعرية و هو قولهم إن الله تعالى خلق في الأبصار مانعا عن إدراكه إلا أن الأدلة العقلية من جانبنا اقتضت تأويل هذا اللفظ كما تأول شيوخنا قوله تعالى (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) فقالوا إلى جنة رها فنقول تقديره الرادع أناسي الأبصار أن تنال أنوار جلالته. فإن قلت أ تثبتون له تعالى أنوارا يمكن أن تدركها الأبصار و هل هذا إلا قول بالتجسيم. قلت كلا لا تجسيم في ذلك فكما أن له عرشا و كرسيا و ليس بجسم فكذلك أنوار عظيمة فوق العرش و ليس بجسم فكيف تنكر الأنوار و قد نطق الكتاب العزيز بها في غير موضع كقوله (وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا) و كقوله (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ)

وَلَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الْجِبَالِ وَ ضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبَحَارِ مِنْ فِلِزِّ اللَّجَيْنِ وَ
الْعُقَيَّانِ وَ نُثَارَةَ الدَّرِّ وَ حَصِيدَ الْمَرْجَانِ مَا أَثَّرَ ذَلِكَ فِي جُودِهِ وَ لَا أَنْقَدَ سَعَةً مَا عِنْدَهُ وَ لَكَانَ
عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ الْأَنْعَامِ مَا لَا تُنْفِدُهُ مَطَالِبُ الْأَنْعَامِ لِأَنَّهُ الْجَوَادُ الَّذِي لَا يَغِيضُهُ سُؤَالُ السَّائِلِينَ وَ
لَا يُبَحِّلُهُ يُبَحِّلُهُ الْخَاحُ الْمُلَجِّينَ هَذَا الْكَلَامُ مِنْ تِمَّةِ الْكَلَامِ الْأَوَّلِ وَ هُوَ قَوْلُهُ لَا يَفِرُّهُ الْمَنَعُ وَ لَا
يَكْدِيهِ الْإِعْطَاءُ وَ الْجُودُ وَ تَنَفَّسَتْ عَنْهُ الْمَعَادِنُ اسْتِعَارَةً كَأَنَّهَا لَمَّا أَخْرَجْتَهُ وَ وَلَدَتْهُ كَانَتْ كَالْحَيَوَانِ
يَتَنَفَّسُ فَيُخْرِجُ مِنْ صَدْرِهِ وَ رِئْتَهُ الْهَوَاءَ. وَ ضَحِكَتْ عَنْهُ الْأَصْدَافُ أَيِ تَفْتَحَتْ عَنْهُ وَ انْشَقَّتْ
يُقَالُ لِلطَّلَعِ حِينَ يَنْشَقُّ الضَّحْكُ بَفَتْحِ الضَّادِ وَ إِنَّمَا سَمِيَ الضَّاحِكُ ضَاحِكًا لِأَنَّهُ يَفْتَحُ فَاهُ وَ الْفَلَزُ
اسْمُ الْأَجْسَامِ الذَّائِبَةِ كَالذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الرِّصَاصِ وَ نَحْوِهَا وَ اللَّجَيْنِ اسْمُ الْفِضَّةِ جَاءَ مُصَغَّرًا
كَالْكَمِيَّتِ وَ الثَّرِيَا وَ الْعُقَيَّانِ الذَّهَبِ الْخَالِصِ وَ يُقَالُ هُوَ مَا يَنْبَتُ نَبَاتًا وَ لَيْسَ مِمَّا يَحْصُلُ مِنَ
الْحَجَارَةِ وَ نُثَارَةِ الدَّرِّ مَا تَنَاسَرَتْ مِنْهُ كَالسَّقَاطَةِ وَ النِّخَالَةِ وَ تَأْتِي فَعَالَةً تَارَةً لِلجِيدِ الْمُخْتَارِ وَ تَارَةً
لِلسَّقَاطِ الْمَتْرُوكِ فَالْأَوَّلُ نَحْوُ الْخِلَاصَةِ وَ الثَّانِي نَحْوُ الْقِلَاصَةِ. وَ حَصِيدَ الْمَرْجَانِ كَأَنَّهُ أَرَادَ الْمَتَبَدَّدَ مِنْهُ
كَمَا يَتَبَدَّدُ الْحَبُّ الْمَحْصُودُ وَ يَجُوزُ أَنْ يَعْنِيَ بِهِ الصَّلْبُ الْمُحْكَمُ مِنْ قَوْلِهِمْ شَيْءٌ مُسْتَحْصَدٌ أَيِ
مُسْتَحْصَفٌ مُسْتَحْكَمٌ يَعْنِي أَنَّهُ لَيْسَ بِرَخْوٍ وَ لَا هَشٍّ وَ يَرُودُ وَ حَصْبَاءُ الْمَرْجَانِ وَ الْحَصْبَاءُ الْحَصَى
وَ أَرْضٌ حَصْبَةٌ وَ مُحْصَبَةٌ

بالفتح ذات حصباء و المرجان صغار اللؤلؤ و قد قيل إنه هذا الحجر و استعمله بعض المتأخرين
فقال

أدمى لها المرجان صفحة خده و بكى عليها اللؤلؤ المكنون
و تنفذه تفنيه نفذ الشيء أي فني و أنفدته أنا و مطالب الأنام جمع مطلب و هو المصدر من
طلبت الشيء طلبا و مطلبا. و يغضه بفتح حرف المضارعة ينقصه و يقال غاض الماء فهذا لازم و
غاض الله الماء فهذا متعد و جاء أغاض الله الماء. و الإلحاح مصدر ألح على الأمر أي أقام عليه
دائما من ألح السحاب إذا دام مطره و ألح البعير حرن كما تقول خلأت الناقة و روي و لا يخله
بالتخفيف تقول أبخلت زيدا أي صادفته بخيلا و أجبنته وجدته جبانا. و في هذا الفصل من حسن
الاستعارة و بديع الصنعة ما لا خفاء به : فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ فَمَا ذَلِكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ
فَإِنَّتُمْ بِهِ وَ اسْتَضَى بِنُورِ هِدَايَتِهِ وَ مَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرَضُهُ وَ لَا
فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ ص وَ أَيْمَةَ أَهْلُدَى أَثَرُهُ فَكُلَّ عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ وَ
إِعْلَمَ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمْ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْعُيُوبِ الْإِقْرَارِ
بِجُمْلَةٍ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْعَيْبِ الْمَحْجُوبِ فَمَدَحَ اللَّهُ

اعترفهم بالعجز عن تناول ما لم يُحيطوا به علماً و سَمَّى تَرْكُهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمْ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً فَاقْتَصَرَ عَلَى ذَلِكَ وَ لَا تُقَدَّرُ عَظَمَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ تقول ائتم فلان بفلان أي جعله إماماً و اقتدى به فكل علمه من وكله إلى كذا وكلا و وكولا و هذا الأمر موكول إلى رأيك و الاقتحام الهجوم و الدخول مغالبة و السدد المضروبة جمع سدة و هي الرتاج. و اعلم أن هذا الفصل يمكن أن تتعلق به الحشوية المانعون من تأويل الآيات الواردة في الصفات القائلين بالجمود على الظواهر و يمكن أيضاً أن يتعلق به من نفى النظر و حرمة أصلاً و نحن قبل أن نحققه و نتكلم فيه نبدأ بتفسير قوله تعالى (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاْسُخُونَ فِي الْعِلْمِ) فنقول إن من الناس من وقف على قوله (إِلَّا اللَّهُ) و منهم من لم يقف على ذلك و هذا القول أقوى من الأول لأنه إذا كان لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله لم يكن في إنزاله و مخاطبة المكلفين به فائدة بل يكون كخطاب العربي بالزنجية و معلوم أن ذلك عيب قبيح. فإن قلت فما الذي يكون موضع (يَقُولُونَ) من الإعراب. قلت يمكن أن يكون نصبا على أنه حال من الراسخين و يمكن أن يكون كلاماً مستأنفاً أي هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنا به.

و قد روي عن ابن عباس أنه تأول آية فقال قائل من الصحابة (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ) فقال ابن عباس (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) و أنا من جملة الراسخين. ثم نعود إلى تفسير كلام أمير المؤمنين ع فنقول إنه غضب و تغير وجهه لقول السائل صف لنا ربنا مثل ما نراه عيانا و إذا هذا المعنى ينصرف وصية له بما أوصاه به من اتباع ما جاء في القرآن و السنة و ذلك لأن العلم الحاصل من رؤية الشيء عيانا علم لا يمكن أن يتعلق مثله بالله سبحانه لأن ذاته تعالى لا يمكن أن تعلم من حيث هي كما تعلم المحسوسات أ لا ترى أنا إذا علمنا أنه صانع العالم و أنه قادر عالم حي سميع بصير مريد و أنه ليس بجسم و لا جوهر و لا عرض و علمنا جميع الأمور السلبية و الإيجابية المتعلقة به فإنما علمنا سلوبا و إضافات و لا شك أن ماهية الموصوف مغايرة لماهية الصفات و الذوات المحسوسة بخلاف ذلك لأننا إذا رأينا السواد فقد علمنا نفس حقيقة السواد لا صفة من صفات السواد و أيضا فإننا لو قدرنا أن العلم بوجوده و صفاته السلبية و الإيجابية يستلزم العلم بذاته من حيث هي لم يكن عالما بذاته علما جزئيا لأنه يمكن أن يصدق هذا العلم على كثيرين على سبيل البدل و إذا ثبت أنه يستحيل أن يصدق على كثيرين على سبيل البدل ثبت أنه يستحيل أن يصدق على كثيرين على سبيل الجمع و العلم بالمحسوس يستحيل أن يصدق على كثيرين لا على سبيل الجمع و لا على سبيل البدل فقد بان أنه يستحيل أن يعلم الله تعالى كما يعلم الشيء المرئي عيانا فأمر المؤمنين ع أنكر هذا السؤال كما أنكره الله تعالى على بني إسرائيل لما طلبوا الرؤية قال تعالى (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ).

ثم قال للسائل بعد غضبه و استحالة لونه و ظهور أثر الإنكار عليه ما ذلك القرآن عليه من صفته فخذ به فإن لم تجده في الكتاب فأطلبه من السنة و من مذاهب أئمة الحق فإن لم تجد ذلك فاعلم أن الشيطان حينئذ قد كلفك علم ما لم يكلفك الله علمه و هذا حق لأن الكتاب و السنة قد نطقا بصفات الله من كونه عالما قادرا حيا مريدا سميعا بصيرا و نطقا أيضا بتنزيهه عن سمات الحدوث كالجسمية و الحلول و الجهة و ما استلزم الجهة كالرؤية فلا إنكار على من طلب في مدارك العقول وجوها تعضد ما جاء به القرآن و السنة و توفق بين بعض الآيات و بعض و تحمل أحد اللفظين على الآخر إذا تناقضا في الظاهر صيانة لكلام الحكيم عن التهافت و التعارض و أما ما لم يأت الكتاب و السنة فيه بشيء فهو الذي حرم و حظر على المكلفين الفكر فيه كالكلام في الماهية التي يذهب ضرار المتكلم إليها و كإثبات صفات زائدة على الصفات المعقولة لذات البارئ سبحانه و هي على قسمين أحدهما ما لم يرد فيه نص كإثبات طائفة تعرف بالماتريدية صفة سموها التكوين زائدة على القدرة و الإرادة. و الثاني ما ورد فيه لفظ فأخطأ بعض أهل النظر فأثبت لأجل ذلك اللفظة صفة غير معقولة للبارئ سبحانه نحو قول الأشعرين إن اليدين صفة من صفات الله و الاستواء على العرش صفة من صفات الله و إن وجه الله صفة من صفاته أيضا ثم قال إن الراسخين في العلم الذين غنوا بالإقرار بما عرفوه عن الولوج و التقحم فيما لم يعرفوه و هؤلاء هم أصحابنا المعتزلة لا شبهة في ذلك أ لا ترى أنهم يعللون أفعال الله تعالى بالحكم و المصالح فإذا ضاق عليهم الأمر في تفصيل بعض المصالح في بعض المواضع قالوا نعلم على الجملة أن لهذا وجه حكمة و مصلحة و إن كنا لا نعرف تفصيل تلك المصلحة كما يقولون في تكليف من يعلم الله تعالى منه أنه يكفر و كما يقولون في اختصاص الحال التي حدث فيها العالم بحدوثه دون ما قبلها و ما بعدها.

و قد تأول القطب الراوندي كلام أمير المؤمنين في هذا الفصل فقال إنما أنكر على من يقول لم تعبد الله المكلفين بإقامة خمس صلوات و هلا كانت ستا أو أربعاً و لم جعل الظهر أربع ركعات و الصبح ركعتين و هلا عكس الحال و هذا التأويل غير صحيح لأنه ع إنما أخرج هذا الكلام مخرج المنكر على من سأله أن يصف له الباري سبحانه و لم يكن السائل قد سأل عن العلة في أعداد الصلاة و كمية أجزاء العبادات. ثم إنه ع قد صرح في غرضون الكلام بذلك فقال فانظر أيها السائل فما ذلك القرآن عليه من صفته فائتم به و ما لم يدللك عليه فليس عليك أن تخوض فيه و هذا الكلام تصريح بأن البحث إنما هو في النظر العقلي في فن الكلام فلا يجوز أن يحمل على ما هو بمعزل عنه. و اعلم أننا نتساهل في ألفاظ المتكلمين فنوردها بعباراتهم كقولهم في المحسوسات و الصواب المحسات لأنه لفظ المفعول من أحس الرباعي لكننا لما رأينا العدول عن ألفاظهم إذا خضنا في مباحثهم مستهجننا عبرنا بعبارتهم على علم منا أن العربية لا تسوغها : هُوَ الْقَادِرُ الَّذِي إِذَا ارْتَمَتْ الْأَوْهَامُ لِثَدْرِكَ مُنْقَطِعَ قُدْرَتِهِ وَ حَاوَلَ الْفِكْرُ الْمُبَرَّأَ مِنْ خَطَرِ خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ وَ تَوَلَّهَتْ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ وَ غَمَضَتْ مَدَاخِلُ الْعُقُولِ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ لِتَنَاقُلَ عِلْمَ ذَاتِهِ رَدْعَهَا وَ هِيَ بَحْبُوبُ مَهَاوِي سُدْفِ الْغُيُوبِ مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ فَرَجَعَتْ إِذْ جِبْهَتُ مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لَا يُنَالُ بِجُورِ الْإِعْتِسَافِ كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ وَ لَا تَخْطُرُ بِبَالِ أُولَى الرُّوَيَاتِ حَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلَالِ عِزِّهِ

ارتمت الأوهام أي ترامت يقال ارتمى القوم بالنبل أي تراموا فشبه جولان الأوهام و الأفكار و تعارضها بالترامي. و خطر الوسواس بتسكين الطاء مصدر خطر له خاطر أي عرض في قلبه و روي من خطرات الوسواس. و تولدت القلوب إليه اشتد عشقها حتى أصابها الوله و هو الحيرة. و قوله لتجري في كيفية صفاته أي لتصادف مجرى و مسلكا في ذلك و غمضت مداخل العقول أي غمض دخولها و دق في الأنظار العميقة التي لا تبلغ الصفات كنهها لدقتها و غموضها طالبة أن تنال معرفته تعالى. و لفظة ذات لفظة قد طال فيها كلام كثير من أهل العربية فأنكر قوم إطلاقها على الله تعالى و إضافتها إليه أما إطلاقها فلأنها لفظة تأنيث و البارئ سبحانه منزّه عن الأسماء و الصفات المؤنثة و أما إضافتها فلأنها عين الشيء و الشيء لا يضاف إلى نفسه و أجاز آخرون إطلاقها في البارئ تعالى و إضافتها إليه أما استعمالها فلوجهين أحدهما أنها قد جاءت في الشعر القديم قال خبيب الصحابي عند صلبه

و ذلك في ذات الإله و إن يشأ يبارك على أوصال شلو موزع
و يروى ممزّع و قال النابعة

محلّتهم ذات الإله و دينهم قديم فما يخشون غير العواقب
و الوجه الثاني أنها لفظة اصطلاحية فجاز استعمالها لا على أنها مؤنث ذو بل تستعمل

ارتجالاً في مسماهما الذي عبر عنه بها أرباب النظر الإلهي كما استعملوا لفظ الجوهر و العرض و غيرهما في غير ما كان أهل العربية و اللغة يستعملونها فيه. و أما منعهم إضافتها إليه تعالى و أنه لا يقال ذاته لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه فباطل بقولهم أخذته نفسه و أخذته عينه فإنه بالاتفاق جائز و فيه إضافة الشيء إلى نفسه. ثم نعود إلى التفسير قوله ع ردعها أي كفها و تجوب أي تقطع و المهاوي المهالك الواحدة مهواه بالفتح و هي ما بين جبلين أو حائطين و نحو ذلك و السدف جمع سدفة و هي القطعة من الليل المظلم و جبهت أي ردت و أصله من جبهته أي صككت جبهته و الجور العدول عن الطريق و الاعتساف قطع المسافة على غير جادة معلومة. و خلاصة هذا الفصل أن العقول إذا حاولت أن تدرك متى ينقطع اقتداره على المقدرات نكصت عن ذلك لأنه قادر أبدا دائما على ما لا يتناهى و إذا حاول الفكر الذي قد صفا و خلا عن الوسوس و العوائق أن يدرك مغيبات علمه تعالى كل و حسر و رجع ناقصا أيضا و إذا اشتد عشق النفوس له و تولعت نحوه لتسلك مسلكا تقف منه على كيفية صفاته عجزت عن ذلك و إذا تغلغت العقول و غمضت مداخلها في دقائق العلوم النظرية الإلهية التي لا توصف لدقتها طالبة أن تعلم حقيقة ذاته تعالى انقطعت و أعيت و ردها سبحانه و تعالى و هي تجول و تقطع ظلمات الغيب لتخلص إليه فارتدت حيث جبهها و ردعها مقرة معترفة بأن إدراكه و معرفته لا تنال باعتساف المسافات التي بينها و بينه و إن أرباب الأفكار و الرويات يتعذر عليهم أن يخطر لهم خاطر يطابق ما في الخارج من تقدير جلال عزته و لا بد من أخذ هذا القيد في الكلام لأن أرباب الأنظار

لا بد أن تخطر لهم الخواطر في تقدير جلال عزته و لكن تلك الخواطر لا تكون مطابقة لها في الخارج لأنها خواطر مستندها الوهم لا العقل الصريح و ذلك لأن الوهم قد ألف الحسيات و المحسوسات فهو يعقل خواطر بحسب ما ألفه من ذلك و جلال واجب الوجود أعلى و أعظم من أن يتطرق الوهم نحوه لأنه بريء من المحسوسات سبحانه و أما العقل الصريح فلا يدرك خصوصية ذاته لما تقدم. و اعلم أن قوله تعالى (فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ) فيه إشارة إلى هذا المعنى و كذلك قوله (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ وَ لَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ)

الَّذِي ابْتَدَعَ الْخُلُقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ امْتَثَلَهُ وَ لَا مِقْدَارٍ اخْتَدَى عَلَيْهِ مِنْ خَالِقٍ مَعْبُودٍ كَانَ قَبْلَهُ وَ أَرَانَا مِنْ مَلَكُوتٍ قُدْرَتِهِ وَ عَجَائِبِ مَا نَطَقْتَ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ وَ اعْتِرَافِ الْحَاجَةِ مِنَ الْخُلُقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَهَا بِمَسَاكِ قُوَّتِهِ مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارٍ قِيَامَ الْحُجَّةِ لَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ فَظَهَرَتْ فِي الْبَدَائِعِ الَّتِي أَحَدَثَهَا آثَارُ صَنَعَتِهِ وَ أَغْلَامُ حِكْمَتِهِ فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَ دَلِيلًا عَلَيْهِ وَ إِنْ كَانَ خَلْقًا صَامِتًا فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةً وَ دَلَالَتُهُ عَلَى الْمُبْدِعِ قَائِمَةً

المساك بكسر الميم ما يمسك و يعصم به. و قوله ابتدع الخلق على غير مثال امثله يحتمل وجهين أحدهما أن يريد بامثله مثله كما تقول صنعت و اصطنعت بمعنى فيكون التقدير أنه لم يمثل لنفسه مثالا قبل شروعه في خلق العالم ثم احتذى ذلك المثال و ركب العالم على حسب ترتيبه كالصانع الذي يصوغ حلقة من رصاص مثالا ثم يصوغ حلقة من ذهب عليها و كالبناء يقدر و يفرض رسوما و تقديرات في الأرض و خطوطا ثم يبنى بحسبها. و الوجه الثاني أنه يريد بامثله احتذاه و قبله و اتبعه و الأصل فيه امتثال الأمر في القول فنقل إلى احتذاء الترتيب العقلي فيكون التقدير أنه لم يمثل له فاعل آخر قبله مثالا اتبعه و احتذاه و فعل نظيره كما يفعل التلميذ في الصباغة و النجارة شيئا قد مثل له أستاذه صورته و هيئته. و اعلم أن هذا أحد الأسئلة التي يذكرها أصحابنا في باب كونه عالما لأنهم لما استدلوا على كونه تعالى عالما بطريق إحكام العلم و إتقانه سألوا أنفسهم فقالوا لم لا يجوز أن يكون القديم سبحانه أحدث العالم محتذيا لمثال مثله و هيئة اقتضاها و المحتذى لا يجب كونه عالما بما يفعله أ لا ترى أن من لا يحسن الكتابة قد يحتذى خطأ مخصوصا فيكتب قريبا منه و كذلك من يطبع الشمع بالخاتم ثم يطبع فيه مثال الخاتم فهو فعل الطابع و لا يجب كونه عالما. و أجاب أصحابنا عن ذلك فقالوا إن أول فعل محكم وقع منه ثم احتذى عليه يكفي في ثبوت كونه عالما و أيضا فإن المحتذى ليست العالمية بمسلوبة عنه بل موصوف بها

أ لا ترى أنه متصور صورة ما يحتذيه ثم يوقع الفعل مشابها له فالمحتذي عالم في الجملة و لكن علمه يحدث شيئا فشيئا. فأما معنى الفصل فظاهر يقول ع إنه ابتدع الخلق على غير مثال قدمه لنفسه و لا قدم له غيره ليحتذى عليه و أرانا من عجائب صنعته و من اعتراف الموجودات كلها بأنها فقيرة محتاجة إلى أن يمسكها بقوته ما دلنا على معرفته ضرورة و في هذا إشارة إلى أن كل ممكن مفتقر إلى المؤثر و لما كانت الموجودات كلها غيره سبحانه ممكنة لم تكن غنية عنه سبحانه بل كانت فقيرة إليه لأنها لولاه ما بقيت فهو سبحانه غني عن كل شيء و لا شيء من الأشياء مطلقا بغني عنه سبحانه و هذه من خصوصية الإلهية و أجل ما تدركه العقول من الأنظار المتعلقة بها. فإن قلت في هذا الكلام إشعار بمذهب شيخكم أبي عثمان في أن معرفته تعالى ضرورية. قلت يكاد أن يكون الكلام مشعرا بذلك إلا أنه غير دال عليه لأنه لم يقل ما دلنا على معرفته باضطرار و لكن قال ما دلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته فالاضطرار راجع إلى قيام الحجة لا إلى المعرفة. ثم قال ع و ظهرت آثار صنعته و دلائل حكمته في مخلوقاته فكانت و هي صامته في الصورة ناطقة في المعنى بوجوده و ربوبيته سبحانه و إلى هذا المعنى نظر الشاعر فقال

فو عجا كيف يعصى الإله أم كيف يحده الجاحد
و في كل شيء له آية تدل على أنه واحد

و قال في تفسير قوله تعالى (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) إنه عبارة عن هذا المعنى : فَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَائِنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ وَ تَلَاحُمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمُ الْمُحْتَاجَةِ لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ وَ لَمْ يُبَاشِرْ قَلْبُهُ الْيَقِينُ بِأَنَّهُ لَا نِدَّ لَكَ وَ كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّؤَ التَّائِبِينَ عَنِ الْمُتَّبُوعِينَ إِذْ يَقُولُونَ (تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ إِذْ شَبَّهوكَ بِأَصْنَافِهِمْ وَ تَحْلُوكَ حَلِيَّةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ وَ جَزَّءوكَ بِجَزْئَةِ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ وَ قَدَّرُوكَ عَلَى الْخُلُقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقَوَى بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ وَ الْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ وَ نَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ وَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي الْعُقُولِ فَتَكُونَ فِي مَهَبٍ فِكْرَهَا مُكَيِّفًا وَ لَا فِي رَوَايَاتِ خَوَاطِرِهَا مَحْدُودًا مُصَرِّفًا حِقَاقِ الْمَفَاصِلِ جَمْعَ حَقَّةٍ وَ جَاءَ فِي جَمْعِهَا حِقَاقٌ وَ حَقٌّ وَ حَقٌّ وَ لَمَّا قَالَ بِتَبَائِنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ وَ تَلَاحُمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمْ فَأَوْقَعَ التَّلَاحُمَ فِي مَقَابِلَةِ التَّبَائِنِ صِنَاعَةً وَ بَدِيعًا وَ رَوَى

المحتجة فمن قال المحتجة أراد أنها بما فيها من لطيف الصنعة كالمحتجة المستدلة على التدبير الحكيم من لدنه سبحانه و من قال المحتجة أراد المسترة لأن تركيبها الباطن خفي محجوب. و الند المثل و العادلون بك الذين جعلوا لك عديلا و نظيرا و نخلوك أعطوك و هي النحلة و روي لم يعقد على ما لم يسم فاعله. و غيب ضميره بالرفع و القرائح جمع قريحة و هي القوة التي تستنبط بها المعقولات و أصله من قريحة البئر و هو أول مائها. و معنى هذا الفصل أنه ع شهد بأن المجسم كافر و أنه لا يعرف الله و أن من شبه الله بالمخلوقين ذوي الأعضاء المتباينة و المفاصل المتلاحمة لم يعرفه و لم يباشر قلبه اليقين فإنه لا ند له و لا مثل ثم أكد ذلك بآيات من كتاب الله تعالى و هي قوله تعالى (فَكُذِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ تَاللَّهِ إِنَّ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ تُسَوِّىكُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ) حكى سبحانه حكاية قول الكفار في النار و هم التابعون للذين أغووههم من الشياطين و هم المتبوعون لقد كنا ضالين إذ سويناكم بالله تعالى و جعلناكم مثله و وجه الحجة أنه تعالى حكى ذلك حكاية منكر على من زعم أن شيئا من الأشياء يجوز تسويته بالباري سبحانه فلو كان الباري سبحانه جسما مصورا لكان مشابها لسائر الأجسام المصورة فلم يكن لإنكاره على من سواه بالمخلوقات معنى. ثم زاد ع في تأكيد هذا المعنى فقال كذب العادلون بك المثبتون لك نظيرا و شبيها يعنى المشبهة و المجسمة إذ قالوا إنك على صورة آدم فشبهوك بالأصنام التي

كانت الجاهلية تعبدوها و أعطوك حلية المخلوقين لما اقتضت أوهامهم ذلك من حيث لم يألّفوا أن يكون القادر الفاعل العالم إلا جسما و جعلوك مركبا و متجزئا كما تتجزأ الأجسام و قدروك على هذه الخلقة يعني خلقة البشر المختلفة القوى لأنها مركبة من عناصر مختلفة الطبائع ثم كرر الشهادة فقال أشهد أن من ساواك بغيرك و أثبت أنك جوهر أو جسم فهو عادل بك كافر و قالت تلك الخارجية للحجاج أشهد أنك قاسط عادل فلم يفهم أهل الشام حوله ما قالت حتى فسره لهم قال ع فمن يذهب إلى هذا المذهب فهو كافر بالكتاب و بما دلت عليه حجج العقول ثم قال و إنك أنت الله أي و أشهد أنك أنت الله الذي لم تحط العقول بك كإحاطتها بالأشياء المتناهية فتكون ذا كيفية. و قوله في مهبط فكرها استعارة حسنة ثم قال و لا في روايات خواطرها أي في أفكارها محدودا ذا حد مصرفا أي قابلا للحركة و التغير. و قد استدلل بعض المتكلمين على نفي كون الباري سبحانه جسما بما هو مأخوذ من هذا الكلام فقال لو جاز أن يكون الباري جسما لجاز أن يكون القمر هو إله للعالم لكن لا يجوز أن يكون القمر إله العالم فلا يجوز أن يكون الباري جسما ببيان الملازمة أنه لو جاز أن يكون الباري سبحانه جسما لما كان بين الإلهية و بين الجسمية منافاة عقلية و إذا لم يكن بينهما منافاة عقلية أمكن اجتماعهما و إذا أمكن اجتماعهما جاز أن يكون القمر هو إله العالم لأنه لا مانع من كونه إله العالم إلا كونه جسما يجوز عليه الحركة و الأفعال و نقصان ضوئه تارة و امتلاؤه أخرى فإذا لم يكن ذلك منافيا للإلهية جاز أن يكون القمر إله العالم و بيان الثاني إجماع المسلمين على كفر من أجاز كون القمر إله العالم و إذا ثبتت الملازمة و ثبتت المقدمة الثانية فقد تمت الدلالة

وَمِنْهَا قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ وَ دَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ وَ وَجَّهَهُ لِرُجْهَتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ
مَنْزِلَتِهِ وَ لَمْ يَقْصُرْ دُونَ الْإِنْتِهَاءِ إِلَى غَايَتِهِ وَ لَمْ يَسْتَصْعِبْ إِذْ أُمِرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ فَكَيْفَ وَ إِنَّمَا
صَدَرَتْ الْأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ الْمُنَشِئِ أَصْنَافَ الْأَشْيَاءِ بِلَا رَوِيَّةٍ فِكْرٍ آلَ إِلَيْهَا وَ لَا فَرِيحَةٍ غَرِيَّةٍ أَضْمَرَ
عَلَيْهَا وَ لَا تَجَرِيَّةٍ أَفَادَهَا مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ وَ لَا شَرِيكَ أَعَانَهُ عَلَى إِبْتِدَاعِ عَجَائِبِ الْأُمُورِ فَتَمَّ
خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ وَ أَدْعَنَ لِبَطَاعَتِهِ وَ أَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ لَمْ يَعْزِضْ دُونَهُ رَيْثُ الْمُبْطِئِ وَ لَا أَنَاةُ الْمُتْلَكِيِّ
فَأَقَامَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَوْدَهَا وَ نَهَجَ حُدُودَهَا وَ لَاءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا وَ وَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا وَ
فَرَّقَهَا أَجْنَاساً مُخْتَلِفَاتٍ فِي الْحُدُودِ وَ الْأَقْدَارِ وَ الْعَرَائِزِ وَ الْهَيْئَاتِ بِدَايَا خَلَائِقِ أَحْكَمَ صُنْعَهَا وَ
فَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وَ ابْتَدَعَهَا الْوَجْهَةَ بِالْكَسْرِ الْجِهَةَ الَّتِي يَتَوَجَّهُ نَحْوَهَا قَالَ تَعَالَى (وَلِكُلِّ وُجْهَةً
هُوَ مُوَلِّيُهَا) .و الريث البطء و المتلكى المتأخر و الأود الاعوجاج و لاءم بين كذا و كذا أي جمع
و القرائن هنا الأنفس واحدها قرونة و قرينة يقال سمحت قرينته و قرونته أي أطاعته نفسه و ذلت
و تابعته على الأمر و بدايا هاهنا جمع بديهة

و هي الحالة العجيبة أبدأ الرجل إذا جاء بالأمر البديء أي المعجب و البدية أيضا الحالة
المبتدأة المبتكرة و منه قولهم فعله بادئ ذي بديء على وزن فعيل أي أول كل شيء و يمكن أن
يحمل كلامه أيضا على هذا الوجه. و أما خلائق فيجوز أن يكون أضاف بدايا إليها و يجوز إلا
يكون أضافه إليها بل جعلها بدلا من أجناسا و يروى برايا جمع برية يقول ع إنه تعالى قدر
الأشياء التي خلقها فخلقها محكمة على حسب ما قدر و ألطف تدبيرها أي جعله لطيفا و
أمضى الأمور إلى غاياتها و حدودها المقدرة لها فهيأ الصقرة للاصطياد و الخيل للركوب و الطراد و
السيف للقطع و القلم للكتابة و الفلك للدوران و نحو ذلك و في هذا إشارة إلى
قول النبي ص كل ميسر لما خلق له فلم تتعد هذه المخلوقات حدود منزلتها التي جعلت غايتها
و لا قصرت دون الانتهاء إليها يقول لم تقف على الغاية و لا تجاوزتها ثم قال و لا استصعبت و
امتنعت إذا أمرها بالمضي إلى تلك الغاية بمقتضى الإرادة الإلهية و هذا كله من باب المجاز كقوله
تعالى (فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ). و خلاصة ذلك الإبانة عن
نفوذ إرادته و مشيئته. ثم علل نفي الاستصعاب فقال و كيف يستصعب و إنما صدرت عن مشيئته
يقول إذا كانت مشيئته هي المقتضية لوجود هذه المخلوقات فكيف يستصعب عليه بلوغها إلى
غاياتها التي جعلت لأجلها و أصل وجودها إنما هو مشيئته فإذا كان أصل وجودها بمشيئته فكيف
يستصعب عليه توجيهها لوجهتها و هو فرع من فروع وجودها و تابع له.

ثم أعاد معاني القول الأول فقال إنه أنشأ الأشياء بغير روية و لا فكرة و لا غريزة أضمر عليها خلق ما خلق عليها و لا تجربة أفادها أي استفادها من حوادث مرت عليه من قبل كما تكسب التجارب علوما لم تكن و لا بمساعدة شريك أعانه عليها فتم خلقه بأمره إشارة إلى قوله و لم يستصعب إذ أمر بالمضي فلما أثبت هناك كونها أمرت أعاد لفظ الأمر هاهنا و الكل مجاز و معناه نفوذ إرادته و أنه إذا شاء أمرا استحال ألا يقع و هذا المجاز هو المجاز المستعمل في قوله تعالى (**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**) تعبيرا بهذا اللفظ عن سرعة مواتاة الأمور له و انقيادها تحت قدرته. ثم قال ليس كالواحد منا يعترض دون مراده ريث و بطء و تأخير و التواء ثم قال و أقام العوج و أوضح الطريق و جمع بين الأمور المتضادة أ لا ترى أنه جمع في بدن الحيوانات و النبات بين الكيفيات المتباينة المتنافرة من الحرارة و البرودة و الرطوبة و اليبوسة و وصل أسباب أنفسها بتعديل أمزجتها لأن اعتدال المزاج أو القرب من الاعتدال سبب بقاء الروح و فرقها أجناسا مختلفات الحدود و الأقدار و الخلق و الأخلاق و الأشكال أمور عجيبة بدیعة مبتكرة الصنعة غير محتذ بها حدو صانع سابق بل مخلوقة على غير مثال قد أحكم سبحانه صنعها و خلقها على موجب ما أراد و أخرجها من العدم المحض إلى الوجود و هو معنى الابتداع فإن الخلق في الاصطلاح النظري على قسمين أحدهما صورة تخلق في مادة و الثاني ما لا مادة له بل يكون وجود الثاني من الأول فقط من غير توسط المادة فالأول يسمى التكوين و الثاني يسمى الإبداع و مرتبة الإبداع أعلى من مرتبة التكوين

وَمِنْهَا فِي صِفَةِ السَّمَاءِ وَنَظْمِ بِلَا تَعْلِيْقٍ رَهَوَاتٍ فُرَجَهَا وَ لَاحِمٍ صُدُوعٍ انْفِرَاجَهَا وَ وَشَجِّ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ أَزْوَاجِهَا وَ دَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ وَ الصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ حُزُونَةَ مِعْرَاجِهَا وَ نَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُحَانٌ فَالْتَحَمَتْ غُرَى أَشْرَاجِهَا وَ فَتَقَ بَعْدَ الْإِزْتِمَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا وَ أَقَامَ رَصْدًا مِنْ الشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ عَلَى نِقَائِهَا وَ أَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تُثْمَرَ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِيهِ وَ أَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ وَ جَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا وَ قَمَرَهَا آيَةً مُمَحَّوَةً مِنْ لَيْلِهَا وَ أَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا وَ قَدَّرَ سَيْرَهُمَا فِي مَدَارِجِ دَرَجَتَيْهِمَا لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ بِهِمَا وَ لِيُعْلَمَ عَدَدُ الْبَسِيْنِ وَ الْحِسَابِ بِمَقَادِيرِهِمَا ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوْهَا فَلَكَّهَا وَ نَاطَ بِهَا زِينَتَهَا مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيِّهَا وَ مَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا وَ رَمَى مُسْتَرْقِي السَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا وَ أَجْرَاهَا عَلَى أَذْلَالٍ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا وَ مَسِيرِ سَائِرِهَا وَ هُبُوطِهَا وَ صُعُودِهَا وَ نُحُوسِهَا وَ سُعُودِهَا الرِّهَوَاتِ جَمْعَ رِهْوَةٍ وَ هِيَ الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ وَ الْمُنْخَفِضُ أَيْضًا يَجْتَمِعُ فِيهِ مَاءُ الْمَطَرِ وَ هُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ وَ الْفَرْجُ جَمْعُ فَرْجَةٍ وَ هِيَ الْمَكَانُ الْخَالِي وَ لَاحِمُ الْأَصْقِ وَ الصَّدْعُ الشَّقُّ وَ وَشَجُّ بِالتَّشْدِيدِ أَيُّ شَبْكٍ وَ وَشَجَتِ الْعُرُوقُ وَ الْأَغْصَانُ بِالتَّخْفِيفِ اشْتَبَكَتْ وَ بَيْنَنَا رَحِمٌ وَاشْجَعُ أَيُّ مُشْتَبِكَةٍ. وَ أَزْوَاجُهَا أَقْرَانُهَا وَ أَشْبَاهُهَا قَالَ تَعَالَى (وَ كُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً) أَيُّ أَصْنَافًا ثَلَاثَةً.

و الحزونة ضد السهولة و أشراجها جمع شرح و هو عرا العيبة و أشرجت العيبة أي أقفلت
أشراجها و تسمى مجرة السماء شرحا تشبيها بشرح العيبة و أشراج الوادي ما انفسح منه و
اتسع. و الارتناق الارتجاج و النقاب جمع نقب و هو الطريق في الجبل و تمور تتحرك و تذهب و
تجيء قال تعالى (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) و الأيد القوة و ناط بها علق و الدراري الكواكب
المضيئة نسبت إلى الدر لبياضها واحدها دري و يجوز كسر الدال مثل بحر لحي و لحي. و الشواقب
المضيئات و تقول افعل ما أمرتك على أذلاله أي على وجهه و دعه في أذلاله أي على حاله و
أمور الله جارية على أذلالها أي على مجاريها و طرقها. يقول ع كانت السماء أول ما خلقت غير
منتظمة الأجزاء بل بعضها أرفع و بعضها أخفض فنظمها سبحانه فجعلها بسيطا واحدا نظما
اقتضته القدرة الإلهية من غير تعليق أي لا كما ينظم الإنسان ثوبا مع ثوب أو عقدا مع عقد
بالتعليق و الخياطة و ألصق تلك الفروج و الشقوق فجعلها جسما متصلا و سطحا أملس لا
نتوات فيه و لا فرج و لا صدوع بل جعل كل جزء منها ملتصقا بمثله و ذل للملائكة الهابطين
بأمره و الصاعدين بأعمال خلقه لأنهم الكتبة الحافظون لها حزونة العروج إليها و هو الصعود. ثم
قال و ناداها بعد إذ هي روي بإضافة بعد إلى إذ و روي بضم بعد أي و ناداها بعد ذلك إذ هي
دخان و الأول أحسن و أصوب لأنها على الضم تكون دخانا بعد نظمه رهوات فروجها و
ملاحمة صدوعها و الحال تقتضي أن دخانها قبل ذلك لا بعده.

فإن قلت ما هذا النداء قلت هو قوله (إِثْنِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً) فهو أمر في اللفظ و نداء في المعنى و هو على الحقيقة كناية عن سرعة الإبداع ثم قال و فتق بعد الارتفاق صوامت أبوابها هذا صريح في أن للسماء أبواباً و كذلك قوله على نقابها و هو مطابق لقوله سبحانه و تعالى (لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ) و القرآن العظيم و كلام هذا الإمام المعظم أولى بالاتباع من كلام الفلاسفة الذين أحالوا الخرق على الفلك و أما إقامة الرصد من الشهب الثواقب فهو نص القرآن العزيز (وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهْباً وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ آلَانَ يَجِدْ لَهُ شُهَاباً رَصِداً) و القول بإحراق الشهب للشياطين اتباعاً لنص الكتاب أولى من قول الفلاسفة الذين أحالوا الانقضاض على الكواكب. ثم قال و أمسكها على الحركة بقوته و أمرها بالوقوف فاستمسكت و وقفت ثم ذكره الشمس و القمر تذكراً مأخوذ من قول الله تعالى (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً). ثم ذكر الحكم في جريان الشمس و القمر في مجراها تذكراً مأخوذ من قوله تعالى (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرًّا) و قوله (وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ) و قوله (وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابِ).

ثم قال ثم علق في جوها فلكها و هذا يقتضي أن الفلك غير السماء و هو خلاف قول الجمهور و قد قال به قائلون و يمكن أن نفسر ذلك إذا أردنا موافقة قول الجمهور بأنه أراد بالفلك دائرة معدل النهار فإنها الدائرة العظمى في الفلك الأعظم و هي في الاصطلاح النظري تسمى فلكا. ثم ذكر أنه زين السماء الدنيا بالكواكب و أنها رجوم لمستلقي السمع و هو مأخوذ من قوله تعالى (إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَ حِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَ يُفْذَقُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ). ثم شرح حال الدنيا فقال من ثبات ثابتها يعني الكواكب التي في كرة البروج و مسير سائرها يعني الخمسة و النيرين لأنها سائرة دائما. ثم قال و صعودها و هبوطها و ذلك أن للكواكب السيارة صعودا في الأوج و هبوطا في الحضيض فالأول هو البعد الأبعد عن المركز و الثاني البعد الأقرب. فإن قلت ما باله ع قال و نحوسها و صعودها و هو القائل لمن أشار عليه ألا يحارب في يوم مخصوص المنجم كالكاهن و الكاهن كالساحر و الساحر كالكاfer و الكافر في النار. قلت إنه ع إنما أنكر في ذلك القول على من يزعم أن النجوم مؤثرة في الأمور الجزئية كالذين يحكمون لأرباب المواليذ و عليهم و كمن يحكم في حرب أو سلم أو سفر أو مقام بأنه للسعد أو النحس و أنه لم ينكر على من قال إن النجوم تؤثر صعودا و نحوسا في الأمور الكلية نحو أن تقتضي حرا أو بردا أو تدل على مرض عام

أو قحط عام أو مطر دائم و نحو ذلك من الأمور التي لا تخص إنسانا بعينه و قد قدمنا في ذلك الفصل ما يدل على تصويب هذا الرأي و إفساد ما عداه : وَ مِنْهَا فِي صِفَةِ الْمَلَائِكَةِ ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمَاوَاتِهِ وَ عِمَارَةِ الصَّفِيحِ الْأَعْلَى مِنْ مَلَكُوتِهِ خَلْقاً بَدِيعاً مِنْ مَلَائِكَتِهِ وَ مَلَأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا وَ حَشَى بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَائِهَا وَ بَيْنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ رَجُلُ الْمُسَيِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ الْقُدْسِ وَ سُتَرَاتِ الْخُجُبِ وَ سُرَادِقَاتِ الْمَجْدِ وَ وَرَاءَ ذَلِكَ الرَّجِيحِ الَّذِي تَسْنُكُ مِنْهُ الْأَسْمَاعُ سُبْحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ الْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا فَتَقِفُ حَاسِيَةً عَلَى حُدُودِهَا. وَ أَنْشَأَهُمْ عَلَى صُورٍ مُخْتَلِفَاتٍ وَ أَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ أُولَى أَجْنِحَةٍ تُسَبِّحُ جَلَالَ عِزَّتِهِ لَا يَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صُنْعِهِ وَ لَا يَدْعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئاً مَعَهُ مِمَّا انْفَرَدَ بِهِ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ جَعَلَهُمُ اللَّهُ فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ الْأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ وَ حَمَلَهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَ ذَائِعَ أَمْرِهِ وَ نَهْيِهِ وَ عَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهَاتِ فَمَا مِنْهُمْ زَائِعٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ وَ أَمَدَّهُمْ بِقَوَائِدِ الْمَعُونَةِ وَ أَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضَعِ إِحْبَابِ السَّكِينَةِ وَ فَتَحَ لَهُمْ أَبْوَاباً دُلَالاً إِلَى تَمَاجِيدِهِ وَ نَصَبَ لَهُمْ مَنَاراً وَاضِحَةً عَلَى أَعْلَامِ تَوْحِيدِهِ لَمْ تُثْقِلْهُمْ مُؤَصِّرَاتُ الْأَثَامِ وَ لَمْ تَزَلْجِلْهُمْ عُقُوبُ اللَّيَالِي وَ الْأَيَّامِ وَ لَمْ تَزِدْ الشُّكُوكَ بِنَوَازِعِهَا عَزِيمَةَ إِيْمَانِهِمْ وَ لَمْ تَعْتَزِكِ الظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ يَقِينِهِمْ وَ لَا قَدَحَتْ قَادِحُهُ الْإِحْنِ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَ لَا سَلَبَتْهُمْ الْحَيَرَةُ مَا لَاقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ وَ مَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ

و هَيْبَةً جَلَالِهِ فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ وَ لَمْ تَطْمَعْ فِيهِمْ أَلُوسَاوِسُ فَتَفْتَرَعُ بِرَيْنِهَا عَلَى فِكْرِهِمْ وَ مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ أَلْعَمَامِ الدُّلْحِ وَ فِي عِظَمِ الْجِبَالِ الشُّمَخِ وَ فِي فِتْرَةِ الظَّلَامِ الْأَيَّهِمْ وَ مِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ نُحُومَ الْأَرْضِ السُّفْلَى فَهِيَ كَرَائِيَاتٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ الْهَوَاءِ وَ تَحْتَهَا رِيحٌ هَفَافَةٌ تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ انْتَهَتْ مِنَ الْخُدُودِ الْمُتَنَاهِيَةِ قَدْ اسْتَفْرَغَتْهُمْ أَشْعَالُ عِبَادَتِهِ وَ وَصَلَتْ وَصَلَتْ حَقَائِقُ الْإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَعْرِفَتِهِ وَ قَطَعَهُمُ الْإِيْقَانُ بِهِ إِلَى الْوَلَةِ إِلَيْهِ وَ لَمْ يُجَاوِزْ رَغْبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ قَدْ ذَاقُوا حَالَوَةَ مَعْرِفَتِهِ وَ شَرِبُوا بِالْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ وَ تَمَكَّنَتْ مِنْ سُوَيْدَاوَاتِ سُوَيْدَاءِ قُلُوبِهِمْ وَ شَيْجَةُ حَيْفَتِهِ فَحَنُوا بِطُولِ الطَّاعَةِ اغْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ وَ لَمْ يُنْفِدْ طُولُ الرَّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ وَ لَا أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الرُّزْفَةِ رَيْقَ خُشُوعِهِمْ وَ لَمْ يَتَوَلَّهُمُ الْإِعْجَابُ فَيَسْتَكْبِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ وَ لَا تَرَكَتْ لَهُمْ اسْتِكَانَةُ الْإِجْلَالِ نَصِيْبًا فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ وَ لَمْ تَجْرِ أَلْفَتَرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُعُوبِهِمْ وَ لَمْ تَغْضُ رَغْبَاتُهُمْ فَيَحَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ وَ لَمْ تَجِفَّ لِطُولِ الْمُنَاجَاةِ أَسْلَاطُ أَلْسِنَتِهِمْ وَ لَا مَلَكَتُهُمُ الْأَشْعَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهَمْسِ الْجَوَارِ إِلَيْهِ أَصْوَاتُهُمْ وَ لَمْ تَحْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ الطَّاعَةِ مَنَاكِبُهُمْ وَ لَمْ يَنْتُوا إِلَى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابَهُمْ. وَ لَا تَعْدُو عَلَى عَزِيمَةِ جِدِّهِمْ بِلَادَةُ أَلْعَقْلَاتِ وَ لَا تَنْتَضِلُ فِي هِمَمِهِمْ خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ قَدْ اِئْتَحَدُوا ذَا أَلْعَرْشِ دَخِيرَةً لِيَوْمِ فَاقَتِهِمْ وَ يَمُوهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلَى الْمَحْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ لَا يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ وَ لَا يَرْجِعُ بِهِمْ إِلَّا سِتْهَتَارُ

يُلْزِمُ طَاعَتِهِ إِلَّا إِلَى مَوَادٍّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَخَافَتِهِ لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ الشَّقَقَةِ مِنْهُمْ فَيُنَوِّسُوا فِي جِدِّهِمْ وَلَمْ تَأْسِرْهُمْ الْأَطْمَاعُ فَيُؤْثِرُوا وَشَيْكَ السَّعْيِ عَلَى اجْتِهَادِهِمْ لَمْ يَسْتَغْظَمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَلَوْ اسْتَغْظَمُوا ذَلِكَ لَنَسَخَ الرَّجَاءُ مِنْهُمْ شَفَقَاتٍ وَجَلِيلِهِمْ وَلَمْ يَحْتَلِفُوا فِي رَحْمَتِهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَفْرِقْهُمْ سُوءُ التَّقَاطُعِ وَلَا تَوَلَّاهُمْ غِلُّ التَّحَاسُدِ وَلَا تَشَعَّبَتْهُمْ مَصَارِفُ الرَّيْبِ الرَّيْبِ وَلَا افْتَسَمَتْهُمْ أَحْيَافُ الْهَمِّ فَهُمْ أُسْرَاءُ إِيْمَانٍ لَمْ يُفَكِّهُمْ مِنْ رِقَّتِهِ زَيْغٌ وَلَا عُذُولٌ وَلَا وَئِيٌّ وَلَا قُتُورٌ وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعٌ إِهَابٍ إِلَّا وَ عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ سَاعٍ خَافِدٌ يَزْدَادُونَ عَلَى طَوْلِ الطَّاعَةِ بِرَحْمَتِهِمْ عِلْمًا وَ تَزْدَادُ عِزَّةُ رَحْمَتِهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَمًا هَذَا مَوْضِعُ الْمَثَلِ إِذَا جَاءَ نَهْرُ اللَّهِ بَطَلَ نَهْرُ مَعْقِلٍ إِذَا جَاءَ هَذَا الْكَلَامُ الرَّبَّانِي وَالْفَرْقُ الْقُدْسِي بَطَلَتْ فَصَاحَةُ الْعَرَبِ وَ كَانَتْ نِسْبَةُ الْفَصِيحِ مِنْ كَلَامِهَا إِلَيْهِ نِسْبَةُ التَّرَابِ إِلَى النَّضَارِ الْخَالِصِ وَ لَوْ فَرَضْنَا أَنَّ الْعَرَبَ تَقْدِرُ عَلَى الْأَلْفَاظِ الْفَصِيحَةِ الْمُنَاسِبَةِ أَوْ الْمُقَارِبَةِ لِهَذِهِ الْأَلْفَاظِ مِنْ أَيْنَ لَهُمُ الْمَادَّةُ الَّتِي عَبَّرَتْ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ عَنْهَا وَ مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ الْجَاهِلِيَّةُ بِلِ الصَّحَابَةِ الْمَعَاصِرِينَ لِرَسُولِ اللَّهِ ص هَذِهِ الْمَعَانِي الْغَامِضَةُ السَّمَائِيَّةُ لِيَتَهَيَّأَ لَهَا التَّعْبِيرُ عَنْهَا أَمَّا الْجَاهِلِيَّةُ فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا كَانَتْ تَظْهَرُ فَصَاحَتَهُمْ فِي صِفَةِ بَعِيرٍ أَوْ فَرَسٍ أَوْ حِمَارٍ وَحَشٍ أَوْ ثَوْرٍ فَلَائِةٍ أَوْ صِفَةِ جِبَالٍ أَوْ فُلُوتٍ وَ نَحْوِ ذَلِكَ وَ أَمَّا الصَّحَابَةُ

فالمذكورون منهم بفصاحة إنما كان منتهى فصاحة أحدهم كلمات لا تتجاوز السطرين أو الثلاثة أما في موعظة تتضمن ذكر الموت أو ذم الدنيا أو يتعلق بحرب و قتال من ترغيب أو ترهيب فأما الكلام في الملائكة و صفاتها و صورها و عباداتها و تسبيحها و معرفتها بخالقها و حبها له و ولها إليه و ما جرى مجرى ذلك مما تضمنه هذا الفصل على طوله فإنه لم يكن معروفا عندهم على هذا التفصيل نعم ربما علموه جملة غير مقسمة هذا التقسيم و لا مرتبة هذا الترتيب بما سمعوه من ذكر الملائكة في القرآن العظيم و أما من عنده علم من هذه المادة كعبد الله بن سلام و أمية بن أبي الصلت و غيرهم فلم تكن لهم هذه العبارة و لا قدروا على هذه الفصاحة فثبت أن هذه الأمور الدقيقة في مثل هذه العبارة الفصيحة لم تحصل إلا لعلي وحده و أقسم أن هذا الكلام إذا تأمله اللبيب اقشعر جلده و رجف قلبه و استشعر عظمة الله العظيم في روعه و خلده و هام نحوه و غلب الوجد عليه و كاد أن يخرج من مسكه شوقا و أن يفارق هيكله صباة و وجداء. ثم نعود إلى التفسير فنقول الصفيح الأعلى سطح الفلك الأعظم و يقال لوجه كل شيء عريض صفيح و صفحة. و الفروج الأماكن الخالية و الفجاج جمع فج و الفج الطريق الواسع بين جبلين أو حائطين و أجوائها جمع جو و هو ما اتسع من الأودية و يقال لما بين السماء و الأرض جو و يروى أجوائها جمع جوبة و هي الفرجة في السحاب و غيره و يروى أجوازها جمع جوز و هو وسط الشيء و الفجوات جمع فجوة و هي الفرجة بين الشيئين تقول منه تفاجى الشيء إذا صار له فجوة و منه الفجاء و هو تباعد ما بين عرقوبي البعير. و الزجل الصوت و حظائر القدس لفظة وردت في كلام رسول الله ص و أصل الحظيرة ما يعمل شبه البيت للإبل من الشجر ليقبها البرد فسمى

ع تلك المواطن الشريفة المقدسة العالية التي فوق الفلك حظائر القدس و القدس بتسكين الدال و
ضمها الطهر و التقديس التطهير و تقديس تطهر و الأرض المقدسة المطهرة و بيت المقدس أيضا و
النسبة إليه قدسي و مقدسي و السترات جمع سترة و الرجيج الزلزلة و الاضطراب و منه ارتج
البحر و تستك الأسماع تنسد قال النابغة

و نبئت خير الناس أنك لمتني و تلك التي تستك منها المسامع
سبحات النور بضم السين و الباء عبارة عن جلالة الله تعالى و عظمتة و تردع الأبصار تكفها
و خاسئة أي سادرة و منه (يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ) و خسا بصره خسا و
خسوءا أي سدر. و قوله على حدودها أي تقف حيث تنتهي قوتها لأن قوتها متناهية فإذا بلغت
حدها وقفت و قوله أولي أجنحة من الألفاظ القرآنية. و قوله لا ينتحلون ما ظهر في الخلق من
صنعه أي لا يدعون الإلهية لأنفسهم و إن كان قوم من البشر يدعونها لهم و قوله لا يدعون أنهم
يخلقون شيئا معه مما انفرد به فيه إشارة إلى مذهب أصحابنا في أن أفعال العباد مخلوقة لهم لأن
فائدة هذا القيد و هو قوله انفرد به إنما تظهر بذلك. و أما الآيات المقدسة فالرواية المشهورة
مُكْرَمُونَ و قرئ مكرمون بالتشديد و قرئ لا يسبقونه بالضم و المشهور القراءة بالكسر و المعنى
أنهم يتبعون قوله و لا يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله و أراد أن يقول لا يسبقونه
بقولهم فحذف الضمير المضاف إليه و أناب اللام منابه.

ثم قال و هم بأمره يعملون أي كما أن قولهم تابع لقوله فعملهم أيضا كذلك فرع على أمره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به

و جاء في الخبر المرفوع عن رسول الله ص أنه رأى جبرائيل ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله و الحلس الكساء الخفيف. و الزائغ العادل عن الطريق و الإخبات التذلل و الاستكانة و أبوابا ذللا أي سهلة وطيفة و منه دابة ذلول و تماجيده الثناء عليه بالمجد و المؤصرات المثقلات و الإصر الثقل. و تقول ارتحلت البعير أي ركبته و العقبة النوبة و الجمع عقب و معنى قوله و لم ترتحلهم عقب الليالي و الأيام أي لم تؤثر فيهم نوبات الليالي و الأيام و كرورها كما يؤثر ارتحال الإنسان البعير في ظهره و نوازعها شهواتها النازعة المحركة و روي نوازعها بالغين المعجمة من نزع بينهم أي أفسد. و لم تعترك الظنون أي لم تزدحم الظنون على يقينهم الذي عقدوه. و الإحن جمع إحنة و هي الحقد يقول لم تقدح قوادح الحقد في ضمائرهم. و ما لاق أي ما التصق و أثناء صدورهم جمع ثني و هي التضاعيف و الرين الدنس و الغلبة قال تعالى (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) . و تقترع من الاقتراع بالسهم بأن يتناوب كل من الوسوس عليها و يروى فيفترع بالفاء أي تعلقو برينها فرعه أي علاه. و الغمام جمع غمامة و هي السحابة و الدلخ الثقال جاء يدلخ بجملة أي جاء مثقلا به و الجبال الشمخ العالية الشاهقة. و قوله في فترة الظلام أي سواده و الأيهم لا يهتدى فيه و منه

فلاة يهماء و التخوم بضم التاء جمع تخم و هو منتهى الأرض أو القرية مثل فلس و فلوس و يروى تخوم بفتح التاء على أنها واحد و الجمع تخم مثل صبور و صبر. و ربح هفافة أي ساكنة طيبة يقول كان أقدامهم التي خرقت الهواء إلى حضيض الأرض رايات بيض تحتها ربح ساكنة ليست مضطربة فتعوج تلك الرايات بل هي ساكنة تحبسها حيث انتهت

و جاء في الخبر أن لإسرافيل جناحين أحدهما في أقصى المشرق و الآخر في أقصى المغرب و أن العرش على كاهله و أنه ليتضاءل أحيانا لعظمة الله حتى يعود مثل الوضع و هو العصفور. ثم قال قد استفرغتهم أشغال عبادته تعالى أي جعلتهم فارغين إلا منها و يروى و وسلت حقائق الإيمان بالسين المشددة يقال وسل فلان إلى ربه وسيلة و الوسيلة ما يتقرب به و الجمع وسيل و وسائل و يقال وسلت إليه و توسلت إليه بمعنى. و سويداوات القلوب جمع سويداء و هي حبة القلب و الوشيجة في الأصل عرق الشجرة و هي هنا استعارة و حنيت ضلعي أي عوجتها و الربق جمع ربقة و هي الحبل. قوله و لم يتوهم الإعجاب أي لم يستول عليهم و الدؤوب الجد و الاجتهاد و الأسلات جمع أسلة و هي طرف اللسان و مستدقه و الجؤار الصوت المرتفع و الهمس الصوت الخفي يقول ليست لهم أشغال خارجة عن العبادة فيكون لأجلها أصواتهم المرتفعة خافية ساكنة لا تعدو من عدا عليه إذا قهره و ظلمه و هو هاهنا استعارة. و لا تنتضل الخدائع في همهم استعارة أيضا من النضال و هو المراماة بالسهم و ذو العرش هو الله تعالى و هذه لفظة قرآنية قال سبحانه (إِذَا لَا بُتَّغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ

سَبِيلًا) يعني لا تبغوا إلى الله تعالى سبيلا و قال تعالى **(ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ)** و الاستهتار مصدر استهتر فلان بكذا أي لازمه و أولع به. و قوله فينوا أي فيضعفوا وني بني و الجد الاجتهاد و الانكماش. ثم قال إنهم لا يستعظمون عبادتهم و لو أن أحدا منهم استعظم عبادته لأذهب خوفه رجاءه الذي يتولد من استعظام تلك العبادة يصفهم بعظم التقوى. و الاستحواذ الغلبة و الغل الحقد و تشعبتهم تقسمتهم و فرقتهم و منه قيل للمنية شعوب أي مفرقة و أخياف الهمم أي الهمم المختلفة و أصله من الخيف و هو كحل إحدى العينين دون الأخرى و منه المثل الناس أخياف أي مختلفون و الإهاب الجلد و الحافد المسرع و منه الدعاء اللهم إليك نسعى و نحفد. و اعلم أنه ع إنما كرر و أكد صفاتهم بما وصفهم به ليكون ذلك مثالا يحتذي عليه أهل العرفان من البشر فإن أعلى درجات البشر أن يتشبه بالملك و خلاصة ذلك أمور. منها العبادة القائمة. و منها ألا يدعى أحد لنفسه الحول و القوة بل لا حول و لا قوة. و منها أن يكون متواضعا ذا سكينه و وقار. و منها أن يكون ذا يقين لا تقدح فيه الشكوك و الشبهات. و منها ألا يكون في صدره إحنة على أحد من الناس. و منها شدة التعظيم و الهيبة لخالق الخلق تبارك اسمه. و منها أن تستفرغه أشغال العبادة له عن غيرها من الأشغال.

و منها أنه لا تتجاوز رغباته مما عند الله تعالى إلى ما عند غيره سبحانه. و منها أن يعقد ضميره و قلبه على محبة الله تعالى و يشرب بالكأس الروية من حبه. و منها عظم التقوى بحيث يأمن كل شيء عدا الله و لا يهاب أحدا إلا الله. و منها الخشوع و الخضوع و الإخبت و الذل للجلال عزته سبحانه. و منها ألا يستكثر الطاعة و العمل و إن جل و عظم. و منها عظم الرجاء الواقع في مقابلة عظم الخوف فإن الله تعالى يحب أن يرجى كما يحب أن يخاف

أبحاث تتعلق بالملائكة

و اعلم أنه يجب أن تعلم أبحاث متعددة تتعلق بالملائكة و يقصد فيها قصد حكاية المذهب خاصة و نكل الاحتجاج و النظر إلى ما هو مذكور في كتبنا الكلامية. البحث الأول في وجود الملائكة قال قوم من الباطنية السبيل إلى إثبات الملائكة هو الحس و المشاهدة و ذلك أن الملائكة عندهم أهل الباطن. و قالت الفلاسفة هي العقول المفارقة و هي جواهر مجردة عن المادة لا تعلق لها بالأجسام تدبيرا و احتزوا بذلك عن النفوس لأنها جواهر مفارقة إلا أنها تدبر الأبدان و زعموا أنهم أثبتوها نظرا. و قال أصحابنا المتكلمون الطريق إلى إثبات الملائكة الخبر الصادق المدلول على صدقه و في المتكلمين من زعم أنه أثبت الملائكة بطريق نظري و هو أنه لما وجد خلقا من طين و جب في العقل أن يكون في المخلوقات خلق من الهواء و خلق من النار فالمخلوق من الهواء هو الملك و المخلوق من النار الشيطان.

البحث الثاني في بنية الملائكة و هيئة تركيبهم قال أصحابنا المتكلمون أن الملائكة أجسام لطاف و ليسوا من لحم و دم و عظام كما خلق البشر من هذه الأشياء و قال أبو حفص المعود القرينسي من أصحابنا إن الملائكة من أجسام من لحم و عظم إنه لا فرق بينهم و بين البشر و إنما لم يروا لبعده المسافة بيننا و بينهم. و قد تبعه على هذا القول جماعة من معتزلة ما وراء النهر و هي مقالة ضعيفة لأن القرآن يشهد بخلافه في قوله (وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) و قوله (إِذْ يَتَلَفَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ) فلو كانوا أجساما كثيفة كأجسامنا لرأيناهم. البحث الثالث في تكليف الملائكة حكى عن قوم من الحشوية أنهم يقولون إن الملائكة مضطرون الله جميع أفعالهم و ليسوا مكلفين. و قال جمهور أهل النظر إنهم مكلفون. و حكى عن أبي إسحاق النظام إنه قال إن قوما من المعتزلة قالوا إنهم جبلوا على الطاعة لمخالفة خلقهم خلقة المكلفين و أنهم قالوا لو كانوا مكلفين لم يؤمن أن يعصوا فيما أمروا به و قد قال تعالى (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ). و قال قوم إن أكثر الملائكة مكلفون و إن فيهم من ليس بمكلف بل هو مسخر للملائكة المكلفين كما أن الحيوانات ما هو غير مكلف بل هو مسخر للبشر و مخلوق لمصالحهم. قالوا و لا ننكر أن يكون الملائكة الذين ذكر منهم أنهم غلظ الأجسام و عظم الخلق و التركيب بحيث تبلغ أقدامهم إلى قرار الأرض قد جعلوا عمدا للسموات و الأرض فهم

يحملونها بمنزلة الأساطين التي تحمل السقوف العالية و لم يرشحوا لأمر من الأمور سوى ذلك. البحث الرابع فيما يجوز من الملائكة و ما لا يجوز قال شيخنا أبو القاسم حكى أبو الحسن الخياط عن قدماء المعتزلة أنه لا يجوز أن يعصي أحد من الملائكة و لم يذكر عنهم علة في ذلك. و قال قوم إنهم لا يعصون و لا يجوز أن يعصوا لأنهم غير مطيقين الشهوة و الغضب فلا داعي لهم إلى المعصية و الفاعل لا يفعل إلا بداع إلى الفعل. و قال قوم إنهم لا يعصون لأنهم يشاهدون من عجائب صنع الله و آثار هيئته ما يبههم عن فعل المعصية و القصد إليها و كذلك قال تعالى (وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ). و قال قوم إنما لم يجوز أن يعصوا لأن الله تعالى أخبر عنهم أنهم لا يعصون و لا ينكر مع ذلك أن يكون منهم من يتغير حاله و يتبدل بها حالة أخرى و يعصي على ما ورد من خبر الملكين بابل و خبر إبليس و إنما يسلب عنهم المعصية ما داموا على حالهم التي هي عليها. و قال شيخنا أصحاب أبي هاشم عليه السلام تعالى إن المعصية تجوز عليهم كما تجوز علينا إلا أن الله تعالى علم أن لهم ألطافا يمتنعون معها من القبيح لفعلها فامتنعوا من فعل القبيح اختيارا فكانت حالهم كحال الأنبياء من البشر يقدرون على المعصية و لا يفعلونها

اختياراً من أنفسهم باعتبار الألفاظ المفعولة لهم و لو كان لإبليس أو فرعون أو نمرود ألفاف يعلم الله تعالى إذا فعلها فعلوا الواجب و امتنعوا من فعل القبيح لفعلها بهم و لكانوا معصومين كالأنبياء و الملائكة لكنه تعالى علم أنهم لا يؤمنون و لو فعل مهما فعل فلا لطف في المعلوم و هذا عندهم حكم عام لجميع المكلفين من الإنس و الجن و الملائكة. البحث الخامس في أن أي القبيلين أفضل الملائكة أو الأنبياء قال أصحابنا نوع الملائكة أفضل من نوع البشر و الملائكة المقربون أفضل من نوع الأنبياء و ليس كل ملك عند الإطلاق أفضل من مُجَّد ص بل بعض المقربين أفضل منه و هو ع أفضل من ملائكة أخرى غير الأولين و المراد بالأفضل الأكثر ثواباً و كذلك القول في موسى و عيسى و غيرهما من الأنبياء و الذي يحكيه قوم من أرباب المقالات أن المعتزلة قالوا إن أدنى ملك في السماء أفضل من مُجَّد ص ليس بصحيح عندهم. و قال أهل الحديث و الأشعرية أن الأنبياء أفضل من الملائكة. و قال الشيعة الأنبياء أفضل من الملائكة و الأئمة أفضل من الملائكة. و قال قوم منهم و من الحشوية إن المؤمنين أفضل من الملائكة. البحث السادس في قدم الملائكة و حدوثهم أما الفلاسفة القائلون بأنهم العقول المفارقة فإنهم يذهبون إلى قدم الملائكة. و قال غيرهم من أهل الملل إنهم محدثون. و قال قوم من متأخري الحكماء إن نفوس البشر إذا فارقت الأبدان بالموت بقيت قائمة بأنفسها غير مدبرة لشيء من الأبدان فإن كانت خيرة صالحة فهي الملائكة

و إن كانت شريرة رديئة الجوهر فهي الشياطين فالملائكة عند هؤلاء محدثون و عندهم أن هذه النفوس تساعد نفوسا أخرى متعلقة بتدبير الأبدان أما على الخير أو على الشر فما ينسب في الكتب الإلهية إلى إغواء الشياطين للناس و إضلالهم فالمراد به تلك النفوس الشريرة و ما ينسب فيها إلى إعانة الملائكة لهم على الخير و الصلاح فالمراد به تلك النفوس الخيرة. البحث السابع في إبليس أ هو من الملائكة أو ليس منها قال شيخنا أبو عثمان و جماعة من أصحابنا إنه من الملائكة و لذلك استثناه الله تعالى فقال (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ). و قال قوم إنه كان من الملائكة بدلالة هذه الآية لكن الله مسخه حيث خالف الأمر فهو بعد المسخ خارج عن الملائكة و قد كان قبل ذلك ملكا قالوا و معنى قوله (كَانَ مِنَ الْجِنَّ) أي من خزان الجنة و روي ذلك عن ابن عباس قالوا و يحمل على معناه أنه صار من الجن فيكون كان بمعنى صار كقوله تعالى (كَيْفَ نُنَكِّلُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا) أي من صار لأنها لو كانت كان على حقيقتها لوجب إلا يكلم بعضهم بعضا لأنهم كانوا صبيانا في المهد. قالوا و معنى صيرورته من الجن صيرورته ضالا كما أن الجن ضالون لأن الكفار بعضهم من بعض كما قال تعالى (وَالْمُنَافِقُونَ وَ الْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ).

و قال معظم أصحابنا إن إبليس ليس من الملائكة و لا كان منها و إنما استثناه الله تعالى منهم لأنه كان مأمورا بالسجود معهم فهو مستثنى من عموم المأمورين بالسجود لا من خصوص الملائكة. البحث الثامن في هاروت و ماروت هل هما من الملائكة أم لا قال جمهور أصحابنا إنهما من الملائكة و إن القرآن العظيم قد صرح بذلك في قوله (**وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَ مَارُوتَ**) و إن الذي أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس فمن تعلمه منهم و عمل به كان كافرا و من تجنبه أو تعلمه لا يعمل به و لكن ليتوقاه كان مؤمنا قالوا و ما كان هذان الملكان يعلمان أحدا حتى ينهياه و ينهياه و ينصحاها و يقولان له (**إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ**) أي ابتلاء و اختبار من الله (**فَلَا تَكْفُرُ**) و لا تتعلمه معتقدا أنه حق. و حكى عن الحسن البصري أن هاروت و ماروت علجان أفلجان من أهل بابل كانا يعلمان الناس السحر و قرأ الحسن (**على الملكين ببابل**) بكسر اللام. و قال قوم كانا من الملائكة فعصيا الله تعالى بالحيف في الحكومة و قد كان استقضاهما في الأرض و ركب فيهما الشهوة و الغضب على نحو ما ركب في البشر امتحانا لهما لأنهما قد كانا عيرا البشر بالمعصية فلما عصيا حبسهما الله تعالى و عاقبهما بعذاب معجل و ألهمهما كلاما إذا تكلما به سكن بعض ما بهما من الألم و إن السحرة يستمعون ذلك الكلام فيحفظونه و يفرقون به بين المرء و زوجه فإنهما يتقدمان إلى من يحضرهما عند ما يتكلمان بالزجر عن العمل بذلك الكلام و يقولان (**إِنَّمَا نَحْنُ**)

فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ) ، و هما لم يكفرا و لا دعوا إلى السحر و إن عذابهما سيقطع و قد جاء في الأخبار ما يوافق هذا. و قال قوم من الحشوية إنهما شربا الخمر و قتلا النفس و زنيا بامرأة اسمها باهيد فمسخت و هي الزهرة التي في السماء : وَ مِنْهَا فِي صِفَةِ الْأَرْضِ وَ دَحْوِهَا عَلَى الْمَاءِ كَبَسَ الْأَرْضَ عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْجَلَةٍ وَ لُجَجِ بَحَارٍ زَاخِرَةٍ تَلْتَطِمُ أَوَادِي أَمْوَاجِهَا وَ تَصْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتُ اثْبَاجِهَا وَ تَرْغُو زَبْدًا كَالْفُحُولِ عِنْدَ هَيَاجِهَا فَخَضَعَ جَمَاحُ الْمَاءِ الْمُتَلَاطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا وَ سَكَنَ هَيْجُ ارْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ بِكُلْكُلِهَا وَ ذَلَّ مُسْتَحْذِيًا إِذْ تَمَعَّكَتْ عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا فَأَصْبَحَ بَعْدَ إِصْطِحَابِ أَمْوَاجِهِ سَاجِيًا مَقْهُورًا وَ فِي حَكْمَةِ الدُّلِّ مُنْقَادًا أَسِيرًا وَ سَكَنَتِ الْأَرْضُ مَدْحُوَّةً فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ وَ رَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَأْوِهِ وَ إِعْتِلَائِهِ وَ شُمُوحِ أَنْفِهِ وَ سُمُوحِ غُلَوَائِهِ وَ كَعَمْتِهِ عَلَى كِطَّةِ جَرِيئِهِ فَهَمَدَ بَعْدَ نَزَقَاتِهِ وَ لَبَدَ بَعْدَ زَيْفَانٍ وَ ثَبَاتِهِ فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا وَ حَمَلَ شَوَاهِقَ الْجِبَالِ الشُّمُوحِ الْبَدِخِ عَلَى أَكْنَافِهَا فَجَرَّ يَنَابِيعَ الْعُيُونِ مِنْ عَرَائِنِ أُتُوفِهَا وَ فَرَّقَهَا فِي سُهُوبٍ بِيَدِهَا وَ أَحَادِيدِهَا وَ عَدَّلَ حَرَكَاتَهَا بِالرَّاسِيَّاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا وَ ذَوَاتِ الشَّنَاحِيْبِ الشُّمِّ مِنْ صَيَاحِيدِهَا فَسَكَنَتْ مِنَ الْمَيَدَانِ لِإُسُوبِ الْجِبَالِ فِي قِطْعِ أَدِيمِهَا وَ تَغْلُغْلِهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جُؤَبَاتِ حَيَاشِيمِهَا وَ رُكُوبِهَا أَعْنَاقَ سُهُولِ الْأَرْضَيْنِ وَ جَرَائِمِهَا وَ فَسَحَ

بَيْنَ الْجَوِّ وَ بَيْنَهَا وَ أَعَدَّ أَهْوَاءَ مُتَنَسِّمًا لِسَاكِينَهَا وَ أَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مِرَافِقِهَا ثُمَّ لَمْ
 يَدَعْ جُرُزَ الْأَرْضِ الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعُيُونِ عَنْ رَوَائِبِهَا وَ لَا تَجِدُ جَدَاوِلَ الْأَنْهَارِ دَرِيْعَةً إِلَى بُلُوغِهَا
 حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةً سَحَابٍ تُحْيِي مَوَاتِنَهَا وَ تَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا أَلْفَ غَمَامَهَا بَعْدَ إِفْتِرَاقِ لَمَعِهِ وَ تَبَايِنِ
 قَرَعِهِ حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ لِحُجَّةِ الْمُنَزِّ فِيهِ وَ التَّمَعَ بَرْقُهُ فِي كُفْفِهِ وَ لَمْ يَنْمَ وَمِیْضُهُ فِي كَنْهَوْرِ رَبَابِهِ وَ
 مُتَرَاكِمِ سَحَابِهِ أَرْسَلَهُ سَحَابًا مُتَدَارِكًا قَدْ أَسْفَّ هَيْدَبُهُ يَمْرِي تَمْرِیهِ الْجُنُوبُ دَرَرَ أَهَاضِيهِ وَ دَفَعَ
 شَائِبِيهِ. فَلَمَّا أَلْقَتْ السَّحَابُ بَرَكَ يَوَانِئِهَا وَ بَعَاعَ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ مِنْ الْعِبَاءِ الْمَحْمُولِ عَلَيْهَا أَخْرَجَ
 بِهِ مِنْ هَوَامِدِ الْأَرْضِ النَّبَاتَ وَ مِنْ زُغْرِ الْجِبَالِ الْأَغْشَابَ فَهِيَ تَبْهَجُ بِرِيْنَةِ رِيَاضِهَا وَ تَزْدْهِي بِمَا
 أُلْبِسَتْهُ مِنْ رِبْطِ أَزَاهِيرِهَا وَ حِلْيَةِ مَا سُبِطَتْ بِهِ مِنْ نَاضِرِ أَنْوَارِهَا وَ جَعَلَ ذَلِكَ بَلَاغًا لِلْأَنْبَامِ وَ رِزْقًا
 لِلْأَنْعَامِ وَ حَرَقَ الْفَجَاجَ فِي أَفَاقِهَا وَ أَقَامَ الْمَنَارَ لِلسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادِ طُرُقِهَا كَبَسَ الْأَرْضَ أَيْ
 أَدْخَلَهَا فِي الْمَاءِ بِقُوَّةٍ وَ اعْتِمَادٍ شَدِيدٍ وَ يُقَالُ لَضَرْبِ مِنَ التَّمْرِ الْكَبِيسِ لِأَنَّهُ يَكْبَسُ حَتَّى يَتَرَاصَ وَ
 الْمَوْرُ مَصْدَرٌ مَارَ أَيْ ذَهَبَ وَ جَاءَ وَ مُسْتَفْحَلَةٌ هَائِجَةٌ هِيْجَانُ الْفُحُولِ وَ اسْتَفْحَلَ الْأَمْرُ تَفَاقَمَ وَ
 اشْتَدَّ وَ زَاخِرَةُ زَخَرِ الْمَاءِ أَيْ اامْتَدَّ جَدَا وَ ارْتَفَعَ. وَ الْأَوَاذِي جَمْعُ آذِي وَ هُوَ الْمَوْجُ وَ تَصْطَفِقُ يَضْرِبُ
 بَعْضُهَا بَعْضًا وَ الْأَثْبَاجُ هَاهُنَا

أعالي الأمواج و أصل الشج ما بين الكاهل إلى الظهر فنقل إلى هذا الموضع استعارة. و ترغو تصوت صوت البعير و الرغاء صوت ذات الخف و في المثل كفى برغائها مناديا أي أن رغاء بعير المضيف يقوم مقام ندائه للضيافة و القرى و زيدا على هذا منصوب بفعل مقدر تقديره و ترغو قاذفة زيدا و الزيد ما يظهر فوق السيل يقال قد أزيد البحر و السيل و بحر مزيد أي مالح يقذف بالزيد و الفحول عند هياجها فحول الإبل إذا هاجت للضراب. و جماح الماء صعوده و غليانه و أصله من جماح الفرس و هو أن يعز فارسه و يغلبه و الجموح من الرجال الذي يركب هواه فلا يمكن رده و خضع ذل و هيج الماء اضطرابه هاج هيجا و هياجا و هيجانا و احتاج و تهيج كله بمعنى أي ثار و هاجه غيره يتعدى و لا يتعدى و هيج ارتماؤه يعني تقاذفه و تلاطمه يقال ارتمى القوم بالسهم و بالحجارة ارتماء و كلكلها صدرها و جاء كلكل و كلكال و ربما جاء في ضرورة الشعر مشددا قال

كأن مهواها على الكلكل موضع كفي راهب مصلى
و المستخذي الخاضع و قد يهمز و قيل لأعرابي في مجلس أبي زيد كيف تقول استخذأت ليتعرف منه الهمزة فقال العرب لا تستخذئ و همزه و أكثر ما يستعمل ملينا و أصله من خدا الشيء يخذو و خذوا أي استرخى و يجوز خذي بكسر الذال و أذن خذواء بينة الخذاء أي مسترخية. و تمعكت تمرغت مستعار من تمعك الدابة في الأرض و قالوا معكت الأديم أي دلكته و كواهلها جمع كاهل و هو ما بين الكتفين و يسمى الحارك.

و اصطخاب أمواجه افتعال من الصخب و هو الصياح و الجلبة يقال صخب الرجل فهو
صخبان و اصطخب افتعل منه قال
إن الضفادع في الغدران تصطخب
و الساجي الساكن و الحكمة ما أحاط من اللجام بحنك الدابة و كانت العرب تتخذها من
القد و الأبق لأن الزينة لم تكن قصدهم قال زهير
القائد الخيل منكوبا دوابرها قد أحكمت حكمت القد و الأبقا
و استعار الحكمة هاهنا فجعل للذل حكمة ينقاد الماء بها و يذل إليها. و مدحوة مبسوبة قال
تعالى (وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) و يجوز أن تكون مدحوة هاهنا بمعنى مقذوفة مرمية يقال
دحوت الحصاة أي قذفتها و يقال للاعب الجوز ادح و أبعد المدى و التيار أعظم الموج و لجته
أعمقه و البأو الكبر و الفخر تقول بأوت على القوم أبأى بأوا قال حاتم
فما زادنا بأوا على ذي قرابة غنانا و لا أزرى بأحساننا الفقير
و هذا الكلام استعارة يقال كسرت الأرض سورة الماء الجامح كما تكسر سورة بأو الرجل
المتكبر المفتخر و الاعتلاء التيه و التكبر و الشموخ العلو مصدر شمخ بأنفه أي تكبر و الجبال
الشوامخ الشاهقة و السمو العلو و سمو علوائه أي غلوه و تجاوزه الحد.

و كعمته أي شددت فمه لما هاج من الكعام و هو شيء يجعل في فم البعير و بعير مكعوم. و الكظة الجهد و الثقل الذي يعتري الإنسان عند الامتلاء من الطعام يقول كعمت الأرض الماء حال كونه مكظوظا لشدة امتلائه و كثرته و ازدحام أمواجه فهمد أي سكن همدت النار تحمد بالضم همودا أي طفئت و ذهبت البتة و الحمود دون الهمود و النزقات الخفة و الطيش نزق الرجل بالكسر ينزق نزقا و النزقات الدفعات من ذلك. و لبد الشيء بالأرض يلبد بالضم لبودا أي لصق بها ساكنا و الزيفان التبخر في المشي زاف البعير يزيف و الزيافة من النوق المختالة و يروى و لبد بعد زفيان وثباته و الزفيان شدة هبوب الريح يقال زفته الريح زفيانا أي طردته و ناقة زفيان سريعة و قوس زفيان سريعة الإرسال للسهم و أكنافها جوانبها و كنفا الطائر جناحاه و يقال صلاء مكنف أي أحيط به من جوانبه و تكنفه القوم و اكتنفوه أحاطوا به. و الجبال الشواحق العالية و مثله البذخ و العرنين أول الأنف تحت مجتمع الحاجبين و الينابيع جمع ينبوع و هو ما انفجر من الأرض عن الماء و السهوب جمع سهب و هو الفلاة و البيد جمع بيداء و هي الفلاة أيضا. و الأخاديد جمع أخدود و هو الشق في الأرض قال تعالى (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ) و الراسيات الثقال و الشناخيب رؤوس الجبال و الشم العالية و الجلاميد الصخور واحدها جلمود و الصياخيد جمع صيخود و هي الصخرة الصلبة.

و الميدان التحرك و الاضطراب و ماد الرجل يميد أي تبختر و رسوب الجبال نزولها رسب الشيء في الماء أي سفل فيه و سيف رسوب ينزل في العظام. و قوله في قطع أديمها جمع قطعة يريد في أجزائها و أبعاضها و يروى في قطع أديمها بضم القاف و فتح الطاء جمع قطعة و هي القطعة مفروزة من الأرض و حكي أن أعرايبا قال ورثت من أبي قطعة و يروى في قطع أديمها بسكون الطاء و القطع طنفسة الرحل فنقل ذلك إلى هذا الموضع استعارة كأنه جعل الأرض ناقة و جعل لها قطعاً و جعل الجبال ثابتة في ذلك القطع. و أديم الأرض وجهها و ظاهرها و تغلغل الماء في الشجر دخوله و تخلله في أصوله. و عروقه متسربة أي داخله تسرب الثعلب أي دخل السرب و جوبات جمع جوبة و هي الفرجة في جبل أو غيره و خياشيمها جمع خيشوم و هو أقصى الأنف و تقول خشمت الرجل خشماً أي كسرت خيشومه و جراثيمها جمع جرثومة و هي أصل الشجر. و فسح أوسع و متنسماً يعني موضع النسيم و الأرض الجزز التي لا نبات فيها لانقطاع المطر عنها و هذه من الألفاظ القرآنية و الروابي التلاع و ما علا من الأرض و الجداول الأنهار الصغار جمع جدول و الذريعة الوصلة. و ناشئة سحاب ما يبتدئ ظهوره و الموات بفتح الميم القفر من الأرض و اللمع جمع لمعة و هي القطعة من السحاب أو غيره و تباين قزعه القزع قطع من السحاب رقيقة واحدها قزعة قال الشاعر

كأن رعاله قزع الجهام

و في الحديث كأنهم قزع الخريف و تباينها افتراقها و تمخضت تحركت بقوة يقال تمخض اللبن إذا تحرك في الممخضة و تمخض الولد تحرك في بطن الحامل و الهاء في فيه ترجع إلى المزن أي تحركت لجة المزن في المزن نفسه أي تحرك من السحاب وسطه و ثبجه. و التمع البرق و لمع أي أضاء و كففه جمع كفة و الكفة كالدارة تكون في السحاب. و كان الأصمعي يقول كل ما استطال فهو كفة بالضم نحو كفة الثوب و هي حاشيته و كفة الرمل و الجمع كفاف و كل ما استدار فهو كفة بالكسر نحو كفة الميزان و كفة الصائد و هي حبالته و الجمع كفف و يقال أيضا كفة الميزان بالفتح و الوميض الضياء و اللمعان. و قوله لم ينم أي لم يفت و لم ينقطع فاستعار له لفظة النوم و الكنهور العظيم من السحاب و الرباب الغمام الأبيض و يقال إنه السحاب الذي تراه كأنه دون السحاب و قد يكون أبيض و قد يكون أسود و هو جمع و الواحدة ربابة و به سميت المرأة الرباب. و المتراكم الذي قد ركب بعضه بعضا و الميم بدل من الباء و سحا صبا و سحابة سحوح و تسحسح الماء سال و مطر سحساح أي يسح شديدا و متداركا يلحق بعضه بعضا من غير انقطاع و أسف دنا من الأرض و هيدبه ما تهدب منه أي تدلى كما يتدلى هذب العين على أشفارها و يمري الجنوب و هو بمعنى يخلب و يستدر و يروى تمرية الجنوب. على أن يعدى الفعل إلى المفعولين كما تقول حلبت الناقة لبنا و يروى تمتري الجنوب و هو بمعنى تمرى من مريت الفرس و امتريته إذا استخرجت بالسوط ما عنده من الجري و إنما

خص الجنوب بذلك لأنها الريح التي يكون عليها المطر و الدرر جمع درة و هي كثرة اللبن و
سيلانه و صبه و الأهاضيب جمع هضاب و الهضاب جمع هضب و هي حلبات القطر بعد القطر
و الدفع جمع دفعة بالضم و هي كالدفقة من المطر بالضم أيضا و الشآيب جمع شؤبوب و هي
رشة قوية من المطر تنزل دفعة بشدة و البرك الصدر و بوانيه تثنية بوان على فعال بكسر الفاء و
هو عمود الخيمة و الجمع بون بالضم قال الشاعر

أصبر من ذي ضاغط عركرك ألقى بـواني زوره للمـبرك
و من روى بوانيه أراد لواصقها من قولك قوص بانية إذا التصقت بالوتر. و الرواية الأولى أصح
و بعاء السحاب ثقله بالمطر قال إمرؤ القيس

و ألقى بصحراء الغبيط بعائه نزول اليماني بالعياب المثقل
و العبء الثقل و استقلت ارتفعت و نهضت و هوامد الأرض هي الأرضون التي لا نبات بها
و زعر الجبال جمع أزعر و المراد به قلة العشب و الخلى و أصله من الزعر و هو قلة الشعر في
الرأس قال

من يك ذا لمة يرجلها فإنني غير ضائري زعري
و قد زعر الرجل يزعر قل شعره و تبهج تسر و تفرح تقول بهجني أمر كذا بالفتح و أبهجني
معا أي سرتني و من رواه بضم الهاء أراد يحسن و يملح من البهجة و هي الحسن يقال بهج الرجل
بالضم بحاجة فهو بهيج أي حسن قال الله تعالى (مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٌ) و تقول قد أبهجت
الأرض بالهمزة أي بهج نباتها و حسن.

و تزدهي أي تتكبر و هي اللغة التي حكاها ابن دريد قال تقول زها الرجل يزهو زهوا أي تكبر و على هذه اللغة تقول ازدهى الرجل يزدهي كما تقول من علا اعتلى يعتلي و من رمى ارتمى يرتمي و أما من رواها و تزدهى بما ألبسته على ما لم يسم فاعله فهي اللغة المشهورة تقول زهي فلان علينا و للعرب أحرف تتكلم بها على سبيل المفعول به و إن كانت بمعنى الفاعل كقولهم عني بالأمر و نتجت الناقة فتقول على هذه اللغة فلان يزدهى بكذا. و الربط جمع ربطة و هي الملاءة غير ذات لفقين و الأزاهير النور ذو الألوان. و سمطت به علق عليها السموط جمع سمط و هو العقد و من رواه شمطت بالشين المعجمة أراد ما خالط سواد الرياض من النور الأبيض كالأقحوان و نحوه فصارت الرياض كالشعر الأشمط و الناضر ذو النضارة و هي الحسن و الطراوة. و بلاغا للأنام أي كفاية و الآفاق النواحي و المنار الأعلام

فصول متنوعة تتعلق بالخطبة

و ينبغي أن نتكلم في هذا الموضع في فصول. الفصل الأول في كيفية ابتداء خلق الأرض. ظاهر كلام أمير المؤمنين ع أن الماء خلق قبل الأرض و قد ذكرنا فيما تقدم أنه قول لبعض الحكماء و أنه موافق لما في التوراة إلا أن في كلامه ع في هذا الموضع إشكالا و ذلك أن لقائل أن يقول كلامه يشعر بأن هيجان الماء و غليانه و موجه

سكن بوضع الأرض عليه و هذا خلاف ما يشاهد و خلاف ما يقتضيه العقل لأن الماء الساكن إذا جعل فيه جسم ثقيل اضطرب و تموج و صعد علوا فكيف الماء المتموج يسكن بطرح الجسم الثقيل فيه. و الجواب أن الماء إذا كان تموجه من قبل ريح هائجة جاز أن يسكن هيجانه بجسم يحول بينه و بين تلك الريح و لذلك إذا جعلنا في الإناء ماء و روحناه بمروحة تموجه فإنه يتحرك فإن جعلنا على سطح الماء جسما يملأ حافات الإناء و روحنا بالمروحة فإن الماء لا يتحرك لأن ذلك الجسم قد حال بين الهواء المختل بالمروحة و بين سطح الماء فمن الجائز أن يكون الماء الأول هائجا لأجل ريح محركة له فإذا وضعت الأرض عليه حال بين سطح الماء و بين تلك الريح و قد مر في كلام أمير المؤمنين في الخطبة الأولى ذكر هذه الريح فقال ريح اعتقم مهبها و أدام مربها و أعصف مجراها و أبعد منشأها فأمرها بتصفيق الماء الزخار و إثارة موج البحار فمخضت مخض السقاء و عصفت به عصفها بالفضاء. الفصل الثاني في بيان قوله ع فلما سكن هيج الماء من تحت أكتافها و حمل شواحق الجبال البذخ على أكتافها فجر ينابيع العيون فيها و عدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها. و ذلك لأن العامل في لما يجب أن يكون أمرا مباينا لما أضيفت إليه مثاله لما قام زيد قام عمرو فقام الثانية هي العاملة في لما فيجوز أن تكون أمرا مباينا لما أضيف لما إليه و هو قيام زيد و هاهنا قد قال ع لما حمل الله تعالى شواحق الجبال على الأرض عدل حركات الأرض بالجبال و معلوم أن أحد الأمرين هو الآخر. و الجواب أنه ليس أحد الأمرين هو الآخر بعينه بل الثاني معلول الأول و موجب

عنه لأن الأول هو حمل الجبال عليها و الثاني تعديل حركاتها بالجبال المحمول عليها فكأنه قال حمل عليها الجبال فافتضى ذلك الحمل تعديل حركاتها و معلوم أن هذا الكلام منتظم. الفصل الثالث في قوله إن الجبال هي المسكنة للأرض. فنقول إن هذا القول يخالف قول الحكماء لأن سكون الأرض عند الحكماء لم يكن لذلك بل لأنها تطلب المركز و هي حاصلة في حيزها الطبيعي لكننا و إن كان مخالفنا لقول الحكماء فإننا نعتقد ديننا و مذهبنا و نعدل عن قول الحكماء لأن اتباع قوله ع أولى من اتباع أقوالهم. الفصل الرابع في ذكر نظائر لما وصف به المطر و السحاب. فمن ذلك ما رواه عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال سئل أعراي عن مطر فقال استقل سد مع انتشار الطفل فشصا و احزأل ثم اكفهرت أرجاؤه و احمومت ارجاؤه و انزعرت فوارقه و تضاحكت بوارقه و استطار وادقه و أرسعت جوبه و ارتعن هيدبه و حسكت أخلافه و استقلت أردافه و انتشرت أكنافه فالرعد يرتجس و البرق يختلس و الماء ينبجس فأترع الغدر و أنبت الوجر و خلط الأوعال بالآجال و قرن الصيران بالريثال فللاودية هدير و للشراج خريز و للتلاع زفير و حط النبع و العنم من القلل الشم إلى القيعان الصحم فلم يبق في القلل إلا معصم

مجرنثم أو داحض محرجم و ذلك من فضل رب العالمين على عباده المذنبين.قلت السد السحاب الذي يسد الأفق و أصل الجبل و الطفل اختلاط الظلام و انتشاره حال غروب الشمس و شصا ارتفع و علا و احزأل انتصب و اكفهرت أرجأؤه غلظت نواحيه و جوانبه و تراكمت و احمومت اسودت مع مخالطة حمرة و أرجأؤه أوساطه و انزعرت تفرقت و الفوارق قطع من السحاب تتفرق عنه مثل فرق الإبل و هي النوق إذا أرادت الولادة فارقت الإبل و بعدت عنها حيث لا ترى و تضاحكت بوارقه لمعت و استطار انتشر و الواثق ذو الودق و هو مطر كبار و أرسعت جوبه أي تلاءمت فرجه و التحمت و ارتعن استرخى و هيدبه ما تدلى منه و حسكت أخلافه امتلأت ضروعه و أرادفه مآخره و أكنافه نواحيه و يرتجس يصوت و الرجس الصوت و يختلس يستلب البصر و ينبجس ينصب فأتزع الغدر ملأها جمع غدير و أنبت الوجر حفرها جمع و جار و هو بيت الضبيع و الآجال جمع إجل و هو قطيع البقر و الصيران مثله جمع صوار و الرئال جمع رأل و هو فرخ النعام و الهدير الصوت و الشراج جمع شرج و هو مسيل الماء إلى الحرة و خرير الماء صوته و زفير التلاع أن تزفر بالماء لفراط امتلائها و النبع شجر و العنم شجر آخر و كلاهما لا ينبت إلا في رعوس الجبال و الشم العالية و الصحم السود التي تضرب إلى الصفرة و المعصم المعتصم الملتجئ و المجرنثم المتقبض و الداحض الزالق الواقع و المحرجم المصروع.و من ذلك ما رواه أبو حاتم عن الأصمعي قال سألت أعرابيا من بني عامر بن صعصعة عن مطر أصاب بلادهم فقال نشأ عارضا فطلع ناهضا ثم ابتسم وامضا فاعتن في الأقطار فأشجاها و امتد في

الآفاق فغطاها ثم ارتجس فهمهم ثم دوي فأظلم فأرك و دث و بغش و طش ثم قطقط فأفرط ثم ديم فأغمط ثم ركد فأثجم ثم وبل فسجم و جاد فأنعم فقمس الربا و أفرط الزبي سيعا تباعا يريد انقشاعا حتى إذا ارتوت الحزون و تضحضحت المتون ساقه ربك إلى حيث يشاء كما جلبه من حيث شاء. قلت العارض سحاب يعترض في الأفق و اعتن اعترض و أشجاها مألها فكان كالشجي في حلقها و ارتجس صوت و المهمة صوت الرعد و دوي أحدث دويا فأظلم أعدم الضوء من الأرض بتكائفه فأرك أي مطر ركا و الرك المطر الضعيف و كذلك الدث و البغش و الطش و فوق ذلك القطقط و ديم صار ديمة و هي المطر أياما لا يقلع و أغمط أي دام و أثجم أقام و وبل جاء بالوابل و هو المطر العظيم و سجم صب و أنعم بالغ و قمس غوص في الماء و أفرط الزبي مألها جمع زبية و هي حفيرة تحفر للوحوش في مكان مرتفع و الحزون جمع حزن و هو ما غلظ من الأرض و المتون جمع متن و هو الصلب من الأرض و تضحضحت صار فوقها ضحضاح من الماء و هو الرقيق. و من ذلك ما رواه أبو حاتم أيضا عن الأصمعي قال سألت أعرابيا عن مطر أصابهم بعد جذب فقال ارتاح لنا ربك بعد ما استولى اليأس على الظنون و خامر القلوب القنوط فأنشأ بنوء الجبهة قرعة كالقرص من قبل العين فاحزألت عند ترجل النهار لأدهم السرار حتى إذا نهضت في الأفق طالعة أمر مسخرها الجنوب فتبسمت لها فانتشرت أحضانها و احمومت أركانها و بسق عنانها و اكفهرت رحاها و انبعجت كالها و ذمرت

أخراها أولاهها ثم استطارت عقائقها و ارتعجت بوارقها و تعقعت صواعقها ثم ارتعبت جوانبها و تداعت سواكبها و درت حوالبها فكانت للأرض طبقا شج فهضب و عم فأحسب فعل القيعان و ضحضح الغيطان و صوح الأضواج و أترع الشراج فالحمد لله الذي جعل كفاء إساءتنا إحسانا و جزاء ظلمنا غفرانا.قلت نوء الجبهة محمود عندهم للمطر و القرعة القطعة الصغيرة من السحاب و القرص الترس و العين ما عن يمين قبلة العراق و ترجل النهار انبساط الشمس و الأدهم أحد ليالي السرار و الأحضان النواحي و احمومت اسودت و بسق علا و العنان ما يعترض من السحاب في الأفق و انبعجت انفتقت و ذمرت حضت و العقائق البروق و ارتعجت اهتزت و ارتعدت و طبقا أي غطت الأرض و هضب جاء بالمطر دفعة دفعة و أحسب كفى و عل القيعان سقاها مرة بعد أخرى و الغيطان جمع غائط و هو ما سفلى من الأرض و صوح الأضواج هدم الأجواف و أترع الشراج ملأ المسيلات.و من ذلك ما رواه ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه الأصمعي قال سمعت أعرابيا من بني عامر يصف مطرا قال نشأ عند القصر بنوء الغفر حيا عارضا ضاحكا وامضا فكلا و لا ما كان حتى شجيت به أفطار الهواء و احتجبت به السماء ثم أطرق فاكفهر و تراكم فادهم و بسق فازلأم ثم حدث به الريح فخر و البرق مرتعج و الرعد مبتوج و الحدج مبتعج فأنجم ثلاثا متحيرا هتهاثا أخلافه حاشكة و دفعه متواشكة و سوامه متعاركة ثم ودع منجما و ألق متهما محمود البلاء مترع النهاء مشكور النعماء بطول ذي الكبرياء.قلت القصر العشوي و الغفر من نجوم الأسد و الحيا الداني من الأرض.و قوله كلا و لا أي في زمان قصير جدا و شجيت به الأقطار صار كالشجي لها

و ازلام انتصب و المرتعج المتدارك و المبتوج العالي الصوت و الحدج السحاب أول ما ينشأ و يتبعج يشقق و أثجم دام متحيرا أي كأنه قد تحير لا وجه له يقصده و الهتهاث المداخل و أخلافه حاشكة أي ضروعة ممثلة و دفعه متواشكة أي مسرعة و سوامه متعاركة شبه قطع السحاب بسوام الإبل و منجما مقلعا و متهما يسير نحو تهامة

الفصل الخامس في بيان أنه ع إمام أرباب صناعة البديع

و ذلك لأن هذا الفن لا يوجد منه في كلام غيره ممن تقدمه إلا ألفاظ يسيرة غير مقصودة و لكنها واقعة بالاتفاق كما وقع التجنيس في القرآن العزيز اتفاقا غير مقصود و ذلك نحو قوله يا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ و كما وقعت المقابلة أيضا غير مقصودة في قوله وَ السَّمَاءَ رَفَعَهَا وَ وَضَعَ الْمِيزَانَ عَلَى أَنَّهَا ليست مقابلة في المعنى بل من اللفظ خاصة و لما تأمل العلماء شعر إمرئ القيس و وجدوا فيه من الاستعارة بيتا أو بيتين نحو قوله يصف الليل

فقلت له لما تمطى بصلبه و أردف أعجازا و ناء بكلكل
و قوله

و إن يك قد ساءتك مني خليفة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل
و لم ينشدوا مثل ذلك في أشعار الجاهلية حكموا له بأنه إمام الشعراء و رئيسهم. و هذا الفصل من كلام أمير المؤمنين ع قد اشتمل من الاستعارة العجيبة و غيرها من أبواب البديع على ما لو كان موجودا في ديوان شاعر مكثر أو مترسل مكثر

لكان مستحق التقديم بذلك أ لا تراه كيف وصف الأمواج بأنها مستفحلة و أنها ترغو رغاء فحول الإبل ثم جعل الماء جماحا ثم وصفه بالخضوع و جعل للأرض كلكلا و جعلها واطئة للماء به و وصف الماء بالذل و الاستخذاء لما جعل الأرض متمعكة عليه كما يتمعك الحمار أو الفرس و جعل لها كواهل و جعل للذل حكمة و جعل الماء في حكمة الذل منقادا أسيرا و ساجيا مقهورا و جعل الماء قد كان ذا نخوة و بأو و اعتلاء فردته الأرض خاضعا مسكينا و طأطأت من شموخ أنفه و سمو غلوائه و جعلها كاعمة له و جعل الماء ذا كظة بامتلائه كما تعتري الكظة المستكثر من الأكل ثم جعله هامدا بعد أن كانت له نزقات و لا بدا بعد أن كانت له وثبات ثم جعل للأرض أكتافا و عرائن و أنوفا و خياشيم ثم نفى النوم عن وميض البرق و جعل الجنوب مارية درر السحاب ثم جعل للسحاب صدرا و بوانا ثم جعل الأرض مبهتجة مسرورة مزدهاة و جعل لها ريطا من لباس الزهور و سموطا تحلى بها فيا لله و للعجب من قوم زعموا أن الكلام إنما يفضل بعضه بعضا لاشتماله على أمثال هذه الصنعة فإذا وجدوا في مائه ورقة كلمتين أو ثلاثا منها أقاموا القيامة و نفخوا في الصور و ملئوا الصحف بالاستحسان لذلك و الاستظراف ثم يمرون على هذا الكلام المشحون كله بهذه الصنعة على ألطف وجه و أرصع وجه و أرشق عبارة و أدق معنى و أحسن مقصد ثم يحملهم الهوى و العصبية على السكوت عن تفضيله إذا أجملوا و أحسنوا و لم يتعصبوا لتفضيل غيره عليه على أنه لا عجب فإنه كلام علي ع و حظ الكلام حظ المتكلم و أشبه امرأ بعض بزه.

الفهرس

كتاب شرح نهج البلاغة الجزء السادس ابن ابي الحديد.....	١
يوم السقيفة.....	٥
قصيدة أبي القاسم المغربي و تعصبه للأنصار على قريش.....	١٤
أمر المهاجرين و الأنصار بعد بيعة أبي بكر.....	١٧
ذكر أمر فاطمة مع أبي بكر.....	٤٦
هاشم بن عتبة بن أبي وقاص و نسبه.....	٥٥
ولاية قيس بن سعد على مصر ثم عزله.....	٥٧
ولاية محمد بن أبي بكر على مصر و أخبار مقتله.....	٦٥
خطبة للإمام علي بعد مقتل محمد بن أبي بكر.....	٩٤
خبر مقتل محمد بن أبي حذيفة.....	١٠٠
طائفة من الأشعار الواردة في ذم الجبن.....	١٠٤
أخبار الجبناء و ذكر نوادرهم.....	١٠٧
خبر مقتل الإمام علي كرم الله وجهه.....	١١٣
ذكر مطاعن النظام على الإمام علي و الرد عليه.....	١٢٩
خطبة الإمام علي بعد يوم النهروان.....	١٣٤
من خطب الإمام علي أيضا.....	١٣٦
معنى الصلاة على النبي و الخلاف في جواز الصلاة على غيره.....	١٤٣
مروان بن الحكم و نسبه و أخباره.....	١٤٨
كلام لعلي قبل المبايعة لعثمان.....	١٦٧
من أدعية رسول الله المأثورة.....	١٧٨
من أدعية الصحيفة.....	١٧٨
من الأدعية المأثورة عن عيسى ع.....	١٨٧

١٨٧	من الأدعية الماثورة عن بعض الصالحين
١٩٦	آداب الدعاء
٢٠٠	القول في أحكام النجوم
٢١٥	أخبار عائشة في خروجها من مكة إلى البصرة بعد مقتل عثمان
٢٣١	الآثار و الأخبار الواردة في الزهد
٢٧٣	فصل في ذكر القبر و سؤال منكر و نكير
٢٨١	نسب عمرو بن العاص و طرف من أخباره
٢٨٥	مفاخرة بين الحسن بن علي و رجالات من قريش
٢٩٤	عمرو بن العاص و معاوية
٢٩٥	عبد الله بن جعفر و عمرو بن العاص في مجلس معاوية
٢٩٨	عبد الله بن العباس و رجالات قريش في مجلس معاوية
٣٠٤	عمارة بن الوليد و عمرو بن العاص في الحبشة
٣٠٧	أمر عمرو بن العاص مع جعفر بن أبي طالب في الحبشة
٣١٢	أمر عمرو بن العاص في صفين
٣١٨	خبر إسلام عمرو بن العاص
٣١٩	بعث رسول الله عمرا إلى ذات السلاسل
٣٢٠	ولايات عمرو في عهد الرسول و الخلفاء
٣٢١	نبذ من كلام عمرو بن العاص
٣٢٦	فصل في شرح ما نسب إلى علي من الدعابة
٣٣٠	أقوال و حكايات في المزاح
٣٣٧	نبذ و أقول في حسن الخلق و مدحه
٣٤٠	فصل في ذكر أسباب الغلظة و الفضافة
٣٥٧	فصل في ذم الكذب و حقارة الكذابين
٣٦٥	فصل في العباد و الزهاد و العارفين و أحوالهم
٤٣١	أبحاث تتعلق بالملائكة
٤٤٥	فصول متنوعة تتعلق بالخطبة
٤٥٣	الفهرس